



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارسلنا  
عليكم يا صابغ  
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

السيرة

نفسية القليل

للمعلمة تريا الشيد محمد حسين الطيب البستاني

المجلد الأول

منشورات

مؤسسة الأمل للطبوعات

بغداد - العراق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الميزان في تفسير القرآن

كاتب:

محمد حسين طباطبائي

نشرت في الطباعة:

علامه طباطبائي

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
١٥	تفسیر المیزان المجلد ١
١٥	اشاره
١٥	اشاره
١٨	المقدمه [فی مسلك البحث التفسیری فی الكتاب.]
٢٩	(١) سورة الحمد و هی سبع آیات (٧)
٢٩	[سوره الفاتحه (١): الآيات ١ الى ٥]
٢٩	اشاره
٢٩	بیان
٣٦	بحث روائی
٣٨	بحث فلسفی [معنی الحمد و أنه لله سبحانه.]
٤٢	[سوره الفاتحه (١): الآيات ٦ الى ٧]
٤٢	اشاره
٤٢	بیان [معنی الصراط و الهدایه.]
٥١	بحث روائی [معنی جرى القرآن.]
٥٥	(بحث آخر روائی)
٥٧	(٢) «سوره البقره و هی مائتان و ست و ثمانون آیه» (٢٨٦)
٥٧	[سوره البقره (٢): الآيات ١ الى ٥]
٥٧	اشاره
٥٧	(بیان)
٦٠	(بحث روائی)
٦١	(بحث فلسفی) [جواز التعویل علی غیر المحسوسات]
٦٣	(بحث آخر فلسفی) [وجود العلم.]
٦٦	[سوره البقره (٢): الآيات ٦ الى ٧]

٦٦	اشاره
٦٦	(بيان) -
٦٧	(بحث روائى) [وجوه الكفر].
٦٨	[سوره البقره (٢): الآيات ٨ الى ٢٠].
٦٨	اشاره
٦٩	بيان
٧٠	[سوره البقره (٢): الآيات ٢١ الى ٢٥].
٧٠	اشاره
٧١	(بيان)
٧١	اشاره
٧٢	(الإعجاز و ماهيته) [الكلام فى الإعجاز و إعجاز القرآن].
٧٣	(إعجاز القرآن) -
٧٦	(تحديه بالعلم)
٧٧	(التحدى بمن أنزل عليه القرآن)
٧٨	(تحدى القرآن بالإخبار عن الغيب)
٨٠	(تحدى القرآن بعدم الاختلاف فيه)
٨٢	التحدى بالبلاغه
٨٧	(معنى الآيه المعجزه فى القرآن و ما يفسر به حقيقتها)
٨٨	١ تصديق القرآن لقانون العليه العامه
٨٨	٢ إثبات القرآن ما يخرق العاده
٩٢	٣ القرآن يسند ما أسند إلى العله الماديه إلى الله تعالى
٩٣	٤ القرآن يثبت تأثيرا فى نفوس الأنبياء فى الخوارق
٩٤	٥ القرآن كما يسند الخوارق إلى تأثير النفوس يسندها إلى أمر الله تعالى
٩٦	٦ القرآن يسند المعجزه إلى سبب غير مغلوب
٩٧	٧ القرآن يعد المعجزه برهاننا على صحه الرساله لا دليلا عاما
١٠٠	[كلام فى معنى الرساله و ما يلحق بها].

- ١٠٤ ..... (بحث روائي) -----
- ١٠٤ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ٢٦ الى ٢٧] -----
- ١٠٤ ..... اشاره -----
- ١٠٥ ..... [بيان] [المجازاه و تجسم الأعمال]. -----
- ١٠٧ ..... بحث الجبر و التفويض [الجبر و التفويض و الأمر بين الأمرين]. -----
- ١١١ ..... (بحث روائي) [الجبر و التفويض و الأمر بين الأمرين]. -----
- ١١٩ ..... (بحث فلسفي) [الجبر و التفويض و الأمر بين الأمرين]. -----
- ١٢٤ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ٢٨ الى ٢٩] -----
- ١٢٤ ..... اشاره -----
- ١٢٤ ..... بيان -----
- ١٢٨ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ٣٠ الى ٣٣] -----
- ١٢٨ ..... اشاره -----
- ١٢٨ ..... [بيان] -----
- ١٢٨ ..... اشاره -----
- ١٢٩ ..... [امعنى جعل الخلافه و تعليم الأسماء لأدم]. -----
- ١٣٣ ..... (بحث روائي) -----
- ١٣٥ ..... [سوره البقره (٢): آيه ٣٤] -----
- ١٣٥ ..... اشاره -----
- ١٣٦ ..... [بيان] -----
- ١٣٧ ..... (بحث روائي) -----
- ١٣٩ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ٣٥ الى ٣٩] -----
- ١٣٩ ..... اشاره -----
- ١٤٠ ..... [بيان] -----
- ١٤٠ ..... اشاره -----
- ١٤٠ ..... [جنه آدم عليه السلام]. -----
- ١٥٢ ..... بحث روائي [جنه آدم عليه السلام]. -----

- ١٦٤ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ٤٠ الى ٤٤]
- ١٦٤ ..... اشاره
- ١٦٥ ..... (بيان)
- ١٦٥ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ٤٥ الى ٤٦]
- ١٦٥ ..... اشاره
- ١٦٦ ..... (بيان)
- ١٦٧ ..... بحث روائى
- ١٦٨ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ٤٧ الى ٤٨]
- ١٦٨ ..... اشاره
- ١٦٨ ..... (بيان)
- ١٧١ ..... [أبحاث الشفاعة.]
- ١٧١ ..... اشاره
- ١٧١ ..... ١ ما هي الشفاعة؟
- ١٧٦ ..... ٢ إشكالات الشفاعة
- ١٨٣ ..... ٣- فيمن تجرى الشفاعة؟
- ١٨٥ ..... ٤- من تقع منه الشفاعة؟
- ١٨٧ ..... ٥- بما ذا تتعلق الشفاعة؟
- ١٨٧ ..... ٦- متى تنفع الشفاعة؟
- ١٨٨ ..... (بحث روائى) [بحث آخر فى الشفاعة.]
- ١٩٧ ..... (بحث فلسفى) [بحث آخر فى الشفاعة.]
- ١٩٨ ..... (بحث اجتماعى) [بحث آخر فى الشفاعة.]
- ٢٠١ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ٤٩ الى ٦١]
- ٢٠١ ..... اشاره
- ٢٠٢ ..... (بيان)
- ٢٠٤ ..... (بحث روائى) [الصائبين.]
- ٢٠٦ ..... [سوره البقره (٢): آيه ٦٢]



٢٠٦ ..... اشارة

٢٠٦ ..... (بيان)

٢٠٧ ..... (بحث روائى)

٢٠٨ ..... [بحث تاريخى] [بحث آخر فى الشفاعة أيضا.]

٢١٠ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ٦٣ الى ٧٤]

٢١٠ ..... اشارة

٢١٢ ..... (بيان)

٢١٧ ..... (بحث روائى)

٢١٩ ..... [بحث فلسفى] [إحياء الأموات و المسخ.]

٢٢٣ ..... [بحث علمى و أخلاقى] [معنى التقليد.]

٢٢٤ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ٧٥ الى ٨٢]

٢٢٤ ..... اشارة

٢٢٧ ..... بيان

٢٣٠ ..... (بحث روائى)

٢٣١ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ٨٣ الى ٨٨]

٢٣١ ..... اشارة

٢٣٢ ..... (بيان)

٢٣٤ ..... (بحث روائى)

٢٣٥ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ٨٩ الى ٩٣]

٢٣٥ ..... اشارة

٢٣٦ ..... (بيان)

٢٣٧ ..... (بحث روائى)

٢٤٠ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ٩٤ الى ٩٩]

٢٤٠ ..... اشارة

٢٤١ ..... (بيان)

٢٤٤ ..... (بحث روائى)

- ٢٤٥ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٠٠ الى ١٠١] .....  
٢٤٥ ..... اشاره .....  
٢٤٤ ..... (بيان) .....  
٢٤٤ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٠٢ الى ١٠٣] .....  
٢٤٤ ..... اشاره .....  
٢٤٧ ..... (بيان) [فيما نسب من السحر إلى سليمان و هاروت و ماروت] .....  
٢٥١ ..... بحث روائي [بحث آخر فيما نسب من السحر إلى سليمان و هاروت و ماروت] .....  
٢٥٥ ..... (بحث فلسفي) [بحث آخر فيما نسب من السحر إلى سليمان و هاروت و ماروت] .....  
٢٥٨ ..... (بحث علمي) [أقسام الفنون الباحثه عن غرائب الآثار] .....  
٢٥٩ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٠٤ الى ١٠٥] .....  
٢٥٩ ..... اشاره .....  
٢٥٩ ..... (بيان) .....  
٢٤٣ ..... (بحث روائي) .....  
٢٤٣ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٠٦ الى ١٠٧] .....  
٢٤٣ ..... اشاره .....  
٢٤٣ ..... (بيان) [النسخ] .....  
٢٤٨ ..... (بحث روائي) .....  
٢٧٠ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٠٨ الى ١١٥] .....  
٢٧٠ ..... اشاره .....  
٢٧١ ..... (بيان) .....  
٢٧٣ ..... (بحث روائي) .....  
٢٧٤ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١١٦ الى ١١٧] .....  
٢٧٤ ..... اشاره .....  
٢٧٥ ..... (بيان) [نفى الولد عنه تعالى] .....  
٢٧٦ ..... (بحث روائي) .....  
٢٧٦ ..... (بحث علمي و فلسفي) [تميز الذوات وجودا و بداعه الإيجاد] .....

- ٢٧٧ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١١٨ الى ١١٩] .....
- ٢٧٧ ..... اشاره .....
- ٢٧٧ ..... (بيان) .....
- ٢٧٨ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٢٠ الى ١٢٣] .....
- ٢٧٨ ..... اشاره .....
- ٢٧٩ ..... (بيان) .....
- ٢٨٠ ..... (بحث روائى) .....
- ٢٨٠ ..... [سوره البقره (٢): آيه ١٢٤] .....
- ٢٨٠ ..... اشاره .....
- ٢٨١ ..... (بيان) [الإمامه و إثبات أمهات مسائلها] .....
- ٢٩٠ ..... (بحث روائى) .....
- ٢٩٣ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٢٥ الى ١٢٩] .....
- ٢٩٣ ..... اشاره .....
- ٢٩٤ ..... (بيان) [قصه بناء إبراهيم عليه السلام للكعبه و ما يتعلق بها من دعائه للنبي و أمته و معنى ذلك] .....
- ٣٠٠ ..... (بحث روائى) [قصه بناء إبراهيم عليه السلام للكعبه و ما يتعلق بها من دعائه للنبي و أمته و معنى ذلك، ما أورد على ما ورد فى فضائل الكعبه و الجواب عنه] .....
- ٣١٢ ..... (بحث علمى) [معنى قصة إبراهيم و سر تشريع الحج] .....
- ٣١٣ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٣٠ الى ١٣٤] .....
- ٣١٣ ..... اشاره .....
- ٣١٤ ..... (بيان) .....
- ٣١٥ ..... [معنى الإسلام-مراتب الإسلام و الإيمان] .....
- ٣٢٠ ..... (بحث روائى) .....
- ٣٢٣ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٣٥ الى ١٤١] .....
- ٣٢٣ ..... اشاره .....
- ٣٢٤ ..... (بيان) .....
- ٣٢٨ ..... (بحث روائى) .....
- ٣٢٩ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٤٢ الى ١٥١] .....

- ٣٢٩ ..... اشاره
- ٣٣١ ..... [بيان] [تشريع القبلة و معنى شهاده الأمه على الناس و الرسول على الأمه.]
- ٣٤٥ ..... بحث روائى [تشريع القبلة و معنى شهاده الأمه على الناس و الرسول على الأمه.]
- ٣٤٩ ..... [بحث علمى] [تشخيص القبلة]
- ٣٥١ ..... [بحث اجتماعى] [أيضا فى معنى القبلة و فوائدها.]
- ٣٥٣ ..... [سوره البقره (٢): آيه ١٥٢] .....
- ٣٥٣ ..... اشاره
- ٣٥٣ ..... [بيان] [معنى الذكر.]
- ٣٥٤ ..... [بحث روائى]
- ٣٥٦ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٥٣ الى ١٥٧] .....
- ٣٥٦ ..... اشاره
- ٣٥٧ ..... [بيان]
- ٣٦١ ..... [نشأه البرزخ]
- ٣٦٤ ..... [تجرد النفس]
- ٣٦٨ ..... [الأخلاق]
- ٣٧٥ ..... [بيان]
- ٣٧٦ ..... [بحث روائى فى البرزخ و حياه الروح بعد الموت]
- ٣٧٨ ..... [بحث فلسفى] [تجرد النفس أيضا.]
- ٣٨٤ ..... [بحث أخلاقى]
- ٣٩٦ ..... [بحث روائى آخر] فى متفرقات متعلقه بما تقدم
- ٣٩٨ ..... [سوره البقره (٢): آيه ١٥٨] .....
- ٣٩٨ ..... اشاره
- ٣٩٩ ..... [بيان]
- ٤٠٠ ..... [بحث روائى]
- ٤٠٢ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٥٩ الى ١٦٢] .....
- ٤٠٢ ..... اشاره

- ٤٠٢ ..... (بيان)
- ٤٠٥ ..... (بحث روائي)
- ٤٠٦ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٦٣ الى ١٦٧]
- ٤٠٦ ..... اشاره
- ٤٠٧ ..... (بيان)
- ٤١٤ ..... (كلام فى استناد مصنوعات الإنسان إلى الله سبحانه)
- ٤١٨ ..... [(بيان)]
- ٤١٨ ..... اشاره
- ٤١٩ ..... [معنى الحب و تعلقه بالله تعالى.]
- ٤٢٢ ..... (بحث روائي)
- ٤٢٣ ..... (بحث فلسفى) [معنى الحب و تعلقه بالله تعالى.]
- ٤٢٤ ..... (بحث فلسفى آخر) [دوام العذاب و انقطاعه.]
- ٤٣٠ ..... (بحث قرآنى و روائى متمم للبحث السابق)
- ٤٣٠ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٦٨ الى ١٧١]
- ٤٣٠ ..... اشاره
- ٤٣١ ..... (بيان)
- ٤٣٤ ..... (بحث روائي)
- ٤٣٥ ..... (بحث أخلاقى و اجتماعى) [التقليد و اتباع الخرافه.]
- ٤٣٨ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٧٢ الى ١٧٤]
- ٤٣٨ ..... اشاره
- ٤٣٩ ..... (بيان)
- ٤٤٠ ..... (بحث روائي)
- ٤٤١ ..... [سوره البقره (٢): آيه ١٧٧]
- ٤٤١ ..... اشاره
- ٤٤٢ ..... (بيان)
- ٤٤٥ ..... (بحث روائي) [معنى الأبرار.]

٤٤٦ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٧٨ الى ١٧٩]

٤٤٦ ..... اشاره

٤٤٦ ..... (بيان)

٤٤٨ ..... (بحث روائى)

٤٤٨ ..... (بحث علمى) [القصاص و ما أشكل عليه و الجواب عنه].

٤٥٢ ..... [سوره البقره (٢): الآيات ١٨٠ الى ١٨٢]

٤٥٢ ..... اشاره

٤٥٣ ..... (بيان)

٤٥٤ ..... (بحث روائى)

٤٦٣ ..... تعريف مركز

سرشناسه : طباطبائی، سید محمد حسین، ۱۲۸۱ - ۱۳۶۰.

عنوان و نام پدید آور : تفسیر المیزان / محمد حسین طباطبائی؛ ترجمه ناصر مکارم شیرازی... [و دیگران].

وضعیت ویراست : [ویراست ۲؟]

مشخصات نشر : قم: بنیاد علمی و فکری علامه طباطبائی؛ تهران: مرکز نشر فرهنگی رجاء: امیر کبیر، ۱۳۶۳-

مشخصات ظاهری : ۲۰ ج.

شابک : ۱۶۰۰۰ ریال (دوره کامل)

یادداشت : جلد ۱۱ و ۱۹ کتاب توسط سید محمد باقر موسوی همدانی ترجمه شده است.

یادداشت : ج. ۱۱ (چاپ صد و بیست و هشتم: ۱۳۶۳).

یادداشت : ج. ۱۹ (چاپ اول؟: ۱۳۶۳).

یادداشت : عنوان عطف: ترجمه تفسیر المیزان.

عنوان عطف : ترجمه تفسیر المیزان.

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مکارم شیرازی، ناصر، ۱۳۰۵ -، مترجم

رده بندی کنگره : BP۹۸/ط۲۵ م ۹۰۴۱ ۱۳۶۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۲۶

شماره کتابشناسی ملی : م ۶۳-۳۵۴۹

ص : ۱







## المقدمه [فى مسلك البحث التفسيرى فى الكتاب.]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا و الصلاه على من جعله شاهدا و مبشرا و نذيرا و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا و على آله الذين أذهب عنهم الرجس أهل البيت و طهرهم تطهيرا.

مقدمه:نعرف فيها مسلك البحث عن معانى آيات القرآن الكريم فى هذا الكتاب بطريق الاختصار.

التفسير(و هو بيان معانى الآيات القرآنيه و الكشف عن مقاصدها و مداليلها) من أقدم الاشتغالات العلميه التى تعهد من المسلمين،فقد شرع تاريخ هذا النوع من البحث و التنقيح المسمى بالتفسير من عصر نزول القرآن كما يظهر من قوله تعالى و تقدس:

«كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» Xالآيه X:البقره-١٥١.

و قد كانت الطبقة الأولى من مفسرى المسلمين جماعه من الصحابه و المراد بهم غير على(ع)،فإن له و للأئمه من ولده نبأ آخر ستعرض له كابن عباس و عبد الله بن عمر و أبى و غيرهم اعتنوا بهذا الشأن،و كان البحث يومئذ لا يتجاوز عن بيان ما يرتبط،من الآيات بجهاتها الأدبيه و شأن النزول و قليل من الاستدلال بآيه على آيه و كذلك قليل من التفسير بالروايات المأثوره عن النبى ص فى القصص و معارف المبدأ و المعاد و غيرها.

و على هذا الوصف جرى الحال بين المفسرين من التابعين كمجاهد و قتاده و ابن أبى ليلى و الشعبى و السدى و غيرهم فى القرنين الأولين من الهجره،فإنهم لم يزدوا على طريقه سلفهم من مفسرى الصحابه شيئا غير أنهم زادوا من التفسير بالروايات، (و بينها روايات دسها اليهود أو غيرهم)،فأوردوها فى القصص و المعارف الراجعه إلى

الخلقه كابتداء السماوات و تكوين الأرض و البحار و إرم شداد و عثرات الأنبياء و تحريف الكتاب و أشياء آخر من هذا النوع، و قد كان يوجد بعض ذلك في المأثور عن الصحابه من التفسير و البحث.

ثم استوجب شيوع البحث الكلامي بعد النبي ص في زمن الخلفاء باختلاط المسلمين بالفرق المختلفه من أمم البلاد المفتوحه بيد المسلمين و علماء الأديان و المذاهب المتفرقه من جهه.

و نقل فلسفه يونان إلى العريبه في السلطنه الأمويه أواخر القرن الأول من الهجره، ثم في عهد العباسيين، و انتشار البحث العقلي الفلسفي بين الباحثين من المسلمين من جهه أخرى ثانيه.

و ظهور التصوف مقارنة لانتشار البحث الفلسفي و تمايل الناس إلى نيل المعارف الدينيه من طريق المجاهده و الرياضه النفسانيه دون البحث اللفظي و العقلي من جهه أخرى ثالثه.

و بقاء جمع من الناس و هم أهل الحديث على التعبد المحض بالظواهر الدينيه من غير بحث إلا عن اللفظ بجهاتها الأدييه من جهه أخرى رابعه.

أن اختلف الباحثون في التفسير في مسالكهم بعد ما عمل فيهم الانشعاب في المذاهب ما عمل، و لم يبق بينهم جامع في الرأي و النظر إلا- لفظ لا- إله إلا- الله و محمد رسول الله ص و اختلفوا في معنى الأسماء و الصفات و الأفعال و السماوات و ما فيها و الأرض و ما عليها و القضاء و القدر و الجبر و التفويض و الثواب و العقاب و في الموت و في البرزخ و البعث و الجنه و النار، و بالجملة في جميع ما تمسه الحقائق و المعارف الدينيه و لو بعض المس، فتفرقوا في طريق البحث عن معاني الآيات، و كل يتحفظ على متن ما اتخذه من المذهب و الطريقه.

فأما المحدثون، فاقتصروا على التفسير بالروايه عن السلف من الصحابه و التابعين فساروا و جدوا في السير حيث ما يسير بهم المأثور و وقفوا فيما لم يؤثر فيه شيء و لم يظهر المعنى ظهورا لا يحتاج إلى البحث أخذا بقوله تعالى: «وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» X الآيه X: آل عمران- ٧ و قد أخطئوا في ذلك فإن الله سبحانه

لم يبطل حجه العقل فى كتابه، و كيف يعقل ذلك و حجته إنما تثبت به! و لم يجعل حجيه فى أقوال الصحابه و التابعين و أنظارهم على اختلافها الفاحش، و لم يدع إلى السفسطه بتسليم المتناقضات و المتناقضات من الأقوال، و لم يندب إلا إلى التدبر فى آياته، فرفع به أى اختلاف يترأى منها، و جعله هدى و نورا و تبيانا لكل شىء، فما بال النور يستنير بنور غيره! و ما شأن الهدى يهتدى بهدايه سواه! و كيف يتبين ما هو تبيان كل شىء بشىء دون نفسه!.

و أما المتكلمون فقد دعاهم الأقوال المذهبيه على اختلافها أن يسيروا فى التفسير على ما يوافق مذاهبهم بأخذ ما وافق و تأويل ما خالف على حسب ما يجوز قول المذهب.

و اختيار المذاهب الخاصه و اتخاذ المسالك و الآراء المخصوصه و إن كان معلولا - لاختلاف الأنظار العلميه أو لشىء آخر كالتقاليد و العصبيات القوميه، و ليس هاهنا محل الاشتغال بذلك، إلا أن هذا الطريق من البحث أحرى به أن يسمى تطبيقا لا تفسيراً.

ففرق بين أن يقول الباحث عن معنى آيه من الآيات: ما ذا يقول القرآن؟ أو يقول:

ما ذا يجب أن نحمل عليه الآيه؟ فإن القول الأول يوجب أن ينسى كل أمر نظرى عند البحث، و أن يتكى على ما ليس بنظرى، و الثانى يوجب وضع النظريات فى المسأله و تسليمها و بناء البحث عليها، و من المعلوم أن هذا النحو من البحث فى الكلام ليس بحثاً عن معناه فى نفسه.

و أما الفلاسفه، فقد عرض لهم ما عرض للمتكلمين من المفسرين من الوقوع فى ورطه التطبيق و تأويل الآيات المخالفه بظاهرها للمسلمات فى فنون الفلسفه بالمعنى الأعم أعنى:

الرياضيات و الطبيعيات و الإلهيات و الحكمه العمليه، و خاصه المشائين، و قد تأولوا الآيات الوارده فى حقائق ما وراء الطبيعه و آيات الخلقه و حدوث السماوات و الأرض و آيات البرزخ و آيات المعاد، حتى أنهم ارتكبوا التأويل فى الآيات التى لا تلائم الفرضيات و الأصول الموضوعه التى نجدها فى العلم الطبيعى: من نظام الأفلاك الكليه و الجزئيه و ترتيب العناصر و الأحكام الفلكيه و العنصرية إلى غير ذلك، مع أنهم نصوا

على أن هذه الأنظار مبتنيه على أصول موضوعه لا بينه و لا مبينه.

و أما المتصوفه، فإنهم لاشتغالهم بالسير فى باطن الخلقه و اعتنائهم بشأن الآيات الأنفسيه دون عالم الظاهر و آياته الآفاقيه اقتصروا فى بحثهم على التأويل، و رفضوا التنزيل، فاستلزم ذلك اجترأ الناس على التأويل، و تلفيق جمل شعريه و الاستدلال من كل شىء على كل شىء، حتى آل الأمر إلى تفسير الآيات بحساب الجمل و رد الكلمات إلى الزبر و البيئات و الحروف النورانيه و الظلمانيه إلى غير ذلك.

و من الواضح أن القرآن لم ينزل هدى للمتصوفه خاصه، و لا أن المخاطبين به هم أصحاب علم الأعداد و الأوفاق و الحروف، و لا أن معارفه مبنيه على أساس حساب الجمل الذى وضعه أهل التنجيم بعد نقل النجوم من اليونانيه و غيرها إلى العريبه.

نعم قد وردت روايات

عن النبى ص و أئمه أهل البيت (ع) كقولهم:

إن للقرآن ظهرا و بطنا و لبطنه بطنا إلى سبعة أبطن أو إلى سبعين بطنا الحديث.

لكنهم (ع) اعتبروا الظهر كما اعتبروا البطن، و اعتنوا بأمر التنزيل كما اعتنوا بشأن التأويل، و سنيين فى أوائل سوره آل عمران إن شاء الله: أن التأويل الذى يراد به المعنى المقصود الذى يخالف ظاهر الكلام من اللغات المستحدثه فى لسان المسلمين بعد نزول القرآن و انتشار الإسلام، و أن الذى يريده القرآن من لفظ التأويل فيما ورد فيه من الآيات ليس من قبيل المعنى و المفهوم.

و قد نشأ فى هذه الأعصار مسلك جديد فى التفسير و ذلك أن قوما من منتحلى الإسلام فى إثر توغلهم فى العلوم الطبيعیه و ما يشابهها المبتنيه على الحس و التجربه، و الاجتماعيه المبتنيه على تجربه الإحصاء، مالوا إلى مذهب الحسين من فلاسفه الأروبه سابقا، أو إلى مذهب أصله العمل (لا قيمه للإدراكات إلا ترتب العمل عليها بمقدار يعينه الحاجه الحيويه بحكم الجبر).

فذكروا: أن المعارف الدينيه لا يمكن أن تخالف الطريق الذى تصدقه العلوم و هو أن: (لا أصله فى الوجود إلا للماده و خواصها المحسوسه) فما كان الدين يخبر عن وجوده مما يكذب العلوم ظاهره كالعرش و الكرسي و اللوح و القلم يجب أن يؤول تأويلا.

و ما يخبر عن وجوده مما لا تتعرض العلوم لذلك كحقائق المعاد يجب أن يوجه بالقوانين الماديه.

و ما يتكى عليه التشريع من الوحي و الملك و الشيطان و النبوه و الرساله و الإمامه و غير ذلك،إنما هي أمور روحيه،و الروح ماديه و نوع من الخواص الماديه،و التشريع نبوغ خاص اجتماعى يبنى قوانينه على الأفكار الصالحه،لغايه إيجاد الاجتماع الصالح الراقى.

ذكروا: أن الروايات، لوجود الخليط فيها لا تصلح للاعتماد عليها، إلا ما وافق الكتاب، و أما الكتاب فلا يجوز أن يبنى فى تفسيره على الآراء و المذاهب السابقه المبتنيه على الاستدلال من طريق العقل الذى أبطله العلم بالبناء على الحسن و التجربه، بل الواجب أن يستقل بما يعطيه القرآن من التفسير إلا ما بينه العلم.

هذه جمل ما ذكروه أو يستلزمه ما ذكروه، من اتباع طريق الحس و التجربه، فساقهم ذلك إلى هذا الطريق من التفسير، و لا كلام لنا هاهنا فى أصولهم العلميه و الفلسفيه التى اتخذوها أصولا و بنوا عليها ما بنوا.

و إنما الكلام فى أن ما أوردوه على مسالك السلف من المفسرين (أن ذلك تطبيق و ليس بتفسير) وارد بعينه على طريقتهم فى التفسير، و إن صرحوا أنه حق التفسير الذى يفسر به القرآن بالقرآن.

و لو كانوا لم يحملوا على القرآن فى تحصيل معانى آياته شيئا، فما بالهم يأخذون الأنظار العلميه مسلمه لا- يجوز التعدى عنها؟ فهم لم يزيدوا على ما أفسده السلف إصلاحا.

و أنت بالتأمل فى جميع هذه المسالك المنقوله فى التفسير تجد: أن الجميع مشتركه فى نقص و بئس النقص، و هو تحميل ما أنتجه الأبحاث العلميه أو الفلسفيه من خارج على مداليل الآيات، فتبدل به التفسير تطبيقا و سمي به التطبيق تفسيراً، و صارت بذلك حقائق من القرآن مجازات، و تنزيل عدّه من الآيات تأويلات.

و لازم ذلك (كما أو مانا إليه فى أوائل الكلام) أن يكون القرآن الذى يعرف

نفسه (بأنه هدى للعالمين و نور مبين و تبيان لكل شىء) مهديا إليه بغيره و مستنيرا بغيره و مبينا بغيره، فما هذا الغير! و ما شأنه! و بما ذا يهدى إليه! و ما هو المرجع و الملجأ إذا اختلف فيه! و قد اختلف و اشدت الخلاف.

و كيف كان فهذا الاختلاف لم يولده اختلاف النظر فى مفهوم (مفهوم اللفظ المفرد أو الجملة بحسب اللغه و العرف العربى) الكلمات أو الآيات، فإنما هو كلام عربى مبين لا يتوقف فى فهمه عربى و لا غيره ممن هو عارف باللغه و أساليب الكلام العربى.

و ليس بين آيات القرآن (و هى بضع آلاف آيه) آيه واحده ذات إغلاق و تعقيد فى مفهومها بحيث يتحير الذهن فى فهم معناها، و كيف! و هو أفصح الكلام و من شرط الفصاحه خلو الكلام عن الإغلاق و التعقيد، حتى أن الآيات المعدوده من متشابه القرآن كآيات المنسوخه و غيرها، فى غايه الوضوح من جهه المفهوم، و إنما التشابه فى المراد منها و هو ظاهر.

و إنما الاختلاف كل الاختلاف فى المصداق الذى ينطبق عليه المفاهيم اللفظيه من مفرداها و مركبها، و فى المدلول التصورى و التصديقى.

توضيحه: أن الأنس و العاده (كما قيل) يوجبان لنا أن يسبق إلى أذهاننا عند استماع الألفاظ معانيها الماديه أو ما يتعلق بالماده فإن الماده هى التى يتقلب فيها أبداننا و قوانا المتعلقة بها ما دمتنا فى الحياه الدنيويه، فإذا سمعنا ألفاظ الحياه و العلم و القدره و السمع و البصر و الكلام و الإراده و الرضا و الغضب و الخلق و الأمر كان السابق إلى أذهاننا منها الوجودات الماديه لمفاهيمها.

و كذا إذا سمعنا ألفاظ السماء و الأرض و اللوح و القلم و العرش و الكرسي و الملك و أجنحته و الشيطان و قبيله و خيله و رجله إلى غير ذلك، كان المتبادر إلى أفهامنا مصاديقها الطبيعيه.

و إذا سمعنا: أن الله خلق العالم و فعل كذا و علم كذا و أراد أو يريد أو شاء أو يشاء كذا قيدنا الفعل بالزمان حملا على المعهود عندنا.

و إذا سمعنا نحو قوله: « وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ الْآيَه » و قوله: « لَاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا الْآيَه »

و قوله: «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الْآيَةِ». و قوله: «إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ الْآيَةَ». قيدنا معنى الحضور بالمكان.

و إذا سمعنا نحو قوله: «إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مَآرِنًا مُتْرَفِينَ الْآيَةَ» أو قوله:

«وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ». الآية أو قوله: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ الْآيَةَ» فهمنا: أن الجميع سنخ واحد من الإرادة، لما أن الأمر على ذلك فيما عندنا، و على هذا القياس.

و هذا شأننا في جميع الألفاظ المستعمله، و من حقنا ذلك، فإن الذى أوجب علينا وضع ألفاظ إنما هى الحاجه الاجتماعيه إلى التفهيم و التفهم، و الاجتماع إنما تعلق به الإنسان ليستكمل به فى الأفعال المتعلقة بالماده و لواحقها، فوضعنا الألفاظ علائم لمسمياتها التى نريد منها غايات و أغراضا عائده إلينا.

و كان ينبغى لنا أن نتنبه: أن المسميات الماديه محكومته بالتغير و التبدل بحسب تبدل الحوائج فى طريق التحول و التكامل كما أن السراج أول ما عمله الإنسان كان إناء فيه فتيله و شىء من الدهن تشتعل به الفتيله للاستضاء به فى الظلمه، ثم لم يزل يتكامل حتى بلغ اليوم إلى السراج الكهربائى و لم يبق من أجزاء السراج المعمول أولا الموضوع بإزائه لفظ السراج شىء و لا واحد.

و كذا الميزان المعمول أولا، و الميزان المعمول اليوم لتوزين ثقل الحراره مثلا.

و السلاح المتخذ سلاحا أول يوم، و السلاح المعمول اليوم إلى غير ذلك.

فالمسميات بلغت فى التغير إلى حيث فقدت جميع أجزاءها السابقه ذاتا و صفه و الاسم مع ذلك باق، و ليس إلا لأن المراد فى التسميه إنما هو من الشىء غايته، لا شكله و صورته، فما دام غرض التوزين أو الاستضاءه أو الدفاع باقيا كان اسم الميزان و السراج و السلاح و غيرها باقيا على حاله.

فكان ينبغى لنا أن نتنبه أن المدار فى صدق الاسم اشتمال المصداق على الغايه و الغرض، لا- جمود اللفظ على صورته واحده، فذلك مما لا مطمع فيه البته، و لكن العاده و الأنس منعانا ذلك، و هذا هو الذى دعا المقلده من أصحاب الحديث من الحشويه و المجسمه أن يجمدوا على ظواهر الآيات فى التفسير و ليس فى الحقيقه جمودا على الظواهر بل هو جمود على العاده و الأنس فى تشخيص المصاديق.



لكن بين هذه الظواهر أنفسها أمور تبين: أن الاتكاء والاعتماد على الأنس والعاده في فهم معاني الآيات يشوش المقاصد منها و يختل به أمر الفهم كقوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ الْآيَةُ». وقوله: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ». وقوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ».

و هذا هو الذى دعا الناس أن لا يقتصروا على الفهم العادى و المصادق المأنوس به الذهن فى فهم معانى الآيات كما كان غرض الاجتناب عن الخطاء و الحصول على النتائج المجهوله هو الذى دعا الإنسان إلى أن يتمسك بذييل البحث العلمى، و أجاز ذلك للبحث أن يداخل فى فهم حقائق القرآن و تشخيص مقاصده العالیه، و ذلك على أحد وجهين، أحدهما: أن نبحت بحثا علميا أو فلسفيا أو غير ذلك عن مسأله من المسائل التى تتعرض له الآيه حتى نقف على الحق فى المسأله، ثم نأتى بالآيه و نحملها عليه، و هذه طريقه يرتضيها البحث النظرى، غير أن القرآن لا يرتضيها كما عرفت، و ثانيهما: أن نفس القرآن بالقرآن و نستوضح معنى الآيه من نظيرتها بالتدبر المنسوب إليه فى نفس القرآن، و نشخص المصاديق و نتعرفها بالخواص التى تعطى الآيات، كما قال تعالى:

« وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ الْآيَةُ. » و حاشا أن يكون القرآن تبيانا لكل شىء و لا يكون تبيانا لنفسه، و قال تعالى: « هُدًى لِّلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَ الْفُرْقَانِ ». الآيه و قال تعالى: « وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا الْآيَةُ. » و كيف يكون القرآن هدى و بينه و فرقانا و نورا مبينا للناس فى جميع ما يحتاجون و لا يكفيهم فى احتياجهم إليه و هو أشد الاحتياج! و قال تعالى: « وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا » الآيه و أى جهاد أعظم من بذل الجهد فى فهم كتابه! و أى سبيل أهدى إليه من القرآن!.

و الآيات فى هذا المعنى كثيره سنستفرغ الوسع فيها فى بحث المحكم و المتشابه فى أوائل سورة آل عمران.

ثم إن النبى ص الذى علمه القرآن و جعله معلما لكتابه كما يقول تعالى:

« نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْمَأْمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ الْآيَةُ. » و يقول: « وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ الْآيَةُ. » و يقول: « يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ الْآيَةُ. » و عترته و أهل بيته (الذين أقامهم النبى ص هذا المقام

فى الحديث المتفق

عليه بين الفريقين: [إني تارك فيكم الثقلين- ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا- كتاب الله و عترتي أهل بيتي- و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض]. و صدقه الله تعالى في علمهم بالقرآن، حيث قال عز من قائل: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» و قال إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» الآية و قد كانت طريقتهم في التعليم و التفسير هذه الطريقة بعينها على ما وصل إلينا من أخبارهم في التفسير. و سنورد ما تيسر لنا مما نقل عن النبي ص و أئمة أهل بيته في ضمن أبحاث روائيه في هذا الكتاب، و لا يعثر المتتبع الباحث فيها على مورد واحد يستعان فيه على تفسير الآية بحجة نظريه عقليه، و لا فرضيه علميه.

و

قد قال النبي ص: [إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع و ماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، و من جعله خلفه ساقه إلى النار، و هو الدليل يدل على خير سبيل، و هو كتاب تفصيل و بيان و تحصيل- و هو الفصل ليس بالهزل، و له ظهر و بطن، فظاهره حكمه و باطنه علم، ظاهره أنيق و باطنه عميق، له نجوم و على نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه و لا تبلى غرائبه- فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة، و دليل على المعروف لمن عرف النصفه، فليرع رجل بصره، و ليبلغ الصفة نظره ينجو من عطب و يخلص من نشب، فإن التفكر حياه قلب البصير، كما يمشى المستنير في الظلمات بالنور، يحسن التخلص و يقل التربص]. و

قال علي(ع): (يصف القرآن على ما في النهج) [ينطق بعضه ببعض و يشهد بعضه على بعض الخطبه].

هذا هو الطريق المستقيم و الصراط السوى الذى سلكه معلموا القرآن و هدااته صلوات الله عليهم.

و سنضع ما تيسر لنا بعون الله سبحانه من الكلام على هذه الطريقة في البحث عن الآيات الشريفه في ضمن بيانات، قد اجتنبنا فيها عن أن نركن إلى حجه نظريه فلسفيه أو إلى فرضيه علميه، أو إلى مكاشفه عرفانيه.

و احترزنا فيها عن أن نضع الأنكته أدبيه يحتاج إليها فهم الأسلوب العربى أو مقدمه بديهيه أو عمليه لا يختلف فيها الأفهام.

ص: ١٢

و قد تحصل من هذه البيانات الموضوعه على هذه الطريقه من البحث استفراغ الكلام فيما نذكره.

(١)المعارف المتعلقة بأسماء الله سبحانه و صفاته من الحياه و العلم و القدره و السمع و البصر و الوحده و غيرها،و أما الذات فستطلع أن القرآن يراه غنيا عن البيان.

(٢)المعارف المتعلقة بأفعاله تعالى من الخلق و الأمر و الإراده و المشيه و الهدايه و الإضلال و القضاء و القدر و الجبر و التفويض و الرضا و السخط،إلى غير ذلك من متفرقات الأفعال.

(٣)المعارف المتعلقة بالوسائط الواقعه بينه و بين الإنسان كالحجب و اللوح و القلم و العرش و الكرسي و البيت المعمور و السماء و الأرض و الملائكه و الشياطين و الجن و غير ذلك.

(٤)المعارف المتعلقة بالإنسان قبل الدنيا.

(٥)المعارف المتعلقة بالإنسان فى الدنيا كمعرفه تاريخ نوعه و معرفه نفسه و معرفه أصول اجتماعه و معرفه النبوه و الرساله و الوحي و الإلهام و الكتاب و الدين و الشريعه، و من هذا الباب مقامات الأنبياء المستفاده من قصصهم المحكيه.

(٦)المعارف المتعلقة بالإنسان بعد الدنيا،و هو البرزخ و المعاد.

(٧)المعارف المتعلقة بالأخلاق الإنسانيه،و من هذا الباب ما يتعلق بمقامات الأولياء فى صراط العبوديه من الإسلام و الإيمان و الإحسان و الإخبات و الإخلاص و غير ذلك.

و أما آيات الأحكام،فقد اجتنبنا تفصيل البيان فيها لرجوع ذلك إلى الفقه.

و قد أفاد هذه الطريقه من البحث ارتفاع التأويل بمعنى الحمل على المعنى المخالف للظاهر من بين الآيات،و أما التأويل بالمعنى الذى يثبت القرآن فى مواضع من الآيات، فسترى أنه ليس من قبيل المعانى.

ثم وضعنا فى ذيل البيانات متفرقات من أبحاث روائيه نورد ما تيسر لنا إيراده من الروايات المنقوله عن النبي ص و أئمه أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين من طرق العامه و الخاصه،و أما الروايات الوارده عن مفسرى الصحابه و التابعين.فإنها

على ما فيها من الخط و التناقض لا حجه فيها على مسلم.

و سيطلع الباحث المتدبر فى الروايات المنقوله عنهم(ع)، أن هذه الطريقه الحديثه التى بنيت عليها بيانات هذا الكتاب، أقدم الطرق المأثوره فى التفسير التى سلكها معلموه سلام الله عليهم.

ثم وضعنا أبحاثا مختلفه، فلسفيه و علميه و تاريخيه و اجتماعيه و أخلاقيه، حسب ما تيسر لنا من البحث، و قد آثرنا فى كل بحث قصر الكلام على المقدمات المسانحه له، من غير تعد عن طور البحث.

نسأل الله تعالى السداد و الرشاد فإنه خير معين و هاد الفقير إلى الله: محمد حسين الطباطبائى

ص: ١٤

## (١) سورة الحمد و هي سبع آيات (٧)

[سورة الفاتحه (١): الآيات ١ الى ٥]

### اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ  
(٥)

### بيان

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الناس ربما يعملون عملا أو يتدثون في عمل و يقرنونه باسم عزيز من أعزتهم أو كبير من كبرائهم، ليكون عملهم ذاك مباركا بذلك متشرفا، أو ليكون ذكرى يذكرهم به، و مثل ذلك موجود أيضا في باب التسميه فربما يسمون المولود الجديد من الإنسان، أو شيئا مما صنعوه أو عملوه كدار بنوها أو مؤسسه أسسوها باسم من يحبونه أو يعظمونه، ليبقى الاسم ببقاء المسمى الجديد، و يبقى المسمى الأول نوع بقاء بقاء الاسم كمن يسمى ولده باسم والده ليحيى بذلك ذكره فلا يزول و لا ينسى.

و قد جرى كلامه تعالى هذا المجرى، فابتدأ الكلام باسمه عز اسمه؛ ليكون ما يتضمنه من المعنى معلما باسمه مرتبطا به، و ليكون أدبا يؤدب به العباد في الأعمال و الأفعال و الأقوال، فيتدءوا باسمه و يعملوا به، فيكون ما يعملونه معلما باسمه منعوتا بنعته تعالى مقصودا لأجله سبحانه فلا يكون العمل هالكا باطلا مبترا، لأنه باسم الله الذي لا سبيل للهلاك و البطلان إليه.

و ذلك أن الله سبحانه يبين في مواضع من كلامه: أن ما ليس لوجهه الكريم هالك باطل، و أنه: سيقدم إلى كل عمل عملوه مما ليس لوجهه الكريم، فيجعله هباء منثورا، و يحبط ما صنعوا و يبطل ما كانوا يعملون، و أنه لا بقاء لشيء إلا وجهه الكريم فما عمل لوجهه الكريم و صنع باسمه هو الذي يبقى و لا يفنى، و كل أمر من الأمور إنما نصيبه من البقاء بقدر ما لله فيه نصيب، و هذا هو الذي يفيد ما رواه الفريقان

عن

ص: ١٥

النبى ص أنه قال: [كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر الحديث].

و الأبتى هو المنقطع الآخر، فالأنسب أن متعلق الباء فى البسمله أبتدىء بالمعنى الذى ذكرناه فقد ابتداء بها الكلام بما أنه فعل من الأفعال، فلا محاله له وحده، و وحده الكلام بو حده مدلوله و معناه، فلا محاله له معنى ذا وحده و هو المعنى المقصود إفهامه من إلقاء الكلام، و الغرض المحصل منه.

و قد ذكر الله سبحانه الغرض المحصل من كلامه الذى هو جملة القرآن إذ قال: «تعالى قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ» X الآية X: المائدة-١٦ إلى غير ذلك من الآيات التى أفاد فيها: أن الغاية من كتابه و كلامه هداية العباد، فالهداية جملة هى المبتدئ به بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فهو الله الذى إليه مرجع العباد، و هو الرحمن بين لعباده سبيل رحمته العامة للمؤمن و الكافر، مما فيه خيرهم فى وجودهم و حياتهم، و هو الرحيم بين لهم سبيل رحمته الخاصة بالمؤمنين و هو سعادته آخرتهم و لقاء ربهم و قد قال تعالى: «وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ»: الأعراف-١٥٦. فهذا بالنسبة إلى جملة القرآن.

ثم إنه سبحانه كرر ذكر السوره فى كلامه كثيرا كقوله تعالى: «فَأَتُوا بِسُورِهِ مِثْلِهِ»: يونس-٣٨. و قوله: «فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ»: هود-١٣. و قوله تعالى: «إِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً»: التوبة-٨٦. و قوله: «سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَ فَرَضْنَاهَا»: النور-١. فبان لنا من ذلك: أن لكل طائفه من هذه الطوائف من كلامه (التي فصلها قطعاً قطعاً، و سمي كل قطعه سوره) نوعاً من وحده التأليف و التمام، لا يوجد بين أبعاض من سوره و لا بين سوره و سوره، و من هنا نعلم: أن الأغراض و المقاصد المحصله من السور مختلفه، و أن كل واحده منها مسوقه لبيان معنى خاص و لغرض محصل لا- تتم السوره إلا بتمامه، و على هذا فالبسمله فى مبتدئ كل سوره راجعه إلى الغرض الخاص من تلك السوره.

فالبسمله فى سوره الحمد راجعه إلى غرض السوره و المعنى المحصل منه، و الغرض الذى يدل عليه سرد الكلام فى هذه السوره هو حمد الله بإظهار العبوديه له سبحانه بالإفصاح

عن العبادة و الاستعانه و سؤال الهدايه،فهو كلام يتكلم به الله سبحانه نيابه عن العبد، ليكون متأدبا في مقام إظهار العبوديه بما أدبه الله به.

و إظهار العبوديه من العبد هو العمل الذى يتلبس به العبد،و الأمر ذو البال الذى يقدم عليه،فالابتداء باسم الله سبحانه الرحمن الرحيم راجع إليه،فالمعنى باسمك أظهر لك العبوديه.

فمتعلق الباء فى بسمله الحمد الابتداء و يراد به تتميم الإخلاص فى مقام العبوديه بالتخاطب.و ربما يقال إنه الاستعانه و لا بأس به و لكن الابتداء أنسب لاشتمال السوره على الاستعانه صريحا فى قوله تعالى: «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ».

و أما الاسم،فهو اللفظ الدال على المسمى مشتق من السمه بمعنى علامه أو من السمو بمعنى الرفعه و كيف كان فالذى يعرفه منه اللغه و العرف هو اللفظ الدال و يستلزم ذلك أن يكون غير المسمى،و أما الإسلام بمعنى الذات مأخوذا بوصف من أوصافه فهو من الأعيان لا من الألفاظ و هو مسمى الاسم بالمعنى الأول كما أن لفظ العالم (من أسماء الله تعالى)اسم يدل على مسماه و هو الذات مأخوذه بوصف العلم و هو بعينه اسم بالنسبه إلى الذات الذى لا خبر عنه إلا بوصف من أوصافه و نعت من نعوته و السبب فى ذلك أنهم وجدوا لفظ الاسم موضوعا للدال على المسمى من الألفاظ،ثم وجدوا أن الأوصاف المأخوذه على وجه تحكى عن الذات و تدل عليه حال اللفظ المسمى بالاسم فى أنها تدل على ذوات خارجيه،فسموا هذه الأوصاف الداله على الذوات أيضا أسماء فأنتج ذلك أن الاسم كما يكون أمرا لفظيا كذلك يكون أمرا عينيا،ثم وجدوا أن الدال على الذات القريب منه هو الاسم بالمعنى الثانى المأخوذ بالتحليل،و أن الاسم بالمعنى الأول إنما يدل على الذات بواسطته،ولذلك سموا الذى بالمعنى الثانى اسما، و الذى بالمعنى الأول اسم الاسم،هذا و لكن هذا كله أمر أدى إليه التحليل النظرى و لا ينبغى أن يحمل على اللغه،فالاسم بحسب اللغه ما ذكرناه.

و قد شاع النزاع بين المتكلمين فى الصدر الأول من الإسلام فى أن الاسم عين المسمى أو غيره و طالت المشاجرات فيه،و لكن هذا النوع من المسائل قد اتضحت اليوم اتصاحا يبلغ إلى حد الضروره و لا يجوز الاشتغال بها بذكر ما قيل و ما يقال فيها

و العنايه يبطل ما هو الباطل و إحقاق ما هو الحق فيها، فالصفح عن ذلك أولى.

و أما لفظ الجلاله، فالله أصله الإله، حذفت الهمزه لكثرة الاستعمال، و إله من أله الرجل يأله بمعنى عبد، أو من أله الرجل أو وله الرجل أى تحير، فهو فعال بكسر الفاء بمعنى المفعول ككتاب بمعنى المكتوب سمي إلهاً لأنه معبود أو لأنه مما تحيرت فى ذاته العقول، و الظاهر أنه علم بالغلبه، و قد كان مستعملاً دائراً فى الألسن قبل نزول القرآن يعرفه العرب الجاهلى كما يشعر به قوله تعالى: «و لئن سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ»: الزخرف- ٨٧. و قوله تعالى: «فقالوا هذا لله بزعمهم و هذا لشركائنا»: الأنعام- ١٣٦.

و مما يدل على كونه علماً أنه يوصف بجميع الأسماء الحسنى و سائر أفعاله المأخوذه من تلك الأسماء من غير عكس، فيقال: الله الرحمن الرحيم و يقال: رحم الله و علم الله، و رزق الله، و لا يقع لفظ الجلاله صفة لشيء منها و لا يؤخذ منه ما يوصف به شيء منها.

و لما كان وجوده سبحانه، و هو إله كل شيء يهدى إلى اتصافه بجميع الصفات الكماليه كانت الجميع مدلولاً عليها به بالالتزام، و صح ما قيل إن لفظ الجلاله اسم للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال و إلا فهو علم بالغلبه لم تعمل فيه عنايه غير ما يدل عليه مادته أله.

و أما الوصفان: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، فهما من الرحمة، و هى وصف انفعالى و تأثر خاص يلم بالقلب عند مشاهدته من يفقد أو يحتاج إلى ما يتم به أمره فيبعث الإنسان إلى تتميم نقصه و رفع حاجته، إلا أن هذا المعنى يرجع بحسب التحليل إلى الإعطاء و الإفاضه لرفع الحاجه و بهذا المعنى يتصف سبحانه بالرحمه.

و الرحمن، فعلان صيغه مبالغه تدل على الكثره، و الرحيم فعيل صفة مشبهه تدل على الثبات و البقاء و لذلك ناسب الرحمن أن يدل على الرحمة الكثيره المفاضه على المؤمن و الكافر و هو الرحمة العامه، و على هذا المعنى يستعمل كثيراً فى القرآن، قال تعالى:

«الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»: طه- ٥. و قال: «قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا»: مريم- ٧٥. إلى غير ذلك، و لذلك أيضاً ناسب الرحيم أن يدل على النعمه الدائمه و الرحمة الثابته الباقيه التى تفاض على المؤمن كما قال تعالى: «وَ كَانَ



بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا»: الأحزاب-٤٣. وقال تعالى: «إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ»:

التوبة-١١٧. إلى غير ذلك، ولذلك قيل: إن الرحمن عام للمؤمن والكافر والرحيم خاص بالمؤمن.

□  
وقوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ، الحمد على ما قيل هو الثناء على الجميل الاختياري والمدح أعم منه، يقال: حمدت فلانا أو مدحته لكرمه، ويقال: مدحت اللؤلؤ على صفائه ولا يقال: حمدته على صفائه، واللام فيه للجنس أو الاستغراق والمال هاهنا واحد.

□ □  
وذلك أن الله سبحانه يقول: «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ»: غافر-٦٢.

فأفاد أن كل ما هو شيء فهو مخلوق لله سبحانه، وقال: «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ»: السجده-٧. فأثبت الحسن لكل شيء مخلوق من جهة أنه مخلوق له منسوب إليه، فالحسن يدور مدار الخلق وبالعكس، فلا- خلق إلا وهو حسن جميل بإحسانه ولا حسن إلا- وهو مخلوق له منسوب إليه، وقد قال تعالى: «هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ»: الزمر-٤. وقال: «وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ»: طه-١١١. فأنبأ أنه لم يخلق ما خلق بقهر قاهر ولا يفعل ما فعل بإجبار من مجبر بل خلقه عن علم واختيار فما من شيء إلا وهو فعل جميل اختياري له فهذا من جهة الفعل، وأما من جهة الاسم فقد قال تعالى: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»: طه-٨. وقال تعالى «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ»: الأعراف-١٨٠. فهو تعالى جميل في أسمائه وجميل في أفعاله، وكل جميل منه.

فقد بان أنه تعالى محمود على جميل أسمائه ومحمود على جميل أفعاله، وأنه ما من حمد يحمده حامد لأمر محمود إلا كان لله سبحانه حقيقه لأن الجميل الذي يتعلق به الحمد منه سبحانه، فله سبحانه جنس الحمد وله سبحانه كل حمد.

□  
ثم إن الظاهر من السياق وبقريته الالتفات الذي في قوله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ الْآيَةَ» أن السورة من كلام العبد، وأنه سبحانه في هذه السورة يلقن عبده حمد نفسه وما ينبغي أن يتأدب به العبد عند نصب نفسه في مقام العبودية، وهو الذي يؤيده قوله:

□  
«الْحَمْدُ لِلَّهِ

«

وذلك أن الحمد توصيف، وقد نزه سبحانه نفسه عن وصف الواصفين من عباده حيث قال: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ»: الصافات-١٦٠.

و الكلام مطلق غير مقيد، ولم يرد في كلامه تعالى ما يؤذن بحكاية الحمد عن غيره إلا- ما حكاه عن عباده من أنبيائه المخلصين، قال تعالى في خطابه لنوح(ع): «فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»: المؤمنون-٢٨. وقال تعالى حكاية عن إبراهيم(ع):

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ»: إبراهيم-٣٩. وقال تعالى لنبيه محمد ص في بضعه مواضع من كلامه: «وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»: النمل-٩٣. وقال تعالى حكاية عن داود و سليمان(ع) «وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ»: النمل-١٥. وإلا- ما حكاه عن أهل الجنة وهم المطهرون من غل الصدور و لغو القول و التأثيم كقوله. «وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»: يونس-١٠.

و أما غير هذه الموارد فهو تعالى و إن حكى الحمد عن كثير من خلقه بل عن جميعهم كقوله تعالى: «وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ»: الشورى-٥. وقوله «وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ»: الرعد-١٣ و قوله «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»: الإسراء-٤٤.

إلا- أنه سبحانه شفع الحمد في جميعها بالتسبيح بل جعل التسبيح هو الأصل في الحكايات و جعل الحمد معه، و ذلك أن غيره تعالى لا يحيط بجمال أفعاله و كمالها كما لا يحيطون بجمال صفاته و أسمائه التي منها جمال الأفعال، قال تعالى: «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»: طه-١١٠. فما وصفوه به فقد أحاطوا به و صار محدودا بحدودهم مقدرا بقدر نيلهم منه، فلا يستقيم ما أثنوا به من ثناء إلا من بعد أن ينزهوه و يسبحوه عن ما حدوه و قدره بأفهامهم، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»: النحل-٧٤، و أما المخلصون من عباده تعالى فقد جعل حمدهم حمده و وصفهم وصفه حيث جعلهم مخلصين له، فقد بان أن الذي يقتضيه أدب العبودية أن يحمد العبد ربه بما حمد به نفسه و لا يتعدى عنه، كما

في الحديث الذي رواه الفريقان عن النبي ص: [لا أحصى ثناء عليك أنت- كما أثنت على نفسك الحديث] فقولته في أول هذه السورة: الْحَمْدُ لِلَّهِ، تأديب بأدب عبودي ما كان للعبد

أن يقوله لو لا أن الله تعالى قاله نيابه و تعليما لما ينبغى الشاء به.

وقوله تعالى: رَبُّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ انتهى (و قرأ الأكثر ملك يوم الدين) فالرب هو المالك الذى يدبر أمر مملوكه، ففيه معنى الملك، ومعنى الملك (الذى عندنا فى ظرف الاجتماع) هو نوع خاص من الاختصاص و هو نوع قيام شىء بشىء يوجب صحه التصرفات فيه، فقولنا العين الفلانية ملكنا معناه: أن لها نوعا من القيام و الاختصاص بنا يصح معه تصرفاتنا فيها و لو لا ذلك لم تصح تلك التصرفات و هذا فى الاجتماع معنى وضعى اعتبارى غير حقيقى و هو مأخوذ من معنى آخر حقيقى نسميه أيضا ملكا، و هو نحو قيام أجزاء وجودنا و قوانا بنا فإن لنا بصرا و سمعا و يدا و رجلا، و معنى هذا الملك أنها فى وجودها قائمه بوجودنا غير مستقلة دوننا بل مستقلة باستقلالنا و لنا أن نتصرف فيها كيف شئنا و هذا هو الملك الحقيقى.

و الذى يمكن انتسابه إليه تعالى بحسب الحقيقه هو حقيقه الملك دون الملك الاعتبارى الذى يبطل بطلان الاعتبار و الوضع، و من المعلوم أن الملك الحقيقى لا ينفك عن التدبير فإن الشىء إذا افتقر فى وجوده إلى شىء فلم يستقل عنه فى وجوده لم يستقل عنه فى آثار وجوده، فهو تعالى رب لما سواه لأن الرب هو المالك المدبر و هو تعالى كذلك.

و أما الْعَالَمِينَ: فهو جمع العالم بفتح اللام بمعنى ما يعلم به كالقالب و الخاتم و الطابع بمعنى ما يقرب به و ما يختم به و ما يطبع به، يطلق على جميع الموجودات و على كل نوع مؤلف الأفراد و الأجزاء منها كعالم الجماد و عالم النبات و عالم الحيوان و عالم الإنسان و على كل صنف مجتمع الأفراد أيضا كعالم العرب و عالم العجم و هذا المعنى هو الأنسب لما يثول إليه عد هذه الأسماء الحسنى حتى ينتهى إلى قوله مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ على أن يكون الدين و هو الجزاء يوم القيامة مختصا بالإنسان أو الإنس و الجن فيكون المراد بالعالمين عوالم الإنس و الجن و جماعاتهم و يؤيده ورود هذا اللفظ بهذه العناية فى القرآن كقوله تعالى «وَ اضْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»: آل عمران- ٤٢. و قوله تعالى: «لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا»: فرقان- ١، و قوله تعالى: «أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ»

و أما مَا لَتَكِ يَوْمَ الدِّينِ فقد عرفت معنى المالك و هو المأخوذ من الملك بكسر الميم، و أما الملك و هو مأخوذ من الملك بضم الميم، فهو الذى يملك النظام القومى و تدبيرهم دون العين، و بعبارة أخرى يملك الأمر و الحكم فيهم.

و قد ذكر لكل من القرائتين، ملك و مالك؛ وجوه من التأييد غير أن المعنيين من السلطنة ثابتان فى حقه تعالى، و الذى تعرفه اللغة و العرف أن الملك بضم الميم هو المنسوب إلى الزمان يقال: ملك العصر الفلانى، و لا يقال مالك العصر الفلانى إلا بعنايه بعيده، و قد قال تعالى: ملك يوم الدين فنسبه إلى اليوم، و قال أيضا: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» : غافر- ١٦..

### بحث روائى

□  
فى العيون، و المعانى، عن الرضا(ع): فى معنى قوله: بِسْمِ اللَّهِ قَالَ(ع): يعنى أسم نفسه بسمه من سمات الله و هى العباده، قيل له: ما السمه؟ قال العلامة.

أقول و هذا المعنى كالمتولد من المعنى الذى أشرنا إليه فى كون الباء للابتداء فإن العبد إذا وسم عباده باسم الله لزم ذلك أن يسم نفسه التى ينسب العباده إليها بسمه من سماته.

و

فى التهذيب، عن الصادق(ع)، و فى العيون، و تفسير العياشى، عن الرضا(ع): أنها أقرب إلى اسم الله الأعظم- من ناظر العين إلى بياضها.

أقول: و سيجىء معنى الروايه فى الكلام على الاسم الأعظم.

و

فى العيون، عن أمير المؤمنين(ع): أنها من الفاتحه- و أن رسول الله ص كان يقرأها و يعدها آيه منها، و يقول فاتحه الكتاب هى السبع المثانى أقول: و روى من طرق أهل السنه و الجماعه نظير هذا المعنى

فعن الدارقطنى عن أبى هريره قال: قال رسول الله ص: إذا قرأتم الحمد فاقراءوا بسم الله الرحمن الرحيم، فإنها أم القرآن و السبع المثانى، و بسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها.

و

فى الخصال، عن الصادق(ع) قال: ما لهم؟ قاتلهم الله- عمدوا إلى أعظم آيه فى كتاب الله- فزعموا أنها بدعه إذا أظهرها.

عن الباقر(ع): سرقوا أكرم آيه فى كتاب الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، و ينبغى الإتيان به-عند افتتاح كل أمر عظيم أو صغير ليبارك فيه.

أقول و الروايات عن أئمة أهل البيت فى هذا المعنى كثيرة، و هى جميعا تدل على أن البسملة جزء من كل سورة إلا- سورة البراءة، و فى روايات أهل السنه و الجماعه ما يدل على ذلك.

ففى صحيح مسلم، عن أنس قال رسول الله ص: أنزل على آنفأ سورة فقراً: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

عن أبى داود عن ابن عباس(و قد صححوا سندها)قال: إن رسول الله ص كان لا- يعرف فصل السوره،( و فى روايه انقضاء السوره)حتى ينزل عليه، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

أقول و روى هذا المعنى من طرق الخاصه عن الباقر(ع).

فى الكافى، و التوحيد، و المعانى، و تفسير العياشى، عن الصادق(ع) فى حديث: و الله إله كل شىء، الرحمن بجميع خلقه، الرحيم بالمؤمنين خاصه.

و روى عن الصادق(ع): الرحمن اسم خاص بصفه عامه- و الرحيم اسم عام بصفه خاصه.

أقول: قد ظهر مما مر وجه عموم الرحمن للمؤمن و الكافر و اختصاص الرحيم بالمؤمن، و أما كون الرحمن اسما خاصا بصفه عامه و الرحيم اسما عاما بصفه خاصه فكأنه يريد به أن الرحمن خاص بالدنيا و يعم الكافر و المؤمن و الرحيم عام للدنيا و الآخرة و يخص المؤمنين، و بعبارة أخرى: الرحمن يختص بالإفاضه التكوينية التى يعم المؤمن و الكافر، و الرحيم يعم التكوين و التشريع الذى بابه باب الهدايه و السعاده، و يختص بالمؤمنين لأن الثبات و البقاء يختص بالنعم التى تفاض عليهم و العاقبه للتقوى.

و فى كشف الغمه، عن الصادق(ع)قال: فقد لأبى(ع)بغله-فقال لئن ردها الله على لأحمدنه بمحامد يرضيها-فما لبث أن أتى بها بسرجهها و لجامها-فلما استوى و ضم إليه ثيابه-رفع رأسه إلى السماء و قال الحمد لله و لم يزد، ثم قال ما تركت و لا أبقيت

شيئا-جعلت أنواع المحامد لله عز وجل، فما من حمد إلا وهو داخل فيها.

قلت:و

فى العيون، عن على(ع): أنه سئل عن تفسيرها-فقال: هو أن الله عرف عباده بعض نعمه عليهم جملا- إذ لا يقدر على معرفه جميعها بالتفصيل- لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف، فقال: قولوا الحمد لله على ما أنعم به علينا.

أقول: يشير(ع) إلى ما مر من أن الحمد، من العبد، وإنما ذكره الله بالنيابه تأديبا و تعليما.

### بحث فلسفى [معنى الحمد و أنه لله سبحانه.]

البراهين العقلية ناهضة على أن استقلال المعلول و كل شأن من شئونه إنما هو بالعله، و أن كل ما له من كمال فهو من أطلال وجود علته، فلو كان للحسن و الجمال حقيقه فى الوجود فكماله و استقلاله للواجب تعالى لأنه العله التى ينتهى إليه جميع العلل، و الثناء و الحمد هو إظهار موجود ما بوجوده كمال موجود آخر و هو لا محاله علته و إذا كان كل كمال ينتهى إليه تعالى فحقيقه كل ثناء و حمد تعود و تنتهى إليه تعالى، فالحمد لله رب العالمين.

قوله تعالى: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** الآية، العبد هو المملوك من الإنسان أو من كل ذى شعور بتجريد المعنى كما يعطيه قوله تعالى: **«إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا»**: مريم- ٩٣. و العباده مأخوذه منه و ربما تفرقت اشتقاقاتها أو المعانى المستعمله هى فيها لاختلاف الموارد، و ما ذكره الجوهرى فى الصحاح أن أصل العبوديه الخضوع فهو من باب الأخذ بلازم المعنى و إلا فالخضوع متعد باللام و العباده متعديه بنفسها.

و بالجمله فكان العباده هى نصب العبد نفسه فى مقام المملوكيه لربه و لذلك كانت العباده منافية للاستكبار و غير منافية للاشتراك فمن الجائز أن يشترك أزيد من الواحد فى ملك رقبه أو فى عباده عبد، قال تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ»**: غافر- ٦٠. و قال تعالى: **«وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»**: الكهف- ١١٠

ص: ٢٤

فعد الإشراك ممكنا و لذلك نهى عنه، و النهى لا يمكن إلا عن ممكن مقدور بخلاف الاستكبار عن العبادة فإنه لا يجامعها.

و العبودية إنما يستقيم بين العبيد و مواليتهم فيما يملكه الموالى منهم، و أما ما لا يتعلق به الملك من شئون وجود العبد ككونه ابن فلان أو ذا طول فى قامته فلا- يتعلق به عباده و لا عبوديه، لكن الله سبحانه فى ملكه لعباده على خلاف هذا النعت فلا ملكه يشوبه ملك ممن سواه و لا أن العبد يتبع فى نسبه إليه تعالى فىكون شىء منه مملوكا و شىء، آخر غير مملوك، و لا تصرف من التصرفات فيه جائز و تصرف آخر غير جائز كما أن العبيد فيما بيننا شىء منهم مملوك و هو أفعالهم الاختياريه و شىء غير مملوك و هو الأوصاف الاضطرابيه، و بعض التصرفات فيهم جائز كالأستفاده من فعلهم و بعضها غير جائز كقتلهم من غير جرم مثلا، فهو تعالى مالك على الإطلاق من غير شرط و لا قيد و غيره مملوك على الإطلاق من غير شرط و لا قيد فهناك حصر من جهتين، الرب مقصور فى المالكيه، و العبد مقصور فى العبوديه، و هذه هى التى يدل عليه قوله: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ**. حيث قدم المفعول و أطلقت العباده.

ثم إن الملك حيث كان متقوم الوجود بمالكة كما عرفت مما مر، فلا يكون حاجبا عن مالكة و لا يحجب عنه، فإنك إذا نظرت إلى دار زيد فإن نظرت إليها من جهه أنها دار أمكنك أن تغفل عن، زيد و إن نظرت إليها بما أنها ملك زيد لم يمكنك الغفله عن مالكةا و هو زيد.

و لكنك عرفت أن ما سواه تعالى ليس له إلا المملوكيه فقط و هذه حقيقته فشىء منه فى الحقيقه لا يحجب عنه تعالى، و لا النظر إليه يجامع الغفله عنه تعالى، فله تعالى الحضور المطلق، قال سبحانه: **«أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرْيَةِٰ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ»**: حم السجده- ٥٤، و إذا كان كذلك فحق عبادته تعالى أن يكون عن حضور من الجانيين.

أما من جانب الرب عز و جل، فأن يعبد عباده معبود حاضر و هو الموجب للالتفات (المأخوذ فى قوله تعالى **إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) عن الغيبه إلى الحضور.

و أما من جانب العبد، فإن يكون عبادته عباده عبد حاضر من غير أن يغيب في عبادته فيكون عبادته صورته فقط من غير معنى و جسدا من غير روح؛ أو يتبع بعض فيشتغل بربه و بغيره، إما ظاهرا و باطنا كالوثنيين في عبادتهم لله و لأصنامهم معا أو باطنا فقط كمن يشتغل في عبادته بغيره تعالى بنحو الغايات و الأغراض؛ كان يعبد الله و همه في غيره، أو يعبد الله طمعا في جنه أو خوفا من نار فإن ذلك كله من الشرك في العبادة الذي ورد عنه النهي، قال تعالى: «فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ»، الزمر-٢ و قال تعالى: «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» الزمر-٣.

فالعبادة إنما تكون عباده حقيقه، إذا كان على خلوص من العبد و هو الحضور الذي ذكرناه، و قد ظهر أنه إنما يتم إذا لم يشتغل بغيره تعالى في عمله فيكون قد أعطاه الشركه مع الله سبحانه في عبادته و لم يتعلق قلبه في عبادته رجاء أو خوفا هو الغايه في عبادته كجنه أو نار فيكون عبادته له لا لوجه الله، و لم يشتغل بنفسه فيكون منافيا لمقام العبوديه التي لا تلائم الإنيه و الاستكبار، و كان الإتيان بلفظ المتكلم مع الغير للإيماء إلى هذه النكته فإن فيه هضمًا للنفس بإلغاء تعينها و شخوصها و حدها المستلزم لنحو من الإنيه و الاستقلال بخلاف إدخالها في الجماعه و خلطها بسواد الناس فإن فيه إمحاء التعين و إعفاء الأثر فيؤمن به ذلك.

و قد ظهر من ذلك كله: أن إظهار العبوديه بقوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ؛ لا يشمل على نقص من حيث المعنى و من حيث الإخلاص إلا ما في قوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ من نسبه العبد العباده إلى نفسه المشتمل بالاستلزام على دعوى الاستقلال في الوجود و القدره و الإراده مع أنه مملوك و المملوك لا يملك شيئا، فكأنه تدورك ذلك بقوله تعالى وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، أي إنما ننسب العباده إلى أنفسنا و ندعيه لنا مع الاستعانه بك لا مستقلين بذلك مدعين ذلك دونك، فقوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لإبداء معنى واحد و هو العباده عن إخلاص، و يمكن أن يكون هذا هو الوجه في اتحاد الاستعانه و العباده في السياق الخطابي حيث قيل إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ من دون أن يقال: إياك نعبد أعنا و اهدنا الصراط المستقيم



و أما تغيير السياق فى قوله: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْآيَةَ. فسيجىء الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

فقد بان بما مر من البيان فى قوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ الْآيَةَ؛ الوجه فى الالتفات من الغيبه إلى الحضور، و الوجه فى الحصر الذى يفيدته تقديم المفعول، و الوجه فى إطلاق قوله: نَعْبُدُ، و الوجه فى اختيار لفظ المتكلم مع الغير، و الوجه فى تعقيب الجملة الأولى بالثانيه، و الوجه فى تشريك الجملتين فى السياق، و قد ذكر المفسرون نكات أخرى فى أطراف ذلك من أرادها فليراجع كتبهم و هو الله سبحانه غريم لا يقضى دينه.

إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

### بيان [معنى الصراط و الهدايه].

قوله تعالى: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ إلخ؛ أما الهدايه فيظهر معناها في ذيل الكلام على الصراط و أما الصراط فهو و الطريق و السبيل قريب المعنى، و قد وصف تعالى الصراط بالاستقامه ثم بين أنه الصراط الذى يسلكه الذين أنعم الله تعالى عليهم، فالصراط الذى من شأنه ذلك هو الذى سئل الهدايه إليه و هو بمعنى الغايه للعباده أى: إن العبد يسأل ربه أن تقع عبادته الخالصه فى هذا الصراط.

بيان ذلك: أن الله سبحانه قرر فى كلامه لنوع الإنسان بل لجميع من سواه سيلا- يسلكون به إليه سبحانه فقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ»: الإنشقاق-٦ و قال تعالى: «وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ»: التغابن-٣، و قال: «أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ»: الشورى-٥٣، إلى غير ذلك من الآيات و هى واضحه الدلاله على أن الجميع سالكوا سبيل، و أنهم سائرون إلى الله سبحانه.

ثم بين: أن السبيل ليس سيلا واحدا ذانت واحد بل هو منشعب إلى شعبتين منقسم إلى طريقين، فقال: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَ أَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ»: يس-٦١.

فهناك طريق مستقيم و طريق آخر وراءه، و قال تعالى «فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسِرْ تَجِيبُوا لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ»: البقره-١٨٦، و قال تعالى: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ»: غافر-٦٠، فبين تعالى: أنه قريب من عباده و أن الطريق الأقرب إليه تعالى طريق عبادته و دعائه، ثم قال تعالى فى وصف الذين لا يؤمنون: «أُولَئِكَ يَتَدَوَّنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ»: السجده-٤٤ فبين: أن غايه الذين لا يؤمنون فى مسيرهم و سبيلهم بعيد.

فتبين: أن السبيل إلى الله سيلا: سبيل قريب و هو سبيل المؤمنين و سبيل

بعيد و هو سبيل غيرهم فهذا نحو اختلاف في السبيل و هناك نحو آخر من الاختلاف، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ»: الأعراف-٤٠. و لو لا- طروق من متطرق لم يكن للباب معنى فهناك طريق من السفلى إلى العلو، و قال تعالى: «وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى»: طه-٨١ و الهوى هو السقوط إلى أسفل، فهناك طريق آخر أخذ في السفاله و الانحدار، و قال تعالى: «وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ»: البقره-١٠٨، فعرف الضلال عن سواء السبيل بالشرك لمكان قوله: فقد ضل، و عند ذلك تقسم الناس في طرقهم ثلاثة أقسام: من طريقه إلى فوق و هم الذين يؤمنون بآيات الله و لا- يستكبرون عن عبادته، و من طريقه إلى السفلى و هم المغضوب عليهم، و من ضل الطريق و هو حيران فيه و هم الضالون، و ربما أشعر بهذا التقسيم قوله تعالى: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ .

و الصراط المستقيم لا محاله ليس هو الطريقين الآخرين من الطرق الثلاث أعنى:

طريق المغضوب عليهم و طريق الضالين فهو من الطريق الأول الذى هو طريق المؤمنين غير المستكبرين إلا أن قوله تعالى: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»: المجادله-١١. يدل على أن نفس الطريق الأول أيضا يقع فيه انقسام.

و بيانه: أن كل ضلال فهو شرك كالعكس على ما عرفت من قوله تعالى: «وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ»: البقره-١٠٨. و فى هذا المعنى قوله تعالى « أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَ أَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا»: يس-٦٢. و القرآن يعد الشرك ظلما و بالعكس، كما يدل عليه قوله تعالى حكاية عن الشيطان لما قضى الأمر: «إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»: إبراهيم-٢٢. كما يعد الظلم ضلالا فى قوله تعالى «الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ»: الأنعام-٨٢ و هو ظاهر من ترتيب الاهتداء و الأمن من الضلال أو العذاب الذى يستتبعه الضلال، على ارتفاع الظلم و لبس الإيمان به، و بالجمله الضلال و الشرك و الظلم أمرها واحد و هى متلازمه مصداقا، و هذا هو المراد من قولنا: إن كل واحد منها معرف بالآخر أو

هو الآخر، فالمراد المصداق دون المفهوم.

إذا عرفت هذا علمت أن الصراط المستقيم الذى هو صراط غير الضالين صراط لا يقع فيه شرك ولا ظلم البتة كما لا يقع فيه ضلال البتة، لا- فى باطن الجنان من كفر أو خطور لا يرضى به الله سبحانه، ولا فى ظاهر الجوارح والأركان من فعل معصية أو قصور فى طاعه، وهذا هو حق التوحيد علما وعملا إذا لا ثالث لهما وما ذا بعد الحق إلا الضلال؟ وينطبق على ذلك قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ»: الأنعام- ٨٢، وفيه تثبيت للأمن فى الطريق و وعد بالاهتداء التام بناء على ما ذكره: من كون اسم الفاعل حقيقه فى الاستقبال فليفهم فهذا نعت من نعوت الصراط المستقيم.

ثم إنه تعالى عرف هؤلاء المنعم عليهم الذين نسب صراط المستقيم إليهم بقوله تعالى:

«وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» النساء- ٦٨. وقد وصف هذا الإيمان والإطاعة قبل هذه الآية بقوله «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا»: النساء- ٦٦. فوصفهم بالثبات التام قولا وفعلا و ظاهرا و باطنا على العبودية لا يشذ منهم شاذ من هذه الجهة و مع ذلك جعل هؤلاء المؤمنين تبعاً لأولئك المنعم عليهم و فى صف دون صفهم لمكان مع و لمكان قوله: «وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» و لم يقل: فأولئك من الذين.

و نظير هذه الآية قوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ»: الحديد- ١٩. وهذا هو إلحاق المؤمنين بالشهداء والصدّيقين فى الآخرة، لمكان قوله: عند ربهم، وقوله: لهم أجرهم.

فأولئك (وهم أصحاب الصراط المستقيم) أعلى قدرا و أرفع درجه و منزله من هؤلاء و هم المؤمنون الذين أخلصوا قلوبهم و أعمالهم من الضلال و الشرك و الظلم، فالتدبر

فى هذه الآيات يوجب القطع بأن هؤلاء المؤمنين (و شأنهم هذا الشأن) فيهم بقيه بعد، لو تمت فيهم كانوا من الذين أنعم الله عليهم، و ارتقوا من منزله المصاحبه معهم إلى درجه الدخول فيهم و لعلهم نوع من العلم بالله، ذكره فى قوله تعالى: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»: المجادله-١١. فالصراط المستقيم أصحابه منعم عليهم بنعمه هى أرفع النعم قدرا، يربو على نعمه الإيمان التام، و هذا أيضا نعت من نعوت الصراط المستقيم.

ثم إنه تعالى على أنه كرر فى كلامه ذكر الصراط و السبيل لم ينسب لنفسه أزيد من صراط مستقيم واحد، و عد لنفسه سبلا كثيره فقال عز من قائل «و الَّذِينَ جَاهِدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا»: العنكبوت-٦٩. و كذا لم ينسب الصراط المستقيم إلى أحد من خلقه إلا ما فى هذه الآيه (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمِ الْآيَه) و لكنه نسب السبيل إلى غيره من خلقه، فقال تعالى: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ»: يوسف-١٠٨. و قال تعالى «سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ»: لقمان-١٥. و قال: «سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ»: النساء-١١٤، و يعلم منها: أن السبيل غير الصراط المستقيم فإنه يختلف و يتعدد و يتكثر باختلاف المتعبدين السالكين سبيل العباده بخلاف الصراط المستقيم كما يشير إليه قوله تعالى: «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»: المائده-١٦، فعد السبل كثيره و الصراط واحدا و هذا الصراط المستقيم إما هى السبل الكثيره و إما أنها تودى إليه باتصال بعضها إلى بعض و اتحادها فيها.

و أيضا قال تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ»: يوسف-١٠٦.

فبين أن من الشرك (و هو ضلال) ما يجتمع مع الإيمان و هو سبيل، و منه يعلم أن السبيل يجامع الشرك، لكن الصراط المستقيم لا يجامع الضلال كما قال: «وَلَا الضَّالِّينَ».

و التدبر فى هذه الآيات يعطى أن كل واحد من هذه السبل يجامع شيئا من النقص أو الامتياز، بخلاف الصراط المستقيم، و أن كلا منها هو الصراط المستقيم لكنه

غير الآخر و يفارقه لكن الصراط المستقيم يتحد مع كل منها في عين أنه يتحد مع ما يخالفه، كما يستفاد من بعض الآيات المذكوره و غيرها كقوله: «وَ أَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ»: يس-٦١. و قوله تعالى: «قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا»: الأنعام-١٦١. فسمى العباده صراطا مستقيما و سمى الدين صراطا مستقيما و هما مشتركان بين السبل جميعا، فمثل الصراط المستقيم بالنسبه إلى سبل الله تعالى كمثل الروح بالنسبه إلى البدن، فكما أن للبدن أطوارا في حياته هو عند كل طور غيره عند طور آخر، كالصبا و الطفولي و الرهوق و الشباب و الكهوله و الشيب و الهرم لكن الروح هي الروح و هي متحده بها و البدن يمكن أن تطرأ عليه أطوار تنافى ما تحبه و تقتضيه الروح لو خليت و نفسها بخلاف الروح فطره الله التي فطر الناس عليها و البدن مع ذلك هو الروح أعنى الإنسان، فكذلك السبل إلى الله تعالى هو الصراط المستقيم إلا أن السبل كسبل المؤمنين و سبل المنيين و سبل المتبعين للنبي ص أو غير ذلك من سبل الله تعالى، ربما اتصلت به آفه من خارج أو نقص لكنهما لا يعرضان الصراط المستقيم كما عرفت أن الإيمان و هو سبل ربما يجامع الشرك و الضلال لكن لا يجتمع مع شىء من ذلك الصراط المستقيم، فللسبل مراتب كثيره من جهه خلوصه و شوبه و قربه و بعده، و الجميع على الصراط المستقيم أو هي هو.

و قد بين الله سبحانه هذا المعنى، أعنى: اختلاف السبل إلى الله مع كون الجميع من صراطه المستقيم في مثل ضربه للحق و الباطل في كلامه، فقال تعالى: «أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيِّهِ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ»: الرعد-١٧. فبين: أن القلوب و الأفهام في تلقى المعارف و الكمال مختلفه، مع كون الجميع متكئه منتهيه إلى رزق سماوى واحد، و سيجىء تمام الكلام في هذا المثل في سوره الرعد، و بالجملة فهذا أيضا نعت من نعوت الصراط المستقيم.

و إذا تأملت ما تقدم من نعوت الصراط المستقيم تحصل لك أن الصراط المستقيم

مهيمن على جميع السبل إلى الله و الطرق الهاديه إليه تعالى،بمعنى أن السبيل إلى الله إنما يكون سبيلا له موصلا إليه بمقدار يتضمنه من الصراط المستقيم حقيقه،مع كون الصراط المستقيم هاديا موصلا إليه مطلقا و من غير شرط و قيد،ولذلك سماه الله تعالى صراطا مستقيما،فإن الصراط هو الواضح من الطريق،مأخوذ من سرطت سرطا إذا بلغت بلعا،كأنه يبلع سالكيه فلا يدعهم يخرجوا عنه و لا يدفعهم عن بطنه، و المستقيم هو الذى يريد أن يقوم على ساق فيتسلط على نفسه و ما لنفسه كالقائم الذى هو مسلط على أمره،و يرجع المعنى إلى أنه الذى لا يتغير أمره و لا يختلف شأنه فالصراط المستقيم ما لا يتخلف حكمه فى هدايته و إيصاله سالكيه إلى غايته و مقصدهم قال تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ اعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَ فَضْلٍ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا»: النساء-١٧٤.أى لا يتخلف أمر هذه الهدايه،بل هى على حالها دائما،وقال تعالى: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَ هَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا»: الأنعام-١٢٦.أى هذه طريقته التى لا يختلف و لا يتخلف،وقال تعالى: «قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ»: الحجر-٤٢.أى هذه سنتى و طريقتى دائما من غير تغيير،فهو يجرى مجرى قوله: «فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا»: الفاطر-٤٢.

و قد تبين مما ذكرناه فى معنى الصراط المستقيم أمور.

أحدها: أن الطرق إلى الله مختلفه كمالا و نقصا و غلاء و رخصا،فى جهه قربها من منبع الحقيقه و الصراط المستقيم كالإسلام و الإيمان و العباده و الإخلاص و الإخبات، كما أن مقابلاتها من الكفر و الشرك و الجحود و الطغيان و المعصيه كذلك،قال سبحانه «وَ لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَ لِيُؤْفِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ»: الأحقاف-١٩.

و هذا نظير المعارف الإلهيه التى تتلقاها العقول من الله فإنها مختلفه باختلاف الاستعدادات و متلونه بألوان القابليات على ما يفيدته المثل المضروب فى قوله تعالى:

« أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا الْآيَةَ. »

و ثانيها: أنه كما أن الصراط المستقيم مهيمن على جميع السبل، فكذلك أصحابه الذين مكنهم الله تعالى فيه و تولى أمرهم و ولاهم أمر هدايه عباده حيث قال: « وَ حَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا »: النساء-٧١. و قال تعالى: « إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ »: المائدة-٥٥. و الآيه نازله في أمير المؤمنين علي (ع) بالأخبار المتواتره و هو (ع) أول فاتح لهذا الباب من الأمه و سيجيء تمام الكلام في الآيه.

و ثالثها: أن الهدايه إلى الصراط يتعين معناها بحسب تعين معناه، و توضيح ذلك أن الهدايه هي الدلاله على ما في الصحاح، و فيه أن تعديتها لمفعولين لغه أهل الحجاز، و غيرهم يعدونه إلى المفعول الثاني بإلى، و قوله هو الظاهر، و ما قيل: إن الهدايه إذا تعدت إلى المفعول الثاني بنفسها، فهي بمعنى الإيصال إلى المطلوب، و إذا تعدت بإلى فبمعنى إراءه الطريق، مستدلا بنحو قوله تعالى: « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ »: القصص-٥٦. حيث إن هدايته بمعنى إراءه الطريق ثابتة فالمنفى غيرها و هو الإيصال إلى المطلوب قال تعالى: « وَ لَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا »: النساء-٧٠. و قال تعالى: « وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »: الشورى-٥٢.

فالهدايه بالإيصال إلى المطلوب تتعدى إلى المفعول الثاني بنفسها، و الهدايه بإراءه الطريق بإلى، و فيه أن النفي المذكور نفى لحقيقه الهدايه التي هي قائمه بالله تعالى، لا- نفى لها أصلا، و بعباره أخرى هو نفى الكمال دون نفى الحقيقه، مضافا إلى أنه منقوض بقوله تعالى حكايه عن مؤمن آل فرعون: « يَا قَوْمِ أَتَّبِعُونَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ »: غافر-٣٨. فالحق أنه لا يتفاوت معنى الهدايه باختلاف التعديه، و من الممكن أن يكون التعديه إلى المفعول الثاني من قبيل قولهم دخلت الدار و بالجمله فالهدايه هي الدلاله و إراءه الغايه بإراءه الطريق و هي نحو إيصال إلى المطلوب، و إنما تكون من الله سبحانه، و سنته سنه الأسباب بإيجاد سبب ينكشف به المطلوب و يتحقق به وصول العبد إلى غايته في سيره، و قد بينه الله سبحانه بقوله: « فَمَنْ



يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» :الأنعام-١٢٥. وقوله: «ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ»: الزمر-٢٣. وتعديه قوله تلين بإلى لتضمين معنى مثل الميل والاطمينان، فهو إيجاده تعالى وصفا في القلب به يقبل ذكر الله و يميل و يطمئن إليه، و كما أن سبله تعالى مختلفه، فكذلك الهدايه تختلف باختلاف السبل التي تضاف إليه فلكل سبيل هدايه قبله تختص به.

و إلى هذا الاختلاف يشير قوله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ»: العنكبوت-٦٩. إذ فرق بين أن يجاهد العبد في سبيل الله، و بين أن يجاهد في الله، فالمجاهد في الأول يريد سلامه السبيل و دفع العوائق عنه بخلاف المجاهد في الثاني فإنه إنما يريد وجه الله فيمده الله سبحانه بالهدايه إلى سبيل دون سبيل بحسب استعداده الخاص به، و كذا يمده الله تعالى بالهدايه إلى السبيل بعد السبيل حتى يختصه بنفسه جلت عظمته.

و رابعها: أن الصراط المستقيم لما كان أمرا محفوظا في سبل الله تعالى على اختلاف مراتبها و درجاتها، صح أن يهدى الله الإنسان إليه و هو مهدي فيهديه من الصراط إلى الصراط، بمعنى أن يهديه إلى سبيل من سبله ثم يزيد في هدايته فيهدى من ذلك السبيل إلى ما هو فوقها درجه، كما أن قوله تعالى: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ (و هو تعالى يحكيه عن هدايه بالعباده) من هذا القبيل، و لا يرد عليه: أن سؤال الهدايه ممن هو مهتد بالفعل سؤال لتحصيل الحاصل و هو محال، و كذا ركوب الصراط بعد فرض ركوبه تحصيل للحاصل و لا يتعلق به سؤال، و الجواب ظاهر.

و كذا الإيراد عليه: بأن شريعتنا أكمل و أوسع من جميع الجهات من شرائع الأمم السابقه، فما معنى السؤال من الله سبحانه أن يهدينا إلى صراط الذين أنعم الله عليهم منهم؟ و ذلك أن كون شريعه أكمل من شريعه أمر، و كون المتمسك بشريعه أكمل من المتمسك بشريعه أمر آخر وراءه، فإن المؤمن المتعارف من مؤمنى شريعه محمد ص (مع كون شريعته أكمل و أوسع) ليس بأكمل من نوح و إبراهيم (ع) مع كون شريعتهم أقدم و أسبق، و ليس ذلك إلا أن حكم الشرائع و العمل بها غير حكم الولايه الحاصله من التمكن فيها و التخلق بها، فصاحب مقام التوحيد الخالص و إن كان من أهل الشرائع السابقه أكمل و أفضل ممن لم يتمكن من مقام التوحيد و لم تستقر

حياء المعرفة فى روجه و لم يتمكّن نور الهدايه الإلهيه من قلبه، و إن كان عاملا بالشريعه المحمديه ص التى هى أكمل الشرائع و أوسعها، فمن الجائز أن يستهدى صاحب المقام الدانى من أهل الشريعه الكامله و يسأل الله الهدايه إلى مقام صاحب المقام العالى من أهل الشريعه التى هى دونها.

و من أعجب ما ذكر فى هذا المقام، ما ذكره بعض المحققين من أهل التفسير جوابا عن هذه الشبهه: أن دين الله واحد و هو الإسلام، و المعارف الأصلية و هو التوحيد و النبوه و المعاد و ما يتفرع عليها من المعارف الكليه واحد فى الشرائع، و إنما مزيه هذه الشريعه على ما سبقها من الشرائع هى أن الأحكام الفرعيه فيها أوسع و أشمل لجميع شئون الحياه، فهى أكثر عنايه بحفظ مصالح العباد، على أن أساس هذه الشريعه موضوع على الاستدلال بجميع طرقها من الحكمه و الموعظه و الجدل الأحسن، ثم إن الدين و إن كان دينا واحدا و المعارف الكليه فى الجميع على السواء غير أنهم سلكوا سبيل ربهم قبل سلو كنا، و تقدموا فى ذلك علينا، فأمرنا الله النظر فيما كانوا عليه و الاعتبار بما صاروا إليه هذا.

أقول: و هذا الكلام مبنى على أصول فى مسلك التفسير مخالفه للأصول التى يجب أن يبتنى مسلك التفسير عليها، فإنه مبنى على أن حقائق المعارف الأصلية واحده من حيث الواقع من غير اختلاف فى المراتب و الدرجات، و كذا سائر الكمالات الباطنيه المعنويه، فأفضل الأنبياء المقربين مع أحسن المؤمنين من حيث الوجود و كماله الخارجى التكوينى على حد سواء، و إنما التفاضل بحسب المقامات المجعوله بالجعل التشريعى من غير أن يتكى على تكوين، كما أن التفاضل بين الملك و الرعيه إنما هو بحسب المقام الجعلى الوضعى من غير تفاوت من حيث الوجود الإنسانى هذا.

و لهذا الأصل أصل آخر يبنى عليه، و هو القول بأصاله ماده و نفى الأصاله عما وراءها و التوقف فيه إلا فى الله سبحانه بطريق الاستثناء بالدليل، و قد وقع فى هذه الورطه من وقع، لأحد أمرين: إما القول بالاكْتفاء بالحس اعتمادا على العلوم الماديه و إما إلغاء التدبر فى القرآن بالاكْتفاء بالتفسير بالفهم العامى.

و للكلام ذيل طويل سنورده فى بعض الأبحاث العلميه الآتية إن شاء الله تعالى.

و خامسها: أن مزيه أصحاب الصراط المستقيم على غيرهم، وكذا صراطهم على سبيل غيرهم، إنما هو بالعلم لا العمل، فلهم من العلم بمقام ربهم ما ليس لغيرهم، إذ قد تبين مما مر: أن العمل التام موجود في بعض السبل التي دون صراطهم، فلا يبقى لمزيتهم إلا- العلم، و أما ما هذا العلم؟ وكيف هو؟ فنبحث عنه إن شاء الله في قوله تعالى: «أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا» الرعد-١٧.

و يشعر بهذا المعنى قوله تعالى: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»: المجادلة-١١، وكذا قوله تعالى: «إِلَيْهِ يَصِيدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»: الملائكة-١٠، فالذى يصعد إليه تعالى هو الكلم الطيب و هو الاعتقاد و العلم، و أما العمل الصالح فشأنه رفع الكلم الطيب و الأمداد دون الصعود إليه تعالى، و سيجيء تمام البيان في البحث عن الآية.

### بحث روائى [معنى جرى القرآن.]

في الكافي، عن الصادق (ع): في معنى العبادة قال: العبادة ثلاثة: قوم عبدوا الله خوفاً، فتلك عبادة العبيد، و قوم عبدوا الله تبارك و تعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأجراء، و قوم عبدوا الله عز و جل حبا، فتلك عبادة الأحرار، و هي أفضل العبادة.

و في نهج البلاغه: إن قوما عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار، و إن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، و إن قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار.

و في العليل، و المجالس، و الخصال، عن الصادق (ع): إن الناس يعبدون الله على ثلاثة أوجه: فطبقه يعبدونه رغبة في ثوابه- فتلك عبادة الحرصاء و هو الطمع، و آخرون يعبدونه خوفاً من النار فتلك عبادة العبيد، و هي رهبة، و لكنى أعبدته حبا له عز و جل فتلك عبادة الكرام، لقوله عز و جل: «وَهُمْ مِنْ فِرْعٍ يَوْمئِذٍ آمِنُونَ» .

و لقوله عز و جل - «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»، فمن أحب الله عز و جل

أحبه، و من أحبه الله كان من الآمنين، و هذا مقام مكنون لا يمسه إلا المطهرون.

أقول: و قد تبين معنى الروايات مما مر من البيان، و توصيفهم (ع) عباده الأحرار تاره بالشكر و تاره بالحب، لكون مرجعهما واحدا، فإن الشكر وضع الشيء المنعم به فى محله، و العبادة شكرها أن تكون لله الذى يستحقها لذاته، فيعبد الله لأنه الله، أى لأنه مستجمع لجميع صفات الجمال و الجلال بذاته، فهو الجميل بذاته المحبوب لذاته، فليس الحب إلا الميل إلى الجمال و الانجذاب نحوه، فقولنا فيه تعالى هو معبود لأنه هو، و هو معبود لأنه جميل محبوب، و هو معبود لأنه منعم مشكور بالعبادة يرجع جميعها إلى معنى واحد.

و روى بطريق عامى عن الصادق (ع): فى قوله تعالى: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** الآية، يعنى:

لا نريد منك غيرك و لا نعبدك بالعبود و البذل: كما يعبدك الجاهلون بك المغبون عنك.

أقول: و الرواية تشير إلى ما تقدم، من استلزام معنى العبادة للحضور و للإخلاص الذى ينافى قصد البذل.

و فى تحف العقول، عن الصادق (ع) فى حديث: و من زعم أنه يعبد بالصفة لا- بالإدراك- فقد أحال على غائب، و من زعم أنه يعبد بالصفة و الموصوف- فقد أبطل التوحيد لأن الصفة غير الموصوف، و من زعم أنه يضيف الموصوف إلى الصفة فقد صغر بالكبير، و ما قدروا الله حق قدره. الحديث.

و فى المعانى، عن الصادق (ع): فى معنى قوله تعالى: **إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** - يعنى أرشدنا إلى لزوم الطريق المؤدى إلى محبتك، و المبلغ إلى جنتك، و المانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك

و فى المعانى، أيضا عن على (ع): فى الآية، يعنى، آدم لنا توفيقك- الذى أطعناك به فى ماضى أيامنا، حتى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمارنا.

أقول: و الروايتان وجهان مختلفان فى الجواب عن شبهه لزوم تحصيل الحاصل من سؤال الهدايه للمهدى، فالرواية الأولى ناظره إلى اختلاف مراتب الهدايه مصداقا و الثانيه إلى اتحادها مفهوما.

و في المعاني، أيضا عن علي (ع): الصراط المستقيم في الدنيا ما قصر عن الغلو، و ارتفع عن التقصير و استقام، و في الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة.

و في المعاني، أيضا عن علي (ع): في معنى صِراطِ الَّذِينَ آتَاهُ أَي: قولوا: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك و طاعتك، لا - بالمال و الصحة، فإنهم قد يكونون كفارا أو فساقا، قال: و هم الذين قال الله: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ - فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ - مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ، وَ حَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا».

و في العيون، عن الرضا (ع) عن آباءه عن أمير المؤمنين (ع) قال: لقد سمعت رسول الله ص يقول: قال الله عز و جل: قسمت فاتحه الكتاب بيني و بين عبدى - فنصفها لى و نصفها لعبدى، و لعبدى ما سألت، إذا قال العبد: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - قال الله جل جلاله بدأ عبدى باسمى - و حق على أن أتمم له أموره، و أبارك له فى أحواله، فإذا قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قال الله جل جلاله: حمدنى عبدى، و علم أن النعم التى له من عندى، و أن البلى التى دفعت عنه بتطولى، أشهدكم أنى أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة - و أرفع عنه بلى الآخرة كما دفعت عنه بلى الدنيا، و إذا قال الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قال الله جل جلاله: شهد لى عبدى أنى الرحمن الرحيم - أشهدكم لأوفرن من رحمتى حظه - و لأجزلن من عطائى نصيبه - فإذا قال: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ - قال الله تعالى:

أشهدكم، كما اعترف بأنى أنا المالك يوم الدين، لأسهلن يوم الحساب حسابه، و لأقبلن حسناته و لأتجاوزن عن سيئاته، فإذا قال: إِيَّاكَ نَعْبُدُ، قال الله عز و جل: صدق عبدى، إياى يعبد أشهدكم - لأثبته على عبادته ثوبا يغبطه كل من خالفه فى عبادته لى، فإذا قال: وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ - قال الله تعالى: بى استعان عبدى و إلى التجأ، أشهدكم لأعيننه على أمره، و لأغيثه فى شدائده و لأخذن بيده يوم نوابه، فإذا قال: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ إلى آخر السورة، قال الله عز و جل: هذا لعبدى و لعبدى ما سألت، و قد استجبت لعبدى و أعطيته ما أمل و آمنته مما منه و جل.

أقول: و روى قريبا منه الصدوق فى العلل، عن الرضا (ع)، و الرواية كما ترى

تفسر سورة الفاتحة في الصلاة فهي تؤيد ما مر مرارا أن السورة كلام له سبحانه بالنيابة عن عبده في ما يذكره في مقام العبادة و إظهار العبودية من الثناء لربه و إظهار عبادته، فهي سورة موضوعه للعبادة، وليس في القرآن سورة تناظرها في شأنها و أعنى بذلك:

أولاً- أن السورة بتمامها كلام تكلم به الله سبحانه في مقام النيابة عن عبده فيما يقوله إذا وجه وجهه إلى مقام الربوبية و نصب نفسه في مقام العبودية.

و ثانياً: أنها مقسمة قسمين، فنصف منها لله و نصف منها للعبد.

و ثالثاً: أنها مشتملة على جميع المعارف القرآنية على إيجازها و اختصارها فإن القرآن على سعته العجيبه في معارفه الأصلية و ما يتفرع عليها من الفروع من أخلاق و أحكام في العبادات و المعاملات و السياسات و الاجتماعيات و وعد و وعيد و قصص و عبر، يرجع جمل بياناتها إلى التوحيد و النبوه و المعاد و فروعها، و إلى هدايه العباد إلى ما يصلح به أولاهم و عقباهم، و هذه السورة كما هو واضح تشتمل على جميعها في أوجز لفظ و أوضح معنى.

و عليك أن تقيس ما يتجلى لك من جمال هذه السورة التي وضعها الله سبحانه في صلاه المسلمين بما يضعه النصراني في صلاتهم من الكلام الموجود

في إنجيل متى " (٦-٩-١٣) و هو ما نذكره بلفظه العربي، «أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا، أعطنا اليوم، و اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا، و لا تدخلنا في تجربة- و لكن نجنا من الشرير آمين».

تأمل في المعاني التي تفيدها ألفاظ هذه الجمل بعنوان أنها معارف سماويه، و ما يشتمل عليه من الأدب العبودي، أنها تذكر أولاً أن أباهم (و هو الله تقديس اسمه) في السماوات! ثم تدعو في حق الأب بتقدس اسمه و إتيان ملكوته و نفوذ مشيته في الأرض كما هي نافذه في السماء، و لكن من الذي يستجيب هذا الدعاء الذي هو بشعارات الأحزاب السياسيه أشبه؟ ثم تسأل الله إعطاء خبز اليوم و مقابله المغفره بالمغفره، و

جعل الإغماض عن الحق في مقابل الإغماض، و ما ذا هو حقهم لو لم يجعل الله لهم حقا؟ و تسأله أن لا يمتحنهم بل ينجيهم من الشرير، و من المحال ذلك، فالدار دار الامتحان و الاستكمال و ما معنى النجاه لو لا الابتلاء و الامتحان؟ ثم اقض العجب مما ذكره بعض المستشرقين (1) من علماء الغرب و تبعه بعض من المنتحلين: أن الإسلام لا يربو على غيره في المعارف، فإن جميع شرائع الله تدعو إلى التوحيد و تصفيه النفوس بالخلق الفاضل و العمل الصالح، و إنما تتفاضل الأديان في عراقه ثمراتها الاجتماعية. !!

### (بحث آخر روائى)

في الفقيه، و تفسير العياشى، عن الصادق (ع) قال: الصراط المستقيم أمير المؤمنين (ع).

و في المعاني، عن الصادق (ع) قال: هي الطريق إلى معرفه الله، و هما صراطان صراط في الدنيا و صراط في الآخرة، فأما الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا و اقتدى بهداه -مر على الصراط الذى هو جسر جهنم في الآخرة، و من لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه في الآخرة- فتردى في نار جهنم.

و في المعاني، أيضا عن السجاد (ع) قال: ليس بين الله و بين حجته حجاب، و لا لله دون حجته ستر، نحن أبواب الله و نحن الصراط المستقيم و نحن عيبه علمه، و نحن تراجمه و حيه و نحن أركان توحيده و نحن موضع سره.

و عن ابن شهر آشوب عن تفسير وكيع بن الجراح عن الثورى عن السدى، عن أسباط و مجاهد، عن ابن عباس: " في قوله تعالى: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، قال:

قولوا معاشر العباد: أرشدنا إلى حب محمد ص و أهل بيته (ع).

أقول: و في هذه المعاني روايات أخر، و هذه الأخبار من قبيل الجرى، و عد المصداق للآيه، و اعلم أن الجرى (و كثيرا ما نستعمله في هذا الكتاب) اصطلاح مأخوذ من قول أئمه أهل البيت (ع).

ص: ٤١

ففى تفسير العياشى، عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر (ع) عن هذه الروايه؛ ما فى القرآن آيه إلا و لها ظهر و بطن - و ما فيها حرف إلا- و له حد، و لكل حد مطلع؛ ما يعنى بقوله: ظهر و بطن؟ قال؟ ظهره تنزيله و بطنه تأويله، منه ما مضى و منه ما لم يكن بعد، يجرى كما يجرى الشمس و القمر، كلما جاء منه شىء وقع الحديث.

و فى هذا المعنى روايات أخر، و هذه سليقه أئمه أهل البيت فإنهم (ع) يطبقون الآيه من القرآن على ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد و إن كان خارجا عن مورد النزول، و الاعتبار يساعده، فإن القرآن نزل هدى للعالمين يهديهم إلى واجب الاعتقاد و واجب الخلق و واجب العمل، و ما بينه من المعارف النظرية حقائق لا تختص بحال دون حال و لا زمان، دون زمان و ما ذكره من فضيله أو رذيله أو شرعه من حكم عملى لا يتقيد بفرد دون فرد و لا عصر دون عصر لعموم التشريع.

و ما ورد من شأن النزول (و هو الأمر أو الحادثه التى تعقب نزول آيه أو آيات فى شخص أو واقعه) لا يوجب قصر الحكم على الواقعه لينقضى الحكم بانقضائها و يموت بموتها لأن البيان عام و التعليل مطلق، فإن المدح النازل فى حق أفراد من المؤمنين أو الذم النازل فى حق آخرين معللا بوجود صفات فيهم، لا يمكن قصرهما على شخص مورد النزول مع وجود عين تلك الصفات فى قوم آخر بعدهم و هكذا، و القرآن أيضا يدل عليه، قال تعالى: «يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ» المائدة-١٦ و قال: «وَ إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ» حم سجده-٤٢. و قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» الحجر-٩.

و الروايات فى تطبيق الآيات القرآنيه عليهم (ع) أو على أعدائهم أعنى:

روايات الجرى، كثيره فى الأبواب المختلفه، و ربما تبلغ المئين، و نحن بعد هذا التنبيه العام نترك إيراد أكثرها فى الأبحاث الروائيه لخروجها عن الغرض فى الكتاب، إلا ما تعلق بها غرض فى البحث فليترك.



اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)

(بيان)

لما كانت السورة نازله نجوما لم يجمعها غرض واحد إلا أن معظمها تنبئ عن غايه واحده محصله و هو بيان أن من حق عباده الله سبحانه أن يؤمن عبده بكل ما أنزله بلسان رسله من غير تفرقه بين وحى و وحى، ولا بين رسول و رسول و لا غير ذلك ثم تقريع الكافرين و المنافقين و ملامه أهل الكتاب بما ابتدعوه من التفرقه فى دين الله و التفریق بين رسله، ثم التخلص إلى بيان عده من الأحكام كتحويل القبلة و أحكام الحج و الإرث و الصوم و غير ذلك.

قوله تعالى: الم، سيأتى بعض ما يتعلق من الكلام بالحروف المقطعه التى فى أوائل السور، فى أول سورة الشورى إن شاء الله، و كذلك الكلام فى معنى هدايه القرآن و معنى كونه كتابا.

و قوله تعالى: هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، المتقون هم المؤمنون، و ليست التقوى من الأوصاف الخاصه لطبقه من طبقاتهم أعنى: لمرتبته من مراتب الإيمان حتى تكون مقاما من مقاماته نظير الإحسان و الإخبات و الخلوص، بل هى صفه مجامعه لجميع مراتب الإيمان إذا تلبس الإيمان بلباس التحقق، و الدليل على ذلك أنه تعالى لا يخصص بتوصيفه طائفه خاصه من طوائف المؤمنين على اختلاف طبقاتهم و درجاتهم و الذى أخذه تعالى من الأوصاف المعرفه للتقوى فى هذه الآيات التسع عشره التى يبين فيها

حال المؤمنين و الكفار و المنافقين خمس صفات، و هى الإيمان بالغيب، و إقامة الصلاة، و الإنفاق مما رزق الله سبحانه، و الإيمان بما أنزله على أنبيائه، و الإيقان بالآخرة، و قد وصفهم بأنهم على هدى من ربهم فدل ذلك على أن تلبسهم بهذه الصفات الكريمة بسبب تلبسهم بلباس الهدايه من الله سبحانه، فهم إنما صاروا متقين أولى هذه الصفات بهدايه منه تعالى، ثم وصف الكتاب بأنه هدى لهؤلاء المتقين بقوله تعالى: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» فعلمنا بذلك: أن الهدايه غير الهدايه، و أن هؤلاء هم متقون محفوفون بهدايتين، هدايه أولى بها صاروا متقين، و هدايه ثانيه أكرمهم الله سبحانه بها بعد التقوى و بذلك صحت المقابله بين المتقين و بين الكفار و المنافقين، فإنه سبحانه يجعلهم فى وصفهم بين ضاللين و عماءين، ضلال أول هو الموجب لأوصافهم الخبيثه من الكفر و النفاق، و ضلال ثان يتأكد به ضلالهم الأول، و يتصفون به بعد تحقق الكفر و النفاق كما يقوله تعالى فى حق الكفار: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ»: البقره-٧، فنسب الختم إلى نفسه تعالى و الغشاوه إلى أنفسهم، و كما يقوله فى حق المنافقين: «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا»: البقره-١٠ فنسب المرض الأول إليهم و المرض الثانى إلى نفسه على حد ما يستفاد من قوله تعالى: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ»: البقره-٢٦، و قوله تعالى: «فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ»: الصف-٥.

و بالجمله المتقون واقعون بين هدايتين، كما أن الكفار و المنافقين واقعون بين ضاللين.

ثم إن الهدايه الثانيه لما كانت بالقرآن فالهدايه الأولى قبل القرآن و بسبب سلامه الفطره، فإن الفطره إذا سلمت لم تنفك من أن تتنبه شاهده لفقرها و حاجتها إلى أمر خارج عنها، و كذا احتياج كل ما سواها مما يقع عليه حس أو وهم أو عقل إلى أمر خارج يقف دونه سلسله الحوائج، فهى مؤمنه مدعنه بوجود موجود غائب عن الحس منه يبدأ الجميع و إليه ينتهى و يعود، و إنه كما لم يهمل دقيقه من دقائق ما يحتاج إليه الخلقه كذلك لا يهمل هدايه الناس إلى ما ينجيهم من مهلكات الأعمال و الأخلاق، و هذا هو

الإذعان بالتوحيد و النبوه و المعاد و هى أصول الدين، و يلزم ذلك استعمال الخضوع له سبحانه فى ربوبيته، و استعمال ما فى وسع الإنسان من مال و جاه و علم و فضيله لإحياء هذا الأمر و نشره، و هذان هما الصلاه و الإنفاق.

و من هنا يعلم: أن الذى أخذه سبحانه من أوصافهم هو الذى يقضى به الفطره إذا سلمت و أنه سبحانه و عدهم أنه سيفيض عليهم أمراً سماه هدايه، فهذه الأعمال الزاكيه منهم متوسطه بين هدايتين كما عرفت، هدايه سابقه و هدايه لاحقه، و بين الهدايتين يقع صدق الاعتقاد و صلاح العمل، و من الدليل على أن هذه الهدايه الثانيه من الله سبحانه فرع الأولى، آيات كثيره كقوله تعالى: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ»: إبراهيم- ٢٧. و قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ»: الحديد- ٢٨. و قوله تعالى: «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يَثْبُتْ أَقْدَامَكُمْ»: محمد ص- ٧.

و قوله تعالى: «وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»: الصف- ٧. و قوله تعالى: «وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ»: الصف- ٥. إلى غير ذلك من الآيات.

و الأمر فى ضلال الكفار و المنافقين كما فى المتقين على ما سيأتى إن شاء الله.

و فى الآيات إشاره إلى حياه أخرى للإنسان كامنه مستبطنه تحت هذه الحياه الدنيويه، و هى الحياه التى بها يعيش الإنسان فى هذه الدار و بعد الموت و حين البعث، قال تعالى: «أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا»: الأنعام- ١٢٣. و سيأتى الكلام فيه إن شاء الله.

و قوله سبحانه: يُؤْمِنُونَ، الإيمان تمكن الاعتقاد فى القلب مأخوذ من الأيمن كأن المؤمن يعطى لما أمن به الأيمن من الريب و الشك و هو آفه الاعتقاد، و الإيمان كما مر معنى ذو مراتب، إذ الإذعان ربما يتعلق بالشىء نفسه فيترتب عليه أثره فقط، و ربما يشتد بعض الاشتداد فيتعلق ببعض لوازمه، و ربما يتعلق بجميع لوازمه فيستنتج منه أن للمؤمنين طبقات على حسب طبقات الإيمان.

و قوله سبحانه: بِالْغَيْبِ، الغيب خلاف الشهاده و ينطبق على ما لا يقع عليه الحس، و هو الله سبحانه و آياته الكبرى الغائبه عن حواسنا، و منها الوحي، و هو

الذى أشير إليه بقوله: «وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ» فالمراد بالإيمان بالغيب فى مقابل الإيمان بالوحي و الإيقان بالآخره، هو الإيمان بالله تعالى لىتم بذلك الإيمان بالأصول الثلاثة للدين، و القرآن يؤكد القول على عدم القصر على الحس فقط و يحرص على اتباع سليم العقل و خالص اللب.

و قوله سبحانه: وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، العدول فى خصوص الإذعان بالآخره عن الإيمان إلى الإيقان، كأنه للإشارة إلى أن التقوى لا تتم إلا مع اليقين بالآخره الذى لا يجمع نسيانها، دون الإيمان المجرد، فإن الإنسان ربما يؤمن بشىء و يذهل عن بعض لوازمه فىأتى بما ينافيه، لكنه إذا كان على علم و ذكر من يوم يحاسب فيه على الخطير و السير من أعماله لا يقتحم معه الموبقات و لا يحوم حوم محارم الله سبحانه البته قال تعالى: «وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ»: ص-٢٦، فبين تعالى: أن الضلال عن سبيل الله إنما هو بنسيان يوم الحساب؛ فذكره و اليقين به ينتج التقوى.

و قوله تعالى: أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ، الهدايه كلها من الله سبحانه، لا- ينسب إلى غيره البته إلا- على نحو من المجاز كما سيأتى إن شاء الله، و لما وصفهم الله سبحانه بالهدايه و قد قال فى نعتها: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ»: الأنعام-١٢٥، و شرح الصدر سعته و هذا الشرح يدفع عنه كل ضيق و شح، و قد قال تعالى:

«وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»: الحشر-٩، عقب سبحانه ها هنا أيضا قوله: أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ؛ بقوله: وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الْآيَه.

### (بحث روائى)

فى المعانى، عن الصادق (ع): فى قوله تعالى: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، قال: من آمن بقيام القائم (ع) أنه حق.

أقول: و هذا المعنى مروى فى غير هذه الروايه و هو من الجرى.

و فى تفسير العياشى، عن الصادق (ع): فى قوله تعالى: «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» قال: و مما علمناهم يبتون.

و فى المعانى، عنه (ع): فى الآية: و مما علمناهم يبتون، و ما علمناهم من القرآن يتلون.

أقول: و الروايتان مبنيتان على حمل الإنفاق على الأعم من إنفاق المال كما ذكرناه.

### [بحث فلسفى] جواز التعويل على غير المحسوسات

هل يجوز التعويل على غير الإدراكات الحسيه من المعانى العقلية؟ هذه المسأله من معارك الآراء بين المتأخرين من الغربيين؛ و إن كان معظم من القدماء و حكماء الإسلام على جواز التعويل على الحس و العقل معا؛ بل ذكروا أن البرهان العلمى لا يشمل المحسوس من حيث إنه محسوس، لكن الغربيين مع ذلك اختلفوا فى ذلك، و معظم منهم و خاصة من علماء الطبيعه على عدم الاعتماد على غير الحس، و قد احتجوا على ذلك بأن العقليات المحضه يكثر وقوع الخطأ و الغلط فيها مع عدم وجود ما يميز به الصواب من الخطأ و هو الحس و التجربه المماسان للجزئيات بخلاف الإدراكات الحسيه فإننا إذا أدركنا شيئا بواحد من الحواس أتبعنا ذلك بالتجربه بتكرار الأمثال، و لا نزال نكرر حتى نستثبت الخاصه المطلوبه فى الخارج ثم لا يقع فيه شك بعد ذلك، و الحججه باطله مدخوله.

أولا: بأن جميع المقدمات المأخوذه فيها عقلية غير حسيه فهى حجه على بطلان الاعتماد على المقدمات العقلية بمقدمات عقلية فيلزم من صحه الحججه فسادها.

و ثانيا: بأن الغلط فى الحواس لا يقصر عددا من الخطأ و الغلط فى العقليات، كما يرشد إليه الأبحاث التى أوردوها فى المبصرات و سائر المحسوسات، فلو كان مجرد وقوع الخطأ فى باب موجبا لسده و سقوط الاعتماد عليه لكان سد باب الحس أوجب و ألزم.

و ثالثاً: أن التميز بين الخطيأ و الصواب مما لا- بد منه فى جميع المدركات غير أن التجربه و هو تكرر الحس ليست آله لذلك التميز بل القضيئه التجريبيه تصير إحدى المقدمات من قياس يحتج به على المطلوب، فإننا إذا أدركنا بالحس خاصه من الخواص ثم أتبعناه بالتجربه بتكرار الأمثال تحصل لنا فى الحقيقه قياس على هذا الشكل: إن هذه الخاصه دائمي الوجود أو أكثرى الوجود لهذا الموضوع، و لو كانت خاصه لغير هذا الموضوع لم يكن بدائمي أو أكثرى، لكنه دائمي أو أكثرى و هذا القياس كما ترى يشتمل على مقدمات عقليه غير حسيه و لا تجريبيه.

و رابعاً: هب أن جميع العلوم الحسيه مؤيده بالتجربه فى باب العمل لكن من الواضح أن نفس التجربه ليس ثبوتها بتجربه أخرى و هكذا إلى غير النهايه بل العلم بصحته من طريق غير طريق الحس، فالاعتماد على الحس و التجربه اعتماد على العلم العقلى اضطراراً.

و خامساً: أن الحس لا- ينال غير الجزئى المتغير و العلوم لا- تستنتج و لا- تستعمل غير القضايا الكليه و هى غير محسوسه و لا مجربه، فإن التشريح مثلاً إنما ينال من الإنسان مثلاً أفراداً معدودين قليلين أو كثيرين، يعطى للحس فيها مشاهده أن لهذا الإنسان قلباً و كبداً مثلاً، و يحصل من تكرارها عدد من المشاهده يقل أو يكثر و ذلك غير الحكم الكلى فى قولنا: كل إنسان فله قلب أو كبد، فلو اقتصرنا فى الاعتماد و التعويل على ما يستفاد من الحس و التجربه فحسب من غير ركون على العقليات من رأس لم يتم لنا إدراك كلى و لا- فكر نظرى و لا- بحث علمى، فكما يمكن التعويل أو يلزم على الحس فى مورد يخص به كذلك التعويل فيما يخص بالقوه العقليه، و مرادنا بالعقل هو المبدأ لهذه التصديقات الكليه و المدرك لهذه الأحكام العامه، و لا ريب أن الإنسان معه شىء شأنه هذا الشأن، و كيف يتصور أن يوجد و يحصل بالصنع و التكوين شىء شأنه الخطأ فى فعله رأساً؟ أو يمكن أن يخطئ فى فعله الذى خصه به التكوين؟ و التكوين إنما يخص موجوداً من الموجودات بفعل من الأفعال بعد تثبيت الرابطه الخارجيه بينهما، و كيف يثبت رابطه بين موجود و ما ليس بموجود أى خطأ و غلط؟ و أما وقوع الخطيأ فى العلوم أو الحواس فليبان حقيقه الأمر فيه محل آخر ينبغى الرجوع إليه و الله الهادى.

الإنسان البسيط في أوائل نشأته حين ما يظاً موطأ الحياه لا يرى من نفسه إلا أنه ينال من الأشياء أعيانها الخارجيه من غير أن يتنبه أنه يوسط بينه وبينها وصف العلم، ولا يزال على هذا الحال حتى يصادف في بعض مواقفه الشك أو الظن، وعند ذلك يتنبه: أنه لا ينفك في سيره الحيوى و معاشه الدنيوى عن استعمال العلم لا سيما و هو ربما يخطئ و يغلط في تميزاته، و لا سبيل للخطأ و الغلط إلى خارج الأعيان، فيتيقن عند ذلك بوجود صفه العلم (و هو الإدراك المانع من النقيض) فيه.

ثم البحث البالغ يوصلنا أيضا إلى هذه النتيجة، فإن إدراكاتنا التصديقيه تحلل إلى قضيه أول الأوائل (و هي أن الإيجاب و السلب لا يجتمعان معا و لا يرتفعان معا) فما من قضيه بديهيه أو نظريه إلا و هي محتاجه في تمام تصديقها إلى هذه القضيه البديهيه الأوليه، حتى إنا لو فرضنا من أنفسنا الشك فيها وجدنا الشك المفروض لا يجامع بطلان نفسه و هو مفروض، و إذا ثبتت هذه القضيه على بدايتها ثبت جم غفير من التصديقات العلميه على حسب مساس الحاجه إلى إثباتها، و عليها معول الإنسان في أنظاره و أعماله.

فما من موقف علمى و لا واقعه عمليه إلا و معول الإنسان فيه على العلم، حتى أنه إنما يشخص شكه بعلمه أنه شك، و كذا ظنه أو وهمه أو جهله بما يعلم أنه ظن أو وهم أو جهل هذا.

و لقد نشأ في عصر اليونانيين جماعه كانوا يسمون بالسوفسطائيين نفوا وجود العلم، و كانوا يبدون في كل شىء الشك حتى في أنفسهم و فى شكهم، و تبعهم آخرون يسمون بالشكاكين قريبو المسلك منهم نفوا وجود العلم عن الخارج عن أنفسهم و أفكارهم (إدراكاتهم) و ربما لفقوا لذلك وجوها من الاستدلال.

منها: أن أقوى العلوم و الإدراكات (و هي الحاصله لنا من طرق الحواس) مملوءه

خطأ و غلطا فكيف غيرها؟ و مع هذا الوصف كيف يمكن الاعتماد على شىء من العلوم و التصديقات المتعلقة بالخارج منا؟ و منها: أنا كلما قصدنا نيل شىء من الأشياء الخارجيه لم نل عند ذلك إلا العلم به دون نفسه فكيف يمكن النيل لشىء من الأشياء؟ إلى غير ذلك من الوجوه.

و الجواب عن الأول: أن هذا الاستدلال يبطل نفسه، فلو لم يجز الاعتماد على شىء من التصديقات لم يجز الاعتماد على المقدمات المأخوذه فى نفس الاستدلال، مضافا إلى أن الاعتراف بوجود الخطأ و كثرته اعتراف بوجود الصواب بما يعادل الخطأ أو يزيد عليه، مضافا إلى أن القائل بوجود العلم لا يدعى صحه كل تصديق بل إنما يدعيه فى الجملة، و بعبارة أخرى يدعى الإيجاب الجزئى فى مقابل السلب الكلى و الحجه لا تفى بنفى ذلك.

و الجواب عن الثانى: أن محل النزاع و هو العلم حقيقته الكشف عن ما وراءه فإذا فرضنا أنا كلما قصدنا شيئا من الأشياء الخارجيه وجدنا العلم بذلك اعترفا بأنا كشفنا عنه حينئذ، و نحن إنما ندعى وجود هذا الكشف فى الجملة، و لم يدع أحد فى باب وجود العلم: أنا نجد نفس الواقع و نل عين الخارج دون كشفه، و هؤلاء محجوجون بما تعترف به نفوسهم اعترافا اضطراريا فى أفعال الحياه الاختياريه و غيرها، فإنهم يتحركون إلى الغذاء و الماء عند إحساس ألم الجوع و العطش، و كذا إلى كل مطلوب عند طلبه لا عند تصوره الخالى، و يهربون عن كل محذور مهروب عنه عند العلم بوجوده لا عند مجرد تصوره، و بالجملة كل حاجه نفسانيه ألهمتها إليهم إحساساتهم أوجدوا حركه خارجيه لرفعها و لكنهم عند تصور تلك الحاجه من غير حاجه الطبيعه إليها لا يتحركون نحو رفعها، و بين التصورين فرق لا محاله، و هو أن أحد العلمين يوجد الإنسان باختياره و من عند نفسه و الآخر إنما يوجد فى الإنسان بإيجاد أمر خارج عنه مؤثر فيه، و هو الذى يكشف عنه العلم، فإذا ن العلم موجود و ذلك ما أردناه.

و اعلم: أن فى وجود العلم شكاً قويا من وجه آخر و هو الذى وضع عليه أساس العلوم الماديه اليوم من نفي العلم الثابت (و كل علم ثابت)، بيانه: أن البحث العلمى



يثبت في عالم الطبيعه نظام التحول و التكامل، فكل جزء من أجزاء عالم الطبيعه واقع في مسير الحركه و متوجه إلى الكمال، فما من شيء إلا- و هو في الآن الثاني من وجوده غيره و هو في الآن الأول من وجوده، و لا شك أن الفكر و الإدراك من خواص الدماغ فهي خاصه ماديه لمركب مادى، فهي لا- محاله واقعه تحت قانون التحول و التكامل، فهذه الإدراكات (و منها الإدراك المسمى بالعلم) واقعه في التغير و التحول فلا- معنى لوجود علم ثابت باق و إنما هو نسبي، فبعض التصديقات أدوم بقاء و أطول عمرا أو أخفى نقیضا و نقضا من بعض آخر و هو المسمى بالعلم فيما وجد.

و الجواب عنه: أن الحججه مبنيه على كون العلم ماديا غير مجرد في وجوده و ليس ذلك بينا و لا- مبينا بل الحق أن العلم ليس بمادى البته، و ذلك لعدم انطباق صفات ماده و خواصها عليه.

(١) فإن الماديات مشتركه في قبول الانقسام و ليس يقبل العلم بما أنه علم الانقسام البته.

(٢) و الماديات مكانيه زمانيه و العلم بما أنه علم لا يقبل مكانا و لا زمانا، و الدليل عليه إمكان تعقل الحادثه الجزئيه الواقعه في مكان معين و زمان معين في كل مكان و كل زمان مع حفظ العينيه.

(٣) و الماديات بأجمعها واقعه تحت سيطره الحركه العموميه فالتغير خاصه عموميه فيها مع أن العلم بما أنه علم لا يتغير، فإن حيثيه العلم بالذات تنافى حيثيه التغير و التبدل و هو ظاهر عند المتأمل.

(٤) و لو كان العلم مما يتغير بحسب ذاته كالماديات لم يمكن تعقل شيء واحد و لا حادثه واحده في وقتين مختلفين معا و لا تذكر شيء أو حادثه سابقه في زمان لاحق، فإن الشيء المتغير و هو في الآن الثاني غيره في الآن الأول، فهذه الوجوه و نظائرها داله على أن العلم بما أنه علم ليس بمادى البته، و أما ما يحصل في العضو الحساس أو الدماغ من تحقق عمل طبيعي فليس بحثنا فيه أصلا و لا دليل على أنه هو العلم، و مجرد تحقق عمل عند تحقق أمر من الأمور لا يدل على كونهما أمرا واحدا، و الزائد على هذا المقدار من البحث ينبغي أن يطلب من محل آخر.

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)

(بيان)

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، هؤلاء قوم ثبتوا على الكفر و تمكن الجحود من قلوبهم، و يدل عليه وصف حالهم بمساواه الإنذار و عدمه فيهم، و لا يبعد أن يكون المراد من هؤلاء الذين كفروا هم الكفار من صناديد قريش و كبراء مكة الذين عاندوا و لجوا في أمر الدين و لم يألوا جهدا في ذلك و لم يؤمنوا حتى أفناهم الله عن آخرهم في بدر و غيره، و يؤيده أن هذا التعبير و هو قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ، أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، لا يمكن استطراده في حق جميع الكفار و إلا انسد باب الهدايه و القرآن ينادى على خلافه، و أيضا هذا التعبير إنما وقع في سوره يس (و هي مكيه) و في هذه (السوره و هي سوره البقره أول سوره نزلت في المدينه) نزلت و لم تقع غزوه بدر بعد، فالأشبه أن يكون المراد من الَّذِينَ كَفَرُوا، هاهنا و في سائر الموارد من كلامه تعالى: كفار مكة في أول البعثه إلا- أن تقوم قرينه على خلافه، نظير ما سيأتي أن المراد من قوله تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا، فيما أطلق في القرآن من غير قرينه هم السابقون الأولون من المسلمين، خصوصا بهذا الخطاب تشريفا.

و قوله تعالى: خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ «إلخ» يشعر بتغيير السياق: (حيث نسب الختم إلى نفسه تعالى و الغشاوه إليهم أنفسهم) بأن فيهم حجابا دون الحق في أنفسهم و حجابا من الله تعالى عقيب كفرهم و فسوقهم، فأعمالهم متوسطه بين حجابين: من ذاتهم و من الله تعالى، و سيأتي بعض ما يتعلق بالمقام في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا».

و اعلم أن الكفر كالإيمان وصف قابل للشده و الضعف فله مراتب مختلفه الآثار كالإيمان.

فى الكافى، عن الزبيرى عن الصادق (ع) قال: قلت له: أخبرنى عن وجوه الكفر فى كتاب الله عز و جل، قال: الكفر فى كتاب الله على خمسة أوجه، فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين، والكفر بترك ما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النعم. فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية - وهو قول من يقول: لا رب ولا جنه ولا نار، وهو قول صنفيين من الزنادقة يقال لهم الدهرية - وهم الذين يقولون و ما يهلكنا إلا الدهر - وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان منهم - ولا تحقيق لشيء مما يقولون: قال عز و جل: إِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ، أن ذلك كما يقولون، وقال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا - سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، يعنى بتوحيد الله، فهذا أحد وجوه الكفر -.

و أما الوجه الآخر فهو الجحود على معرفه، وهو أن يجحد الجاحد و هو يعلم أنه حق قد استقر عنده، وقد قال الله عز و جل: (وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا )، و قال الله عز و جل: (وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا - فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ - فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ، فهذا تفسير وجهى الجحود، و الوجه الثالث من الكفر كفر النعم - و ذلك قوله سبحانه يحكى قول سليمان: هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ - وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ - وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ، و قال:

لئن شكرتم لأزيدنكم - و لئن كفرتم إن عذابي لشديد، و قال: فأذكروني أذكركم و أشكروا لى و لا تكفروني .

و الوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله عز و جل به، و هو قول عز و جل:

«وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَ تَشْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ - وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ - ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ - ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ - وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ - تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَ الْعِدْوَانِ - وَ إِنْ يَأْتُواكُمْ أُسَارَى فَادَّوهُمْ - وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ - أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ »، فكفرهم بترك ما أمر الله عز و جل به - و نسبهم إلى الإيمان و لم يقبله منهم و لم ينفعهم عنده - فقال: فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ

ذَلِكَ مِنْكُمْ - إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ - وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .

و الوجه الخامس من الكفر كفر البراءة - و ذلك قول الله عز و جل يحكى قول إبراهيم: كَفَرْنَا بِكُمْ وَ بَدَأَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ الْعِدَاوَةَ وَ الْبُغْضَاءُ أَيَّدَأ - حَتَّىٰ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَ خِيَدَهُ ، يعنى تبرأنا منكم، و قال: (يذكر إبليس و تبريه من أوليائه من الإنس يوم القيامة) إني كفرت بما أشركتمون من قبل، و قال: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا - مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، يعنى يتبرأ بعضكم من بعض .

أقول: و هى فى بيان قبول الكفر الشده و الضعف كما مر

## [سوره البقره (٢): الآيات ٨ الى ٢٠]

### اشاره

وَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يُخَدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَ لَكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٣) وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَفُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمُّ بَكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَّا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَرِيذِرَ الْمَوْتِ وَ اللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَاتِ، الْخُدْعَةُ نَوْعٌ مِنَ الْمَكْرِ، وَالشَّيْطَانُ هُوَ الشَّرِيرُ وَ لِذَلِكَ سَمِيَ إِبْلِيسَ شَيْطَانًا.

و في الآيات بيان حال المنافقين، و سيجيء إن شاء الله تفصيل القول فيهم في سورة المنافقين و غيرها.

و قوله تعالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا «إِلخ» مثل يمثل به حالهم، أنهم كالذى وقع فى ظلمه عمياء لا يتميز فيها خير من شر و لا- نافع من ضار فتسبب لرفعها بسبب من أسباب الاستضاءه كمنار يوقدها فيبصر بها ما حولها فلما توقدت و أضاءت ما حولها أخمدها الله بسبب من الأسباب كريح أو مطر أو نحوهما فبقى فيما كان عليه

من الظلمه و تورط بين ظلمتين:ظلمه كان فيها و ظلمه الحيره و بطلان السبب.

و هذه حال المنافق، يظهر الإيمان فيستفيد بعض فوائد الدين باشتراكه مع المؤمنين في مواريتهم و مناكحهم و غيرهما حتى إذا حان حين الموت و هو الحين الذى فيه تمام الاستفاده من الإيمان ذهب الله بنوره و أبطل ما عمله و تركه فى ظلمه لا يدرك فيها شيئاً و يقع بين الظلمه الأصليه و ما أوجده من الظلمه بفعاله.

و قوله تعالى: **أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ إِخٍ**، الصيب هو المطر الغزير، و البرق معروف، و الرعد هو الصوت الحادث من السحاب عند الإبراق، و الصاعقه هى النازله من البروق.

و هذا مثل ثان يمثل به حال المنافقين فى إظهارهم الإيمان، أنهم كالذى أخذه صيب السماء و معه ظلمه تسلب عنه الأبصار و التمييز، فالصيب يضطره إلى الفرار و التخلص، و الظلمه تمنعه ذلك، و المهولات من الرعد و الصاعقه محيطه به فلا يجد مناصاً من أن يستفيد بالبرق و ضوئه و هو غير دائم و لا باق متصل كلما أضاء له مشى و إذا أظلم عليه قام.

و هذه حال المنافق فهو لا يحب الإيمان و لا يجد بدا من إظهاره، و لعدم المواطاه بين قلبه و لسانه لا يستضىء له طريقه تمام الاستضاءه، فلا يزال يخبط خطا بعد خبط و يعثر عثره بعد عثره فيمشى قليلاً و يقف قليلاً و يفضحه الله بذلك و لو شاء الله لذهب بسمعه و بصره فيفتضح من أول يوم

## [سوره البقره (٢): الآيات ٢١ الى ٢٥]

### اشاره

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ أُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا «إِلٰهًا»، لما بين سبحانه: حال الفرق الثلاث: المتقين و الكافرين، و المنافقين، و أن المتقين على هدى من ربهم و القرآن هدى لهم، و أن الكافرين مختوم على قلوبهم؛ و على سمعهم و على أبصارهم غشاوه، و أن المنافقين مرضى و زادهم الله مرضا و هم صم بكم عمى (و ذلك فى تمام تسع عشره آيه) فرع تعالى على ذلك أن دعا الناس إلى عبادته و أن يلتحقوا بالمتقين دون الكافرين و المنافقين بهذه الآيات الخمس إلى قوله: خَالِدُونَ. و هذا السياق يعطى كون قوله: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ متعلقا بقوله: اُعْبُدُوا، دون قوله خَلَقَكُمْ و إن كان المعنى صحيحا على كلا التقديرين.

و قوله تعالى: فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، الأنداد جمع ند كمثل، وزنا و معنى و عدم تقييد قوله تعالى: وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بقتيد خاص و جعله حالا من قوله تعالى فَلَا تَجْعَلُوا ، يفيد التأكيد البالغ فى النهى بأن الإنسان و له علم ما كيفما كان لا يجوز له أن يتخذ لله سبحانه أندادا و الحال أنه سبحانه هو الذى خلقهم و الذين من قبلهم ثم نظم النظام الكونى لرزقهم و بقائهم.

و قوله تعالى: فَاتُوا بِسُورِهِ مِنْ مِثْلِهِ أَمْرٌ تَعْجِزُ لِإِبَانِهِ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ، و أنه كتاب منزل من عند الله لا ريب فيه، إعجازا باقيا بمر الدهور و توالى القرون

وقد تكرر في كلامه تعالى: «هذا التعجيز كقوله تعالى قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً»: الإسراء - ٨٨، وقوله تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَبْطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»: هود - ١٣. و على هذا فالضمير فى مثله عائد إلى قوله تعالى: مِمَّا نَزَّلْنَا، و يكون تعجيزا بالقرآن نفسه و بداعه أسلوبه و بيانه.

و يمكن أن يكون الضمير راجعا إلى قوله: عَيْدِنَا، فيكون تعجيزا بالقرآن من حيث إن الذى جاء به رجل أمى لم يتعلم من معلم و لم يتلق شيئا من هذه المعارف الغاليه العاليه و البيانات البديعه المتقنه من أحد من الناس فيكون الآية فى مساق قوله تعالى:

قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ»: يونس - ١٦، و قد ورد التفسيران معا فى بعض الأخبار.

و اعلم: أن هذه الآيه كظواهرها تعطى إعجاز أقصر سوره من القرآن كسوره الكوثر و سوره العصر مثلا، و ما ربما يحتمل من رجوع ضمير مثله إلى نفس السوره كسوره البقره أو سوره يونس مثلا ياباه الفهم المستأنس بأساليب الكلام إذ من يرمى القرآن بأنه افتراء على الله تعالى إنما يرميه جميعا و لا يخصص قوله ذاك بسوره دون سوره، فلا معنى لرده بالتحدى بسوره البقره أو بسوره يونس لرجوع المعنى حينئذ إلى مثل قولنا: و إن كنتم فى ريب من سوره الكوثر أو الإخلاص مثلا فأتوا بسوره مثل سوره يونس و هو بين الاستهجان هذا.

### (الإعجاز و ماهيته) [الكلام فى الإعجاز و إعجاز القرآن.]

اعلم: أن دعوى القرآن أنها آيه معجزه بهذا التحدى الذى أبدتها هذه الآيه تنحل بحسب الحقيقه إلى دعويين، و هما دعوى ثبوت أصل الإعجاز و خرق العاده الجاريه و دعوى أن القرآن مصداق من مصاديق الإعجاز و معلوم أن الدعوى الثانيه تثبت بثبوتها الدعوى الأولى، و القرآن أيضا يكتفى بهذا النمط من البيان و يتحدى بنفسه فيستنتج به كلتا النتيجةين غير أنه يبقى الكلام على كيفية تحقق الإعجاز مع



اشتماله على ما لا تصدقه العاده الجاربه فى الطبعه من استناد المسببات الى اسبابها المعهوده المشخصه من غير استثناء فى حكم السببيه او تخلف و اختلاف فى قانون العليه، و القرآن يبين حقيقه الأمر و يزيل الشبهه فيه.

فالقرآن يشدق فى بيان الأمر من جهتين.

الأولى: أن الإعجاز ثابت و من مصاديقه القرآن المثبت لأصل الإعجاز و لكونه منه بالتحدى.

الثانيه: أنه ما هو حقيقه الإعجاز و كيف يقع فى الطبعه أمر يخرق عاداتها و ينقض كليتها.

### (إعجاز القرآن)

لا- ريب فى أن القرآن يتحدى بالإعجاز فى آيات كثيره مختلفه مكيه و مدنيه تدل جميعها على أن القرآن آيه معجزه خارقه حتى أن الآيه السابقه أعنى قوله تعالى:

«وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ

«الآيه، أى من مثل النبى ص» استدلال على كون القرآن معجزه بالتحدى على إتيان سوره نظيره سوره من مثل النبى ص، لا أنه استدلال على النبوه مستقيما و بلا واسطه، و الدليل عليه قوله تعالى فى أولها: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا» و لم يقل و إن كنتم فى ريب من رساله عبدنا، فجميع التحديات الواقعه فى القرآن نحو استدلال على كون القرآن معجزه خارقه من عند الله، و الآيات المشتمله على التحدى مختلفه فى العموم و الخصوص و من أعمها تحديا قوله تعالى: «قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا»: الإسراء- ٨٨، و الآيه مكيه و فيها من عموم التحدى ما لا يرتاب فيه ذو مسكه.

فلو كان التحدى ببلاغه بيان القرآن و جزاله أسلوبه فقط لم يتعد التحدى قوما خاصا و هم العرب العرباء من الجاهليين و المخضرمين قبل اختلاط اللسان و فساده، و قد قرع بالآيه أسماع الإنس و الجن.

و كذا غير البلاغه و الجزاله من كل صفه خاصه اشتمل عليها القرآن كالمعارف

الحقيقيه و الأخلاق الفاضله و الأحكام التشريعيه و الأخبار المغيبه و معارف أخرى لم يكشف البشر حين النزول عن وجهها النقاب إلى غير ذلك، كل واحد منها مما يعرفه بعض الثقلين دون جميعهم، فإطلاق التحدى على الثقلين ليس إلا فى جميع ما يمكن فيه التفاضل فى الصفات.

فالقرآن آيه للبلغ فى بلاغته و فصاحته، و للحكيم فى حكمته، و للعالم فى علمه و للاجتماعى فى اجتماعه، و للمقنين فى تقنينهم و للسياسيين فى سياستهم، و للحكام فى حكومتهم، و لجميع العالمين فيما لا ينالونه جميعا كالغيب و الاختلاف فى الحكم و العلم، و البيان.

و من هنا يظهر أن القرآن يدعى عموم إعجازه من جميع الجهات من حيث كونه إعجازا لكل فرد من الإنس و الجن من عامه أو خاصه أو عالم أو جاهل أو رجل أو امرأه أو فاضل بارع فى فضله أو مفضول إذا كان ذا لب يشعر بالقول، فإن الإنسان مفضول على الشعور بالفضيله و إدراك الزياده و النقيصه فيها، فلكل إنسان أن يتأمل ما يعرفه من الفضيله فى نفسه أو فى غيره من أهله ثم يقيس ما أدركه منها إلى ما يشتمل عليه القرآن فيقضى بالحق و النصفه، فهل يتأتى القوه البشريه أن يختلق معارف إلهيه مبرهنه تقابل ما أتى به القرآن و تماثله فى الحقيقه؟ و هل يمكنها أن تأتى بأخلاق مبنيه على أساس الحقائق تعادل ما أتى به القرآن فى الصفاء و الفضيله؟ و هل يمكنها أن يشرع أحكاما تامه فقهيه تحصى جميع أعمال البشر من غير اختلاف يؤدى إلى التناقض مع حفظ روح التوحيد و كلمه التقوى فى كل حكم و نتيجه، و سريان الطهاره فى أصله و فرعه؟ و هل يمكن أن يصدر هذا الإحصاء العجيب و الإتقان الغريب من رجل أمى لم يترب إلا فى حجر قوم حظهم من الإنسانيه على مزاياها التى لا تحصى و كمالاتها التى لا تغيا أن يرتزقوا بالغارات و الغزوات و نهب الأموال و أن يئدوا البنات و يقتلوا الأولاد خشيه إملاق و يفتخروا بالآباء و ينكحوا الأمهات و يتباهوا بالفجور و يذموا العلم و يتظاهروا بالجهل و هم على أنفتهم و حميتهم الكاذبه أذلاء لكل مستدل و خطفه لكل خاطف فيوما لليمن و يوما للحبشه و يوما للروم و يوما للفرس؟ فهذا حال عرب الحجاز فى الجاهليه.

و هل يجترى عاقل على أن يأتي بكتاب يدعيه هدى للعالمين ثم يودعه أخبارا فى الغيب مما مضى و يستقبل و فيمن خلت من الأمم و فيمن سيقدم منهم لا- بالواحد و الا-ثنين فى أبواب مختلفه من القصص و الملاحم و المغيبات المستقبليه ثم لا يتخلف شىء منها عن صراط الصدق؟.

و هل يتمكن إنسان و هو أحد أجزاء نشأه الطبيعه الماديه؛و الدار دار التحول و التكامل؛أن يداخل فى كل شأن من شئون العالم الإنسانى و يلقي إلى الدنيا معارف و علوما و قوانين و حكما و مواعظ و أمثالا و قصصا فى كل ما دق و جل ثم لا يختلف حاله فى شىء منها فى الكمال و النقص و هى متدرجه الوجود متفرقه الإلقاء و فيها ما ظهر ثم تكرر و فيها فروع متفرعه على أصولها؟هذا مع ما نراه أن كل إنسان لا يبقى من حيث كمال العمل و نقصه على حال واحده.

فالإنسان اللبيب القادر على تعقل هذه المعانى لا يشك فى أن هذه المزاي الكليه و غيرها مما يشتمل عليه القرآن الشريف كلها فوق القوه البشرىه و وراء الوسائل الطبيعه الماديه و إن لم يقدر على ذلك فلم يضل فى إنسانيته و لم ينس ما يحكم به وجدانه الفطرى أن يراجع فيما لا يحسن اختباره و يجهل مأخذه إلى أهل الخبره به.

فإن قلت:ما الفائده فى توسعه التحدى إلى العامه و التعدى عن حومه الخاصه فإن العامه سريعه الانفعال للدعوه و الإجابه لكل صنيعه و قد خضعوا لأمثال الباب و البهاء و القاديانى و المسيلمه على أن ما أتوا به و استدلوا عليه أشبه بالهجر و الهديان منه بالكلام.

قلت:هذا هو السبيل فى عموم الإعجاز و الطريق الممكن فى تمييز الكمال و التقدم فى أمر يقع فيه التفاضل و السباق،فإن أفهام الناس مختلفه اختلافا ضروريا و الكمالات كذلك،و النتيجة الضروريه لهاتين المقدمتين أن يدرك صاحب الفهم العالى و النظر الصائب و يرجع من هو دون ذلك فهما و نظرا إلى صاحبه،و الفطره حاكمه و الغريزه قاضيه.

و لا يقبل شىء مما يناله الإنسان بقواه المدركه و يبلغه فهمه العموم و الشمول لكل فرد فى كل زمان و مكان بالوصول و البلوغ و البقاء إلا ما هو من سنخ العلم و المعرفه

على الطريقه المذكوره، فإن كل ما فرض آيه معجزه غير العلم و المعرفة فإنما هو موجود طبيعى أو حادث حسى محكوم بقوانين الماده محدود بالزمان و المكان فليس بمشهود إلا لبعض أفراد الإنسان دون بعض و لو فرض محالا أو كالمحال عمومه لكل فرد منه فإنما يمكن فى مكان دون جميع الأمكنه، و لو فرض اتساعه لكل مكان لم يمكن اتساعه لجميع الأزمنه و الأوقات.

فهذا ما تحدى به القرآن تحديا عاما لكل فرد فى كل مكان فى كل زمان.

### (تحديه بالعلم)

وقد تحدى بالعلم و المعرفة خاصه بقوله تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ» :النحل-٨٩، و قوله: «وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» :الأنعام- ٥٩، إلى غير ذلك من الآيات، فإن الإسلام كما يعلمه و يعرفه كل من سار فى متن تعليماته من كلياته التى أعطاها القرآن و جزئياته التى أرجعها إلى النبى ص بنحو قوله: «مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» :الحشر-٧، و قوله تعالى: «لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ» :النساء-١٠٤، و غير ذلك متعرض للجليل و الدقيق من المعارف الإلهيه «الفلسفيه» و الأخلاق الفاضله و القوانين الدينيه الفرعيه من عبادات و معاملات و سياسات و اجتماعيات و كل ما يمسه فعل الإنسان و عمله، كل ذلك على أساس الفطره و أصل التوحيد بحيث ترجع التفاصيل إلى أصل التوحيد بالتحليل، و يرجع الأصل إلى التفاصيل بالتركيب.

وقد بين بقاؤها جميعا و انطباقها على صلاح الإنسان بمرور الدهور و كرورها بقوله تعالى: «وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» :حم سجده-٤٢. و قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» :الحجر-٩، فهو كتاب لا يحكم عليه حاكم النسخ و لا يقضى عليه قانون التحول و التكامل.

فإن قلت: قد استقرت أنظار الباحثين عن الاجتماع و علماء التقنين اليوم على

وجوب تحول القوانين الوضعيه الاجتماعيه بتحول الاجتماع و اختلافها باختلاف الأزمنه و الأوقات و تقدم المدنيه و الحضاره.

قلت:سيجيء البحث عن هذا الشأن و الجواب عن الشبهه فى تفسير قوله تعالى «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» X الآيه X:البقره-٢١٣.

و جملة القول و ملخصه أن القرآن يبنى أساس التشريع على التوحيد الفطرى و الأخلاق الفاضله الغريزيه و يدعى أن التشريع يجب أن ينمو من بذر التكوين و الوجود.

و هؤلاء الباحثون يبنون نظرهم على تحول الاجتماع مع إلغاء المعنويات من معارف التوحيد و فضائل الأخلاق،فكلمتهم جامده على سير التكامل الاجتماعى المادى العادم لفضيله الروح،و كلمه الله هى العليا.

### (التحدى بمن أنزل عليه القرآن)

و قد تحدى بالنبى الأمى الذى جاء بالقرآن المعجز فى لفظه و معناه،و لم يتعلم عند معلم و لم يترب عند مرب بقوله تعالى: «قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَلَا تَتَعْقِلُونَ» :يونس-١٦،فقد كان(ص) بينهم و هو أحدهم لا يتسامى فى فضل و لا ينطق بعلم حتى لم يأت بشيء من شعر أو نثر نحوا من أربعين سنه و هو ثلثا عمره لا يحوز تقدما و لا- يرد عظيمه من عظام المعالى ثم أتى بما أتى به دفعه فأتى بما عجزت عنه فحولهم و كلت دونه ألسنه بلغائهم،ثم بثه فى أقطار الأرض فلم يجترئ على معارضته معارض من عالم أو فاضل أو ذى لب و فطانه.

و غايه ما أخذوه عليه:أنه سافر إلى الشام للتجاره فتعلم هذه القصص ممن هناك من الرهبان و لم يكن أسفاره إلى الشام إلا مع عمه أبى طالب قبل بلوغه و إلا مع ميسره مولى خديجه و سنه يومئذ خمسه و عشرون و هو مع من يلازمه فى ليله و نهاره،و لو فرض محالا ذلك فما هذه المعارف و العلوم؟و من أين هذه الحكم و الحقائق؟و ممن هذه البلاغه فى البيان الذى خضعت له الرقاب و كلت دونه الألسن الفصاح؟.

و ما أخذوه عليه أنه كان يقف على قين بمكه من أهل الروم كان يعمل السيوف

و يبيعها فأنزل الله سبحانه: «وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّلسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ»  
النحل-١٠٣.

و ما قالوا عليه أنه يتعلم بعض ما يتعلم من سلمان الفارسي و هو من علماء الفرس عالم بالمذاهب و الأديان مع أن سلمان إنما آمن به في المدينة، و قد نزل أكثر القرآن بمكه و فيها من جميع المعارف الكليه و القصص ما نزلت منها بمدينة بل أزيد، فما الذي زاده إيمان سلمان و صحابته؟.

على أن من قرأ العهدين و تأمل ما فيهما ثم رجع إلى ما قصه القرآن من تواريخ الأنبياء السالفين و أممهم رأى أن التاريخ غير التاريخ و القصة غير القصة، ففيهما عشرات و خطايا لأنبياء الله الصالحين تنبو الفطره و تنتفر من أن تنسبها إلى المتعارف من صلحاء الناس و عقلائهم، و القرآن يبرئهم منها، و فيها أمور أخرى لا يتعلق بها معرفه حقيقه و لا فضيله خلقيه و لم يذكر القرآن منها إلا ما ينفع الناس في معارفهم و أخلاقهم و ترك الباقي و هو الأكثر.

### (تحدى القرآن بالإخبار عن الغيب)

و قد تحدى بالإخبار عن الغيب بآيات كثيره، منها إخباره بقصص الأنبياء السالفين و أممهم كقوله تعالى: «تِلْكَ مِنْ آيَاتِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا» X الآية X: هود-٤٩، و قوله تعالى بعد قصه يوسف: «ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ» : يوسف-١٠٢ و قوله تعالى في قصه مريم: «ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ» : آل عمران-٤٤ و قوله تعالى: «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» : مريم-٣٤ إلى غير ذلك من الآيات.

و منها الإخبار عن الحوادث المستقبله كقوله تعالى: «غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ» : الروم-٣، ٢، و قوله تعالى في رجوع النبي إلى مكه بعد الهجره: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا» : القصص-

٨٥، و قوله تعالى «لَتَبْدَأَنَّ الْمَسَاجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُخَلِّقِينَ رُؤْسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ» X الآيه X:الفتح-٢٧، و قوله تعالى: «سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ»:الفتح-١٥، و قوله تعالى: «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»:

المائدة-٧٠، و قوله تعالى «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»:الحجر-٩، و آيات أخر كثيره فى وعد المؤمنين و وعيد كفار مكه و مشركيها.

و من هذا الباب آيات أخر فى الملاحم نظير قوله تعالى: «وَ حَرَامٌ عَلَى قَوْمِهِ أَهْلُكُنَّا هُمْ لَا يَزِجُوعُونَ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَاْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ»:الأنبياء-٩٧،٩٥، و قوله تعالى: «وَعِدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ»:النور-٥٥، و قوله تعالى: «قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ»:الأنعام-٦٥، و من هذا الباب قوله تعالى:

«وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ»:الحجر-٢٢، و قوله تعالى «وَ أَتَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ»:الحجر-١٩، و قوله تعالى: «وَ الْجِبَالَ أَوْتَادًا»:النبأ-٧، مما يبتنى حقيقه القول فيها على حقائق علميه مجهوله عند النزول حتى اكتشف الغطاء عن وجهها بالأبحاث العلميه التى وفق الإنسان لها فى هذه الأعصار.

و من هذا الباب(و هو من مختصات هذا التفسير الباحث عن آيات القرآن باستنطاق بعضها ببعض و استشهاد بعضها على بعض) ما فى سورة المائدة من قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ،» X الآيه X:المائدة-٥٤ و ما فى سورة يونس من قوله تعالى: «وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ» X إلى آخر الآيات X:يونس-٤٧، و ما فى سورة الروم من قوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» X الآيه X:الروم-٣٠، إلى غير ذلك من الآيات التى تنبئ عن الحوادث العظيمه التى تستقبل الأمة الإسلاميه أو الدنيا عامه بعد عهد نزول القرآن، و سنورد إن شاء الله تعالى طرفا منها فى البحث عن سورة الإسراء.

وقد تحدى أيضا بعدم وجود الاختلاف فيه، قال تعالى: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»: النساء-٨٢، فإن من الضروري أن المنشأ نشأه المادة والقانون الحاكم فيها قانون التحول والتكامل فما من موجود من الموجودات التي هي أجزاء هذا العالم إلا وهو متدرج الوجود متوجه من الضعف إلى القوة ومن النقص إلى الكمال في ذاته وجميع توابع ذاته و لواحقه من الأفعال والآثار ومن جملتها الإنسان الذي لا يزال يتحول ويتكامل في وجوده وأفعاله وآثاره التي منها آثاره التي يتوسل إليها بالفكر والإدراك، فما من واحد منا إلا وهو يرى نفسه كل يوم أكمل من أمس ولا يزال يعثر في الحين الثاني على سقطات في أفعاله وعثرات في أقواله الصادره منه في الحين الأول، هذا أمر لا ينكره من نفسه إنسان ذو شعور.

وهذا الكتاب جاء به النبي ص نجوما وقرأه على الناس قطعا قطعا في مده ثلاث وعشرين سنه في أحوال مختلفه و شرائط متفاوته في مكه والمدينه في الليل والنهار والحضر والسفر والحرب والسلام في يوم العسره وفي يوم الغلبه وفي يوم الأمن وفي يوم الخوف، وللقاء المعارف الإلهيه وتعليم الأخلاق الفاضله وتقنين الأحكام الدينيه في جميع أبواب الحاجه، ولا يوجد فيه أدنى اختلاف في النظم المتشابه؛ كتابا متشابهة مثنى، ولم يقع في المعارف التي ألقاها والأصول التي أعطاها اختلاف يتناقض بعضها مع بعض وتنافى شيء منها مع آخر، فالآيه تفسر الآيه والبعض يبين البعض، والجمله تصدق الجمله كما

قال علي(ع): (ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض) «نهج البلاغه». ولو كان من عند غير الله لاختلف النظم في الحسن والبهاء والقول في الشداقه والبلاغه والمعنى من حيث الفساد والصحه ومن حيث الإتيان والمتانه.

فإن قلت: هذه مجرد دعوى لا تتكى على دليل وقد أخذ على القرآن مناقضات وإشكالات جمه ربما ألف فيه التأليفات، وهي إشكالات لفظيه ترجع إلى قصوره في جهات البلاغه ومناقضات معنويه تعود إلى خطئه في آرائه وأنظاره وتعليماته، وقد



أجاب عنها المسلمون بما لا- يرجع في الحقيقة إلا- إلى التأويلات التي يحترزها الكلام الجارى على سنن الاستقامه و ارتضاء الفطره السليمه.

قلت: ما أشير إليه من المناقضات و الإشكالات موجوده فى كتب التفسير و غيرها مع أجوبتها و منها هذا الكتاب، فالإشكال أقرب إلى الدعوى الخاليه عن البيان.

و لا تكاد تجد فى هذه المؤلفات التى ذكرها المستشكل شبهه أوردوها أو مناقضه أخذوها إلا و هى مذكوره فى مسفورات المفسرين مع أجوبتها فأخذوا الإشكالات و جمعوها و رتبوها و تركوا الأجوبه و أهملوها، و نعم ما قيل: لو كانت عين الحب متهمه فعين البغض أولى بالتهمه.

فإن قلت: فما تقول: فى النسخ الواقع فى القرآن و قيد نص عليه القرآن نفسه فى قوله: «مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا» البقره- ١٠٦ و قوله: «وَ إِذَا يَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ»: النحل- ١٠١، و هل النسخ إلا اختلاف فى النظر لو سلمنا أنه ليس من قبيل المناقضه فى القول؟.

قلت: النسخ كما أنه ليس من المناقضه فى القول و هو ظاهر كذلك ليس من قبيل الاختلاف فى النظر و الحكم و إنما هو ناش من الاختلاف فى المصداق من حيث قبوله انطباق الحكم يوما لوجود مصلحته فيه و عدم قبوله الانطباق يوما آخر لتبدل المصلحه من مصلحه أخرى توجب حكما آخر، و من أوضع الشهود على هذا أن الآيات المنسوخه الأحكام فى القرآن مقترنه بقرائن لفظيه تومئ إلى أن الحكم المذكور فى الآية سينسخ كقوله تعالى: «وَ اللَّائِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا»: النساء- ١٤، (انظر إلى التلويح الذى تعطيه الجملة الأخيره)، و كقوله تعالى:

«وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا» X إلى أن قال X «فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ»: البقره- ١٠٩ حيث تمم الكلام بما يشعر بأن الحكم مؤجل.

و قد تحدى القرآن بالبلاغه كقوله تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أُنزِلَ بَعْلَمِ اللَّهِ وَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»: هود، ١٣، ١٤.

و الآيه مكيه، و قوله تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ»: يونس - ٣٨، ٣٩. و الآيه أيضا مكيه و فيها التحدى بالنظم و البلاغه فإن ذلك هو الشأن الظاهر من شئون العرب المخاطبين بالآيات يومئذ، فالتاريخ لا يرتاب أن العرب العرباء بلغت من البلاغه فى الكلام مبلغا لم يذكره التاريخ لواحد من الأمم المتقدمه عليهم و المتأخره عنهم و وطئوا موطنًا لم تطأه أقدام غيرهم فى كمال البيان و جزاله النظم و وفاء اللفظ و رعايه المقام و سهوله المنطق. و قد تحدى عليهم القرآن بكل تحد ممكن مما يثير الحميه و يوقد نار الأنفه و العصبيه. و حالهم فى الغرور ببضاعتهم و الاستكبار عن الخضوع للغير فى صناعتهم مما لا يرتاب فيه، و قد طالت مدته التحدى و تمادى زمان الاستنهاض فلم يجيبوه إلا بالتجافى و لم يزداهم إلا العجز و لم يكن منهم إلا الاستخفاء و الفرار، كما قال تعالى: «أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينٍ يَسْتَعْشُونَ بِلِئَابِهِمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ»: هود - ٥.

و قد مضى من القرون و الأحقاب ما يبلغ أربعة عشر قرنا و لم يأت بما يناظره آت و لم يعارضه أحد بشيء إلا أخزى نفسه و افتضح فى أمره.

و قد ضبط النقل بعض هذه المعارضات و المناقشات، فهذا مسيلمه عارض سوره الفيل بقوله: «الفيل ما الفيل و ما أدريك ما الفيل له ذنب و بيل و خرطوم طويل» و فى كلام له فى الوحي يخاطب السجاح النبيه «فقل لوجه فيكن إيلجا، و نخرجه منكن إخراجا» فانظر إلى هذه الهذيان و اعتبر، و هذه سوره عارض بها الفاتحه بعض النصارى «الحمد للرحمن. رب الأكوان الملك الديان. لك العباده و بك المستعان اهدنا صراط الإيمان» إلى غير ذلك من التقوليات.

فإن قلت: ما معنى كون التأليف الكلامي بالغاً إلى مرتبه معجزه للإنسان و وضع الكلام مما سمحت به قريحه الإنسان؟ فكيف يمكن أن يترشح من القريحه ما لا- تحيط به و الفاعل أقوى من فعله و منشأ الأثر محيط بأثره؟ و بتقريب آخر الإنسان هو الذى جعل اللفظ علامه داله على المعنى لضروره الحاجه الاجتماعيه إلى تفهيم الإنسان ما فى ضميره لغيره فخاصه الكشف عن المعنى فى اللفظ خاصه وضعيه اعتباريه مجعوله للإنسان، و من المحال أن يتجاوز هذه المترشحه عن قريحه الإنسان حد قريحته فتبلغ مبلغاً لا- تسعه طاقه القريحه، فمن المحال حينئذ أن يتحقق فى اللفظ نوع من الكشف لا تحيط به القريحه و إلا كانت غير الدلاله الوضعيه الاعتباريه، مضافاً إلى أن التراكيب الكلاميه لو فرض أن بينها تركيباً بالغاً حد الإعجاز كان معناه أن كل معنى من المعانى المقصوده ذو تراكيب كلاميه مختلفه فى النقص و الكمال و البلاغه و غيرها، و بين تلك التراكيب تركيب هو أرقاها و أبلغها لا تسعها طاقه البشر، و هو التركيب المعجز، و لازمه أن يكون فى كل معنى مطلوب تركيب واحد إعجازى، مع أن القرآن كثيراً ما يورد فى المعنى الواحد بيانات مختلفه و تراكيب متفرقه، و هو فى القصص واضح لا ينكر، و لو كانت تراكيبه معجزه لم يوجد منها فى كل معنى مقصود إلا واحد لا غير.

قلت: هاتان الشبهتان و ما شاكلهما هى الموجه لجمع من الباحثين فى إعجاز القرآن فى بلاغته أن يقولوا بالصرف، و معنى الصرف أن الإتيان بمثل القرآن أو سور أو سوره واحده منه محال على البشر لمكان آيات التحدى و ظهور العجز من أعداء القرآن منذ قرون، و لكن لا- لكون التأليفات الكلاميه التى فيها فى نفسها خارجه عن طاقه الإنسان و فائقه على القوه البشريه، مع كون التأليفات جميعاً أمثالا لنوع النظم الممكن للإنسان، بل لأن الله سبحانه يصرف الإنسان عن معارضتها و الإتيان بمثلها بالإرادته الإلهيه الحاكمه على إرادته الإنسان حفظاً لآيه النبوه و وقايه لحمى الرساله.

و هذا قول فاسد لا ينطبق على ما يدل عليه آيات التحدى بظاهرها كقوله «قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ» X الآية X: هود- ١٣- ١٤، فإن الجملة الأخيره ظاهره فى أن الاستدلال بالتحدى إنما هو على كون القرآن نازلاً- لا- كلاماً تقوله رسول الله ص و أن نزوله إنما هو بعلم الله لا بإنزال الشياطين

كما قال تعالى «أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ» :الطور-٣٤، و قوله تعالى: «وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ السَّنَابِلُ وَالرِّجَالُ يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ» :الشعراء-٢١٢، و الصرف الذى يقولون به إنما يدل على صدق الرسالة بوجود آية هي الصرف، لا على كون القرآن كلاما لله نازلا من عنده، و نظير هذه الآيه الآيه الأخرى، و هي قوله: «قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ» X الآيه X: يونس-٣٩، فإنها ظاهره فى أن الذى يوجب استحاله إتيان البشر بمثل القرآن و ضعف قواهم و قوى كل من يعينهم على ذلك من تحمل هذا الشأن هو أن للقرآن تأويلا. لم يحيطوا بعلمه فكذبوه، و لا. يحيط به علما إلا. الله فهو الذى يمنع المعارض عن أن يعارضه، لا أن الله سبحانه يصرفهم عن ذلك مع تمكنهم منه لو لا الصرف بإرادته من الله تعالى.

و كذا قوله تعالى: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» X الآيه X: النساء-٨٢، فإنه ظاهر فى أن الذى يعجز الناس عن الإتيان بمثل القرآن إنما هو كونه فى نفسه على صفة عدم الاختلاف لفظا و معنى و لا. يسع لمخلوق أن يأتى بكلام غير مشتمل على الاختلاف، لا أن الله صرفهم عن مناقضته بإظهار الاختلاف الذى فيه هذا، فما ذكروه من أن إعجاز القرآن بالصرف كلام لا ينبغى الركون إليه.

و أما الإشكال باستلزام الإعجاز من حيث البلاغه المحال، بتقريب أن البلاغه من صفات الكلام الموضوع و وضع الكلام من آثار القريحه الإنسانيه فلا. يمكن أن يبلغ من الكمال حدا لا تسعه طاقه القريحه و هو مع ذلك معلول لها لا لغيرها، فالجواب عنه أن الذى يستند من الكلام إلى قريحه الإنسان إنما هو كشف اللفظ المفرد عن معناه، و أما سرد الكلام و نضد الجمل بحيث يحاكي جمال المعنى المؤلف و هيئته على ما هو عليه فى الذهن بطبعه حكاية تامه أو ناقصه و إراءه واضحه أو خفيه، و كذا تنظيم الصوره العلميه فى الذهن بحيث يوافق الواقع فى جميع روابطه و مقدماته و مقارناته و لواحقه أو فى كثير منها أو فى بعضها دون بعض فإنما هو أمر لا يرجع إلى وضع الألفاظ بل إلى نوع مهاره فى صناعه البيان و فن البلاغه تسمح به القريحه فى سرد الألفاظ و نظم

الأدوات اللفظية و نوع لطف فى الذهن يحيط به القوه الذاهنه على الواقعه المحكيه بأطرافها و لوازمها و متعلقاتها.

فهاهنا جهات ثلاث يمكن أن تجتمع فى الوجود أو تفترق فربما أحاط إنسان بلغه من اللغات فلا يشذ عن علمه لفظ لكنه لا يقدر على التهجى و التكلم، و ربما تمهر الإنسان فى البيان و سرد الكلام لكن لا علم له بالمعارف و المطالب فيعجز عن التكلم فيها بكلام حافظ لجهات المعنى حاكك لجمال صورته التى هو عليها فى نفسه، و ربما تبحر الإنسان فى سلسله من المعارف و المعلومات و لطف قريحته و رقت فطرته لكن لا يقدر على الإفصاح عن ما فى ضميره، و عى عن حكاية ما يشاهده من جمال المعنى و منظره البهيج.

فهذه أمور ثلاثة: أولها راجع إلى وضع الإنسان بقريحته الاجتماعيه، و الثانى و الثالث راجعان إلى نوع من لطف القوه المدركه، و من البين أن إدراك القوى المدركه منا محدوده مقدره لا- نقدر على الإحاطه بتفاصيل الحوادث الخارجيه و الأمور الواقعيه بجميع روابطها، فلسنا على أمن من الخطأ قط فى وقت من الأوقات، و مع ذلك فالاستكمال التدريجى الذى فى وجودنا أيضا يوجب الاختلاف التدريجى فى معلوماتنا أخذنا من النقص إلى الكمال، فأى خطيب أشدق و أى شاعر مفلق فرضته لم يكن ما يأتیه فى أول أمره موازنا لما تسمح به قريحته فى أواخر أمره؟ فلو فرضنا كلاما إنسانيا أى كلام فرضناه لم يكن فى مأمن من الخطأ لفرض عدم اطلاع متكلمه بجميع أجزاء الواقع و شرائطه (أولا-) و لم يكن على حد كلامه السابق و لا- على زنه كلامه اللاحق بل و لا أوله يساوى آخره و إن لم نشعر بذلك لدقه الأمر، لكن حكم التحول و التكامل عام (ثانيا)، و على هذا فلو عثرنا على كلام فصل لا هزل فيه (و جد الهزل هو القول بغير علم محيط) و لا اختلاف يعتريه لم يكن كلاما بشريا، و هو الذى يفيدہ القرآن بقوله: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» X X الآية X: النساء- ٨٢، و قوله تعالى: «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَلْقَوْلُ فَضْلٌ وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ:» الطارق- ١٤. انظر إلى موضع القسم بالسما و الأرض المتغيرتين و المعنى المقسم به فى عدم تغييره و اتكائه على حقيقه ثابتة هى تأويله (و سيأتى ما يرد فى القرآن من لفظ التأويل)، و قوله تعالى: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ

مَحْفُوظٍ» : البروج-٢٢، وقوله تعالى: «وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِذَا جَعَلْتَاهُ فُرْقَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَمَدِينًا لَعَلِّي حَكِيمٌ»: الزخرف-٤. وقوله تعالى:

«فَلَا أُفْسِدُكُمْ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ»: الواقعة-٧٩، فهذه الآيات و نظائرها تحكى عن اتكاء القرآن فى معانيه على حقائق ثابتة غير متغيره و لا متغير ما يتكى عليها.

إذا عرفت ما مر علمت أن استناد وضع اللغة إلى الإنسان لا يقتضى أن لا يوجد تأليف كلامى فوق ما يقدر عليه الإنسان الواضع به، و ليس ذلك إلا- كالقول بأن القين الصانع للسيوف يجب أن يكون أشجع من يستعملها و واضح النرد و الشطرنج يجب أن يكون أمهر من يلعب بهما و مخترع العود يجب أن يكون أقوى من يضرب بها.

فقد تبين من ذلك كله أن البلاغه التامه معتمده على نوع من العلم المطابق للواقع من جهه مطابقه اللفظ للمعنى و من جهه مطابقه المعنى المعقول للخارج الذى يحكيه الصورة الذهنيه.

أما اللفظ فأن يكون الترتيب الذى بين أجزاء اللفظ بحسب الوضع مطابقا للترتيب الذى بين أجزاء المعنى المعبر عنه باللفظ بحسب الطبع فيطابق الوضع الطبع كما قال الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى دلائل الإعجاز.

و أما المعنى فأن يكون فى صحته و صدقه معتمدا على الخارج الواقع بحيث لا يزول عما هو عليه من الحقيقة، و هذه المرتبه هى التى يتكى عليها المرتبه السابقه، فكم من هزل بليغ فى هزليته لكنه لا يقاوم الجد، و كم من كلام بليغ مبنى على الجهاله لكنه لا يعارض و لا- يسعه أن يعارض الحكمه، و الكلام الجامع بين عذوبه اللفظ و جزاله الأسلوب و بلاغه المعنى و حقيقه الواقع هو أرقى الكلام.

و إذا كان الكلام قائما على أساس الحقيقه و منطبق المعنى عليها تمام الانطباق لم يكذب الحقائق الآخر و لم تكذبه فإن الحق مؤتلف الأجزاء و متحد الأركان، لا يبطل حق حقا، و لا يكذب صدق صدقا، و الباطل هو الذى ينافى الباطل و ينافى الحق، انظر إلى مغزى قوله سبحانه و تعالى: «فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ»: يونس-٣٢، فقد جعل الحق واحدا لا تفرق فيه و لا تشتت. و انظر إلى قوله تعالى: «وَ لَا

تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ»: الأنعام-١٥٣. فقد جعل الباطل متشتتا ومشتتا ومتفرقا ومفرقا.

و إذا كان الأمر كذلك فلا- يقع بين أجزاء الحق اختلاف بل نهايه الايتلاف، يجر بعضه إلى بعض، و ينتج بعضه البعض كما يشهد بعضه على بعض و يحكى بعضه البعض.

و هذا من عجيب أمر القرآن فإن الآيه من آياته لا تكاد تصمت عن الدلاله و لا تعقم عن الإنتاج، كلما ضمت آيه إلى آيه مناسبه أنتجت حقيقه من أبحاث الحقائق ثم الآيه الثالثه تصدقها و تشهد بها، هذا شأنه و خاصته، و سترى فى خلال البيانات فى هذا الكتاب نبذا من ذلك، على أن الطريق متروك غير مسلوک و لو أن المفسرين ساروا هذا المسير لظهر لنا إلى اليوم ينايع من بحاره العذبه و خزائن من أثقاله النفيسه.

فقد اتضح بطلان الإشكال من الجهتين جميعا فإن أمر البلاغه المعجزه لا يدور مدار اللفظ حتى يقال إن الإنسان هو الواضع للكلام فكيف لا يقدر على أبلغ الكلام و أفصحه و هو واضح أو يقال إن أبلغ التركيبات المتصوره تركيب واحد من بينها فكيف يمكن التعبير عن معنى واحد بتركيبات متعدده مختلفه السياق و الجميع فائقه قدره البشر بالغه حد الإعجاز بل المدار هو المعنى المحافظ لجميع جهات الذهن و الخارج.

### (معنى الآيه المعجزه فى القرآن و ما يفسر به حقيقتها)

و لا شبهه فى دلالة القرآن على ثبوت الآيه المعجزه و تحققها بمعنى الأمر الخارق للعادة الدال على تصرف ما وراء الطبيعه فى عالم الطبيعه و نشأه ماده لا بمعنى الأمر المبطل لضروره العقل.

و ما تمحله بعض المنتسبين إلى العلم من تأويل الآيات الداله على ذلك توفيقا بينها و بين ما يتراءى من ظواهر الأبحاث الطبيعيه «العلميه» اليوم تكلف مردود إليه.

و الذى يفيد القرآن الشريف فى معنى خارق العاده و إعطاء حقيقته نذكره فى

## ١ تصديق القرآن لقانون العلية العامه

إن القرآن يثبت للحوادث الطبيعیه أسبابا و يصدق قانون العلية العامه كما يثبت ضروره العقل و تعتمد عليه الأبحاث العلمیه و الأنظار الاستدلاليه، فإن الإنسان مفطور على أن يعتقد لكل حادث مادی عله موجب من غير تردد و ارتياب. و كذلك العلوم الطبيعیه و سائر الأبحاث العلمیه تعلق الحوادث و الأمور المربوطه بما تجده من أمور أخرى صالحه للتعليل، و لا نعى بالعله إلا أن يكون هناك أمر واحد أو مجموع أمور إذا تحققت فى الطبيعیه مثلا تحقق عندها أمر آخر نسميه المعلول بحكم التجارب كدلاله التجربه على أنه كلما تحقق احتراق لزم أن يتحقق هناك قبله عله موجب له من نار أو حركه أو اصطكاك أو نحو ذلك، و من هنا كانت الكلیه و عدم التخلف من أحكام العلية و المعلولیه و لوازمهما.

و تصديق هذا المعنى ظاهر من القرآن فيما جرى عليه و تكلم فيه من موت و حياه و رزق و حوادث أخرى علويه سماويه أو سفليه أرضيه على أظهر وجه، و إن كان يسندها جميعا بالآخره إلى الله سبحانه لفرض التوحيد.

فالقرآن يحكم بصحه قانون العلية العامه بمعنى أن سببا من الأسباب إذا تحقق مع ما يلزمه و يكتنف به من شرائط التأثير من غير مانع لزمه وجود مسببه مترتبا عليه بإذن الله سبحانه و إذا وجد المسبب كشف ذلك عن تحقق سببه لا محاله.

## ٢ إنبات القرآن ما يخرق العاده

ثم إن القرآن يقتص و يخبر عن جمله من الحوادث و الوقائع لا- يساعد عليه جريان العاده المشهوده فى عالم الطبيعیه على نظام العله و المعلول الموجود، و هذه الحوادث الخارقه للعاده هى الآيات المعجزه التى ينسبها إلى عده من الأنبياء الكرام كمعجزات نوح و هود و صالح و إبراهيم و لوط و داود و سليمان و موسى و عيسى و محمد ص فإنها أمور خارقه للعاده المستمره فى نظام الطبيعیه.



لكن يجب أن يعلم أن هذه الأمور و الحوادث و إن أنكرتها العاده و استبعدتها إلا- أنها ليست أموراً مستحيله بالذات بحيث يبطلها العقل الضرورى كما يبطل قولنا الإيجاب و السلب يجتمعان معا و يرتفعان معا من كل جهه و قولنا الشىء يمكن أن يسلب عن نفسه و قولنا:الواحد ليس نصف الا-ثنين و أمثال ذلك من الأمور الممتنعه بالذات كيف؟ و عقول جم غفير من الملمين منذ أعصار قديمه تقبل ذلك و ترضيه من غير إنكار و رد و لو كانت المعجزات ممتنعه بالذات لم يقبلها عقل عاقل و لم يستدل بها على شىء و لم ينسبها أحد إلى أحد.

على أن أصل هذه الأمور أعنى المعجزات ليس مما تنكره عاده الطبيعه بل هى مما يتعاوره نظام الماده كل حين بتبديل الحى إلى ميت و الميت إلى الحى و تحويل صورته إلى صورته و حادثه إلى حادثه و رخاء إلى بلاء و بلاء إلى رخاء، و إنما الفرق بين صنع العاده و بين المعجزه الخارقه هو أن الأسباب الماديه المشهوده التى بين أيدينا إنما تؤثر أثرها مع روابط مخصوصه و شرائط زمانيه و مكانيه خاصه تقضى بالتدرىج فى التأثير، مثلا العصا و إن أمكن أن تصير حيه تسعى و الجسد البالى و إن أمكن أن يصير إنسانا حيا لكن ذلك إنما يتحقق فى العاده بعلة خاصه و شرائط زمانيه و مكانيه مخصوصه تنتقل بها الماده من حال إلى حال و تكتسى صورته بعد صورته حتى تستقر و تحل بها الصوره الأخيره المفروضه على ما تصدقه المشاهده و تجربته لا مع أى شرط اتفق أو من غير عله أو بإرادته مريد كما هو الظاهر من حال المعجزات و الخوارق التى يقصها القرآن.

و كما أن الحس و التجربه الساذجين لا يساعدان على تصديق هذه الخوارق للعاده كذلك النظر العلمى الطبيعى،لكونه معتمدا على السطح المشهود من نظام العله و المعلول الطبيعيين،أعنى به السطح الذى يستقر عليه التجارب العلمى اليوم و الفرضيات المعلقة للحوادث الماديه.

إلا- أن حدوث الحوادث الخارقه للعاده إجمالا ليس فى وسع العلم إنكاره و الستر عليه،فكم من أمر عجيب خارق للعاده يأتى به أرباب المجاهده و أهل الارتياض كل يوم تمتلئ به العيون و تنشره النشريات و يضبطه الصحف و المسفورات بحيث لا يبقى لذى لب فى وقوعها شك و لا فى تحققها ريب.

و هذا هو الذى ألجأ الباحثين فى الآثار الروحية من علماء العصر أن يعللوه بجريان أمواج مجهوله إلكتروسيه مغناطيسيه فافترضوا أن الارتياضات الشاقه تعطى للإنسان سلطه على تصريف أمواج مرموزه قويه تملكه أو تصاحبه إرادته و شعوره و بذلك يقدر على ما يأتى به من حركات و تحريكات و تصرفات عجيبه فى المادة خارقه للعاده بطريق القبض و البسط و نحو ذلك.

و هذه الفرضيه لو تمت و أطردت من غير انتقاض لأدت إلى تحقق فرضيه جديده و سيعه تعلل جميع الحوادث المتفرقه التى كانت تعللها جميعا أو تعلل بعضها الفرضيات القديمه على محور الحركه و القوه و لسقت جميع الحوادث الماديه إلى التعلل و الارتباط بعلة واحده طبيعيه.

فهذا قولهم و الحق معهم فى الجمله إذ لا- معنى لمعلول طبيعي لا- عله طبيعيه له مع فرض كون الرابطه طبيعيه محفوظه، و بعبارة أخرى إننا لا- نعنى بالعله الطبيعيه إلا- أن تجتمع عدّه موجودات طبيعيه مع نسب و روابط خاصه فيتكون منها عند ذلك موجود طبيعي جديد حادث متأخر عنها مربوط بها بحيث لو انتقض النظام السابق عليه لم يحدث و لم يتحقق وجوده.

و أما القرآن الكريم فإنه و إن لم يشخص هذه العله الطبيعيه الأخيره التى تعلل جميع الحوادث الماديه العاديه و الخارقه للعاده (على ما نحسبه) بتشخيص اسمه و كيفيه تأثيره لخروجه عن غرضه العام إلا أنه مع ذلك يثبت لكل حادث مادى سببا ماديا بإذن الله تعالى، و بعبارة أخرى يثبت لكل حادث مادى مستند فى وجوده إلى الله سبحانه (و الكل مستند) مجرى ماديا و طريقا طبيعيا به يجرى فيض الوجود منه تعالى إليه.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾: الطلاق- ٣، فإن صدر الآيه يحكم بالإطلاق من غير تقييد أن كل من اتقى الله و توكل عليه و إن كانت الأسباب العاديه المحسوبه عندنا أسبابا تقضى بخلافه و تحكم بعدمه فإن الله سبحانه حسبه فيه و هو كائن لا محاله، كما يدل عليه أيضا إطلاق قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: البقره- ١٨٦، و قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: المؤمن- ٦٠، و قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾: الزمر- ٣٦.

ثم الجملة التالية و هي قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ بِأَلْعِ أَمْرِهِ»: الطلاق-٣، يعلل إطلاق الصدر، و في هذا المعنى قوله: «وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَيَّ أَمْرِهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»: يوسف-٢١، و هذه جملة مطلقة غير مقيدة بشيء البتة؛ فله سبحانه سبيل إلى كل حادث تعلقت به مشيته و إرادته و إن كانت السبل العادية و الطرق المألوفة مقطوعة منتفيه هناك.

و هذا يحتمل وجهين: أحدهما أن يتوسل تعالى إليه من غير سبب مادي و عله طبيعیه بل بمجرد الإرادة وحدها، و ثانيهما أن يكون هناك سبب طبيعي مستور عن علمنا يحيط به الله سبحانه و يبلغ ما يريده من طريقه إلا أن الجملة التالية من الآيه المعللة لما قبلها أعنى قوله تعالى، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا؛ تدل على ثانی الوجهين فإنها تدل على أن كل شيء من المسببات أعم مما تقتضيه الأسباب العادية أو لا تقتضيه فإن له قدرا قدره الله سبحانه عليه، و ارتباطات مع غيره من الموجودات، و اتصالات وجوديه مع ما سواه، لله سبحانه أن يتوسل منها إليه و إن كانت الأسباب العادية مقطوعة عنه غير مرتبطة به إلا أن هذه الاتصالات و الارتباطات ليست مملوكة للأشياء أنفسها حتى تطيع في حال و تعصى في أخرى بل مجعولة بجعله تعالى مطيعه منقاد له.

فالآيه تدل على أنه تعالى جعل بين الأشياء جميعها ارتباطات و اتصالات له أن يبلغ إلى كل ما يريد من أى وجه شاء و ليس هذا نفيا للعلية و السببيه بين الأشياء بل إثبات أنها بيد الله سبحانه يحولها كيف شاء و أراد، ففي الوجود عليه و ارتباط حقيقى بين كل موجود و ما تقدمه من الموجودات المنتظمه غير أنها ليست على ما نجده بين ظواهر الموجودات بحسب العاده (و لذلك نجد الفرضيات العلميه الموجوده قاصره عن تعليل جميع الحوادث الوجوديه) بل على ما يعلمه الله تعالى و ينظمه.

و هذه الحقيقه هي التي تدل عليها آيات القدر كقوله تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ»: الحجر-٢١، و قوله تعالى: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»: القمر-٤٩، و قوله تعالى: «وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا»، الفرقان-٢ و قوله تعالى: «الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى»: الأعلى-٣. و كذا قوله تعالى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ

نَبْرَأُهَا»: الحديد-٢٢، وقوله تعالى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»: التغابن- ١١. فإن الآيه الأولى و كذا بقيه الآيات تدل على أن الأشياء تنزل من ساحه الإطلاق إلى مرحله التعين و التشخص بتقدير منه تعالى و تحديد يتقدم على الشىء و يصاحبه، و لا معنى لكون الشىء محدودا مقدرافى وجوده إلا أن يتحدد و يتعين بجميع روابطه التى مع سائر الموجودات و الموجود المادى مرتبط بمجموعه من الموجودات الماديه الأخرى التى هى كالعالب الذى يقبل به الشىء و يعين وجوده و يحدده و يقدره فما من موجود مادى إلا و هو متقدر مرتبط بجميع الموجودات الماديه التى تتقدمه و تصاحبه فهو معلول لآخر مثله لا محاله.

و يمكن أن يستدل أيضا على ما مر بقوله تعالى: «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ»: المؤمن-٦٢، وقوله تعالى: «مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصَةِ بُيُوتِهِمْ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»: هود-٥٦. فإن الآيتين بانضمام ما مرت الإشاره إليه من أن الآيات القرآنيه تصدق قانون العليه العام تنتج المطلوب.

و ذلك أن الآيه الأولى تعمم الخلقه لكل شىء فما من شىء إلا و هو مخلوق لله عز شأنه، و الآيه الثانيه تنطق بكون الخلقه و الإيجاد على وتيره واحده و نسق منتظم من غير اختلاف يؤدى إلى الهرج و الجراف.

و القرآن كما عرفت يصدق قانون العليه العام فى ما بين الموجودات الماديه، ينتج أن نظام الوجود فى الموجودات الماديه سواء كانت على جرى العاده أو خارقه لها على صراط مستقيم غير متخلف و وتيره واحده فى استناد كل حادث فيه إلى العله المتقدمه عليه الموجه له.

و من هنا يستنتج أن الأسباب العاديه التى ربما يقع التخلف بينها و بين مسبباتها ليست بأسباب حقيقه بل هناك أسباب حقيقه مطرده غير متخلفه الأحكام و الخواص كما ربما يؤيده التجارب العلمى فى جراثيم الحياه و فى خوارق العاده كما مر.

### ٣ القرآن يسند ما أسند إلى العله الماديه إلى الله تعالى

ثم إن القرآن كما يثبت بين الأشياء العليه و المعلوليه و يصدق سببيه البعض للبعض كذلك

يسند الأمر في الكل إلى الله سبحانه فيستنتج منه أن الأسباب الوجودية غير مستقلة في التأثير و المؤثر الحقيقي بتمام معنى الكلمه ليس إلا الله عز سلطانه. قال تعالى:

«الَّا لَّهُ الْخَلْقُ وَ الْمَأْمُرُ»: الأعراف-٥٣، و قال تعالى «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ»: البقره-٢٨٤، و قال تعالى: «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ»: الحديد-٥، و قال تعالى: «قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»: النساء-٧٧. إلى غير ذلك من الآيات الكثيره الداله على أن كل شىء مملوك محض لله لا يشاركه فيه أحد، و له أن يتصرف فيها كيف شاء و أراد و ليس لأحد أن يتصرف فى شىء منها إلا من بعد أن يأذن الله لمن شاء و يملكه التصرف من غير استقلال فى هذا التمليك أيضا، بل مجرد إذن لا يستقل به المأذون له دون أن يعتمد على إذن الإذن، قال تعالى: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ»: آل عمران-٢٦، و قال تعالى: «الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى»: طه-٥٠، إلى غير ذلك من الآيات، و قال تعالى أيضا: «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ»: البقره-٢٥٥، و قال تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ»: يونس-٣.

فالسبب تملك السببيه بتمليكه تعالى، و هى غير مستقلة فى عين أنها مالكة.

و هذا المعنى هو الذى يعبر سبحانه عنه بالشفاعه و الإيذن، فمن المعلوم أن الإيذن إنما يستقيم معناه إذا كان هناك مانع من تصرف المأذون فيه، و المانع أيضا إنما يتصور فيما كان هناك مقتض موجود يمنع المانع عن تأثيره و يحول بينه و بين تصرفه.

فقد بان أن فى كل السبب مبدأ مؤثرا مقتضيا للتأثير به يؤثر فى مسببه، و الأمر مع ذلك لله سبحانه.

#### ٤ القرآن يثبت تأثيرا فى نفوس الأنبياء فى الخوارق

ثم إنه تعالى قال: «وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ»: المؤمن-٧٨.

فأفاد إناطه إتيان آيه من أى رسول بإذن الله سبحانه فبين أن إتيان الآيات

المعجزه من الأنبياء و صدورها عنهم إنما هو لمبدأ مؤثر موجود في نفوسهم الشريفه متوقف في تأثيره على الإذن كما مر في الفصل السابق.

وقال تعالى: ﴿وَ اتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ۗ وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَ مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِإِذْنِ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: البقره-١٠٢.

و الآيه كما أنها تصدق صحه السحر في الجملة كذلك تدل على أن السحر أيضا كالمعجزه في كونه عن مبدأ نفساني في الساحر لمكان الإذن.

و بالجملة جميع الأمور الخارقه للعادة سواء سميت معجزه أو سحرا أو غير ذلك ككرامات الأولياء و سائر الخصال المكتسبه بالارتياضات و المجاهدات جميعها مستنده إلى مباد نفسانيه و مقتضيات إراديه على ما يشير إليه كلامه سبحانه إلا أن كلامه ينص على أن المبدأ الموجود عند الأنبياء و الرسل و المؤمنين هو الفائق الغالب على كل سبب و في كل حال، قال تعالى: ﴿وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَ إِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾: الصافات-١٧٣، و قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رَسُولِي﴾: المجادله-٢١، و قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾: المؤمن-٥١. و الآيات مطلقه غير مقيده.

و من هنا يمكن أن يستنتج أن هذا المبدأ الموجود المنصور أمر وراء الطبيعه و فوق الماده. فإن الأمور الماديه مقدره محدوده مغلوبه لما هو فوقها قدرا و حدا عند التزاحم و المغالبه، و الأمور المجرده أيضا و إن كانت كذلك إلا أنها لا تزاحم بينها و لا تمنع إلا أن تتعلق بالماده. بعض التعلق و هذا المبدأ النفساني المجرد المنصور بإراده الله سبحانه إذا قابل مانعا ماديا أفاض إمدادا على السبب بما لا يقاومه سبب مادي يمنعه فافهم.

## ٥ القرآن كما يسند الخوارق إلى تأثير النفوس يسندها إلى أمر الله تعالى

ثم إن الجملة الأخيره من الآيه السابقه في الفصل السابق أعنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا

جاء أمر الله قضي بالحق الآيه، تدل على أن تأثير هذا المقتضى يتوقف على أمر من الله تعالى يصاحب الإذن الذي كان يتوقف عليه أيضا فتأثير هذا المقتضى يتوقف على مصادفته الأمر أو اتحاده معه. وقد فسر الأمر في قوله تعالى «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» : يس- ٨٢، بكلمه الإيجاد و قول: كن و قال تعالى: «إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاوُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» : الدهر- ٢٩، ٣٠ و قال: «إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاوُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» : التكوير- ٢٩، ٢٨، ٢٧، دلت الآيات على أن الأمر الذى للإنسان إن يريده و بيده زمام اختياره لا يتحقق موجودا إلا أن يشاء الله ذلك بأن يشاء أن يشاء الإنسان و يريد إرادته الإنسان فإن الآيات الشريفة فى مقام أن أفعال الإنسان الإرادية و إن كانت بيد الإنسان بإرادته لكن الإرادة و المشيه ليست بيد الإنسان بل هى مستنده إلى مشيه الله سبحانه، و ليست فى مقام بيان أن كل ما يريده الإنسان فقد أَرَادَهُ اللهُ فإنه خطأ فاحش و لازمه أن يتخلف الفعل عن إرادته الله سبحانه عند تخلفه عن إرادته الإنسان، تعالى الله عن ذلك. مع أنه خلاف ظواهر الآيات الكثيره الوارده فى هذا المورد كقوله تعالى: «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى» : السجده- ١٣. و قوله تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا» : يونس- ٩٩، إلى غير ذلك فإرادتنا و مشيتنا إذا تحققت فينا فهى مراده بإرادته الله و مشيته لها و كذا أفعالنا مراده له تعالى من طريق إرادتنا و مشيتنا بالواسطه. و هما أعنى الإراده و الفعل جميعا متوقفان على أمر الله سبحانه و كلمه كن.

فالأمر جميعا سواء كانت عاديه أو خارقه للعادة و سواء كان خارق العاده فى جانب الخير و السعاده كالمعجزه و الكرامه، أو فى جانب الشر كالسحر و الكهانه مستنده فى تحققها إلى أسباب طبيعیه، و هى مع ذلك متوقفه على إرادته الله، لا توجد إلا بأمر الله سبحانه أى بأن يصادف السبب أو يتحد مع أمر الله سبحانه.

و جميع الأشياء و إن كانت من حيث استناد وجودها إلى الأمر الإلهي على حد سواء بحيث إذا تحقق الإذن و الأمر تحققت عن أسبابها، و إذا لم يتحقق الإذن و الأمر لم تتحقق، أى لم تتم السببيه إلا أن قسما منها و هو المعجزه من الأنبياء أو ما سأله عبد

ربه بالدعاء لا- يخلو عن إرادته موجبه منه تعالى و أمر عزيمه كما يدل عليه قوله: «كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي»  
XالآيهX:المجادله-٢١. وقوله تعالى: «أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا» XالآيهX:البقره-١٨٦، وغير ذلك من الآيات المذكوره فى  
الفصل السابق.

## ٦ القرآن يسند المعجزه إلى سبب غير مغلوب

فقد تبين من الفصول السابقه من البحث أن المعجزه كسائر الأمور الخارقه للعادة لا تفارق الأسباب العاديه فى الاحتياج إلى سبب طبيعى و أن مع الجميع أسبابا باطنيه و أن الفرق بينها أن الأمور العاديه ملازمه لأسباب ظاهريه تصاحبها الأسباب الحقيقيه الطبيعیه غالبا أو مع الأغلب و مع تلك الأسباب الحقيقيه إرادته الله و أمره، و الأمور الخارقه للعادة من الشرور كالسحر و الكهانته مستنده إلى أسباب طبيعیه مفارقة للعادة مقارنة للسبب الحقيقى بالإذن و الإراده كاستجابته الدعاء و نحو ذلك من غير تحد يبتنى عليه ظهور حق الدعوه و أن المعجزه مستنده إلى سبب طبيعى حقيقى بإذن الله و أمره إذا كان هناك تحد يبتنى عليه صحه النبوه و الرساله و الدعوه إلى الله تعالى و أن القسمين الآخرين يفارقان سائر الأقسام فى أن سببهما لا يصير مغلوبا مقهورا قط بخلاف سائر المسببات.

فإن قلت: فعلى هذا لو فرضنا الإحاطه و البلوغ إلى السبب الطبيعى الذى للمعجزه كانت المعجزه ميسوره ممكنه الإتيان لغير النبى أيضا و لم يبق فرق بين المعجزه و غيرها إلا بحسب النسبه و الإضافه فقط فيكون حينئذ أمر ما معجزه بالنسبه إلى قوم غير معجزه بالنسبه إلى آخرين، و هم المطلعون على سببها الطبيعى الحقيقى، و فى عصر دون عصر، و هو عصر العلم، فلو ظفر البحث العلمى على الأسباب الحقيقيه الطبيعیه القصوى لم يبق مورد للمعجزه و لم تكشف المعجزه عن الحق. و نتيجة هذا البحث أن المعجزه لا حجيه فيها إلا على الجاهل بالسبب فليست حججه فى نفسها.

قلت: كلا- فليست المعجزه معجزه من حيث إنها مستنده إلى سبب طبيعى مجهول حتى تنسلخ عن اسمها عند ارتفاع الجهل و تسقط عن الحجيه، و لا أنها معجزه من حيث استنادها إلى سبب مفارق للعادة، بل هى معجزه من حيث إنها مستنده



إلى أمر مفارق للعاده غير مغلوب السبب قاهره العله البته،و ذلك كما أن الأمر الحادث من جهه استجاباه الدعاء كرامه من حيث استنادها إلى سبب غير مغلوب كشفاء المريض مع أنه يمكن أن يحدث من غير جهته كجهه العلاج بالدواء غير أنه حينئذ أمر عادى يمكن أن يصير سببه مغلوبا مقهورا بسبب آخر أقوى منه.

## ٧ القرآن يعد المعجزه برهانا على صحه الرساله لا دليلا عاما

و هاهنا سؤال و هو أنه ما هى الرابطه بين المعجزه و بين حقيه دعوى الرساله مع أن العقل لا يرى تلازما بين صدق الرسول فى دعوته إلى الله سبحانه و بين صدور أمر خارق للعاده عن الرسول على أن الظاهر من القرآن الشريف،تقرير ذلك فيما يحكيه من قصص عده من الأنبياء كهود و صالح و موسى و عيسى و محمد ص فإنهم على ما يقصه القرآن حينما بثوا دعوتهم سئلوا عن آيه تدل على حقيه دعوتهم فأجابوهم فيما سئلوا و جاءوا بالآيات.

و ربما أعطوا المعجزه فى أول البعثه قبل أن يسألهم أممهم شيئا من ذلك كما قال تعالى فى موسى (ع) و هارون: «اذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِآيَاتِنَا وَ لَا تَبَيِّنَا فِي ذِكْرِنَا» :طه- ٤٢،و قال تعالى فى عيسى(ع): «وَ رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُتْبِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» :آل عمران-٤٩، و كذا إعطاء القرآن معجزه للنبي ص.و بالجمله فالعقل الصريح لا- يرى تلازما بين حقيه ما أتى به الأنبياء و الرسل من معارف المبدإ و المعاد و بين صدور أمر يخرق العاده عنهم.

مضافا إلى أن قيام البراهين الساطعه على هذه الأصول الحقه يغنى العالم البصير بها عن النظر فى أمر الإعجاز،و لذا قيل إن المعجزات لإقناع نفوس العامه لقصور عقولهم عن إدراك الحقائق العقلية و أما الخاصه فإنهم فى غنى عن ذلك.

و الجواب عن هذا السؤال أن الأنبياء و الرسل(ع)لم يأتوا بالآيات المعجزه لإثبات شىء من معارف المبدإ و المعاد مما يناله العقل كالتوحيد و البعث و أمثالها

و إنما اكتفوا في ذلك بحجه للعقل و المخاطبه من طريق النظر و الاستدلال كقوله تعالى:

«قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» إبراهيم-١٠ في الإحتجاج على التوحيد قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بَأْطَالًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَارِ» ص-٢٨ في الإحتجاج على البعث. و إنما سئل الرسل المعجزه و أتوا بها لإثبات رسالتهم و تحقيق دعواها.

و ذلك أنهم ادعوا الرساله من الله بالوحي و أنه بتكليم إلهي أو نزول ملك و نحو ذلك و هذا شىء خارق للعادة في نفسه من غير سنخ الإدراكات الظاهره و الباطنه التي يعرفها عامه الناس و يجدونها من أنفسهم، بل إدراك مستور عن عامه النفوس لو صح وجوده لكان تصرفا خاصا من ما وراء الطبيعه في نفوس الأنبياء فقط، مع أن الأنبياء كغيرهم من أفراد الناس في البشريه و قواها، و لذلك صادفوا إنكارا شديدا من الناس و مقاومه عنيفه في رده على أحد وجهين:

فتاره حاول الناس إبطال دعواهم بالحجه كقوله تعالى: «قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا» إبراهيم-١٠، استدلو فيها على بطلان دعواهم الرساله بأنهم مثل سائر الناس و الناس لا يجدون شيئا مما يدعونه من أنفسهم مع وجود المماثله، و لو كان لكان في الجميع أو جاز للجميع هذا، و لهذا أجاب الرسل عن حجتهم بما حكاه الله تعالى عنهم بقوله: «قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» إبراهيم-١٣، فردوا عليهم بتسليم المماثله و أن الرساله من منن الله الخاصه، و الاختصاص ببعض النعم الخاصه لا ينافي المماثله، فللناس اختصاصات، نعم لو شاء أن يمتن على من يشاء منهم فعل ذلك من غير مانع فالنبوه مختصه ببعض و إن جاز على الكل.

و نظير هذا الإحتجاج قولهم في النبي ص على ما حكاه الله تعالى: «أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا» ص-٨، و قولهم كما حكاه الله: «لَوْ لَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْبِينَ عَظِيمٍ» الزخرف-٣١.

و نظير هذا الإحتجاج أو قريب منه ما في قوله تعالى: «وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ

يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْ لَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَلَكَ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا: الفرقان-  
 ٨، ووجه الاستدلال أن دعوى الرساله توجب أن لا يكون بشرا مثلنا لكونه ذا أحوال من الوحي وغيره ليس فينا فلم يأكل الطعام  
 و يمشى في الأسواق لاكتساب المعيشه؟ بل يجب أن ينزل معه ملك يشاركه في الإنذار أو يلقي إليه كنز فلا يحتاج إلى مشى  
 الأسواق للكسب أو تكون له جنه فيأكل منها لا مما نأكل منه من طعام،فرد الله تعالى عليهم بقوله: «أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ  
 فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَبْطِئُونَ سَبِيلًا» X إلى أن قال X «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَ  
 جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَضْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا»: الفرقان-٢٠، ورد تعالى في موضع آخر مطالبتهم مباشرة الملك للإنذار  
 بقوله: «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ»: الأنعام-٩.

و قريب من ذلك الاحتجاج أيضا ما في قوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْ لَا أَنْزَلْنَا عَلَيْنا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرى رَبَّنَا لَقَدْ  
 اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عَمْتًا كَبِيرًا»: الفرقان-٢١، فأبطلوا بزعمهم دعوى الرساله بالوحي بمطالبة أن يشهدوا نزول الملك أو  
 رؤيه الرب سبحانه لمكان المماثله مع النبي،فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله: «يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَ  
 يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا»: الفرقان-٢٢، فذكر أنهم و الحال حالهم لا يرون الملائكه إلا مع حال الموت كما ذكره في موضع  
 آخر بقوله تعالى: «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ مَا نُنزِّلُ  
 الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ مَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ»: الحجر-٨، ويشتمل هذه الآيات الأخيره على زياده في وجه الاستدلال،و هو تسليم  
 صدق النبي ص في دعواه إلا- أنه مجنون و ما يحكيه و يخبر به أمر يسوله له الجنون غير مطابق للواقع كما في موضع آخر من  
 قوله: «وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَ ازْدَجَرَ»: القمر-٩.

و بالجمله فأمثال هذه الآيات مسوقه لبيان إقامتهم الحجه على إبطال دعوى النبوه من طريق المماثله.

و تاره أخرى أقاموا أنفسهم مقام الإنكار و سؤال الحجه و البينه على صدق

الدعوه لاشتمالها على ما تنكره النفوس و لا- تعرفه العقول(على طريقه المنع مع السند باصطلاح فن المناظره)و هذه البيئه هى المعجزه،بيان ذلك أن دعوى النبوه و الرساله من كل نبى و رسول على ما يقصه القرآن إنما كانت بدعوى الوحى و التكليم الإلهى بلا- واسطه أو بواسطه نزول الملك،و هذا أمر لا- يساعد عليه الحس و لا- تؤيده التجربه فيتوجه عليه الإشكال من جهتين:إحدهما من جهه عدم الدليل عليه،و الثانى من جهه الدليل على عدمه،فإن الوحى و التكليم الإلهى و ما يتلوه من التشريع و التربيه الدينيه مما لا يشاهده البشر من أنفسهم،و العاده الجاريه فى الأسباب و المسببات تنكره فهو أمر خارق للعادة،و قانون العليه العامه لا يجوز،فلو كان النبى صادقاً فى دعواه النبوه و الوحى كان لازمه أنه متصل بما وراء الطبيعه،مؤيد بقوه إلهيه تقدر على خرق العاده و أن الله سبحانه يريد بنبوته و الوحى إليه خرق العاده،فلو كان هذا حقاً و لافرق بين خارق و خارق كان من الممكن أن يصدر من النبى خارق آخر للعادة من غير مانع و أن يخرق الله العاده بأمر آخر يصدق النبوه و الوحى من غير مانع عنه فإن حكم الأمثال واحد فلئن أراد الله هدايه الناس بطريق خارق للعادة و هو طريق النبوه و الوحى فليؤيدها و ليصدقها بخارق آخر و هو المعجزه.

و هذا هو الذى بعث الأمم إلى سؤال المعجزه على صدق دعوى النبوه كلما جاءهم رسول من أنفسهم بعثا بالفطره و الغريزه و كان سؤال المعجزه لتأييد الرساله و تصديقها لا للدلاله على صدق المعارف الحقه التى كان الأنبياء يدعون إليها مما يمكن أن يناله البرهان كالتوحيد و المعاد،و نظير هذا ما لو جاء رجل بالرساله إلى قوم من قبل سيدهم الحاكم عليهم و معه أوامر و نواه يدعيها للسيد فإن بيانه لهذه الأحكام و إقامته البرهان على أن هذه الأحكام مشتمله على مصلحه القوم و هم يعلمون أن سيدهم لا يريد إلا صلاح شأنهم،إنما يكفى فى كون الأحكام التى جاء بها حقه صالحه للعمل،و لا تكفى البراهين و الأدله المذكوره فى صدق رسالته و أن سيدهم أراد منهم بإرساله إليهم ما جاء به من الأحكام بل يطالبونه بينه أو علامه تدل على صدقه فى دعواه ككتاب بخطه و خاتمه يقرءونه،أو علامه يعرفونها،كما قال المشركون للنبي: «حَتَّىٰ تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ» :إسراء-٩٣.

فقد تبين بما ذكرناه أولاً:التلازم بين صدق دعوى الرساله و بين المعجزه و أنها

الدليل على صدق دعواها لا يتفاوت في ذلك حال الخاصه و العامه في دلالتها و إثباتها، و ثانياً أن ما يجده الرسول و النبي من الوحي و يدركه منه من غير سنخ ما نجده بحواسنا و عقولنا النظرية الفكرية، فالوحي غير الفكر الصائب؛ و هذا المعنى في كتاب الله تعالى من الوضوح و السطوع بحيث لا يرتاب فيه من له أدنى فهم و أقل إنصاف.

و قد انحرف في ذلك جمع من الباحثين من أهل العصر فراموا بناء المعارف الإلهيه و الحقائق الدينيه على ما وصفه العلوم الطبيعیه من أصاله الماده المتحوله المتكامله فقد رأوا أن الإدراكات الإنسانيه خواص ماديه مترشحه من الدماغ و أن الغايات الوجوديه و جميع الكمالات الحقيقيه استكمالات فرديه أو اجتماعيه ماديه.

فذكروا أن النبوه نوع نبوغ فكري و صفاء ذهني يستحضر به الإنسان المسمى نبيا كمال قومه الاجتماعى و يريد به أن يخلصهم من ورطه الوحشيه و البربريه إلى ساحة الحضاره و المدنيه فيستحضر ما ورثه من العقائد و الآراء و يطبقها على مقتضيات عصره و محيط حياته، فيقنن لهم أصولاً اجتماعيه و كليات عمليه يستصلح بها أفعالهم الحيويه ثم يتم ذلك بأحكام و أمور عباديه ليستحفظ بها خواصهم الروحيه لافتقار الجامعه الصالحه و المدنيه الفاضله إلى ذلك و يتفرع على هذا الافتراض:

أولاً: أن النبي إنسان متفكر نابغ يدعو قومه إلى صلاح محيطهم الاجتماعى.

و ثانياً: أن الوحي هو انتقاش الأفكار الفاضله في ذهنه.

و ثالثاً: أن الكتاب السماوى مجموع هذه الأفكار الفاضله المنزهه عن التهوسات النفسانيه و الأغراض النفسانيه الشخصيه.

و رابعاً: أن الملائكه التى أخبر بها النبي قوى طبيعیه تدبر أمور الطبيعه أو قوى نفسانيه تفيض كمالات النفوس عليها، و أن روح القدس مرتبه من الروح الطبيعیه الماديه تترشح منها هذه الأفكار المقدسه، و أن الشيطان مرتبه من الروح تترشح منها الأفكار الرديه و تدعو إلى الأعمال الخبيثه المفسده للاجتماع، و على هذا الأسلوب فسروا الحقائق التى أخبر بها الأنبياء كاللوح و القلم و العرش و الكرسي و الكتاب و الحساب و الجنه و النار بما يلائم الأصول المذكوره.

و خامسا: أن الأديان تابعه لمقتضيات أعصارها تتحول بتحولها.

و سادسا: أن المعجزات المنقوله عن الأنبياء المنسوبه إليهم خرافات مجعوله أو حوادث محرفه لنفع الدين و حفظ عقائد العامه عن التبدل بتحول الأعصار أو لحفظ مواقع أئمه الدين و رؤساء المذهب عن السقوط و الاضمحلال إلى غير ذلك مما أبدعه قوم و تبعهم آخرون.

هذه جمل ما ذكره و النبوه بهذا المعنى لأن تسمى لعبه سياسيه أولى بها من أن تسمى نبوه إلهيه، و الكلام التفصيلي في أطراف ما ذكره خارج عن البحث المقصود في هذا المقام.

و الذى يمكن أن يقال فيه هاهنا أن الكتب السماويه و البيانات النبويه المأثوره على ما بأيدينا لا توافق هذا التفسير و لا تناسبه أدنى مناسبة، و إنما دعاهم إلى هذا النوع من التفسير إخلادهم إلى الأرض و ركونهم إلى مباحث الماده فاستلزموا إنكار ما وراء الطبيعه و تفسير الحقائق المتعاليه عن الماده بما يسليها عن شأنها و تعيدها إلى الماده الجامده.

و ما ذكره هؤلاء هو فى الحقيقه تطور جديد فيما كان يذكره آخرون فقد كانوا يفسرون جميع الحقائق المأثوره فى الدين بالماده غير أنهم كانوا يثبتون لها وجودات غائبه عن الحس كالعرش و الكرسي و اللوح و القلم و الملائكه و نحوها من غير مساعده الحس و تجربته على شىء من ذلك، ثم لما اتسع نطاق العلوم الطبيعيه و جرى البحث على أساس الحس و تجربته لزم الباحثين على ذلك الأسلوب أن ينكروا لهذه الحقائق وجوداتها الماديه الخارجه عن الحس أو البعيده عنه و أن يفسروها بما تعيدها إلى الوجود المادى المحسوس ليوافق الدين ما قطع به العلم و يستحفظ بذلك عن السقوط.

فهاتان الطائفتان بين باغ و عاد، أما القدماء من المتكلمين فقد فهموا من البيانات الدينيه مقاصدها حق الفهم من غير مجاز غير أنهم رأوا أن مصاديقها جميعا أمور ماديه محضه لكنها غائبه عن الحس غير محكوم به بحكم الماده أصلا و الواقع خلافه، و أما المتأخرون من باحثي هذا العصر ففسروا البيانات الدينيه بما أخرجوها به عن مقاصدها اليينه الواضحه، و طبقوها على حقائق ماديه ينالها الحس و تصدقها تجربته مع أنها

ليست بمقصوده، ولا البيانات اللفظية تنطبق على شيء منها.

و البحث الصحيح يوجب أن تفسر هذه البيانات اللفظية على ما يعطيها اللفظ في العرف و اللغة ثم يعتمد في أمر المصداق على ما يفسر به بعض الكلام بعضا ثم ينظر، هل الأنظار العلميه تنافيهما أو تبطلها؟ فلو ثبت فيها في خلال ذلك شيء خارج عن المادة و حكمها فإنما الطريق إليه إثباتا أو نفيًا طور آخر من البحث غير البحث الطبيعي الذي تتكفله العلوم الطبيعيه، فما للعلم الباحث عن الطبيعه و للأمر الخارج عنها؟ فإن العلم الباحث عن المادة و خواصها ليس من وظيفته أن يتعرض لغير المادة و خواصها لا إثباتا و لا نفيًا.

و لو فعل شيئًا منه باحث من بحاثه كان ذلك منه شططا من القول، نظير ما لو أراد الباحث في علم اللغة أن يستظهر من علمه حكم الفلك نفيًا أو إثباتًا، و لراجع إلى بقيه الآيات.

و قوله تعالى: فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ. سوق الآيات من أول السوره و إن كانت لبيان حال المتقين و الكافرين و المنافقين (الطوائف الثلاث) جميعًا لكنه سبحانه حيث جمعهم طرا في قوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ، و دعاهم إلى عبادته تقسموا لا- محاله إلى مؤمن و غيره فإن هذه الدعوه لا تحتمل من حيث إجابتها و عدمها غير القسمين: المؤمن و الكافر و أما المنافق فإنما يتحقق بضم الظاهر إلى الباطن، و اللسان إلى القلب فكان هناك من جمع بين اللسان و القلب إيمانًا أو كفرًا و من اختلف لسانه و قلبه و هو المنافق، فلما ذكرنا (لعله) أسقط المنافقون من الذكر، و خص بالمؤمنين و الكافرين و وضع الإيمان مكان التقوى.

ثم إن الوقود ما توقد به النار و قد نصت الآية على أنه نفس الإنسان، فالإنسان و قود و موقود عليه، كما في قوله تعالى أيضا: «ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ» المؤمن-٧٢ و قوله تعالى: «نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِتَةِ» اللزمه-٧، فالإنسان معذب بنار توقده نفسه، و هذه الجملة نظيره قوله تعالى: «كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرِهِ رُزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ أُنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا» البقره-٢٥، ظاهره في أنه ليس للإنسان هناك إلا ما هيأه من هاهنا، كما

عن النبي ص: «كما تعيشون تموتون و كما

تموتون تبعثون» الحديث. و إن كان بين الفريقين فرق من حيث إن لأهل الجنة مزيدا عند ربهم. قال تعالى: «لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ» ق-٣٥.

و المراد بالحجاره فى قوله: وَقُودَهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ ، الأصنام التى كانوا يعبدونها، و يشهد به قوله تعالى: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ» X الآيه X: الأنبياء-٩٨، و الحصب هو الوقود.

و قوله تعالى: لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ، قرينه الأزواج تدل على أن المراد بالطهاره هى الطهاره من أنواع الأقدار و المكاره التى تمنع من تمام الالتيام و الألفه و الأنس من الأقدار و المكاره الخلقية و الخلقية.

### (بحث روائى)

روى الصدوق، قال: سئل الصادق(ع) عن الآيه- فقال: الأزواج المطهره اللاتى لا يحضن و لا يحدثن.

أقول: و فى بعض الروايات تعميم الطهاره للبراءه عن جميع العيوب و المكاره

### [سوره البقره (٢): الآيات ٢٦ الى ٢٧]

#### اشاره

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا- يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)



قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَشِيءُ تَحِيْبِي أَنْ يَضْرِبَ ، البعوضه الحيوان المعروف و هو من أصغر الحيوانات المحسوسه و هذه الآيه و التى بعدها نظيره ما فى سورة الرعد «أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَدْعُكُم لِأُولَئِكَ الْأَبَابِ. الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ لَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ. وَ الَّذِينَ يَصِّمُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» :الرعد- ٢١، ٢٠، ١٩. و كيف كان فالآيه تشهد على أن من الضلال و العمى ما يلحق الإنسان عقيب أعماله السيئه غير الضلال و العمى الذى له فى نفسه و من نفسه حيث يقول تعالى:

وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ

،فقد جعل إضلاله فى تلو الفسق لا متقدما عليه هذا.

ثم إن الهدايه و الإضلال كلمتان جامعتان لجميع أنواع الكرامه و الخذلان التى ترد منه تعالى على عباده السعداء و الأشقياء، فإن الله تعالى وصف فى كلامه حال السعداء من عباده بأنه يحييهم حياه طيبه، و يؤيدهم بروح الايمان، و يخرجهم من الظلمات إلى النور و يجعل لهم نورا يمشون به، و هو وليهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و هو معهم يستجيب لهم إذا دعوه و يذكرهم إذا ذكروه، و الملائكه تنزل عليهم بالبشرى و السلام إلى غير ذلك.

و وصف حال الأشقياء من عباده بأنه يضلهم و يخرجهم من النور إلى الظلمات و يختم على قلوبهم، و على سمعهم و على أبصارهم غشاوه، و يطمس وجوههم على أدبارهم و يجعل فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون، و يجعل من بين أيديهم سدا و من خلفهم سدا فيغشيهم فهم لا- يبصرون، و يقيض لهم شياطين قرناء يضلونهم عن السبيل و يحسبون أنهم مهتدون، و يزينون لهم أعمالهم، و هم أولياؤهم، و يستدرجهم الله من حيث لا يشعرون، و يملأ لهم إن كيده متين، و يمكر بهم و يمدهم فى طغيانهم يعمهون.

فهذه نبذه مما ذكره سبحانه من حال الفريقين و ظاهرها أن للإنسان فى الدنيا وراء الحياه التى يعيش بها فيها حياه أخرى سعيده أو شقيه ذات أصول و أعراق يعيش بها فيها، و سيطع و يقف عليها عند انقطاع الأسباب و ارتفاع الحجاب، و يظهر

من كلامه تعالى أيضا أن للإنسان حياة أخرى سابقة على حياته الدنيا يحذوها فيها كما يحذو حذو حياته الدنيا فيما يتلوها. وعبارة أخرى إن للإنسان حياة قبل هذه الحياه الدنيا و حياة بعدها، و الحياه الثالثه تتبع حكم الثانيه و الثانيه حكم الأولى، فالإنسان و هو فى الدنيا واقع بين حياتين: سابقه و لاحقته، فهذا هو الذى يقضى به ظاهر القرآن.

لكن الجمهور من المفسرين حملوا القسم الأول من الآيات و هى الواصفه للحياه السابقه على ضرب من لسان الحال و اقتضاء الاستعداد، و القسم الثانى منها و هى الواصفه للحياه اللاحقه على ضروب المجاز و الاستعاره هذا، إلا أن ظواهر كثير من الآيات يدفع ذلك. أما القسم الأول و هى آيات الذر و الميثاق فستأتى فى مواردها، و أما القسم الثانى فكثير من الآيات داله على أن الجزاء يوم الجزاء بنفس الأعمال و عينها كقوله تعالى: «لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ تَجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»: التحريم-٧، و قوله تعالى: «ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» X الآية X: البقره-٢٨١، و قوله تعالى: «فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ»: البقره-٢٤، و قوله تعالى: «فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَدَّخُ الزَّبَانِيَةِ»: العلق-١٨، و قوله تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ»: آل عمران-٣٠، و قوله تعالى: «مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ»: البقره-١٧٤، و قوله: «إِنَّكُمْ يَا أَكْلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا»: النساء-١٠، إلى غير ذلك من الآيات.

و لعمري لو لم يكن فى كتاب الله تعالى إلا قوله: «لَقَدْ كُنْتَ فى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصُرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدًا»: ق-٢٢، لكان فيه كفايه إذ الغفله لا- تكون إلا- عن معلوم حاضر، و كشف الغطاء لا- يستقيم إلا- عن مغطى موجود فلو لم يكن ما يشاهده الإنسان يوم القيامة موجودا حاضرا من قبل لما كان يصح أن يقال للإنسان إن هذه أمور كانت مغفوله لك، مستوره عنك فهى اليوم مكشوف عنها الغطاء، مزاله منها الغفله.

و لعمري إنك لو سألت نفسك أن تهديك إلى بيان يفى بهذه المعانى حقيقه من غير مجاز لما أجابتك إلا بنفس هذه البيانات و الأوصاف التى نزل بها القرآن الكريم.

و محصل الكلام أن كلامه تعالى موضوع على وجهين:

أحدهما:وجه المجازاه بالثواب والعقاب،و عليه عدد جم من الآيات،تفيد:

أن ما سيستقبل الإنسان من خير أو شر كجنه أو نار إنما هو جزاء لما عمله فى الدنيا من العمل.

و ثانيهما:وجه تجسم الأعمال و عليه عدده أخرى من الآيات،و هى تدل على أن الأعمال تهيبى بأنفسها أو باستلزامها و تأثيرها أموراً مطلوبه أو غير مطلوبه أى خيراً أو شراً هى التى سيطلع عليه الإنسان يوم يكشف عن ساق.و إياك أن تتوهم أن الوجهين متنافيان فإن الحقائق إنما تقرب إلى الأفهام بالأمثال المضروبه،كما ينص على ذلك القرآن.

و قوله تعالى: **إِلَّا الْفَاسِقِينَ** ، الفسق كما قيل من الألفاظ التى أبداع القرآن استعمالها فى معناها المعروف،مأخوذ من فسقت التمره إذا خرجت عن قشرها و جلدتها و لذلك فسر بعده بقوله تعالى: **«الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ»** الآية،و النقض إنما يكون عن إبرام،و لذلك أيضاً وصف الفاسقين فى آخر الآية بالخاسرين و الإنسان إنما يخسر فيما ملكه بوجه،قال تعالى: **«إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**: الشورى-٤٥،و إياك أن تتلقى هذه الصفات التى أثبتها سبحانه فى كتابه للسعداء من عباده أو الأشقياء مثل المقربين و المخلصين و المخبتين و الصالحين و المطهرين و غيرهم،و مثل الظالمين و الفاسقين و الخاسرين و الغاوين و الضالين و أمثالها أوصافاً مبتدله أو مأخوذه لمجرد تزيين اللفظ،فتضطرب بذلك قريحتك فى فهم كلامه تعالى فتعطف الجميع على واد واحد،و تأخذها هجاء عامياً و حديثاً ساذجاً سوقياً بل هى أوصاف كاشفه عن حقائق روحيه و مقامات معنويه فى صراطى السعاده و الشقاوه،كل واحد منها فى نفسه مبدأ لآثار خاصه و منشأ لأحكام مخصوصه معينه،كما أن مراتب السن و خصوصيات القوى و أوضاع الخلقه فى الإنسان كل منها منشأ لأحكام و آثار مخصوصه لا يمكننا أن نطلب واحداً منها من غير منشئه و محتده،و لئن تدبرت فى مواردها من كلامه تعالى و أمعنت فيها وجدت صدق ما ادعيناه.

### بحث الجبر و التفويض [الجبر و التفويض و الأمرين الأمرين.]

و اعلم:أن بيانه تعالى أن الإضلال إنما يتعلق بالفاسقين يشرح كيفيه تأثيره

تعالى في أعمال العباد و نتائجها(و هو الذى يراد حله في بحث الجبر و التفويض).

بيان ذلك: أنه تعالى قال: «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ»؛ البقره- ٢٨٤، وقال: «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»؛ الحديد-٥، وقال: «لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ»؛ التغابن-١، فأثبت فيها و في نظائرها من الآيات الملك لنفسه على العالم بمعنى أنه تعالى مالك على الإطلاق ليس بحيث يملك على بعض الوجوه و لا يملك على بعض الوجوه، كما أن الفرد من الإنسان يملك عبداً أو شيئاً آخر فيما يوافق تصرفاته أنظار العقلاء، و أما التصرفات السفهيه فلا يملكها، و كذا العالم مملوك لله تعالى مملوكه على الإطلاق، لا مثل مملوكه بعض أجزاء العالم لنا حيث إن ملكنا ناقص إنما يصحح بعض التصرفات لا جميعها، فإن الإنسان المالك لحمار مثلاً إنما يملك منه أن يتصرف فيه بالحمل و الركوب مثلاً- و أما أن يقتله عطشا أو جوعاً أو يحرقه بالنار من غير سبب موجب فالعقلاء لا يرون له ذلك، أى كل مالكيه في هذا الاجتماع الإنساني مالكيه ضعيفه إنما تصحح بعض التصرفات المتصوره في العين المملوكه لا كل تصرف ممكن، و هذا بخلاف ملكه تعالى للأشياء فإنها ليس لها من دون الله تعالى من رب يملكها و هي لا تملك لنفسها نفعاً و لا ضراً و لا موتاً و لا حياً و لا نشوراً فكل تصرف متصور فيها فهو له تعالى، فأى تصرف تصرف به في عبادته و خلقه فله ذلك من غير أن يستتبع قبحا و لا ذماً و لا لوماً في ذلك، إذ التصرف من بين التصرفات إنما يستتبع و يذم عليه فيما لا يملك المتصرف ذلك لأن العقلاء لا يرون له ذلك، فملك هذا المتصرف محدود مصروف إلى التصرفات الجائزه عند العقل، و أما هو تعالى فكل تصرف تصرف به فهو تصرف من مالك و تصرف في مملوك فلا قبح و لا ذم و لا غير ذلك، و قد أيد هذه الحقيقه بمنع الغير عن أي تصرف في ملكه إلا ما يشاؤه أو يأذن فيه و هو السائل المحاسب دون المسئول المأخوذ، فقال تعالى: «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ»؛ البقره-٢٥٥، وقال تعالى: «مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ»؛ يونس-٣، وقال تعالى:

«لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً»؛ الرعد-٣٣، وقال: «يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»؛ النحل-٩٣، وقال تعالى: «وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»؛ الدهر-٣٠، وقال تعالى: «لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ»؛ الأنبياء-٢٣، فالله هو المتصرف

الفاعل فى ملكه و لىس لشىء غىره شىء من ذلك إلا بإذنه و مشىته، فهذا ما يقتضىه ربوبىته.

ثم إنا نرى أنه تعالى نصب نفسه فى مقام التشريع و جرى فى ذلك على ما يجرى عليه العقلاء فى المجتمع الإنسانى، من استحسان الحسن و المدح و الشكر عليه و استقباح القبيح و الذم عليه كما قال تعالى: «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ» البقره- ۲۷۱، و قال: «بُئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ»: الحجرات- ۱۱، و ذكر أن تشريعاته منظور فيها إلى مصالح الإنسان و مفسده مرعى فيها أصلح ما يعالج به نقص الإنسان فقال تعالى:

«إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ»: الأنفال- ۲۴، و قال تعالى: «ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»: الصف- ۱۱، و قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ (إلى أن قال) X وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ»: النحل- ۹۰، و قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ» الأعراف- ۲۸، و الآيات فى ذلك كثيره، و فى ذلك إمضاء لطريقه العقلاء فى المجتمع، بمعنى أن هذه المعانى الدائره عند العقلاء من حسن و قبح و مصلحه و مفسده و أمر و نهى و ثواب و عقاب أو مدح و ذم و غير ذلك و الأحكام المتعلقة بها كقولهم:

الخير يجب أن يؤثر و الحسن يجب أن يفعل، و القبيح يجب أن يجتنب عنه إلى غير ذلك، كما أنها هى الأساس للأحكام العامه العقلائيه كذلك الأحكام الشرعيه التى شرعها الله تعالى لعباده مرعى فيها ذلك، فمن طريقه العقلاء أن أفعالهم يلزم أن تكون معلله بأغراض و مصالح عقلائيه، و من جمله أفعالهم تشريعاتهم و جعلهم للأحكام و القوانين، و منها جعل الجزاء و مجازاه الإحسان بالإحسان و الإساءه بالإساءه إن شاءوا فهذه كلها معلله بالمصالح و الأغراض الصالحه، فلو لم يكن فى مورد أمر أو نهى من الأوامر العقلائيه ما فيه صلاح الاجتماع بنحو ينطبق على المورد لم يقدم العقلاء على مثله، و كل المجازاه إنما تكون بالمسانخه بين الجزاء و أصل العمل فى الخيريه و الشريه و بمقدار يناسب و كيف يناسب، و من أحكامهم أن الأمر و النهى و كل حكم تشريعى لا- يتوجه إلا- إلى المختار دون المضطر و المجبر على الفعل و أيضا إن الجزاء الحسن أو السيئ أعنى الثواب و العقاب لا يتعلقان إلا بالفعل الاختيارى اللهم إلا فيما كان الخروج عن الاختيار و الوقوع فى الاضطرار مستندا إلى سوء الاختيار كمن أوقع نفسه فى اضطرار المخالفه فإن العقلاء لا يرون عقابه قبيحا، و لا يبالون بقصه اضطراره.

فلو أنه سبحانه أجبر عباده على الطاعات أو المعاصى لم يكن جزاء المطيع بالجنة و العاصى بالنار إلا جزافا فى مورد المطيع، و ظلما فى مورد العاصى، و الجزاف و الظلم قبيحان عند العقلاء و لزم الترجيح من غير مرجح و هو قبيح عندهم أيضا و لا حجه فى قبيح و قد قال تعالى: «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» النساء- ١٦٥، و قال تعالى «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنِهِ» الأنفال- ٤٤، فقد اتضح بالبيان السابق أمور:

أحدها: أن التشريع ليس مبنيًا على أساس الإجبار فى الأفعال، فالتكاليف مجعولة على وفق مصالح العباد فى معاشهم و معادهم أولا، و هى متوجهة إلى العباد من حيث إنهم مختارون فى الفعل و الترك ثانيا، و المكلفون إنما يثابون أو يعاقبون بما كسبت أيديهم من خير أو شر اختيارا.

ثانيها: أن ما ينسبه القرآن إليه تعالى من الإضلال و الخدعه و المكر و الإمداد فى الطغيان و تسليط الشيطان و توليته على الإنسان و تقييض القرين و نظائر ذلك جميعها منسوبة إليه تعالى على ما يلائم ساحه قدسه و نزاهته تعالى عن ألوان النقص و القبح و المنكر، فإن جميع هذه المعانى راجعه بالآخره إلى الإضلال و شعبه و أنواعه، و ليس كل إضلال حتى الإضلال البدوى و على سبيل الإغفال بمنسوب إليه و لا- لائق بجنابه، بل الثابت له الإضلال مجازاه و خذلانا لمن يستقبل بسوء اختياره ذلك كما قال تعالى:

«يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ»

X الآية X: البقره- ٢٦ و قال: «فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ»: الصف- ٥، و قال تعالى: «كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ» المؤمن- ٣٤.

ثالثها: أن القضاء غير متعلق بأفعال العباد من حيث إنها منسوبة إلى الفاعلين بالانتساب الفعلى دون الانتساب الوجودى، و سيجىء لهذا القول زياده توضيح فى التذييل الآتى و فى الكلام على القضاء و القدر إن شاء الله تعالى.

رابعها: أن التشريع كما لا- يلائم الجبر كذلك لا يلائم التفويض، إذ لا معنى للأمر و النهى المولويين فيما لا يملك المولى منه شيئا، مضافا إلى أن التفويض لا يتم إلا مع سلب إطلاق الملك منه تعالى عن بعض ما فى ملكه.

عن أئمة أهل البيت (ع) أنهم قالوا: (لا جبر و لا تفويض بل أمر بين أمرين الحديث).

و فى العيون، بعده طرق: لما انصرف أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) من صفين - قام إليه شيخ ممن شهد الواقعة معه - فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا من مسيرنا هذا - أ بقضاء من الله و قدر، فقال له أمير المؤمنين: (أجل يا شيخ - فوالله ما علوتم تلعه و لا هبطتم بطن واد - إلا - بقضاء من الله و قدر)، فقال الشيخ عند الله أحتسب عنائى يا أمير المؤمنين - فقال: (مهلا يا شيخ - لعلك تظن قضاء حتما و قدرا لازما، لو كان كذلك لبطل الثواب و العقاب - و الأمر و النهى و الزجر، و لسقط معنى الوعد و الوعيد، و لم تكن على مسيء لائمه و لا لمحسن محمده، و لكان المحسن أولى باللائمه من المذنب - و المذنب أولى بالإحسان من المحسن، تلك مقالته عبده الأوثان و خصماء الرحمن - و قدرية هذه الأمة و مجوسها.

يا شيخ إن الله كلف تخيرا و نهى تحذيرا، و أعطى على القليل كثيرا و لم يعص مغلوبا، و لم يطع مكروها - و لم يخلق السماوات و الأرض و ما بينهما باطلا. ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار الحديث).

أقول: قوله: بقضاء من الله و قدر إلى قوله: عند الله أحتسب عنائى. ليعلم أن من أقدم المباحث التى وقعت فى الإسلام موردا للنقض و الإبرام، و تشاغت فيه الأنظار مسألة الكلام و مسألة القضاء و القدر و إذ صوروا معنى القضاء و القدر و استنتجوا نتیجته فإذا هى أن الإرادة الإلهية الأنزليه تعلقت بكل شىء من العالم فلا - شىء من العالم موجودا على وصف الإمكان، بل إن كان موجودا فبالضرورة، لتعلق الإرادة بها و استحاله تخلف مراده تعالى عن إرادته، و إن كان معدوما فبالامتناع لعدم تعلق الإرادة بها و إلا لكانت موجوده، و إذا أطردت هذه القاعدة فى الموجودات وقع الإشكال فى الأفعال الاختيارية الصادره منا فإننا نرى فى بادی النظر أن نسبه هذه الأفعال وجودا و عدما إلينا متساويه، و إنما يتعين واحد من الجانبين بتعلق الإرادة به

بعد اختيار ذلك الجانب فأفعالنا اختياريه، والإرادة مؤثره في تحققه سبب في إيجادها، ولكن، فرض تعلق الإرادة الإلهية الأزلية المستحيله التخلف بالفعل يبطل اختياريه الفعل أولاً، وتأثير إرادتنا في وجود الفعل ثانياً وحينئذ لم يكن معنى للقدرة قبل الفعل على الفعل، ولا معنى للتكليف لعدم القدرة قبل الفعل وخاصة في صورته الخلاف و التمرد فيكون تكليفاً بما لا يطاق، ولا معنى لإثابه المطيع بالجبر لأنه جزاف قبيح، ولا معنى لعقاب العاصي بالجبر لأنه ظلم قبيح إلى غير ذلك من اللوازم، وقد التزم الجميع هؤلاء الباحثون فقالوا القدرة غير موجوده قبل الفعل، والحسن والقبح أمران غير واقعيين لا يلزم تقيده أفعاله تعالى بهما بل كل ما يفعله فهو حسن ولا يتصف فعله تعالى بالقبح، فلا مانع هناك من الترجيح بلا مرجح، ولا من الإرادة الجزافية، ولا من التكليف بما لا يطاق، ولا من عقاب العاصي وإن لم يكن النقصان من قبله إلى غير ذلك من التوالى تعالى عن ذلك.

و بالجمله كان القول بالقضاء والقدر في الصدر الأول مساوفاً لارتفاع الحسن والقبح والجزاء بالاستحقاق ولذلك لما سمع الشيخ منه (ع) كون المسير بقضاء وقدر قال وهو في مقام التأثر واليأس: عند الله أحسب عنائي أي إن مسيري وإرادتي فاقدته الجدوى من حيث تعلق الإرادة الإلهية بها فلم يبق لى إلا العناء والتعب من الفعل فأحتسبه عند ربي فهو الذى أتعبنى بذلك فأجاب عنه الإمام (ع) بقوله: لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب إلخ، وهو أخذ بالأصول العقلانية التى أساس التشريع مبنى عليها واستدل فى آخر كلامه (ع) بقوله: ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً إلخ، وذلك لأن صحه الإرادة الجزافية التى هى من لوازم ارتفاع الاختيار يوجب إمكان تحقق الفعل من غير غايه و غرض وهو يوجب إمكان ارتفاع الغايه عن الخلقه والإيجاد، وهذا الإمكان يساوق الوجوب، فلا غايه على هذا التقدير للخلقه والإيجاد، وذلك خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً وفيه بطلان المعاد وفيه كل محذور، وقوله ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكروهاً كان المراد لم يعص والحال أن عاصيه مغلوب بالجبر ولم يطع والحال أن طوعه مكروه للمطيع.

و فى التوحيد، والعين، عن الرضا (ع) قال: ذكر عنده الجبر والتفويض فقال:



ألا أعلمكم في هذا أصلا لا تختلفون فيه-و لا يخاصمكم عليه أحد إلا كسرتموه؟قلنا إن رأيت ذلك،فقال إن الله عز و جل لم يطع بإكراه،و لم يعص بغلبه،و لم يهمل العباد في ملكه،هو المالك لما ملكهم،و القادر على ما أقدرهم عليه-فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله منها صاداء،و لا- منها مانعا-و إن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم و بين ذلك فعل،و إن لم يحل فعلوه فليس هو الذى أدخلهم فيه-ثم قال(ع) من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه.

أقول:قد عرفت أن الذى ألزم المجبره أن قالوا بما قالوا هو البحث فى القضاء و القدر و استنتاج الحتم و اللزوم فيهما و هذا البحث صحيح و كذلك النتيجة أيضا نتيجة صحيحة غير أنهم أخطئوا فى تطبيقها،و اشتبه عليهم أمر الحقائق و الاعتباريات، و اختلط عليهم الوجوب و الإمكان،توضيح ذلك أن القضاء و القدر على تقدير ثبوتهما ينتجان أن الأشياء فى نظام الإيجاد و الخلقه على صفة الوجوب و اللزوم فكل موجود من الموجودات و كل حال من أحوال الموجود مقدره محدوده عند الله سبحانه،معين له جميع ما هو معه من الوجود و أطواره و أحواله لا- يتخلف عنه و لا- يختلف، و من الواضح أن الضروره و الوجوب من شئون العله فإن العله التامه هى التى إذا قيس إليها الشيء صار متصفا بصفه الوجوب و إذا قيس إلى غيرها أى شيء كان لم يصير إلا متصفا بالإمكان، فانبساط القدر و القضاء فى العالم هو سريان العليه التامه و المعلوليه فى العالم بتمامه و جميعه، و ذلك لا ينافى سريان حكم القوه و الإمكان فى العام من جهة أخرى و بنظر آخر، فالفعل الاختيارى الصادر عن الإنسان بإرادته إذا فرض منسوبا إلى جميع ما يحتاج إليه فى وجوده من علم و إرادته و أدوات صحيحة و ماده يتعلق بها الفعل و سائر الشرائط الزمانيه و المكانيه كان ضرورى الوجود،و هو الذى تعلقت به الإراده الإلهيه الأزليه لكن كون الفعل ضروريا بالقياس إلى جميع أجزاء علته التامه و من جهتها لا يوجب كونه ضروريا إذا قيس إلى بعض أجزاء علته التامه، كما إذا قيس الفعل إلى الفاعل دون بقيه أجزاء علته التامه فإنه لا يتجاوز حد الإمكان،و لا يبلغ البتة حد الوجوب فلا معنى لما زعموه أن عموم القضاء و تعلق الإراده الإلهيه بالفعل يوجب زوال القدره و ارتفاع الاختيار،بل الإراده الإلهيه إنما تعلقت بالفعل بجميع شئونه و خصوصياته الوجوديه و منها ارتباطاته بعلمه و شرائط وجوده،و بعبارة أخرى تعلقت الإراده

الإلهيه بالفعل الصادر من زيد مثلا لا مطلقا بل من حيث إنه فعل اختياري صادر من فاعل كذا في زمان كذا و مكان كذا فإذن تأثير الإرادة الإلهيه فى الفعل يوجب كون الفعل اختياريا و إلا- تخلف متعلق الإرادة الإلهيه عنها فإذن تأثير الإرادة الإلهيه فى صيروره الفعل ضروريا يوجب كون الفعل اختياريا أى كون الفعل ضروريا بالنسبه إلى الإرادة الإنسانيه الفاعليه، فالإرادة فى طول الإرادة و ليست فى عرضها حتى تتزاحما، و يلزم من تأثير الإرادة الإلهيه بطلان تأثير الإرادة الإنسانيه فظهر أن ملاك خطأ المجبره فيما أخطئوا فيه عدم تمييزهم كيفيه تعلق الإرادة الإلهيه بالفعل، و عدم فرقههم بين الإرادتين الطوليتين و بين الإرادتين العرضيتين و حكمهم بطلان تأثير إرادته العبد فى الفعل لتعلق إرادته الله تعالى به.

و المعتزله و إن خالفت المجبره فى اختياريه أفعال العبد و سائر اللوازم إلا أنهم سلكوا فى إثباته مسلكا لا يقصر من قول المجبره فسادا، و هو أنهم سلموا للمجبره أن تعلق إرادته الله بالفعل يوجب بطلان الاختيار، و من جهه أخرى أصروا على اختياريه الأفعال الاختياريه فنفوا بالآخره تعلق الإرادة الإلهيه بالأفعال فلزمهم إثبات خالق آخر للأفعال و هو الإنسان، كما أن خالق غيرها هو الله سبحانه فلزمهم محذور الثنويه، ثم وقعوا فى محاذير أخرى أشد مما وقعت فيه المجبره كما

قال(ع): مساكين القدرية أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من قدرته و سلطانه الحديث.

فمثل هذا مثل المولى من الموالى العرفيه يختار عبدا من عبيده و يوجه إحدى فتياته ثم يقطع له قطيعه و يخصه بدار و أثاث و غير ذلك مما يحتاج إليه الإنسان فى حياته إلى حين محدود و أجل مسمى، فإن قلنا إن المولى و إن أعطى لعبده ما أعطى و ملكه ما ملك فإنه لا يملك و أين العبد من الملك كان ذلك قول المجبره، و إن قلنا إن للمولى بإعطائه المال لعبده و تملكه جعله مالكا و انزل هو عن المالكيه و كان المالك هو العبد كان ذلك قول المعتزله، و لو جمعنا بين الملكين بحفظ المرتبتين و قلنا:

إن المولى مقامه فى المولويه و للعبد مقامه فى الرقيه و إن العبد إنما يملك فى ملك المولى، فالمولى مالك فى عين أن العبد مالك فهنا ملك على ملك كان ذلك القول الحق الذى رآه أئمه أهل البيت(ع)، و قام عليه البرهان هذا.

و فى الإحتجاج،: فىما سأله عبايه بن ربعى الأسدى-عن أمىر المؤمنىن على(ع) فى معنى الاستطاعه،فقال أمىر المؤمنىن(ع):تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عبايه بن ربعى فقال له قل يا عبايه،قال:و ما أقول يا أمىر المؤمنىن؟قال:

تقول تملكها بالله الذى يملكها من دونك-فإن ملككها كان ذلك من عطائه-و إن سلبكها كان ذلك من بلائه-و هو المالك لما ملكك و القادر على ما علىه أقدرك الحديث.

أقول:و معنى الروايه واضح مما بيناه آنفا.

و فى شرح العقائد،للمفید قال:و قد روى عن أبى الحسن الثالث(ع)- أنه سئل عن أفعال العباد أ هى مخلوقه لله تعالى؟فقال(ع):لو كان خالقا لها لما تبرأ منها- و قد قال سبحانه: أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ -و لم يرد البراءه من خلق ذواتهم-و إنما تبرأ من شركهم و قبائحهم.

أقول للأفعال جهتان:جهه ثبوت و وجود،و جهه الانتساب إلى الفاعل، و هذه الجهه الثانيه هى التى تتصف بها الأفعال بأنها طاعه أو معصيه أو حسنه أو سيئه،فإن النكاح و الزنا لا فرق بينهما من جهه الثبوت و التحقق،و إنما الفرق الفارق هو أن النكاح موافق لأمر الله تعالى،و الزنا فاقده للموافقه المذكوره،و كذا قتل النفس بالنفس و قتل النفس بغير نفس،و ضرب اليتيم تأديبا و ضربه ظلما،فالمعاصى فاقده لجهه من جهات الصلاح أو لموافقه الأمر أو الغايه الاجتماعيه بخلاف غيرها،و قد قال تعالى: «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» :الزمر-٦٢،و الفعل شىء بشوته و وجوده،

و قد قال(ع): «كل ما وقع عليه اسم شىء فهو مخلوق ما خلا الله الحديث»ثم قال تعالى: «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ»:السجده-٧،فتبين أن كل شىء كما أنه مخلوق فهو فى أنه مخلوق،حسن فالخلقه و الحسن متلازمان متصاحبان لا ينفك أحدهما عن الآخر أصلا،ثم إنه تعالى سمي بعض الأفعال سيئه فقال: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا»:الأنعام-١٦٠،و هى المعاصى التى يفعلها الإنسان بدليل المجازاه،و علمنا بذلك أنها من حيث إنها معاص عدميه غير مخلوقه و إلا كانت حسنه،و قال تعالى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا»:الحديد-٢٢،و قال: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ» :التغابن- ١١، وقال: «مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» :الشورى- ٣٠، وقال: «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ» :النساء- ٧٩، وقال: «وَ إِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ، قُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ لِيُؤَلَّي الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا» :النساء- ٧٨، علمنا بذلك أن هذه المصائب إنما هي سيئات نسيبه بمعنى أن الإنسان المنعم بنعمه من نعم الله كالأمن و السلامة و الصحة و الغنى يعد واجدا فإذا فقدها لتزول نازله و إصابه مصيبه كانت النازله بالنسبه إليه سيئه لأنها مقارنه لفقد ما و عدم ما، فكل نازله فهي من الله و ليست من هذه الجبهه سيئه و إنما هي سيئه نسيبه بالنسبه إلى الإنسان و هو واجد، فكل سيئه فهي أمر عدمي غير منسوب من هذه الجبهه إلى الله سبحانه البته و إن كانت من جهه أخرى منسوبه إليه تعالى بالإذن فيه و نحو ذلك.

و فى قرب الإسناد، عن البنزطى، قال: قلت: للرضا(ع)- إن أصحابنا بعضهم يقول: بالجبر، و بعضهم بالاستطاعه- فقال لى: (اكتب، قال الله تبارك و تعالى يا بن آدم- بمشيتى كنت أنت الذى تشاء لنفسك ما تشاء- و بقوتى أديت إلى فرائضى- و بنعمتى قويت على معصيتى جعلتكم سميعا بصيرا قويا، ما أصابك من حسننه فمن الله، و ما أصابك من سيئه فمن نفسك، و ذلك أنى أولى بحسناتك منك و أنت أولى بسيئاتك منى، و ذلك أنى لا- أسأل عما أفعل و هم يسألون، فقد نظمت لك كل شىء تريد الحديث) و هو أو ما يقربه مروى بطرق عاميه و خاصيه أخرى و بالجملة فالذى لا تنسب إلى الله سبحانه من الأفعال هى المعاصى من جهه أنها معاص خاصه، و بذلك يعلم معنى قوله(ع) فى الروايه السابقه؛ لو كان خالقا لها لما تبرأ منها إلى قوله و إنما تبرأ من شركهم و قبائحهم الحديث.

و فى التوحيد؛ عن أبى جعفر و أبى عبد الله(ع) «قالا: إن الله عز و جل أرحم بخلقه- من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليها، و الله أعز من أن يريد أمرا فلا- يكون» قال: فسئلا(ع) هل بين الجبر و القدر منزله ثالثه؟ قالا- نعم أوسع مما بين السماء و الأرض.

و فى التوحيد، عن محمد بن عجلان، قال \*قلت: لأبى عبد الله (ع) فوض الله الأمر إلى العباد؟ قال: «الله أكرم من أن يفوض إليهم» قلت: فأجبر الله العباد على أفعالهم فقال: «الله أعدل من أن يجبر عبدا على فعل ثم يعذبه عليه».

و فى التوحيد، أيضا عن مهزم، قال قال أبو عبد الله (ع): أخبرنى عما اختلف فيه من خلفك من مواليها، قال: قلت: فى الجبر و التفويض؟ قال: فاسألنى قلت: أجبر الله العباد على المعاصى؟ قال: «الله أقهر لهم من ذلك» قلت: ففوض إليهم؟ قال: الله أقدر عليهم من ذلك، قال قلت فأى شىء هذا، أصلحك الله؟ قال: فقلب يده مرتين أو ثلاثا ثم قال: «لو أحببتك فيه لكفرت».

أقول: قوله (ع): الله أقهر لهم من ذلك، معناه أن الجبر إنما هو لقهر من المجرى يبطل به مقاومه القوه الفاعله، و أقهر منه و أقوى أن يريد المرید وقوع الفعل الاختيارى من فاعله من مجرى اختياره فيأتى به من غير أن يبطل إرادته و اختياره أو ينازع إرادته الفاعل إرادته الأمر.

و فى التوحيد، أيضا عن الصادق (ع) قال: قال: «رسول الله: من زعم أن الله يأمر بالسوء و الفحشاء فقد كذب على الله» و من زعم أن الخير و الشر بغير مشيه الله - فقد أخرج الله من سلطانه».

و فى الطرائف، روى أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصرى - و إلى عمرو بن عبيد و إلى واصل بن عطاء - و إلى عامر الشعبى أن يذكروا ما عندهم - و ما وصل إليهم فى القضاء و القدر، فكتب إليه الحسن البصرى إن أحسن ما انتهى إلى - ما سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع)، أنه قال: «أ تظن أن الذى نهاك دهاك؟ و إنما دهاك أسفلك و أعلاك، و الله برىء من ذاك». و كتب إليه عمرو بن عبيد أحسن ما سمعت فى القضاء و القدر - قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) «لو كان الزور فى الأصل محتوما لكان المزور فى القصاص مظلوما». و كتب إليه واصل بن عطاء أحسن ما سمعت فى القضاء و القدر - قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) «أ يدلك على الطريق و يأخذ عليك المضيق؟» و كتب إليه الشعبى أحسن ما سمعت فى القضاء و القدر -

قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) «كلما استغفرت الله منه فهو منك، و كلما حمدت الله عليه فهو منه» فلما وصلت كتبهم إلى الحجاج و وقف عليها قال لقد أخذوها من عين صافيه

و فى الطرائف، أيضا روى: أن رجلا سأل جعفر بن محمد الصادق (ع) عن القضاء و القدر فقال: «ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه، و ما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله» يقول الله للعبد: لم عصيت، لم فسقت، لم شربت الخمر، لم زنت؟ فهذا فعل العبد، و لا يقول له لم مرضت، لم قصرت، لم ابضضت، لم اسوددت؟ لأنه من فعل الله تعالى.

و فى النهج: سئل (ع) عن التوحيد و العدل فقال: «التوحيد أن لا تتوهمه، و العدل أن لا تتهمه».

أقول: و الأخبار فيما مر متكاثره جدا غير أن الذى نقلناه حاو لمعاني ما تركناه و لئن تدبرت فيما تقدم من الأخبار وجدتها مشتمله على طرق خاصه عديده من الاستدلال.

منها: الاستدلال بنفس الأمر و النهى و العقاب و الثواب و أمثالها على تحقق الاختيار من غير جبر و لا- تفويض، كما فى الخبر المنقول عن أمير المؤمنين علي (ع) فيما أجاب به الشيخ، و هو قريب المأخذ مما استفدناه من كلامه تعالى.

و منها: الاستدلال بوقوع أمور فى القرآن لا- تصدق لو صدق جبر أو تفويض، كقوله تعالى: «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ»، و قوله: «وَ مَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِلْعِيِّدِ»، و قوله تعالى: «قُلْ إِنْ أَلَّهَ لَا- يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ» الآيه، و يمكن أن يناقش فيه بأن الفعل إنما هو فاحشه أو ظلم بالنسبه إلينا و أما إذا نسب إليه تعالى فلا يسمى فاحشه و لا ظلما فلا يقع منه تعالى فاحشه و لا ظلم، و لكن صدر الآيه بمدلولها الخاص يدفعها فإنه تعالى يقول: «وَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَ اللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ أَلَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ» الآيه، فالإشارة بقوله بهذا يوجب أن يكون النفي اللاحق متوجها إليه سواء سمي فحشاء أو لم يسم.

ومنها: الاستدلال من جهة الصفات و هو أن الله تسمى بأسماء حسنى و اتصف بصفات عليا لا تصدق و لا تصح ثبوتها على تقدير جبر أو تفويض فإنه تعالى قهار قادر كريم رحيم، وهذه صفات لا تستقر معانيها إلا عند ما يكون وجود كل شىء منه تعالى و نقص كل شىء و فساد غير راجع إلى ساحه قدسه كما فى الروايات التى نقلناها عن التوحيد.

ومنها: الاستدلال بمثل الاستغفار و عروض اللوم فإن الذنب لو لم يكن من العبد لم يكن معنى لاستغفاره و لو كان الفعل كله من الله لم يكن فرق بين فعل و فعل فى عروض اللوم على بعضها و عدم عروضه على بعض آخر.

و هاهنا روايات أخر مرويه فيما ينسب إليه سبحانه من معنى الإضلال و الطبع و الإغواء و غير ذلك.

ففى العيون، عن الرضا(ع): فى قوله تعالى: «و تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ» قال(ع) «إن الله لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه- لكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر و الضلال- منعهم المعاونه و اللطف و خلى بينهم و بين اختيارهم».

و فى العيون، أيضا عنه(ع): فى قوله تعالى: خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبه على كفرهم، كما قال الله تعالى: بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا

و فى المجمع، عن الصادق(ع): فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي الْآيَةَ، هذا القول من الله رد على من زعم أن الله تبارك و تعالى يضل العباد- ثم يعذبهم على ضلالتهم الحديث، أقول: قد مر بيان معناها.

### (بحث فلسفى) [الجبر و التفويض و الأمر بين الأمرين.]

لا- ريب أن الأمور التى نسميها أنواعا فى الخارج هى التى تفعل الأفعال النوعيه، و هى موضوعاتها، فإننا إنما أثبتنا وجود هذه الأنواع و نوعيتها الممتازه عن غيرها

من طريق الآثار والأفاعيل، بأن شاهدنا من طرق الحواس أفاعيل متنوعه و آثارا مختلفه من غير أن تنال الحواس فى إحساسها أمرا وراء الآثار العرضيه، ثم أثبتنا من طريق القياس و البرهان عله فاعله لها و موضوعا يقومها ثم حكمنا باختلاف هذه الموضوعات أعنى الأنواع لاختلاف الآثار و الأفاعيل المشهوده لنا، فالاختلاف المشهود فى آثار الإنسان و سائر الأنواع الحيوانيه مثلا هو الموجب للحكم بأن هناك أنواعا مختلفه تسمى بكذا و كذا و لها آثار و أفاعيل كذا و كذا، وكذا الاختلافات بين الأعراض و الأفاعيل إنما نثبتها و نحكم بها من ناحيه موضوعاتها أو خواصها.

و كيف كان فالأفاعيل بالنسبه إلى موضوعاتها تنقسم بانقسام أولى إلى قسمين:

الأول:الفعل الصادر عن الطبيعه من غير دخل للعلم فى صدوره كأفعال النشوء و النمو و التغذى للنبات و الحركات للأجسام، و من هذا القبيل الصحه و المرض و أمثال ذلك فإنها و إن كانت معلومه لنا و قائمه بنا إلا أن تعلق العلم بها لا يؤثر فى وجودها و صدورها شيئا و إنما هى مستنده تمام الاستناد إلى فاعلها الطبيعى، و الثانى:الفعل الصادر عن الفاعل من حيث إنه معلوم تعلق به العلم كما فى الأفعال الإراديه للإنسان و سائر ذوات الشعور من الحيوان، فهذا القسم من الفعل إنما يفعله فاعله من حيث تعلق العلم به و تشخيصه و تمييزه، فالعلم فيه إنما يفيد تعيينه و تمييزه من غيره و هذا التمييز و التعيين إنما يتحقق من جهه انطباق مفهوم يكون كمالا- للفاعل انطباقا بواسطة العلم، فإن الفاعل أى فاعل كان إنما يفعل من الفعل ما يكون مقتضى كماله و تمام وجوده فالفعل الصادر عن العلم إنما يحتاج إلى العلم من جهه أن يتميز عند الفاعل ما هو كمال له عن ما ليس بكمال له.

و من هنا ما نرى أن الأفعال الصادره عن الملكات كصدور أصوات الحروف منظمه عن الإنسان المتكلم، و كذا الأفعال الصادره عنها مع اقتضاء ما و مداخله من الطبيعه كصدور التنفس عن الإنسان، و كذا الأفعال الصادره عن الإنسان بغلبه الحزن أو الخوف أو غير ذلك كل ذلك لا يحتاج إلى ترو من الفاعل، إذ ليس هناك إلا صور علميه واحده منطبقه على الفعل و الفاعل لا حاله منتظره لفعله، فيفعل البته، و أما الأفعال التى لها صور علميه متعدده تكون هى من جهه بعضها مصداق



كمال الإنسان حقيقه أو تخيلا، و من جهه بعضها غير مصداق لكماله الحقيقى أو التخيلى كما أن الخبز بالنسبه إلى زيد الجائع كذلك فإنه مشع رافع لجوعه و يمكن أن يكون مال الغير و يمكن أن يكون مسموما و يمكن أن يكون قدرا يتنفر عنه الطبع، و هكذا و الإنسان إنما يتروى فيما يتروى لترجيح أحد هذه العناوين فى انطباقه على الخبز مثلا، فإذا تعين أحد العناوين و سقطت بقيتها و صار مصداقا لكمال الفاعل لم يلبث الفاعل فى فعله أصلا، و القسم الأول: نسميه فعلا اضطراريا كالتأثيرات الطبيعیه. و القسم الثانى: نسميه فعلا إراديا كالمشى و التكلم.

و الفعل الإرادى: الصادر عن علم و إرادته ينقسم ثانيا إلى قسمين: فإن ترجيح أحد جانبي الفعل و الترك إما مستند إلى نفس الفاعل من غير أن يتأثر عن آخر كالجائع الذى يتروى فى أكل خبز موجود عنده حتى رجح أن يبقيه و لا يأكله لأنه كان مال الغير من غير إذن منه فى التصرف فانتخب الحفظ و اختاره أو رجح الأكل فأكله اختاراً، و إما أن يكون الترجيح و التعيين مستندا إلى تأثير الغير كمن يجبره جبار على فعل بتهديده بقتل أو نحوه ففعله إجباراً من غير أن يكون متعينا بانتخابه و اختياره و القسم الأول.

يسمى فعلا اختياريا، و الثانى فعلا إجباريا هذا، و أنت تجد بجموده التأمل أن الفعل الإجبارى و إن أسندناه إلى إجبار المجبر و أنه هو الذى يجعل أحد الطرفين محالا- و ممتنعا بواسطة الإجبار فلا- يبقى للفاعل إلا- طرف واحد، لكن الفعل الإجبارى أيضا كالاختيارى لا- يقع إلا- بعد ترجيح الفاعل المجبور جانب الفعل على الترك و إن كان الذى يجبره هو المتسبب إلى الفعل بوجه، لكن الفعل ما لم يترجح بنظر الفاعل و إن كان نظره مستندا بوجه إلى إجبار المجبر و تهديده لم يقع، و الوجدان الصحيح شاهد على ذلك، و من هنا يظهر أن تقسيم الأفعال الإراديه إلى اختياريه و جبريه ليس تقسيما حقيقيا ينوع المقسم إلى نوعين مختلفين بحسب الذات و الآثار، فإن الفعل الإرادى إنما يحتاج إلى تعيين و ترجيح علمى يعين للفاعل مجرى فعله، و هو فى الفعل الاختيارى و الجبرى على حد سواء، و أما أن ترجيح الفاعل فى أحدهما مستند إلى رسله و فى آخر إلى آخر فلا يوجب اختلافا نوعيا يؤدى إلى اختلاف الآثار. أ لا ترى أن المستظل تحت حائط إذا شاهد أن الحائط يريد أن ينقض، فخرج خائفا عد فعله هذا اختياريا؟ و أما إذا هدده جبار بأنه لو لم يهدم الحائط عليه، فخرج خائفا عد فعله هذا إجباريا من غير فرق

بين الفعلين و الترجيحين أصلا غير أن أحد الترجيحين مستند إلى إرادته الجبار.

فإن قلت: كفى فرقا بين الفعلين أن الفعل الاختياري يوافق في صدوره مصلحه عند الفاعل و هو فعل يترتب عليه المدح و الذم و يتبعه الثواب و العقاب إلى غير ذلك من الآثار، و هذا بخلاف الفعل الإجباري فإنه لا يترتب عليه شيء من ذلك.

قلت: الأمر على ما ذكر، غير أن هذه الآثار إنما هي بحسب اعتبار العقلاء على ما يوافق الكمال الأخير الاجتماعي، فهي آثار اعتباريه غير حقيقيه، فليس البحث عن الجبر و الاختيار بحثا فلسفيا لأن البحث الفلسفي إنما ينال الموجودات الخارجيه و آثارها العينيه، و أما الأمور المنتهيه إلى أنحاء الاعتبارات العقلانيه، فلا ينالها بحث فلسفي و لا يشملها برهان البتة، و إن كانت معتبره في بابها، مؤثره أثرها، فالواجب أن نرد البحث المزبور من طريق آخر، فنقول: لا شك أن كل ممكن حادث مفتقر إلى عله، و الحكم ثابت من طريق البرهان، و لا شك أيضا أن الشيء ما لم يجب لم يوجد إذ الشيء ما لم يتعين طرف وجوده بمعين كان نسبه إلى الوجود و العدم بالسويه، و لو وجد الشيء و هو كذلك لم يكن مفتقرا إلى عله و هذا خلف، فإذا فرض وجود الشيء كان متصفا بالضروره ما دام موجودا، و هذه الضروره إنما اكتسبها من ناحيه العله، فإذا أخذنا دار الوجود بأجمعها كانت كسلسله مؤلفه من حلقات مترتبه متواليه كلها واجبه الوجود، و لا موقع لأمر ممكن الوجود في هذه السلسله.

ثم نقول: هذه النسبه الوجوبيه إنما تنشأ عن نسبه المعلول إلى علتها التامه البسيطه أو المركبه من أمور كثيره كالعلل الأربع و الشرائط و المعدات و أما إذا نسب المعلول المذكور إلى بعض أجزاء العله أو إلى شيء آخر لو فرض كانت النسبه نسبه الإمكان بالضروره، بداهه أنه لو كانت بالضروره كانت العله التامه وجودها مستغنى عنه و هي عله تامه هذا خلف، ففي عالمنا الطبيعي نظامان: نظام الضروره و نظام الإمكان، فنظام الضروره منبسط على العلل التامه و معلولاتها و لا يوجد بين أجزاء هذا النظام أمر إمكناني البتة لا ذات و لا فعل ذات، و نظام الإمكان منبسط على الماده و الصور التي في قوه الماده التلبس بها و الآثار التي يمكنها أن تقبلها، فإذا فرضت فعلا من أفعال الإنسان الاختياريه و نسبتها إلى تمام علتها، و هي الإنسان و العلم و الإراده

و وجود الماده القابله و تحقق الشرائط المكانية و الزمانيه و ارتفاع الموانع، و بالجمله كل ما يحتاج إليه الفعل فى وجوده كان الفعل واجبا ضروريا، و إذا نسب إلى الإنسان فقط، و من المعلوم أنه جزء من أجزاء العله التامه كانت النسبه بالإمكان.

ثم نقول: سبب الاحتياج و الفقر إلى العله كما بين فى محله كون الوجود (و هو مناط الجعل) وجودا إمكانيا، أى رابطا بحسب الحقيقه غير مستقل بنفسه، فما لم يتته سلسله الربط إلى مستقل بالذات لم ينقطع سلسله الفقر و الفاقه.

و من هنا يستنتج أولا: أن المعلول لا- ينقطع بواسطه استناده إلى علتته عن الاحتياج إلى العله الواجبه التى إليها تنتهى سلسله الإمكان.

و ثانيا: أن هذا الاحتياج حيث كان من حيث الوجود كان الاحتياج فى الوجود مع حفظ جميع خصوصياته الوجوديه و ارتباطاته بعلة و شرائطه الزمانيه و المكانية إلى غير ذلك.

فقد تبين بهذا أمران: الأول: أن الإنسان كما أنه مستند الوجود إلى الإراده الإلهيه على حد سائر الذوات الطبيعيه و أفعالها الطبيعيه فكذلك أفعال الإنسان مستنده الوجود إلى الإراده الإلهيه، فما ذكره المعتزله من كون الأفعال الإنسانيه غير مرتبطه الوجود بالله سبحانه و إنكار القدر ساقط من أصله، و هذا الاستناد حيث إنه استناد وجودى فالخصوصيات الوجوديه الموجوده فى المعلول دخيله فيه، فكل معلول مستند إلى علتته بحده الوجودى الذى له، فكما أن الفرد من الإنسان إنما يستند إلى العله الأولى بجميع حدوده الوجوديه من أب و أم و زمان و مكان و شكل و كم و كيف و عوامل أخر ماديه، فكذلك فعل الإنسان إنما يستند إلى العله الأولى مأخوذا بجميع خصوصياته الوجوديه، فهذا الفعل إذا انتسب إلى العله الأولى و الإراده الواجبه مثلا لا يخرج ذلك عما هو عليه و لا- يوجب بطلان الإراده الإنسانيه مثلا فى التأثير، فإن الإراده الواجبيه إنما تعلقت بالفعل الصادر من الإنسان عن إرادته و اختياره، فلو كان هذا الفعل حين التحقق غير إرادى و غير اختيارى لزم تخلف إرادته تعالى عن مراده و هو محال، فما ذهب إليه المجبره من الأشاعره من أن تعلق الإراده الإلهيه بالأفعال الإراديه يوجب بطلان تأثير الإراده و الاختيار فاسد جدا، فالحق الحقيق بالتصديق

أن الأفعال الإنسانيه لها نسبه إلى الفاعل و نسبه إلى الواجب و إحدى النسبتين لا توجب بطلان الأخرى لكونهما طوليتين لا عرضيتين.

الثانى: أن الأفعال كما أن لها استنادا إلى عللها التامه (و قد عرفت أن هذه النسبه ضروريه وجوبيه كسائر الموجودات المنسوبه إلى عللها التامه بالوجوب) كذلك لها استنادا إلى بعض أجزاء عللها التامه كالإنسان مثلا، و قد عرفت أن هذه النسبه بالإمكان فكون فعل من الأفعال ضرورى الوجود بملاحظه علته التامه الضروريه لا يوجب عدم كون هذا الفعل ممكنا بنظر آخر، إذ النسبتان ثابتتان و هما غير متنافيتين كما مر فما ذكره جمع من الماديين من فلاسفه العصر الحاضر من شمول الجبر لنظام الطبيعه و إنكار الاختيار باطل جدا بل الحق أن الحوادث بالنسبه إلى عللها التامه واجبه الوجود بالنسبه إلى موادها و أجزاء عللها ممكنه الوجود، و هذا هو الملاك فى أعمال الإنسان و أفعاله فبناؤه فى جميع مواقف عمله على أساس الرجاء و التربه و التعليم و نحو ذلك، و لا معنى لابتناء الواجبات و الضروريات على التربه و التعليم، و لا الركون إلى الرجاء فيها و هو ظاهر

### [سوره البقره (٢): الآيات ٢٨ الى ٢٩]

#### اشاره

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)

#### بيان

رجوع ثان إلى ما فى بدء الكلام فإنه تعالى بعد ما بين فى أول السوره ما بين أوضحه بنحو التلخيص بقوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ إِلَىٰ بضع آيات، ثم رجع

إليه ثانياً و أوضحه بنحو البسط و التفصيل بقوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ آيَةً، بيان حقيقه الإنسان و ما أودعه الله تعالى فيه من ذخائر الكمال و ما تسعه دائره وجوده و ما يقطعه هذا الموجود في مسير وجوده من منازل موت و حياه ثم موت ثم حياه ثم رجوع إلى الله سبحانه و إن إلى ربك المنتهى و فيه ذكر جمل ما خص الله تعالى به الإنسان من مواهب التكوين و التشريع، أنه كان ميتاً فأحياه، ثم لا يزال يمته و يحييه حتى يرجعه إليه، و قد خلق له ما في الأرض و سخر له السماوات و جعله خليفة في الأرض و أسجد له ملائكته و أسكن أباه الجنة و فتح له باب التوبه و أكرمه بعبادته و هدايته، و هذا هو المناسب لسياق قوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ إِخ، فإن السياق سياق العتبي و الامتنان.

قوله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا. الآية قريه السياق من قوله تعالى: «قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَيْ عَشَرَ آيَةً وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَيْ عَشَرَ آيَةً فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ:» المؤمن- ١١، و هذه من الآيات التي يستدل بها على وجود البرزخ بين الدنيا و الآخرة، فإنها تشتمل على إمتين، فلو كان إحداهما الموت الناقل من الدنيا لم يكن بد في تصوير الإمامته الثانيه من فرض حياه بين الموتين و هو البرزخ، و هو استدلال تام اعتنى به في بعض الروايات أيضاً، و ربما ذكر بعض المنكرين للبرزخ أن الآيتين أعنى قوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ الآية، و قوله: قَالُوا رَبَّنَا الآية، متحدتا السياق، و قد اشتملتا على موتين و حياتين، فمدلولهما واحد، و الآية الأولى ظاهره في أن الموت الأول هو حال الإنسان قبل ولوج الروح في الحياه الدنيا، فالموت و الحياه الأوليان هما الموت قبل الحياه الدنيا و الحياه الدنيا، و الموت و الحياه الثانية هما الموت عن الدنيا و الحياه يوم البعث، و المراد بالمراتب في الآية الثانيه هو ما في الآية الأولى، فلا معنى لدلالاتها على البرزخ، و هو خطأ فإن الآيتين مختلفتان سياقاً إذ المأخوذ في الآية الأولى موت واحد و إمامته واحده و إحيائان، و في الآية الثانيه إمتان و إحيائان، و من المعلوم أن الإمامته لا يتحقق لها مصداق من دون سابقه حياه بخلاف الموت، فالموت الأول في الآية الأولى غير الإمامته الأولى في الآية الثانيه، فلا محاله في قوله تعالى، أَمَتْنَا اثْنَيْ عَشَرَ آيَةً وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَيْ عَشَرَ آيَةً، الإمامته الأولى هي التي بعد الدنيا و الإحياء الأول بعدها للبرزخ و الإمامته و الإحياء الثانية للآخره يوم البعث، و في قوله تعالى. وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ

إنما يريد الموت قبل الحياه و هو موت و ليس بإماته و الحياه هى الحياه الدنيا،و فى قوله تعالى: ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ حيث فصل بين الإحياء و الرجوع بلفظ ثم تأييد لما ذكرنا هذا.

قوله تعالى: وَكُنْتُمْ أََمْوَآتًا، بيان حقيقه الإنسان من حيث وجوده فهو وجود متحول متكامل يسير فى مسير وجوده المتبدل المتغير تدريجا و يقطعه مرحله مرحله، فقد كان الإنسان قبل نشأته فى الحياه الدنيا ميتا ثم حيا بإحياء الله ثم يتحول بإماته و إحياء و هكذا و قد قال سبحانه: «وَيَدَأُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْهُ نَسْلَهُ مِنْ سُيَالِهِ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ:» السجده-٩، و قال تعالى: «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ:» المؤمنون-١٤، و قال تعالى، «وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ، بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ. قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ:» السجده-١١، و قال تعالى. «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى:» طه-٥٥. و الآيات كما ترى (و سنزيدها توضيحا فى محالها) تدل على أن الإنسان جزء من الأرض غير مفارقتها و لا مابين معها،انفصل منها ثم شرع فى التطور بأطواره حتى بلغ مرحله أنشئ فيها خلقا آخر، فهو المتحول خلقا آخر و المتكامل بهذا الكمال الجديد الحديث، ثم يأخذ ملك الموت هذا الإنسان من البدن نوع أخذ يستوفيه ثم يرجع إلى الله سبحانه،فهذا صراط وجود الإنسان.

ثم إن الإنسان صاغه التقدير صوغا يرتبط به مع سائر الموجودات الأرضيه و السماويه من بسائط العناصر و قواها المنبجسه منها و مركباتها من حيوان و نبات و معدن و غير ذلك من ماء أو هواء و ما يشاكلها،و كل موجود من الموجودات الطبيعيه كذلك،أى إنه مفطور على الارتباط مع غيره ليفعل و ينفعل و يستبقى به موهبه وجوده غير أن نطاق عمل الإنسان و مجال سعيه أوسع؛كيف؟ و هذا الموجود الأعزل على أنه يخالط الموجودات الآخر الطبيعيه بالقرب و البعد و الاجتماع و الافتراق بالتصرفات البسيطة لغايه مقاصده البسيطة فى حياته،فهو من جهه-تجهيزه بالإدراك و الفكر يختص بتصرفات خارجه عن طوق سائر الموجودات بالتفصيل و التركيب و الإفساد و الإصلاح،فما من موجود إلا و هو فى تصرف الإنسان،فرمانا يحاكي

الطبيعه بالصناعه فيما لا يناله من الطبيعه و زمانا يقاوم الطبيعه بالطبيعه، و بالجمله فهو مستفيد لكل غرض من كل شىء، و لا يزال مرور الدهور على هذا النوع العجيب يؤيده فى تكثير تصرفاته و تعميق أنظاره ليحق الله الحق بكلماته، و ليصدق قوله:

«سَيَخْرُ لَكُمْ مَاءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ» :الجائيه-١٣، و قوله: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» ٢٩: البقره- و كون الكلام واقعا موقع بيان النعم لتمام الامتنان يعطى أن يكون الاستواء إلى السماء لأجل الإنسان فيكون تسويتها سبعا أيضا لأجله، و عليك بزياده التدبر فيه.

فذاك الذى ذكرناه من صراط الإنسان فى مسير وجوده، و هذا الذى ذكرناه من شعاع عمله فى تصرفاته فى عالم الكون هو الذى يذكره سبحانه من العالم الإنسانى و من أين يتدى و إلى أين ينتهى.

غير أن القرآن كما يعد مبدأ حياته الدينويه آخذه فى الشروع من الطبيعه الكونيه و مرتبطه بها(أحيانا) كذلك يربطها بالرب تعالى و تقديس، فقال تعالى:

«وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً» :مريم-٨، و قال تعالى: «إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ» :البروج-١٣، فالإنسان و هو مخلوق مربى فى مهد التكوين مرتضع من ثدى الصنع و الإيجاد متطور بأطوار الوجود يرتبط سلوكه بالطبيعه الميته، كما أنه من جهه الفطر و الإبداع يرتبط متعلق بأمر الله و ملكوته، قال تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» :يس-٨٢، و قال تعالى: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» :النحل-٤٠، فهذا من جهه البدء و أما من جهه العود و الرجوع فيعد صراط الإنسان متشعبا إلى طريقين طريق السعاده و طريق الشقاوه، فأما طريق السعاده فهو أقرب الطرق يأخذ فى الانتهاء إلى الرفيع الأعلى و لا يزال يصعد الإنسان و يرفعه حتى ينتهى به إلى ربه، و أما طريق الشقاوه فهو طريق بعيد يأخذ فى الانتهاء إلى أسفل السافلين حتى ينتهى إلى رب العالمين، و الله من ورائهم محيط، و قد مر بيان ذلك فى ذيل قوله تعالى: «إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» من سوره الفاتحه.

فهذا إجمال القول فى صراط الإنسان، و أما تفصيل القول فى حياته قبل الدنيا

و فيها و بعد الدنيا فسيأتي كل في محله، غير أن كلامه تعالى إنما يتعرض لذلك من جهة ارتباطه بالهدايه و الضلال و السعاده و الشقاء، و يطوى البحث عما دون ذلك إلا بمقدار يماس غرض القرآن المذكور.

و قوله تعالى: فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، سيأتي الكلام في السماء في سورة حم السجده إن شاء الله تعالى

## [سوره البقره (٢): الآيات ٣٠ الى ٣٣]

### اشاره

وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)

### (بيان)

### اشاره

الآيات تنبئ عن غرض إنزال الإنسان إلى الدنيا و حقيقه جعل الخلافة في الأرض و ما هو آثارها و خواصها، و هي على خلاف سائر قصصه لم يقع في القرآن إلا في محل واحد و هو هذا المحل.



قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ إِلْح، سياتى الكلام فى معنى القول منه تعالى و كذا القول من الملائكه و الشيطان إن شاء الله.

قوله تعالى: «أَقَالُوا أَ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، إِلَى قَوْلِهِ . وَ تَقَدَّسُ لَكَ .

مشعر بأنهم إنما فهموا وقوع الإفساد و سفك الدماء من قوله سبحانه . إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، حيث إن الموجود الأرضى بما أنه مادى مركب من القوى الغضبيه و الشهويه، و الدار دار التزاحم، محدوده الجهات، وافر المزاومات، مركباتها فى معرض الانحلال، و انتظاماتها و إصلاحاتها فى مظنه الفساد و مصب البطلان، لا تتم الحياه فيها إلا بالحياه النوعيه، و لا يكمل البقاء فيها إلا بالاجتماع و التعاون، فلا تخلو من الفساد و سفك الدماء، ففهموا من هناك أن الخلافه المراده لا تقع فى الأرض إلا بكثره من الأفراد و نظام اجتماعى بينهم يفضى بالآخره إلى الفساد و السفك، و-الخلافه- و هى قيام شىء مقام آخر لا تتم إلا بكون الخليفه حاكيا للمستخلف فى جميع شئونه الوجوديه و آثاره و أحكامه و تدبيره بما هو مستخلف، و الله سبحانه فى وجوده مسمى بالأسماء الحسنى متصف بالصفات العليا، من أوصاف الجمال و الجلال، منزه فى نفسه عن النقص و مقدس فى فعله عن الشر و الفساد جلت عظمته، و الخليفه الأرضى بما هو كذلك لا يلىق بالاستخلاف و لا يحكى بوجوده المشوب بكل نقص و شين الوجود الإلهى المقدس المنزه عن جميع النقائص و كل الأعدام، فأين التراب و رب الأرباب، و هذا الكلام من الملائكه فى مقام تعرف ما جهلوه و استيضاح ما أشكل عليهم من أمر هذا الخليفه، و ليس من الاعتراض و الخصومه فى شىء، و الدليل على ذلك قولهم فيما حكاه الله تعالى عنهم: إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ حيث صدر الجمله بإن التعليليه المشعره بتسلم مدخولها فافهم، فملخص قولهم يعود إلى أن جعل الخلافه إنما هو لأجل أن يحكى الخليفه مستخلفه بتسييحه بحمده و تقديسه له بوجوده، و الأرضيه لا تدعه يفعل ذلك بل تجره إلى الفساد و الشر، و الغايه من هذا الجعل و هى التسييح و التقديس بالمعنى الذى مر من الحكايه حاصله بتسييحننا بحمدك و تقديسنا لك، فنحن خلفاؤك أو فاجعلنا خلفاء لك، فما فائده جعل هذه الخلافه الأرضيه لك؟ فرد الله سبحانه ذلك عليهم بقوله: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا .

**[معنى جعل الخلافه و تعليم الأسماء لآدم.]**

و هذا السياق يشعر أولا: بأن الخلافه المذكوره إنما كانت خلافه الله تعالى،

لا- خلفه نوع من الموجود الأرضي كانوا في الأرض قبل الإنسان و انقضوا ثم أراد الله تعالى أن يخلفهم بالإنسان كما احتمله بعض المفسرين، و ذلك لأن الجواب الذي أجاب سبحانه به عنهم و هو تعليم آدم الأسماء لا يناسب ذلك، و على هذا فالخلافه غير مقصوره على شخص آدم(ع) بل بنوه يشاركونه فيها من غير اختصاص، و يكون معنى تعليم الأسماء إبداع هذا العلم في الإنسان بحيث يظهر منه آثاره تدريجا دائما و لو اهتدى إلى السبيل أمكنه أن يخرج من القوه إلى الفعل، و يؤيد عموم الخلافه قوله تعالى «إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ»: الأعراف-٦٩، و قوله تعالى «ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ»: يونس-١٤، و قوله تعالى «وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ»: النمل-٦٢.

و ثانيا: إنه سبحانه لم ينف عن خليفه الأرض الفساد و سفك الدماء، و لا كذب الملائكه في دعواهم التسييح و التقديس، و قررهم على ما ادعوا، بل إنما أبدى شيئا آخر و هو أن هناك أمرا لا يقدر الملائكه على حمله و لا تتحمله و يتحمله هذا الخليفه الأرضي فإنه يحكى عن الله سبحانه أمرا و يتحمل منه سرا ليس في وسع الملائكه، و لا- محاله يتدارك بذلك أمر الفساد و سفك الدماء، و قد بدل سبحانه قوله: قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ثانيا بقوله: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، و المراد بهذا الغيب هو الأسماء لا- علم آدم بها فإن الملائكه ما كانت تعلم أن هناك أسماء لا يعلمونها، لا أنهم كانوا يعلمون وجود أسماء كذلك و يجهلون من آدم أنه يعلمها، و إلا لما كان لسؤاله تعالى إياهم عن الأسماء وجه و هو ظاهر بل كان حق المقام أن يقتصر بقوله: قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ حتى يتبين لهم أن آدم يعلمها لا أن يسأل الملائكه عن ذلك، فإن هذا السياق يعطى أنهم ادعوا الخلافه و أذعنوا انتفاءها عن آدم و كان اللازم أن يعلم الخليفه بالأسماء فسألهم عن الأسماء فجهلوا و علمها آدم، فثبت بذلك لياقته لها و انتفاؤها عنهم، و قد ذيل سبحانه السؤال بقوله: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، و هو مشعر بأنهم كانوا ادعوا شيئا كان لازمه العلم بالأسماء.

و قوله تعالى: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ، مشعر بأن هذه الأسماء أو أن مسمياتها كانوا موجودات أحياء عقلاء، محجوبين تحت حجاب الغيب و أن العلم بأسمائهم كان غير نحو العلم الذي عندنا بأسماء الأشياء، و إلا كانت الملائكه بإنباء آدم إياهم بها

عالمين و صائرين مثل آدم مساوين معه، و لم يكن فى ذلك إكرام لآدم و لا كرامه حيث علمه الله سبحانه أسماء و لم يعلمهم، و لو علمهم إياها كانوا مثل آدم أو أشرف منه، و لم يكن فى ذلك ما يقنعهم أو يبطل حجّتهم، و أى حجّه تتم فى أن يعلم الله تعالى رجلا- علم اللغه ثم يباهى به و يتم الحجّه على ملائكه مكرمين لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون بأن هذا خليفتى و قابل لكرامتى دونكم؟ و يقول تعالى أنبئونى باللغات التى سوف يضعها الآدميون بينهم للإفهام و التفهيم إن كنتم صادقين فى دعويكم أو مسألتكم خلافتى، على أن كمال اللغه هو المعرفه بمقاصد القلوب و الملائكه لا تحتاج فيها إلى التكلم، و إنما تتلقى المقاصد من غير واسطه، فلهم كمال فوق كمال التكلم، و بالجمله فما حصل للملائكه من العلم بواسطه إنباء آدم لهم بالأسماء هو غير ما حصل لآدم من حقيقه العلم بالأسماء بتعليم الله تعالى فأحد الأمرين كان ممكنا فى حق الملائكه و فى مقدرتهم دون الآخر، و آدم إنما استحق الخلافه الإلهيه بالعلم بالأسماء دون إنبائها إذ الملائكه إنما قالوا فى مقام الجواب: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، فنفوا العلم.

فقد ظهر مما مر أن العلم بأسماء هؤلاء المسميات يجب أن يكون بحيث يكشف عن حقائقهم و أعيان وجوداتهم، دون مجرد ما يتكفله الوضع اللغوى من إعطاء المفهوم فهؤلاء المسميات المعلومه حقائق خارجيه، و وجودات عينيه و هى مع ذلك مستوره تحت ستر الغيب غيب السماوات و الأرض، و العلم بها على ما هى عليها كان أولا ميسورا ممكنا لموجود أرضى لا ملك سماوى و ثانيا دخيلا فى الخلافه الإلهيه.

و الْأَشْيَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، جمع محلى باللام و هو يفيد العموم على ما صرحوا به، مضافا إلى أنه مؤكّد بقوله: كُلَّهَا، فالمراد بها كل اسم يقع لمسمى و لا تقييد و لا عهد، ثم قوله: عَرَضَهُمْ، دال على كون كل اسم أى مسماه ذا حياه و علم و هو مع ذلك تحت حجاب الغيب، غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ. و إضافه الغيب إلى السماوات و الأرض و إن أمكن أن يكون فى بعض الموارد إضافه من، يفيد التبويض لكن المورد و هو مقام إظهار تمام قدرته تعالى و إحاطته و عجز الملائكه و نقصهم يوجب كون إضافه الغيب إلى السماوات و الأرض إضافه اللام، يفيد أن الأسماء أمور غائبه عن العالم السماوى و الأرضى، خارج محيط الكون، و إذا تأملت هذه الجهات

أعنى عموم الأسماء و كون مسمياتها أولى حياه و علم و كونها غيب السماوات و الأرض قضيت بانطباقها بالضرورة على ما أشير إليه فى قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ»: الحجر-٢١، حيث أخبر سبحانه بأنه كل ما، يقع عليه اسم شىء فله عنده تعالى خزائن مخزونه باقيه عنده غير نافده، و لا مقدره بقدر، و لا محدوده بحد، و أن القدر و الحد فى مرتبه الإنزال و الخلق، و أن الكثره التى فى هذه الخزائن ليست من جنس الكثره العدديه الملازمه للتقدير و التحديد بل تعدد المراتب و الدرجات، و سيجىء بعض الكلام فيها فى سورة الحجر إن شاء الله تعالى.

فتحصل أن هؤلاء الذين عرضهم الله تعالى على الملائكه موجودات عاليه محفوظه عند الله تعالى، محجوبه بحجب الغيب، أنزل الله سبحانه كل اسم فى العالم بخيرها و بركتها و اشتق كل ما فى السماوات و الأرض من نورها و بهائها، و أنهم على كثرتهم و تعددهم لا يتعددون تعدد الأفراد، و لا يتفاوتون تفاوت الأشخاص، و إنما يدور الأمر هناك مدار المراتب و الدرجات و نزول الاسم من عند هؤلاء إنما هو بهذا القسم من النزول.

و قوله تعالى: «وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» و كان هذان القسمان من الغيب النسبى الذى هو بعض السماوات و الأرض، و لذلك قوبل به قوله: «أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ»، ليشمل قسمى الغيب أعنى الخارج عن العالم الأرضى و السماوى و غير الخارج عنه.

و قوله تعالى: «كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»، تقييد الكتمان بقوله: «كُنْتُمْ»، مشعر بأن هناك أمرا مكتوما فى خصوص آدم و جعل خلافته، و يمكن أن يستظهر ذلك من قوله تعالى فى الآيه التاليه: «فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ».

فيظهر أن إبليس كان كافرا قبل ذلك الحين، و أن إباءه عن السجده كان مرتبطا بذلك فقد كان أضمره هذا.

و يظهر بذلك أن سجده الملائكه و إباء إبليس عنها كانت واقعه بين قوله تعالى:

قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

و بين قوله: «أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»، و يظهر السر أيضا فى تبديل قوله: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»، ثانيا بقوله: «إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ».

فى تفسير العياشى، عن الصادق (ع)، قال: ما علم الملائكة بقولهم: أ تجعل فيها من يفسد فيها و يفسك الدماء، لو لا أنهم قد كانوا رأوا من يفسد فيها و يفسك الدماء أقول: يمكن أن يشير بها إلى دوره فى الأرض سابقه على دوره بنى آدم هذه كما وردت فيه الأخبار و لا ينافى ذلك ما مر أن الملائكة فهمت ذلك من قوله تعالى:

إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً

، بل لا يتم الخبر بدون ذلك، و إلا كان هذا القول قياسا من الملائكة مذموما كقياس إبليس.

و فى تفسير العياشى، أيضا عنه (ع) قال زراره: دخلت على أبى جعفر (ع) - فقال: أى شىء عندك من أحاديث الشيعة - فقلت: إن عندى منها شيئا كثيرا - فقد هممت أن أوقد لها نارا فأحرقها - فقال (ع): وارهأ تنس ما أنكرت منها - فخطر على بالى الأدميون - فقال: ما كان علم الملائكة حيث قالوا: أ تجعل فيها من يفسد فيها و يفسك الدماء؟ قال و كان يقول أبو عبد الله (ع): إذا حدث بهذا الحديث هو كسر على القدرية، ثم قال أبو عبد الله (ع): إن آدم (ع) كان له فى السماء خليل من الملائكة، فلما هبط آدم من السماء إلى الأرض استوحش الملك - و شكى إلى الله تعالى و سأله أن يأذن له، فأذن له فهبط عليه فوجده قاعدا فى قفره من الأرض، فلما رآه آدم وضع يده على رأسه و صاح صيحه، قال أبو عبد الله (ع): يروون أنه أسمع عامه الخلق - فقال له الملك: يا آدم ما أراك إلا و قد عصيت ربك - و حملت على نفسك ما لا تطيق، أ تدرى ما قال لنا الله فيك فرددنا عليه؟ قال: لا، قال: قال: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، قلنا أ تجعل فيها من يفسد فيها و يفسك الدماء؟ فهو خلقك أن تكون فى الأرض - أ يستقيم أن تكون فى السماء؟ قال أبو عبد الله (ع) و الله عزى بها آدم ثلاثا.

أقول: و يستفاد من الرواية أن جنه آدم كانت فى السماء و سيجىء فيه روايات آخر أيضا.

و فى تفسير العياشى، أيضا عن أبى العباس عن أبى عبد الله (ع)، قال: سألته

عن قول الله: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، ما ذا علمه؟ قال الأرضين و الجبال و الشعاب و الأودية، ثم نظر إلى بساط تحته، فقال: و هذا البساط مما علمه.

و فى التفسير، أيضا عن الفضيل بن العباس عن أبى عبد الله (ع) قال \*سألته عن قول الله: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ما هى؟ قال: أسماء الأودية و النبات و الشجر و الجبال من الأرض.

و فى التفسير، أيضا عن داود بن سرحان العطار، قال: كنت عند أبى عبد الله (ع) فدعا بالخوان فتغدينا- ثم دعا بالطست و الدست سنانة- فقلت: جعلت فداك، قوله: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، الطست و الدست سنانة منه- فقال: (ع) الفجاج و الأودية و أهوى بيده كذا و كذا.

و فى المعانى، عن الصادق (ع): إن الله عز و جل علم آدم أسماء حججه كلها- ثم عرضهم و هم أرواح على الملائكة- فقال: أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - بأنكم أحق بالخلافه فى الأرض لتسيحكم و تقديسكم من آدم- فقالوا: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا - إِلَّا - مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ - قال الله تبارك و تعالى: يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ - فلما أنبئهم بأسمائهم- وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله عز ذكره، فعلموا أنهم أحق بأن يكونوا خلفاء الله فى أرضه- و حججه على بريته، ثم غيبهم عن أبصارهم و استعبدهم بولايتهم و محبتهم، و قال لهم: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ - وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ .

أقول: و بالرجوع إلى ما مر من البيان تعرف معنى هذه الروايات و أن لا منافاه بين هذه و ما تقدمها، إذ قد تقدم أن قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا - عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ نَعْلَمُ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَ لَهُ فى خزائن الغيب وجود، و إن هذه الأشياء التى قبلنا إنما وجدت بالنزول من هناك، و كل اسم وضع بحيال مسمى من هذه المسميات فهى اسم لما فى خزائن الغيب، فسواء قيل: إن الله علم آدم ما فى خزائن غيبه من الأشياء و هى غيب السماوات و الأرض، أو قيل: إنه علم آدم أسماء كل شىء و هى غيب السماوات و الأرض كان المؤدى و النتيجة واحدا و هو ظاهر.

و يناسب المقام عده من أخبار الطينه كما

رواه فى البحار، عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله ص: أول شىء خلق الله ما هو؟ فقال نور نبيك يا جابر خلقه الله- ثم خلق منه كل خير، ثم أقامه بين يديه فى مقام القرب ما شاء الله، ثم جعله أقساما، فخلق العرش من قسم، و الكرسي من قسم، و حمله العرش و سكنه الكرسي من قسم، و أقام القسم الرابع فى مقام الحب ما شاء الله، ثم جعله أقساما، فخلق القلم من قسم، و اللوح من قسم، و الجنة من قسم، و أقام القسم الرابع فى مقام الخوف ما شاء الله، ثم جعله أجزاء فخلق الملائكة من جزء، و الشمس من جزء و القمر من جزء، و أقام القسم الرابع فى مقام الرجاء ما شاء الله، ثم جعله أجزاء، فخلق العقل من جزء و العلم و الحلم من جزء، و العصمه و التوفيق من جزء، و أقام القسم الرابع فى مقام الحياء ما شاء الله، ثم نظر إليه بعين الهيئه فرشح ذلك النور- و قطرت منه مائه ألف و أربعه و عشرون ألف قطره، فخلق الله من كل قطره روح نبي و رسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء- فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء و الشهداء و الصالحين.

أقول: و الأخبار فى هذه المعانى كثيره، متظافره، و أنت إذا أجلت نظره التأمل و الإمعان فيها و جدتها شواهد على ما قدمناه، و سيحىء شطر من الكلام فى بعضها. و إياك أن ترمى أمثال هذه الأحاديث الشريفه المأثوره عن معادن العلم و منابع الحكمة بأنها من اختلافات المتصوفه و أوهامهم فللخلق أسرار، و هو ذا العلماء من طبقات أقوام الإنسان لا يألون جهدا فى البحث عن أسرار الطبيعه، منذ أخذ البشر فى الانتشار، و كلما لاح لهم معلوم واحد بأن لهم مجاهيل كثيره، و هى عالم الطبيعه أضيق العوالم و أخسها فما ظنك بما وراءها، و هى عوالم النور و السعه

[سوره البقره (٢): آيه ٣٤]

اشاره

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)

ص: ١٢١

قد عرفت أن قوله تعالى: **وَمَا كُنْتُمْ تُكْفُرُونَ**، فيه دلالة على وقوع أمر مكتوم ظاهر بعد أن كان مكتوماً، ولا يخلو ذلك عن مناسبة مع قوله: **أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** حيث لم يعبر أبى واستكبر وكفر، وعرفت أيضاً أن قصة السجده كالواقعه أو هى واقعه بين قوله تعالى: **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**، وقوله: **وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ** **وَمَا كُنْتُمْ تُكْفُرُونَ**، فقوله تعالى: **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ**، كالجمله المستخرجه من بين الجمل ليتخلص بها إلى قصة الجنه، فإن هذه الآيات كما عرفت إنما سيقت لبيان كيفية خلافه الإنسان وموقعه وكيفيه نزوله إلى الدنيا وما يثول إليه أمره من سعاده و شقاء، فلا يهم من قصة السجده هاهنا إلا إجمالها المؤدى إلى قصة الجنه وهبوط آدم هذا، فهذا هو الوجه فى الإضراب عن الإطناب إلى الإيجاز، ولعل هذا هو السر أيضاً فى الالتفات من الغيبه إلى التكلم فى قوله تعالى: **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا**، بعد قوله: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ** **عَلَىٰ مَا مَرَنَسِبَهُ الْكُتْمَانَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ فَعَلْ إِبْلِيسَ بِنَاءً عَلَى الْجَرَى عَلَى الدَّأْبِ الْكَلَامَى** من نسبه فعل الواحد إلى الجماعه إذا اختلط بهم ولم يتميز منهم، ويمكن أن يكون له وجه آخر، وهو أن يكون ظاهر قوله تعالى: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**، إطلاق الخلافه حتى على الملائكه كما يؤيده أيضاً أمرهم ثانياً بالسجود، ويوجب ذلك خطورا فى قلوب الملائكه، حيث إنها ما كانت تظن أن موجوداً أرضياً يمكن أن يسود على كل شىء حتى عليهم، ويدل على هذا المعنى بعض الروايات كما سيأتى.

وقوله تعالى: **اسْجُدُوا لِآدَمَ**، يستفاد منه جواز السجود لغير الله فى الجمله إذا كان تحيه و تكرمه للغير و فيه خضوع لله تعالى بموافقه أمره، ونظيره قوله تعالى فى قصة يوسف (ع) **«وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا»**: يوسف - ١٠٠، وملخص القول فى ذلك أنك قد عرفت فى سوره الفاتحه أن العباده هى نصب العبد نفسه فى مقام العبوديه وإتيان ما يثبت و يستثبت به ذلك فالفعل العبادى يجب أن يكون فيه صلاحيه إظهار مولويه المولى أو، عبديه العبد كالسجود و الركوع و القيام أمامه حينما يقعد، و المشى خلفه حينما يمشى



و غير ذلك، و كلما زادت الصلاحيه المزبوره ازدادت العباده تعينا للعبوديه، و أوضح الأفعال فى الدلاله على عز المولويه و ذل العبوديه السجده، لما فيها من الخرور على الأرض، و وضع الجبهه عليها، و أما ما ربما ظنه بعض: من أن السجده عباده ذاتيه، فليس بشىء، فإن الذاتى لا يختلف. و لا يتخلف و هذا الفعل يمكن أن يصدر بعينه من فاعله بداع غير داع التعظيم و العباده كالسخرىه و الاستهزاء فلا يكون عباده مع اشتماله على جميع ما يشتمل عليه و هو عباده نعم معنى العباده أوضح فى السجده من غيرها، و إذا لم يكن عباده ذاتيه لم يكن لذاته مختصا بالله سبحانه، بناء على أن المعبود منحصر فيه تعالى، فلو كان هناك مانع لكان من جهه النهى الشرعى أو العقلى و الممنوع شرعا أو عقلا- ليس إلا- إعطاء الربوبيه لغيره تعالى، و أما تحيه الغير أو تكريمته من غير إعطاء الربوبيه، بل لمجرد التعارف و التحيه فحسب، فلا- دليل على المنع من ذلك، لكن الذوق الدينى المتخذ من الاستيناس بظواهره يقضى باختصاص هذا الفعل به تعالى، و المنع عن استعماله فى غير موردته تعالى، و إن لم يقصد به إلا التحيه و التكرمه فقط، و أما المنع عن كل ما فيه إظهار الإخلاص لله، بإبراز المحبه لصالحى عباده أو لقبور أوليائه أو آثارهم فمما لم يقم عليه دليل عقلى أو نقلى أصلا، و سنعود إلى البحث عن هذا الموضوع فى محل يناسبه إن شاء الله تعالى.

### (بحث روائى)

فى تفسير العياشى، عن أبى عبد الله (ع) قال: لما أن خلق الله آدم أمر الملائكه أن يسجدوا له- فقالت الملائكه فى أنفسها: ما كنا نظن أن الله خلق خلقا أكرم عليه منا- فنحن جيرانه و نحن أقرب الخلق إليه. فقال الله: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّى أَعْلَمُ ... مَا تَبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، فيما أبدوا من أمر بنى الجان و كتموا ما فى أنفسهم، فلاذت الملائكه الذين قالوا ما قالوا بالعرش.

و فى التفسير، أيضا عن على بن الحسين (ع): ما فى معناه و فيه: فلما عرفت الملائكه أنها وقعت فى خطيئه لاذوا بالعرش، و أنها كانت عصابه من الملائكه- و هم الذين كانوا حول العرش، لم يكن جميع الملائكه إلى أن قال: فهم يلودون حول العرش إلى يوم القيامة.

أقول: يمكن أن يستفاد مضمون الروایتين من قوله حكاية عن الملائكة: وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ إِلَى قَوْلِهِ: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

و سيجيء أن العرش هو العلم، و بذلك وردت الروايات عن أئمة أهل البيت (ع) فافهم ذلك، و على هذا كان المراد من قوله تعالى: وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، قوم إبليس من الجن المخلوقين قبل الإنسان. قال تعالى: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صِلَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَ الْجَانَ خَلْقَانَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ» :الحجر-٢٧، و على هذه الرواية فنسب الكتمان إلى جميع الملائكة لا تحتاج إلى عناية زائده، بل هي على حقيقته، فإن المعنى المكتوم خطر على قلوب جميع الملائكة، و لا منافاه بين هذه الرواية و ما تفيد أن المكتوم هو ما كان يكتمه إبليس من الإباء عن الخضوع لآدم، و الاستكبار لو دعى إلى السجود، لجواز استفادته الجميع كما هو كذلك.

و فى قصص الأنبياء، عن أبى بصير، قال: قلت لأبى عبد الله (ع): سجدت الملائكة و وضعوا أجباهم على الأرض؟ قال: نعم تكرمه من الله تعالى .

و فى تحف العقول، قال: إن السجود من الملائكة لآدم-إنما كان ذلك طاعه لله و محبه منهم لآدم.

و فى الاحتجاج، عن موسى بن جعفر عن آبائه: أن يهوديا سأل أمير المؤمنين (ع)- عن معجزات النبى ص فى مقابله معجزات الأنبياء، فقال: هذا آدم أسجد الله له ملائكته، فهل فعل بمحمد شيئا من هذا؟ فقال على: لقد كان ذلك، و لكن أسجد الله لآدم ملائكته، فإن سجودهم لم يكن سجود طاعه-أنهم عبدوا آدم من دون الله عز و جل، و لكن اعترافا لآدم بالفضيله و رحمه من الله له-و محمد ص أعطى ما هو أفضل من هذا، إن الله جل و علا- صلى عليه فى جبروته و الملائكة بأجمعها، و تعبد المؤمنون بالصلاه عليه فهذه زياده له يا يهودى .

و فى تفسير القمى، " :خلق الله آدم فبقى أربعين سنه مصورا، و كان يمر به إبليس اللعين فيقول: لأمر ما خلقت؟ فقال: العالم" فقال إبليس: لئن أمرنى الله

بالسجود لهذا لعصيته» إلى أن قال: ثم قال الله تعالى للملائكة: اسجدوا لآدم فسجدوا - فأخرج إبليس ما كان في قلبه من الحسد فأبى أن يسجد.

و في البحار، عن قصص الأنبياء، عن الصادق (ع) قال: أمر إبليس بالسجود لآدم - فقال: يا رب و عزتك إن أعفيتني من السجود لآدم - لأعبدتك عباده ما عبدك أحد قط مثلها، قال الله جل جلاله: إنى أحب أن أطاع من حيث أريد - وقال: إن إبليس رن أربع رنات: أولهن يوم لعن، و يوم أهبط إلى الأرض، و يوم بعث محمد ص على فتره من الرسل، و حين أنزلت أم الكتاب، و نخر نخرتين: حين أكل آدم من الشجرة، و حين أهبط من الجنة، و قال في قوله تعالى: فَيَدَّتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا، و كانت سواتهما لا ترى فصارت ترى بارزه، و قال الشجره التى نهى عنها آدم هى السنبله.

أقول: و فى الروايات - و هى كثيره - تأييد ما ذكرناه فى السجده

### [سوره البقره (٢): الآيات ٣٥ الى ٣٩]

#### اشاره

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)

قوله تعالى: قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ، على أن قصه سجود الملائكة لآدم تكرر في عدة مواضع من القرآن الكريم. لم يقع قصه الجنة إلا في ثلاث مواضع:

أحدها: هاهنا من سورة البقرة.

الثاني: في سورة الأعراف. قال الله تعالى: «وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِنِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ. فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتِنُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ. قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. قَالَ: اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. قَالَ: فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ»: الآيات ٢٥، ١٩.

و الثالث: في سورة طه. قال الله تعالى: «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى. فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لَزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى. إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى، وَ أَنْكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَصْحَى. فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لَا يَبْلَى. فَآكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوَاتِنُهُمَا وَ طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْبَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى. قَالَ: اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يُبَيِّنُكُمْ مَنِ الْهُدَى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَ لَا يَشْقَى. وَ مَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى.»

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيرًا. قَالَ: كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسَيْتَهَا وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى. الآيات. و سياق الآيات و خاصه قوله تعالى في صدر القصة:

[جنه آدم عليه السلام.]

إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً يُعْطَى أَنْ آدَمَ (ع) إِنَّمَا خَلَقَ لِيَحْيَا فِي الْأَرْضِ وَ يَمُوتَ

فيها و إنما أسكنهما الله الجنة لاختبارهما و لتبدو لهما سوآتهما حتى يهبطا إلى الأرض، و كذا سياق قوله تعالى في سورة طه: **فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ** حيث سبك قصة الجنة مع قصة إسجاد الملائكة كليهما كقصه واحده متواصله، و بالجملة فهو(ع) كان مخلوقا ليسكن الأرض، و كان الطريق إلى الاستقرار في الأرض هذا الطريق، و هو تفضيله على الملائكة لإثبات خلافته، ثم أمرهم بالسجده، ثم إسكان الجنة. و النهى عن قرب الشجره المنهيه حتى يأكلا- منها فيبدو لهما سوآتهما فيهبطا إلى الأرض، فآخر العوامل للاستقرار في الأرض، و انتخاب الحياه الدنيويه ظهور السوأه، و هى العوره بقرينه قوله تعالى: **وَ طَفِقَا يَخْصِمَا عَلَىٰ هُمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ** فهو التمايل الحيوانى و يستلزم التغذى و النمو أيضا فما كان لإبليس هم إلا إبداء سوآتهما، و آدم و زوجته و إن كانا قد سواهما الله تعالى تسويه أرضيه بشرية ثم أدخلهما الجنة لم يمكثا بعد التسويه، و لم يمهلا كثيرا، ليم في الدنيا إدراكهما لسوآتهما و لا- لغيرها من لوازم الحياه الدنيا و احتياجاتها حتى أدخلهما الله الجنة، و أنه إنما أدخلهما الله الجنة حين أدخلهما و لما انفصلا و لما ينقطع إدراكهما عن عالم الروح و الملائكة، و الدليل على ذلك قوله تعالى: **لِيُذَيِّقَهُمَا مَا وَوَرَىٰ عَنْهُمَا** و لم يقل ما كان وورى عنهما، و هو مشعر بأن مواراه السوأه ما كانت ممكنه فى الحياه الدنيا استدامه و إنما تمشت دفعه ما و استعقب ذلك إسكان الجنة فظهور السوأه كان مقضيا محتوما فى الحياه الأرضيه و مع أكل الشجره، و لذلك قال تعالى: **فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ**، و قال تعالى:

**فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**

و أيضا هو تعالى غفر خطيئتهما بعد ما تابا و لم يرجعهما إلى الجنة بل أهبطهما إلى الدنيا ليحييا فيها و لو لم تكن الحياه الأرضيه مع أكل الشجره و ظهور السوأه حتما مقضيا، و الرجوع إلى الجنة مع ذلك محالاً، لرجعا إليها بعد حط الخطيئته، فالعامل فى خروجهما من الجنة و هبوطهما هو الأكل من الشجره و ظهور السوأه، و كان ذلك بوسوسه الشيطان اللعين، و قد قال تعالى فى سورة طه فى صدر القصة: **«وَ لَقَدْ عَاهَدْنَا** إلى **آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**». ثم ساق تعالى القصة. فهل هذا العهد هو قوله تعالى: **لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ؟** أو أنه قوله تعالى: **إِنَّ هَذَا عِدْوٌ لَّكَ وَ لِرِزْوَجِكَ** أو أنه العهد بمعنى الميثاق العمومى المأخوذ من جميع الإنسان، و من الأنبياء خاصه بوجه أكد و أغلظ.

والاحتمال الأول غير صحيح لقوله تعالى: «فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِمَنْ النَّاصِحِينَ» الآيتان فهما قد كانا حين اقتراف الخطيئة و اقتراب الشجرة على ذكر من النهى، وقد قال تعالى: «فَنَسِيْتِي وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا» فالعهد المذكور ليس هو النهى عن قرب الشجرة و أما الاحتمال الثاني (و هو أن يكون العهد المذكور هو التحذير عن اتباع إبليس) فهو و إن لم يكن بالبعيد، كل البعيد، لكن ظواهر الآيات لا تساعد عليه فإن العهد مخصوص بآدم(ع) كما هو ظاهر الآية.

مع أن التحذير عن إبليس كان لهما معا، و أيضا ذيل الآيات و هو على طبق صدرها في سورة طه يناسب العهد بمعنى الميثاق الكلى، لا العهد بمعنى التحذير عن إبليس، قال تعالى: «فَأَمَّا يَا أَيُّتِيكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ» الآيات «فبحسب التطبيق ينطبق قوله تعالى: (وَ مَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) على نسيان العهد و هو كما ترى مع العهد بمعنى الميثاق على الربوبية و العبودية أنسب منه مع التحذير من إبليس، إذ لا- كثير مناسبة بحسب المفهوم بين الإعراض عن الذكر و اتباع إبليس، و أما الميثاق على الربوبية فهو له أنسب، فإن الميثاق على الربوبية هو أن لا ينسى الإنسان كونه تعالى ربا له أى مالكا مدبرا أى لا ينسى الإنسان أبدا و لا فى حال أنه مملوك طلق لا يملك لنفسه شيئا لا نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياه و لا نشورا، أى لا ذاتا و لا وصفا و لا فعلا.

و الخطيئة التى تقابله هو إعراض الإنسان عن ذكر مقام ربه و الغفله عنه بالالتفات إلى نفسه أو ما يعود و يرجع إلى نفسه من زخارف الحياه الدنيا الفانيه الباليه هذا.

لكنك إذا أمعنت النظر فى الحياه الدنيا على اختلاف جهاتها و تشتت أطرافها و أنحاءها و وحدتها و اشتراكها بين المؤمن و الكافر وجدتها بحسب الحقيقه و الباطن مختلفه فى الموردين بحسب ذوق العلم بالله تعالى و الجهل به فالعارف بمقام ربه إذا نظر إلى نفسه و كذلك إلى الحياه الدنيا الجامعه لأقسام الكدورات و أنواع الآلام و ضروب المكاره من موت و حياه، و صحه و سقم، و سعه و إقتار، و راحه و تعب، و وجدان و فقدان.

على أن الجميع (أعم مما في نفس الإنسان أو في غيره) مملوكه لربه، لا استقلال لشيء منها و فيها، بل الكل ممن ليس عنده إلا الحسن و البهاء و الجمال و الخير على ما يليق بعزته و جلاله، و لا يترشح من لدنه إلا الجميل و الخير، فإذا نظر إليها و هي هكذا لم ير مكروها يكرهه و لا مخوفا يخافه، و لا مهيبا يهابه، و لا محذورا يحذره، بل يرى كل ما يراه حسنا محبوبا إلا ما يأمره ربه أن يكرهه و يبغضه، و هو مع ذلك يكرهه لأمره، و يحب ما يحب و يلتذ و يبتهج بأمره، لا شغل له إلا بربه، كل ذلك لما يرى الجميع ملكا طلقا لربه لا نصيب و لا حظ لشيء غيره في شيء منها، فما له و لمالك الأمر و ما يتصرف به في ملكه؟ من إحياء و إماتة، و نفع و ضرر و غيرها، فهذه هي الحياه الطيبه التي لا شقاء فيها البتة و هي نور لا ظلمه معه، و سرور لا غم معه، و وجدان لا فقد معه، و غنى لا فقر معه كل ذلك بالله سبحانه، و في مقابل هذه الحياه حياه الجاهل بمقام ربه، إذ هذا المسكين بانقطاعه عن ربه لا يقع بصره على موجود من نفسه و غيره إلا رآه مستقلا بنفسه ضارا أو نافعا خيرا أو شرا فهو يتقلب في حياته بين الخوف عما يخاف فوته، و الحذر عما يحذر وقوعه، و الحزن لما يفوته، و الحسره لما يضيع عنه من جاه أو مال أو بنين أو أعوان و سائر ما يحبه و يتكل و يعتمد عليه و يؤثره.

كلما نضج جلده بالاعتیاد بمكروه و السكون إلى مراره بدل جلدا غيره، ليذوق العذاب بفؤاد مضطرب قلق، و حشى ذائب محترق، و صدر ضيق حرج، كأنما يصعد في السماء، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون.

إذا عرفت هذا علمت: أن مرجع الأمرين أعنى نسيان الميثاق و شقاء الحياه الدنيا واحد، و أن الشقاء الدنيوى من فروع نسيان الميثاق.

و هذا هو الذى يشعر به كلامه سبحانه حيث أتى بالتكليف الجامع لأهل الدنيا فى سورة طه فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا تَبِئَكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ .

و بدل ذلك فى هذه السوره من قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

و من هنا تحدى إن كنت ذا فطانه أن الشجره كانت شجره فى اقترابها تعب الحياه الدنيا و شقاؤها، و هو أن يعيش الإنسان فى الدنيا ناسيا لربه، غافلا- عن مقامه، و أن آدم(ع) كأنه أراد أن يجمع بينها و بين الميثاق المأخوذ عليه، فلم يتمكن فنسى الميثاق و وقع فى تعب الحياه الدنيا، ثم تدورك له ذلك بالتوبه.

قوله تعالى: «وَ كَلَّا مِنْهَا رَغَدًا» الرغد الهناء و طيب العيش و أرغد القوم مواشيهم تركوها ترعى كيف شاءت، و قوم رغد، و نساء رغد، أى ذوو عيش رغيد.

و قوله تعالى: «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ» و كأن النهى إنما كان عن أكل الثمره و إنما تعلق بالقرب من الشجره إيدانا بشده النهى و مبالغه فى التأكيد و يشهد بذلك قوله تعالى «فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا»: الأعراف- ٢٢.

و قوله تعالى: «فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا»: طه- ١٢١، فكانت المخالفه بالأكل فهو المنهى عنه بقوله: «وَلَا تَقْرَبَا».

قوله تعالى: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، من الظلم لا من الظلمه على ما احتمله بعضهم و قد اعترفا بظلمهما حيث قالوا على ما حكاه الله تعالى عنهما: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا».

إلا أنه تعالى بدل فى سوره طه هذه الكلمه أعنى قوله: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ من قوله فَتَشْقَى و الشقاء هو التعب ثم فسر التعب و فصله، فقال: «إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرِى وَ أَنْكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَصْحَى الْآيَاتِ».

و من هنا يظهر أن وبال هذا الظلم إنما كان هو الوقوع فى تعب حياه هذه الدنيا من جوع و عطش و عراء و عناء و على هذا فالظلم منهما إنما هو ظلمهما لأنفسهما، لا بمعنى المعصيه المصطلحه و الظلم على الله سبحانه. و من هنا يظهر أيضا أن هذا النهى أعنى قوله:

وَلَا تَقْرَبَا

، إنما كان نهيا تنزيهيا إرشاديا يرشد به إلى ما فيه خير المكلف و صلاحه فى مقام النصح لا نهيا مولويا.

فهما إنما ظلما أنفسهما فى ترك الجنه على أن جزاء المخالفه للنهى المولوى التكليفى



يتبدل بالتوبه إذا قبلت و لم يتبدل فى موردھما، فإنھما تابا و قبلت توبتھما و لم يرجعا إلى ما كانا فيه من الجنه و لولا- أن التكليف إرشادى ليس له إلا- التبعه التكوينيہ دون التشريعيہ لاستلزام قبول التوبه رجوعھما إلى ما كانا فيه من مقام القرب و سيأتى لهذا الكلام بقيه فيما سيأتى إن شاء الله.

قوله سبحانه: فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ، الظاهر من هذه الجملة كظائرها و إن لم يكن أزيد من وسوسه الشيطان لهما مثل ما يوسوس لنا(بنى آدم) على نحو إلقاء الوسوسه فى القلب من غير رؤيه الشخص.

لكن الظاهر من أمثال قوله تعالى فى سورة طه: «فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لَزُوجِكَ» يدل على أنه تعالى أراهما الشيطان و عرفهما إياه بالشخص و العين دون الوصف و كذا قوله تعالى حكاية عن الشيطان: «يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ الْآيَه» حيث أتى بالكلام فى صورته حكاية الخطاب، و يدل ذلك على متكلم مشعور به.

و كذا قوله تعالى فى سورة الأعراف: «وَ قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ» و القسم إنما يكون من مقاسم مشعور به.

و كذا قوله تعالى: «وَ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَ أَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ» كل ذلك يدل على أنه كان يتراءى لهما و كانا يشاهدانه.

و لو كان حالهما(ع) مثل حالنا من عدم المشاهده حين الوسوسه لجاز لهما أن يقولوا: ربنا إنما لم نشعر و خلنا أن هذه الوسوس هي من أفكارنا من غير استشعار بحضوره، و لا قصد لمخالفه ما وصيتنا به من التحذير من وسوسته.

و بالجملة فهما كانا يشاهدانه و يعرفانه، و الأنبياء و هم المعصومون بعصمه الله كذلك يعرفونه و يشاهدونه حين تعرضه بهم لو تعرض على ما وردت به الروايات فى نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و يحيى و أيوب و إسماعيل و محمد ص هذا.

و كذا ظاهر هذه الآيات كظاهر قوله تعالى: «مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»

حيث ينبئ عن كونهما معه لعنه الله بحيال الشجره فى الجنه، فقد كان دخل الجنه، و صاحبهما و غرهما بوسوسته، و لا محذور فيه إذ لم تكن الجنه جنه الخلد حتى لا يدخلها الشيطان، و الدليل على ذلك خروجهم جميعا من هذه الجنه.

و أما قوله تعالى خطابا لإبليس: «فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ»: الأعراف-١٣، فيمكن أن يكون المراد به الخروج من الملائكه، أو الخروج من السماء من جهه كونها مقام قرب و تشریف.

قوله تعالى: «وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ الْآيَهُ» ظاهر السياق أنه خطاب لآدم و زوجته و إبليس و قد خص إبليس وحده بالخطاب فى سوره الأعراف حيث قال: «فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا الْآيَهُ» فقوله تعالى:

اهْبِطُوا

كالجمع بين الخطابين و حكاية عن قضاء قضى الله به العداوه بين إبليس لعنه الله و بين آدم و زوجته و ذريتهما، و كذلك قضى به حياتهم فى الأرض و موتهم فيها و بعثهم منها.

و ذريه آدم مع آدم فى الحكم كما ربما يستشعر من ظاهر قوله: «فِيهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ الْآيَهُ» و كما سيأتى فى قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» الآية من سوره الأعراف.

إن إسجاد الملائكه لآدم (ع) إنما كان من جهه أنه خليفه أرضى، فكان المسجود له آدم و حكم السجده لجميع البشر، فكان أقامه آدم (ع) مقام المسجود له معنونا بعنوان الأنموذج و النائب.

و بالجمله يشبه أن تكون هذه القصة التى قصها الله تعالى من إسكان آدم و زوجته الجنه، ثم إهباطهما لأكل الشجره كالمثل يمثل به ما كان الإنسان فيه قبل نزوله إلى الدنيا من السعاده و الكرامه بسكونه حظيره القدس، و منزل الرفعه و القرب، و دار نعمه و سروره، و أنس و نور، و رفقاء طاهرين، و أخلاء روحانيين، و جوار رب العالمين.

ثم إنه يختار مكانه كل تعب و عناء و مكروه و ألم بالميل إلى حياه فانيه، و جيفه

منتنه دانيه، ثم إنه لو رجع بعد ذلك إلى ربه لأعاده إلى دار كرامته و سعادته و لو لم يرجع إليه و أخلد إلى الأرض و اتبع هواه فقد بدل نعمه الله كفرا و أحل بنفسه دار البوار، جهنم يصلها و بئس القرار.

قوله تعالى: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ» ، التلقى هو التلقن، و هو أخذ الكلام مع فهم و فقه و هذا التلقى كان هو الطريق المسهل لآدم (ع) توبته.

و من ذلك يظهر أن التوبه توبتان: توبه من الله تعالى و هي الرجوع إلى العبد بالرحمه، و توبه من العبد و هي الرجوع إلى الله بالاستغفار و الانقلاب من المعصيه.

و توبه العبد، محفوفه بتوبتين من الله تعالى، فإن العبد لا يستغنى عن ربه في حال من الأحوال، فرجوعه عن المعصيه إليه يحتاج إلى توفيقه تعالى و إعانتة و رحمته حتى يتحقق منه التوبه، ثم تمس الحاجه إلى قبوله تعالى و عنايته و رحمته، فتوبه العبد إذا قبلت كانت بين توبتين من الله كما يدل عليه قوله تعالى: «ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا»: التوبه- ١١٩.

و قراءه نصب آدم و رفع كلمات تناسب هذه النكته، و إن كانت القراءه الأخرى (و هي قراءه رفع آدم و نصب كلمات) لا تنافيه أيضا.

و أما أن هذه الكلمات ما هي؟ فربما يحتمل أنها هي ما يحكيه الله تعالى عنهما في سورة الأعراف بقوله: «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَ إِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»: الأعراف- ٢٣، إلا- أن وقوع هذه الكلمات أعنى قوله: «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا» الآية قبل قوله: «قُلْنَا اهْبِطُوا» في سورة الأعراف و وقوع قوله «فَتَلَقَّى آدَمُ» الآية بعد قوله: «قُلْنَا اهْبِطُوا»، في هذه السوره لا يساعد عليه.

لكن هاهنا شيء. و هو أنك عرفت في صدر القصه أن الله تعالى حيث قال: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» ، قالت الملائكه: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ الْآيَةَ» و هو تعالى لم يرد عليهم دعواهم على الخليفه الأرضي بما رموه به و لم يجب عنه شيء إلا أنه علم آدم الأسماء كلها.

و لو لا أنه كان فيما صنعه تعالى من تعليم الأسماء ما يسد باب اعتراضهم ذلك لم

ينقطع كلامهم و لا تمت الحججه عليهم قطعاً. ففي جملة ما علمه الله تعالى آدم من الأسماء أمر ينفع العاصي إذا عصى و المذنب إذا أذنب، فلعل تلقيه من ربه كان متعلقاً بشيء من تلك الأسماء فافهم ذلك.

و اعلم أن آدم (ع) و إن ظلم نفسه في إلقائها إلى شفا جرف الهلكه و منشعب طريقى السعاده و الشقاوه أعنى الدنيا، فلو وقف في مهبطه فقد هلك، و لو رجع إلى سعاده الأولى فقد أتعب نفسه و ظلمها، فهو (ع) ظالم لنفسه على كل تقدير، إلا أنه (ع) هياً لنفسه بنزوله درجه من السعاده و منزله من الكمال ما كان ينالها لو لم ينزل و كذلك ما كان ينالها لو نزل من غير خطيئه.

فمتى كان يمكنه أن يشاهد ما لنفسه من الفقر و المذله و المسكنه و الحاجه و القصور و له في كل ما يصيبه من التعب و العناء و الكد روح و راحه في حظيره القدس و جوار رب العالمين، فله تعالى صفات من عفو و مغفره و توبه و ستر و فضل و رأفه و رحمه لا ينالها إلا المذنبون، و له في أيام الدهر نفحات لا يرتاح بها إلا المتعرضون.

فهذه التوبه هى التى استدعت تشريع الطريق الذى يتوقع سلوكه و تنظيف المنزل الذى يرجى سكونه، فوراءها تشريع الدين و تقويم المله.

و يدل على ذلك ما تراه أن الله تعالى يكرر فى كلامه تقدم التوبه على الإيمان.

قال تعالى: «فَأَسِئْتُمْ كَمَا أُمِرْتُمْ وَ مَنْ تَابَ مَعَكُمْ» هود-١١٢، و قال: «وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ» طه-٨٢، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: «قُلْنَا اهْبُطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى. و هذا أول ما شرع من الدين لآدم (ع) و ذريته، أو جز الدين كله فى جملتين لا يزداد عليه شيء إلى يوم القيامة.

و أنت إذا تدبرت هذه القصة (قصه الجنة) و خاصه ما وقع فى سوره طه و جدت أن المستفاد منها أن جريان القصة أوجب قضاءين منه تعالى فى آدم و ذريته، فأكل الشجره أوجب حكمه تعالى و قضاءه بالهبوط و الاستقرار فى الأرض و الحياه

فيها تلك الحياه الشقيه التي حذرا منها حين نهيا عن اقتراب الشجره هذا.

و أن التوبه ثانيًا:تعقب قضاء و حكما ثانيا منه تعالى بإكرام آدم و ذريته بالهدايه إلى العبوديه فالمقضى أولا كان نفس الحياه الأرضيه، ثم بالتوبه طيب الله تلك الحياه بأن ركب عليها الهدايه إلى العبوديه، فتألفت الحياه من حياه أرضيه، و حياه سماويه.

و هذا هو المستفاد من تكرار الأمر بالهبوط في هذه السوره حيث قال تعالى:

«وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ

الآيه» و قال تعالى: «قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى الْآيَه.

و توسط التوبه بين الأمرين بالهبوط مشعر بأن التوبه وقعت و لما ينفصلا من الجنه و إن لم يكونا أيضا فيها كاستقرارهما فيها قبل ذلك.

يشعر بذلك أيضا قوله تعالى: «وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الْآيَه» بعد ما قال لهما: لا تقربا هذه الشجره فأتى بلفظه تلكما و هى إشاره إلى البعيد بعد ما أتى بلفظه هذه و هى إشاره إلى القريب و عبر بلفظه نادى و هى للبعيد بعد ما أتى بلفظه قال و هى للقريب فافهم.

و اعلم أن ظاهر قوله تعالى: «وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ» الآية و قوله تعالى: «قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ» الآية أن نحوه هذه الحياه بعد الهبوط تغاير نحوها في الجنه قبل الهبوط، و أن هذه حياه ممتزجه حقيقتها بحقيقه الأرض ذات عناء و شقاء يلزمها أن يتكون الإنسان في الأرض ثم يعاد بالموت إليها ثم يخرج بالبعث منها.

فالحياه الأرضيه تغاير حياه الجنه فحياتها حياه سماويه غير أرضيه.

و من هنا يمكن أن يجزم أن جنه آدم كانت فى السماء، و إن لم تكن جنه الآخره جنه الخلد التى لا يخرج منها من دخل فيها.

نعم:يبقى الكلام فى معنى السماء و لعلنا سنوفق لاستيفاء البحث منه، إن شاء الله تعالى.

بقى هنا شىء و هو القول فى خطيئه آدم فنقول ظاهر الآيات فى بادى النظر

و إن كان تحقق المعصية و الخطيئة منه (ع) كما قال تعالى: فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ، و قال تعالى: وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى الآيه، و كما اعترف به فيما حكاه الله عنهما: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ الآيه.

لكن التدبر فى آيات القصه و الدقه فى النهى الوارد عن أكل الشجره يوجب القطع بأن النهى المذكور لم يكن نهيا مولويا و إنما هو نهى إرشادى يراد به الإرشاد و الهدايه إلى ما فى مورد التكليف من الصلاح و الخير لا البعث و الإراده المولويه.

و يدل على ذلك أولا: أنه تعالى فرع على النهى فى هذه السوره و فى سوره الأعراف أنه ظلم حيث قال: «لَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ» ثم بدله فى سوره طه من قوله: فَتَشْقَى مفرعا إياه على ترك الجنه. و معنى الشقاء التعب ثم ذكر بعده كالتفسير له: «إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى، وَ أَنْكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَصْحَى» الآيات.

فأوضح أن المراد بالشقاء هو التعب الدنيوى، الذى تستتبعه هذه الحياه الأرضيه من جوع و عطش و عراء و غير ذلك.

فالتوقى من هذه الأمور هو الموجب للنهى الكذائى لا- جهه أخرى مولويه فالنهى إرشادى، و مخالفه النهى الإرشادى لا توجب معصيه مولويه، و تعديا عن طور العبوديه و على هذا فالمراد بالظلم أيضا فى ما ورد من الآيات ظلمهما على أنفسهما فى إلقائهما فى التعب و التهلكه دون الظلم المذموم فى باب الربوبيه و العبوديه و هو ظاهر.

و ثانيا: أن التوبه، و هى الرجوع من العبد إذا استتبع القبول من جانب المولى أوجب كون الذنب كلا ذنب، و المعصيه كأنها لم تصدر، فيعامل مع العاصى التائب معاملة المطيع المنقاد، و فى مورد فعله معاملة الامثال و الانقياد.

و لو كان النهى عن أكل الشجره مولويا و كانت التوبه توبه عن ذنب عبودى و رجوعا عن مخالفه نهى مولوى كان اللازم رجوعهما إلى الجنه مع أنهما لم يرجعا.

و من هنا يعلم أن استتباع الأكل المنهى للخروج من الجنه كان استتباعا

ضروريا تكوينيا، نظير استتباع السم للقتل و النار للإحراق، كما فى موارد التكاليف الإرشاديه لا- استتباعا من قبيل المجازاه المولويه فى التكاليف المولويه، كدخول النار لتارك الصلاه، و استحقاق الدم و استيجاب البعد فى المخالفات العموميه الاجتماعيه المولويه.

و ثالثا: أن قوله تعالى: «قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، الآيات».

و هو كلمه جامع لجميع التشريعات التفصيليه التى أنزلها الله تعالى فى هذه الدنيا من طرق ملائكته و كتبه و رسله، يحكى عن أول تشريع شرع للإنسان فى هذه الدنيا التى هى دنيا آدم و ذريته، و قد وقع على ما يحكى الله تعالى بعد الأمر الثانى بالهبوط و من الواضح أن الأمر بالهبوط أمر تكوينى متأخر عن الكون فى الجنه و اقرار الخطيئه، فلم يكن حين مخالفه النهى و اقتراب الشجره لا دين مشروع و لا تكليف مولوى فلم يتحقق عند ذلك ذنب عبودى، و لا معصيه مولويه.

و لا ينافى ذلك كون خطاب اسجدوا للملائكه و لإبليس و هو قبل خطاب لا تقربا، خطابا مولويا لأن المكلف غير المكلف.

فإن قلت: إذا كان النهى نهيا إرشاديا لا نهيا مولويا فما معنى عده تعالى فعلهما ظلما و عصيانا و غوايه؟.

قلت: أما الظلم فقد مر أن المراد به ظلمهما لأنفسهما فى جنب الله تعالى، و أما العصيان فهو لغه عدم الانفعال أو الانفعال بصعوبه كما يقال: كسرتة فانكسر و كسرتة فعصى، و العصيان و هو عدم الانفعال عن الأمر أو النهى كما يتحقق فى مورد التكاليف المولويه كذلك يتحقق فى مورد الخطابات الإرشاديه.

و أما تعين معنى المعصيه فى هذه الأزمنه عندنا جماعه المسلمين فى مخالفه مثل صل، أم صم، أو حج، أو لا تشرب الخمر، أو لا تزن و نحو ذلك فهو تعين بنحو الحقيقه الشرعيه أو المتشرعه لا يضر بعموم المعنى بحسب اللغه و العرف العام هذا.

و أما الغوايه فهو عدم اقتدار الإنسان مثلا على حفظ المقصد و تدبير نفسه فى معيشته بحيث يناسب المقصد و يلائمه.

و واضح أنه يختلف باختلاف الموارد من إرشاد و مولويه.

فإن قلت: فما معنى التوبه حينئذ و قولهما: «وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ؟».

قلت: التوبه كما مر هى الرجوع و الرجوع، يختلف بحسب اختلاف موارد.

فكما يجوز للعبد المتمرد عن أمر سيده و إرادته أن يتوب إليه، فيرد إليه مقامه الزائل من القرب عنده كذلك يجوز للمريض الذى نهاه الطبيب نهيا إرشاديا عن أكل شىء معين من الفواكه و المأكولات، و إنما كان ذلك منه مراعاة لجانب سلامته و عافيته فلم ينته المريض عن نهيه فاقترفه فتضرر فأشرف على الهلاك.

يجوز أن يتوب إلى الطبيب ليشير إليه بدواء يعيده إلى سابق حاله و عافيته، فيذكر له أن ذلك محتاج إلى تحمل التعب و المشقه و العناء و الرياضه خلال مده حتى يعود إلى سلامه المزاج الأوليه بل إلى أشرف منها و أحسن، هذا.

و أما المغفره و الرحمه و الخسران فالكلام فيها نظير الكلام فى نظائرها فى اختلافها بحسب اختلاف موارد، هذا..

### بحث روائى [جنه آدم عليه السلام].

فى تفسير القمى، عن أبيه رفعه قال: سئل الصادق (ع) عن جنه آدم- أ من جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخره؟ فقال (ع): كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس و القمر، و لو كانت من جنان الآخره ما خرج منها أبدا، قال (ع): فلما أسكنه الله الجنه و أباحها له إلا- الشجره، لأنه خلق خلقه لا يبقى إلا بالأمر و النهى و الغذاء و اللباس و الاكتنان و النكاح، و لا يدرك ما ينفعه مما يضره إلا بالتوفيق، فجاء إبليس فقال له- إنكما إن أكلتما من هذه الشجره- التى نهاكما الله عنها صرتما ملكين، و بقيتما فى الجنه أبدا، و إن لم تأكلا منها أخرجكما الله من الجنه، و حلف



لهما أنه لهما ناصح- كما قال الله عز وجل حكاية عنه: ﴿مَا تَلَّهَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ- إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ- وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فقبل آدم قوله فأكلا من الشجرة» فكانا كما حكى الله، فبدت لهما سوآتتهما، وسقط عنهما ما ألبسهما الله من الجنة» وأقبلا يستتران من ورق الجنة، و ناداهما ربُّهما: أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ- وَأَقْلَلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عِدُوٌّ مُبِينٌ، فقالا كما حكى الله عنهما رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا- وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ فقال الله لهما: اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ- وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، قال: أى يوم القيامة، قال: فهبط آدم على الصفا، وإنما سميت الصفا لأن صفى الله أنزل عليها، ونزلت حواء على المروه- وإنما سميت المروه لأن المرأه أنزلت عليها، فبقى آدم أربعين صباحا ساجدا ييكى على الجنة، فنزل عليه جبرئيل، فقال أ ليس خلقك الله بيده- و نفخ فيك من روحه و أسجد لك ملائكته؟ قال: بلى، و أمرك أن لا تأكل من الشجرة فعصيته؟ قال آدم: إن إبليس حلف لى بالله كاذبا.

أقول: و فى كون جنه آدم من جنان الدنيا روايات أخر من طريق أهل البيت و إن اتحد بعضها مع هذه الروايه فى إبراهيم بن هاشم.

و المراد بكونها من جنان الدنيا كونها برزخيه فى مقابل جنان الخلد، كما يشير إليه بعض فقرات الروايه كقوله: فهبط آدم على الصفا، و كقوله: و نزلت حواء على المروه، و كقوله: إن المراد بحين يوم القيامة فيكون المكث فى البرزخ بعد الموت مكثا فى الأرض طبقا لما فى آيات البعث من القرآن من عد المكث البرزخى مكثا فى الأرض كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَسْئَلِ الْعَادِينَ، قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: المؤمنون- ١١٤، و قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبُعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبُعْثِ وَ لَكِنُّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: الروم- ٥٦، على أن عده من الروايات المنقوله عن أهل البيت تدل على أن الجنة كانت فى السماء، و أنهما نزلا من السماء، على أن المستأنس بلسان الروايات لا يستوحش من كون الجنة المذكوره فى السماء

و الهبوط منها إلى الأرض مع كونهما خلقا في الأرض و عاشا فيها كما ورد في كون الجنة في السماء و وقوع سؤال القبر فيه و كونه روضه من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار و غير ذلك و أرجو أن يرتفع هذا الإشكال و ما يشاكله من الإشكالات فيما سيأتي من البحث في السماء إن شاء الله العزيز.

و أما كيفية مجيء إبليس إليهما، و ما اتخذته فيه من الوسيله فالصحيح و المعتمده من الروايات خاليه عن بيانها.

و في بعض الأخبار ذكر الحيه و الطاووس عونين لإبليس في إغوائه إياهما لكنها غير معتبره، أضربنا عن ذكرها و كأنها من الأخبار الدخيله، و القصه مأخوذه من التوراه و هاك لفظ التوراه في القصه بعينه:

قال في الفصل الثاني من السفر الأول و هو سفر الخليقه: "و إن الله خلق آدم ترابا من الأرض، و نفخ في أنفه الحياه، فصار آدم نفسا ناطقا، و غرس الله جنانا في عدن شرقيا، و صير هناك آدم الذي خلقه، و أنبت الله من الأرض كل شجره، حسن منظرها و طيب مأكليها، و شجره الحياه في وسط الجنان، و شجره معرفه الخير و الشر، و جعل نهرا يخرج من عدن ليسقى الجنان، و من ثم يفترق فيصير أربعة رؤس، اسم أحدها النيل، و هو المحيط بجميع بلد ذويله الذي فيه الذهب، و ذهب ذلك البلد جيد، ثم اللؤلؤ و حجاره البلور، و اسم النهر الثاني جيحون، و هو المحيط بجميع بلد الحبشه، و اسم النهر الثالث دجله، و هو يسير في شرقي الموصل، و اسم النهر الرابع هو الفرات، فأخذ الله آدم و أنزله في جنان عدن ليفلحه و ليحفظه - و أمر الله آدم قائلا: من جميع شجر الجنان جائز لك أن تأكل، و من شجره معرفه الخير و الشر لا تأكل، فإنك في يوم أكلك منها تستحق أن تموت، و قال الله لا خير في بقاء آدم وحده، اصنع له عوننا حذاه، فحشر الله من الأرض جميع وحش الصحراء و طير السماء - و أتى بها إلى آدم ليريه ما يسميها، فكل ما سمى آدم من نفس حيه باسم هو اسمه إلى الآن -.

فأسمى آدم أسماء لجميع البهائم و طير السماء و جميع وحش الصحراء - و لم يجد آدم

عونا حذاه، فأوقع سباتا على آدم لثلا يحس فنام، فاستل إحدى أضلاعه و سد مكانها اللحم، و بنى الله الضلع التى أخذ امرأه، فأتى بها إلى آدم، و قال آدم هذه المره شاهدت عظما من عظامى، و لحما من لحمى، و ينبغى أن تسمى امرأه لأنها من أمرى أخذت، و لذلك يترك الرجل أباه و أمه و يلزم زوجته، فيصيران كجسد واحد.

و كانا جميعا عريانين آدم و زوجته و لا يحتشمان من ذلك.

الفصل الثالث: و الثعبان صار حكيما- من جميع حيوان الصحراء الذى خلقه الله- فقال للمرأة أ يقينا- قال الله لا تأكلا من جميع شجر الجنان؟ قالت المرأه للثعبان من ثمر شجر الجنان تأكل، لكن من ثمر الشجره التى فى وسطه قال الله لا تأكلا منه، و لا تدنوا به كيلا- تموتا، قال لهما لستما تموتان، إن الله عالم أنكما فى يوم أكلكما منه- تنفتح عيونكما و تصيران كالملائكه- عارفى الخير و الشر بزياده، فلما رأت المرأه أن الشجره طيبه المأكلا- شهيه المنظر، منى للعقل، أخذت من ثمرها فأكلت، و أعطت بعلها فأكل معها، فانفتحت عيونهما فعلما أنهما عريانان- فخيطا من ورق التين ما صنعا منه مآزر، فسمعا صوت الله مارا فى الجنان برفق فى حركه النهار، فاستخبأ آدم و زوجته من قبل صوت الله خباء فيما بين شجر الجنان، فنادى الله آدم، و قال له مقررأ: أين أنت؟ قال: إنى سمعت صوتك فى الجنان- فاتقيت إذ أنا عريان فاستخبأت، قال:

من أخبرك أنك عريان؟ أ من الشجره التى نهيتك عن الأكل منها أكلت؟ قال آدم المرأه التى جعلتها معى- أعطتنى من الشجره فأكلت، قال الله للمرأه: ما ذا صنعت؟ قالت: الثعبان أغرانى فأكلت- قال الله للثعبان: إذ صنعت هذا بعلم- فأنت ملعون من جميع البهائم و جميع وحش الصحراء- و على صدرك تسلك و ترابا تأكل طول أيام حياتك، و أجعل عداوه بينك و بين المرأه، و بين نسلك و نسلها، و هو يشدخ منك الرأس و أنت تلذعه فى العقب، و قال للمرأه: لأكثرن مشقتك و حملك، و بمشقه تلدين الأولاد، و إلى بعلك يكون قيادك، و هو يتسلط عليك.

و قال لآدم: إذ قبلت قول زوجتك فأكلت من الشجره- التى نهيتك قائلأ لا تأكل منها- ملعونه الأرض بسببك بمشقه تأكل منها طول حياتك، و شوكا و دردرا تنبت لك، و تأكل عشب الصحراء، بعرق وجهك تأكل الطعام إلى حين رجوعك

إلى الأرض-التي أخذت منها لأنك تراب و إلى التراب ترجع، وسمى آدم زوجته حواء- لأنها كانت أم كل حي ناطق، و صنع الله لآدم و زوجته ثياب بدن و ألبسهما، ثم قال الله، هو ذا آدم قد صار كواحد منا يعرف معرفه الخير و الشر، و الآن فيجب أن يخرج من الجنان لثلا يمد يده-فيأخذ من شجرة الحياه أيضا و يأكل فيحيا إلى الدهر، فطرده الله من جنان عدن ليفلح الأرض التي أخذ منها، و لما طرد آدم أسكن من شرقي جنان عدن الملائكه، و لمع سيف متقلب ليحفظوا طريق شجرة الحياه.

انتهى الفصل من (التوراه العربيه المطبوعه سنه ١٨١١ ميلاديه، و أنت بتطبيق القصه من الطريقتين أعنى طريقي القرآن و التوراه ثم التأمل في الروايات الوارده من طريقي العامه و الخاصه تعثر بحقائق من الحال غير أنا أضربنا عن الغور في بيانها و البحث عنها لأن الكتاب غير موضوع لذلك.

و أما دخول إبليس الجنه و إغواؤه فيها و هي (أولاء)مقام القرب و النزاهه و الطهاره و قد قال تعالى: ﴿لَا لَعْنُ فِيهَا﴾ و ﴿لَا تَأْتِي﴾: الطور-٢٣، و هي (ثانيا) في السماء و قد قال تعالى خطابا لإبليس حين إباطه عن السجده لآدم: ﴿فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: الحجر-٣٤، و قال تعالى: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: الأعراف-١٢.

فالجواب عن الأول كما ربما يقال إن القرآن إنما نفى ما نفى من وقوع اللغو و التأثيم في الجنه عن جنه الخلد التي يدخلها المؤمنون في الآخره و جنه البرزخ التي يدخلونها بعد الموت و الارتحال عن دار التكليف، و أما الجنه التي أدخل فيها آدم و زوجته و ذلك قبل استقرار الإنسان في دار التكليف و توجه الأمر و النهي فالقرآن لم ينطق فيه بشيء من ذلك، بل الأمر بالعكس و ناهيك في ذلك ما ذكر من وقوع عصيان آدم فيه على أن اللغو و التأثيم من الأمور النسبيه التي لا تتحقق إلا بعد حلول الإنسان الدنيا و توجه الأمر و النهي إليه و تلبسه بالتكليف.

و الجواب عن الثاني أولا: أن رجوع الضمير في قوله: ﴿فَأَخْرُجْ مِنْهَا﴾، و قوله:

﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ إلى السماء غير ظاهر من الآيه لعدم ذكر السماء في الكلام سابقا و عدم العهد بها، فمن الجائز أن يكون المراد الخروج من الملائكه و الهبوط منها ببعض العناية،

أو الخروج والهبوط من المنزل والكرامه.

و ثانيا: أنه يجوز أن يكون الأمر بالهبوط و الخروج كناية عن النهي عن المقام هناك بين الملائكة، لا- عن أصل الكون فيها بالعروج و المرور من غير مقام و استقرار كالملائكة، و يلوح إليه بل يشهد به ما ربما يظهر من الآيات من استراق السمع،

و قد روى: أن الشياطين كانوا يعرجون قبل عيسى إلى السماء السابعة- فلما ولد عيسى منعوا من السماء الرابعة فما فوقها، ثم لما ولد النبي ص منعوا من جميع السماوات- و خطفوا بالخطفه.

و ثالثا: أن كلامه تعالى خال عن دخول إبليس الجنة فلا مورد للاستشكال، و إنما ورد ما ورد من حديث الدخول في الروايات و هي آحاد غير متواتره مع احتمال النقل بالمعنى من الراوى.

و أقصى ما يدل من كلامه تعالى على دخوله الجنة قوله تعالى حكاية عن إبليس «وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ»: الأعراف- ١٩ حيث أتى بلفظه هذه و هي للإشارة من قريب، لكنها لو دلت هاهنا على القرب المكانية لدل في قوله تعالى: «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ»: الأعراف- ١٨، على مثله فيه تعالى.

و في العيون، عن عبد السلام الهروي قال: قلت للرضا(ع): يا بن رسول الله- أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم و حواء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها- فمنهم من يروى أنها الحنطة، و منهم من يروى أنها شجرة الحسد، فقال كل ذلك حق، قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا بن الصلت إن شجرة الجنة تحمل أنواعا، و كانت شجرة الحنطة و فيها عنب و ليست كشجرة الدنيا، و إن آدم لما أكرمه الله تعالى بإسجاد ملائكته له، و بإدخاله الجنة، قال: هل خلق الله بشرا أفضل مني؟ فعلم الله عز و جل ما وقع في نفسه- فناداه ارفع رأسك يا آدم و انظر إلى ساق العرش، فنظر إلى ساق العرش- فوجد عليه مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله- على بن أبي طالب أمير المؤمنين- و زوجته فاطمه سيده نساء العالمين- و الحسن و الحسين سيدي شباب أهل الجنة، فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ فقال عز و جل يا آدم هؤلاء ذريتك.

و هم خير منك و من جميع خلقى، و لو لا- هم ما خلقتك و لا- الجنة و لا النار- و لا السماء و لا الأرض، فأياك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأخرجك عن جوارى، فنظر إليهم بعين الحسد و تمنى منزلتهم- فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نهى عنها، و تسلط على حواء فنظرت إلى فاطمه بعين الحسد- حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم- فأخرجهما الله تعالى من جنته- و أهبطهما من جواره إلى الأرض.

أقول: و قد ورد هذا المعنى فى عدة روايات بعضها أبسط من هذه الرواية و أطيب و بعضها أجمل و أوجز.

و هذه الرواية كما ترى سلم ع فيها أن الشجرة كانت شجرة الحنطة و شجرة الحسد و أنهما أكلا من شجرة الحنطة ثمرتها و حسدا و تمنيا منزله محمد و آله، (ص)، و مقتضى المعنى الأول أن الشجرة كانت أخفض شأنا من أن يميل إليها و يشتهيها أهل الجنة، و مقتضى الثانى أنها كانت أرفع شأنا من أن ينالها آدم و زوجته كما فى روايه أخرى أنها كانت شجرة علم محمد و آله.

و بالجملة لهما معنيان مختلفان، لكنك بالرجوع إلى ما مر من أمر الميثاق تعرف أن المعنى واحد و أن آدم (ع) أراد أن يجمع بين التمتع بالجنة و هو مقام القرب من الله و فيها الميثاق أن لا- يتوجه إلى غيره تعالى و بين الشجرة المنهيه التي فيها تعب التعلق بالدنيا فلم يتيسر له الجمع بينهما فهبط إلى الأرض و نسى الميثاق فلم يجتمع له الأمران و هو منزله النبى ص، ثم هداه الله بالاجتباء و نزعه بالتوبه من الدنيا، و ألحقه بما كان نسيه من الميثاق فافهم.

و قوله (ع): فنظر إليهم بعين الحسد و تمنى منزلتهم فيه بيان أن المراد بالحسد تمنى منزلتهم دون الحسد الذى هو أحد الأخلاق الرذيله.

و بالبيان السابق يرتفع التنافى الذى يتراءى بين

ما رواه فى كمال الدين، عن الثمالى عن أبى جعفر (ع)، قال: إن الله عز و جل عهد إلى آدم أن لا يقرب الشجرة- فلما بلغ الوقت الذى فى علم الله أن يأكل منها- نسى فأكل منها- و ذلك قول الله عز و جل:

وَ لَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسَىٰ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ، الحديث.

رواه العياشى، فى تفسيره عن أحدهما: و قد سئل كيف أخذ الله آدم بالنسيان؟ فقال: إنه لم ينس -و كيف ينسى و هو يذكر و يقول له إبليس: ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة- إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين الحديث. و الوجه فيه واضح.

و فى أمالى الصدوق، عن أبى الصلت الهروى، قال: لما جمع المأمون لعلى بن موسى الرضا(ع): أهل المقالات من أهل الإسلام و الديانات- من اليهود و النصارى و المجوس و الصابئين و سائر أهل المقالات- فلم يقم أحد حتى ألزم حجته كأنه ألقم حجرا- فقام إليه على بن محمد بن الجهم فقال له: يا بن رسول الله- أ تقول بعصمه الأنبياء؟ قال: بلى، قال: فما تعمل بقول الله عز و جل: «وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى؟» إلى أن قال: فقال مولانا الرضا(ع): ويحك يا على- اتق الله و لا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش -و لا تتأول كتاب الله عز و جل برأيك فإن الله عز و جل يقول: «وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ». أما قوله عز و جل فى آدم: «وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى» فإن الله عز و جل خلق آدم حجه فى أرضه -و خليفه فى بلاده لم يخلقه للجنة، و كانت المعصية من آدم فى الجنة لا- فى الأرض- لتتم مقادير أمر الله عز و جل- فلما أهبط إلى الأرض و جعل حجه و خليفه عصم- بقوله عز و جل: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا- وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ» الحديث.

أقول: قوله: و كانت المعصية فى الجنة إلخ إشاره إلى ما قدمناه أن التكليف الدينى المولوى لم يكن مجعولا فى الجنة بعد، و إنما موطنه الحياه الأرضيه المقدره لآدم(ع) بعد الهبوط إلى الأرض، فالمعصية إنما كانت معصية لأمر إرشادى غير مولوى فلا وجه لتعسف التأويل فى الحديث على ما ارتكبه بعض.

و فى العيون، عن على بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون و عنده على بن موسى فقال له المأمون: يا ابن رسول الله- أ ليس من قولك إن الأنبياء معصومون؟ فقال بلى، قال فما معنى قول الله تعالى: وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى؟ قال: إن الله تعالى قال لآدم: أُسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا- وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ

و أشار لهما إلى شجرة الحنطه فتكونا من الظالمين، و لم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجره- و لا مما كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجره و لم يأكلا منها- و إنما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان إليهما- و قال: ما نهيكما ربكما عن هذه الشجره- و إنما نهاكما أن تقربا غيرها- و لم ينهكما أن تأكلا منها إلا أن تكونا ملكين- أو تكونا من الخالدين و قاسمهما إني لكما لمن الناصحين- و لم يكن آدم و حواء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا- فدلها بما بغرور فأكلا منها ثقه بيمينه بالله، و كان ذلك من آدم قبل النبوه- و لم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار، و إنما كان من الصغائر الموهوبه- التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي إليهم، فلما اجتباه الله و جعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيره و لا كبيره، قال الله عز و جل: «وَ عَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ - ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَىٰ، وَ قَالَ عز و جل: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحًا- وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ» الحديث.

أقول: قال الصدوق رحمه الله بعد نقل الحديث على طوله: و الحديث عجيب من طريق على بن محمد بن الجهم مع نصبه و بغضه و عداوته لأهل البيت (ع) انتهى.

و ما أعجبه منه إلا- ما شاهده من اشتماله على تنزيه الأنبياء من غير أن يمعن النظر في الأصول المأخوذه فيه، فما نقله من جوابه (ع) في آدم لا يوافق مذهب أئمه أهل البيت المستفيض عنهم من عصمه الأنبياء من الصغائر و الكبائر قبل النبوه و بعدها.

على أن الجواب مشتمل على تقدير في قوله تعالى: «مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا»، إلى مثل قولنا: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجره و إنما نهاكما عن غيرها و ما نهاكما عن غيرها إلا أن تكونا الخ. على أن قوله تعالى «مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ»، و قوله تعالى «قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لَا يَبْلَى الْآيَةَ»، يدل على أن إبليس إنما كان يحرضهما على الأكل من شخص الشجره المنهيه تطمينا في الخلود و الملك الذي حجب عنه بالنهي، على أن الرجل أعنى على بن محمد بن الجهم قد أخذ الجواب الصحيح التام بنفسه في مجلس المأمون كما روينا في الحديث السابق، فالروايه لا تخلو عن شيء و إن كان بعض



هذه الوجوه ممكن الاندفاع هذا.

و روى الصدوق، عن الباقر(ع) عن آبائه عن علي عن رسول الله ص، قال: إنما كان لبث آدم و حواء في الجنة-حتى أخرجا منها سبع ساعات من أيام الدنيا- حتى أهبطهما الله في يومهما.

و في تفسير العياشي، عن عبد الله بن سنان، قال: سئل أبو عبد الله(ع) و أنا حاضر: كم لبث آدم و زوجته في الجنة حتى أخرجهما منها خطيئه؟ فقال: إن الله تبارك و تعالى نفخ في آدم روحه-بعد زوال الشمس من يوم الجمعة-ثم برأ زوجته من أسفل أضلاعه-ثم أسجد له ملائكته و أسكنه جنته من يومه ذلك، فوالله ما استقر فيها إلا ست ساعات من يومه ذلك، حتى عصى الله تعالى، فأخرجهما الله منها بعد غروب الشمس-و صيرا بفناء الجنة حتى أصبحا-فبدت لهما سوآتهما و ناداهما ربهما: أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ فَاسْتَحْيَا آدَمَ فَخَضَعَ-و قال: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا و اعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا، قال الله لهما اهبطا من سماواتي إلى الأرض، فإنه لا يجاورني في جنتي عاص و لا في سماواتي.

أقول: ويمكن أن يستفاد ما يشتمل عليه الرواية من كيفية خروجهما و أنه كان أولا من الجنة إلى فنائها و من فنائها إلى الأرض من تكرر الأمر بالهبوط في الآيه مع كونه أمرا تكوينيا غير قابل التخلف، و كذا من تغيير السياق في قوله تعالى:

«وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ ،

إلى أن قال: وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ الْآيَةَ»، و قوله تعالى: وَ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا: أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الْآيَةَ، حيث عبر في الأول بالقول و بالإشارة القريبه و في الثاني بالنداء و الإشارة البعيده، غير أن الرواية مشتمله على خلق حواء من أسفل أضلاع آدم كما اشتملت عليه التوراه، و الروايات عن أئمة أهل البيت تكذبه كما سيجيء في البحث عن خلقه آدم، و إن أمكن أن يحمل خلقها من فاضل طينه آدم مما يلي أضلاعه هذا، و أما ساعات مكثه في الجنة، و أنها ستة أو سبعة فالأمر فيها هين فإنما هو تقريب.

و في الكافي،: عن أحدهما(ع): في قوله تعالى: فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ، قال:

لا إله إلا أنت، سبحانك اللهم و بحمدك، عملت سوءا و ظلمت نفسي-فاغفر لي

و أنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت، سبحانك اللهم و بحمدك، عملت سوءا و ظلمت نفسي فارحمنى و أنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم و بحمدك- عملت سوءا و ظلمت نفسي فارحمنى و أنت خير الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم و بحمدك- عملت سوءا و ظلمت نفسي فاعفر لى و تب على- إنك أنت التواب الرحيم.

أقول: و روى هذا المعنى الصدوق و العياشى و القمى و غيرهم، و عن طرق أهل السنه و الجماعه أيضا ما يقرب من ذلك، و ربما استفيد ذلك من ظاهر آيات القصه.

و قال الكلينى فى الكافى، و فى روايه أخرى: فى قوله: فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ - قال: سأله بحق محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين.

أقول: و روى هذا المعنى أيضا الصدوق و العياشى و القمى و غيرهم، و روى ما يقرب من ذلك من طرق أهل السنه و الجماعه أيضا كما

رواه فى الدر المنثور، عن النبى ص، قال: لما أذنب آدم الذنب الذى أذنبه- رفع رأسه إلى السماء فقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لى- فأوحى الله إليه، و من محمد؟ قال: تبارك اسمك لما خلقتنى رفعت رأسى إلى عرشك- فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد عندك أعظم قدرا- ممن جعلت اسمه مع اسمك- فأوحى الله إليه يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك- و لولاه ما خلقتك.

أقول: و هذا المعنى و إن كان بعيدا عن ظاهر الآيات فى بادية النظر لكن إشباع النظر و التدبر فيها ربما قرب ذلك تقريبا، إذ قوله: فَتَلَقَىٰ آدَمُ، يشتمل على معنى الأخذ مع الاستقبال، ففيه دلالة على أخذ آدم هذه الكلمات من ربه، ففيه علم سابق على التوبه، و قد كان (ع) تعلم من ربه الأسماء كلها إذ قال تعالى للملائكة:

إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، قَالُوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ؟ قَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، فهذا العلم كان من شأنه إزاحه كل ظلم و معصيه لا محاله و دواء كل داء و إلا لم يتم الجواب عما أورده الملائكة و لا قامت الحجة عليهم لأنه سبحانه لم يذكر قبال قولهم: يفسد فيها و يسفك الدماء شيئا و لم يقابلهم بشيء دون أن علم آدم الأسماء كلها ففيه إصلاح كل فاسد، و قد عرفت ما حقيقه هذه الأسماء، و أنها موجودات عاليه مغيبه فى غيب

السموات و الأرض، و وسائط فيوضاته تعالى لما دونها، لا يتم كمال لمستكمل إلا بركاتها و قد ورد في بعض الأخبار أنه رأى أشباح أهل البيت و أنوارهم حين علم الأسماء، و ورد أنه رأى حين أخرج الله ذريته من ظهره، و ورد أيضا أنه رأى و هو في الجنة فراجع و الله الهادي. و قد أبهم الله أمر هذه الكلمات في قوله: «فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ الْآيَةِ حَيْثُ نَكَرَهَا، و ورد في القرآن: إطلاق الكلمة على الموجود العيني صريحا في قوله: «بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ»: آل عمران- ٤٠.

و أما ما ذكره بعض المفسرين: أن الكلمات التي حكاها الله عنهما في سورة الأعراف بقوله: «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَ إِن لَّم تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» الآية، ففيه: «أن التوبة كما يدل عليه الآيات في هذه السورة أعنى سورة البقرة وقعت بعد الهبوط إلى الأرض، قال تعالى: «وَ قَلْنَا اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» إلى أن قال:

«فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ» الآيات و هذه الكلمات تكلم بها آدم و زوجته قبل الهبوط و هما في الجنة كما في سورة الأعراف، قال تعالى: «وَ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ» إلى أن قال: «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا» إلى أن قال: «قَالَ اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» الآيات، بل الظاهر أن قولهما: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا، تدل منهما و خضوع قبال ندائه تعالى و إيذان بأن الأمر إلى الله سبحانه كيف يشاء بعد الاعتراف بأن له الربوبية و أنهما ظالمان مشرفان على خطر الخسران.)

و في تفسير القمي، عن الصادق (ع) قال: إن موسى سأل ربه أن يجمع بينه و بين آدم، فجمع فقال له موسى: يا أبت أ لم يخلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه- و أسجد لك الملائكة- و أمرك أن لا تأكل من الشجرة؟ فلم عصيته؟ قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوريه؟ قال: بثلاثين ألف سنة؛ قال: فقال:

هو ذاك، قال الصادق (ع) فحجج آدم موسى.

أقول: و روى ما يقرب من هذا المعنى العلامة السيوطي في الدر المنثور بعده طرق عن النبي ص.

و في العلل، عن الباقر (ع): و الله لقد خلق الله آدم للدينا، و أسكنه الجنة

ليعصيه فيرده إلى ما خلقه له.

أقول: وقد مر روايه العياشى عن الصادق(ع):فى خليل كان لآدم من الملائكه الحديث فى هذا المعنى.

و فى الاحتجاج: فى احتجاج على مع الشامى حين سأله:عن أكرم واد على وجه الأرض،فقال(ع):واد يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء.

أقول:و تقابلها روايات مستفيضه تدل على سقوطه فى أرض مكه وقد مر بعضها و يمكن التوفيق بينها بإمكان نزوله أولاً بسرانديب ثم هبوطه إلى أرض مكه و ليس بنزولين عرضيين هذا.

و فى الدر المنثور،عن الطبرانى و أبى الشيخ فى العظمه و ابن مردويه عن أبى ذر قال:قلت:يا رسول الله أ رأيت آدم أ نبيا كان؟قال:نعم كان نبيا رسولا،كلمه الله قبلا،قال له:يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنه.

أقول:و روى أهل السنه و الجماعه قريبا من هذا المعنى بعده طرق

## [سوره البقره (٢): الآيات ٤٠ الى ٤٤]

### اشاره

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيَّايَ ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَ أَفِيْمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ إِذْ كَعُوا مَعَ الزَّاكِعِينَ (٤٣) أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤)

أخذ سبحانه في معاتبه اليهود و ذلك في طى نيف و مائه آيه يذكر فيها نعمه التي أفاضها عليهم، و كراماته التي حباهم بها، و ما قابلوها من الكفر و العصيان و نقض الميثاق و التمرد و الجحود، يذكرهم بالإشارة إلى اثنتى عشره قصه من قصصهم، كنجاتهم من آل فرعون بفرق البحر، و غرق فرعون و جنوده، و مواعده الطور، و اتخاذهم العجل من بعده و أمر موسى إياهم بقتل أنفسهم، و اقتراحهم من موسى أن يريهم الله جهره فأخذتهم الصاعقه ثم بعثهم الله تعالى، إلى آخر ما أشير إليه من قصصهم التي كلها مشحونه بالطفاف إلهيه و عنايات ربانيه، و يذكرهم أيضا المواقف التي أخذ منهم ثم نقضوها و نبذوها وراء ظهورهم، و يذكرهم أيضا معاصي ارتكبوها و جرائم اكتسبوها و آثاما كسبتها قلوبهم على نهى من كتابهم، و ردع صريح من عقولهم، لقساوه قلوبهم، و شقاوه نفوسهم، و ضلال سعيهم.

قوله تعالى: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي ، أصل العهد الحفظ، و منه اشتقت معانيه كالعهد بمعنى الميثاق و اليمين و الوصيه و اللقاء و المنزل و نحو ذلك.

قوله تعالى: فَارْهَبُونِ ، الرهبه الخوف، و تقابل الرغبه.

قوله تعالى: وَ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ، أى من بين أهل الكتاب، أو من بين قومكم ممن مضى و سيأتى، فإن كفار مكه كانوا قد سبقوهم إلى الكفر به.

## [سوره البقره (٢): الآيات ٤٥ الى ٤٦]

### اشاره

وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاغِبُونَ (٤٦)

قوله تعالى: **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**، الاستعانة و هي طلب العون إنما يتم فيما لا يقوى الإنسان عليه وحده من المهمات و النوازل، و إذ لا معين في الحقيقة إلا الله سبحانه فالعون على المهمات مقاومه الإنسان لها بالثبات و الاستقامه و الاتصال به تعالى بالانصراف إليه، و الإقبال عليه بنفسه، و هذا هو الصبر و الصلاه، و هما أحسن سبب على ذلك، فالصبر يصغر كل عظيمه نازله، و بالإقبال على الله و الالتجاء إليه تستيقظ روح الإيمان، و تنبه: أن الإنسان متك على ركن لا يهدم، و سبب لا ينفصم.

قوله تعالى: **وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**، الضمير راجع إلى الصلاه، و أما إرجاعه إلى الاستعانه لتضمن قوله: **إِسْتَعِينُوا** ذلك فينافيه ظاهرا قوله: **إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**، فإن الخشوع لا يلائم الصبر كثير ملائمه، و الفرق بين الخشوع و الخضوع مع أن في كليهما معنى التذلل و الانكسار أن الخضوع مختص بالجوارح و الخشوع بالقلب.

قوله تعالى: **الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ**. هذا المورد، أعنى مورد الاعتقاد بالآخره على أنه مورد اليقين لا- يفيد فيه الظن و الحسابان الذى لا- يمنع النقيض، قال تعالى: **«وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**: البقره-٤، و يمكن أن يكون الوجه فيه الأخذ بتحقيق الخشوع فإن العلوم التدريجيه الحصول من أسباب تدريجيه تتدرج فيها النفس المدركه من تنبه و شك ثم ترجح أحد طرفى النقيض ثم انعدام الاحتمالات المخالفه شيئا فشيئا حتى يتم الإدراك الجازم و هو العلم، و هذا النوع من العلم إذا تعلق بأمر هائل موجب لاضطراب النفس و قلقها و خشوعها إنما تبتدى الخشوع الذى معه من حين شروع الرجحان قبل حصول الإدراك العلمى و تمامه، ففى وضع الظن موضع العلم إشاره إلى أن الإنسان لا يتوقف على زياده مثونه على العلم إن تنبه بأن له ربا يمكن أن يلاقيه و يرجع إليه و ذلك كقول الشاعر:

فقلت لهم ظنوا بألفى مذبح

سراتهم فى الفارسى المسرد

و إنما يخوف العدو باليقين لا- بالشك و لكنه أمرهم بالظن لأن الظن يكفيهم فى الانقلاب عن المخالفه، بلا حاجه إلى اليقين حتى يتكلف المهدد إلى إيجاد اليقين فيهم بالتفهيم من غير اعتناء منه بشأنهم، و على هذا فالآيه قريبه المضمون من قوله تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾: الكهف- ١١٠، و هذا كله لو كان المراد باللقاء فى قوله تعالى: ﴿مُلَاقُوا رَبَّهُمْ﴾، يوم البعث و لو كان المراد به ما سيأتى تصويره فى سوره الأعراف إن شاء الله فلا محذور فيه أصلا.

## بحث روائى

فى الكافى،: عن الصادق(ع) قال: كان على إذا أهاله أمر فزع قام إلى الصلاه- ثم تلا هذه الآيه: ﴿و اشْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.

و فى الكافى، أيضا: عنه(ع): فى الآيه، قال: الصبر الصيام، و قال: إذا نزلت بالرجل النازله الشديده فليصم. إن الله عز و جل يقول: ﴿و اشْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ يعنى الصيام..

أقول: و روى مضمون الحديثين العياشى فى تفسيره. و تفسير الصبر بالصيام من باب المصداق و الجرى.

و فى تفسير العياشى،: عن أبى الحسن(ع): فى الآيه قال: الصبر الصوم، إذا نزلت بالرجل الشده أو النازله فليصم، إن الله يقول: ﴿و اشْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ و إنها لكبيره إلا على الخاشعين. و الخاشع الذليل فى صلاته المقبل عليها، يعنى رسول الله ص و أمير المؤمنين(ع).

أقول: قد استفاد(ع) استحباب الصوم و الصلاه عند نزول الملمات و الشدائد، و كذا التوسل بالنبى و الولى عندها، و هو تأويل الصوم و الصلاه برسول الله و أمير المؤمنين.

و فى تفسير العياشى، أيضا: عن على(ع): فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَطُئُونَ أَنفُسَهُمْ مُلَاقُوا رَبَّهُمْ﴾ الآية يقول: يوقنون أنهم مبعوثون، و الظن منهم يقين.

أقول: ورواه الصدوق أيضا).

و روى ابن شهر آشوب عن الباقر(ع): أن الآية نازله فى على و عثمان بن مظعون- و عمار بن ياسر و أصحاب لهم.

## [سوره البقره (٢): الآيات ٤٧ الى ٤٨]

### أشاره

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨)

### (بيان)

قوله تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي. الملك و السلطان الدنيوى بأنواعه و أقسامه و بجميع شئونه، و قواه المقننه الحاكمه و المجريه مبتنيه على حوائج الحياه، و غايتها رفع الحاجه حسب ما يساعد عليه العوامل الزمانيه و المكانيه، فربما بدل متاع من متاع أو نفع من نفع أو حكم من حكم من غير ميزان كلى يضبط الحكم و يجرى ذلك فى باب المجازاه أيضا فإن الجرم و الجنايه عندهم يستتبع العقاب، و ربما بدل الحاكم العقاب لغرض يستدعى منه ذلك كأن يلح المحكوم الذى يرجى عقابه على القاضى و يسترحمه أو يرتشيه فينحرف فى قضائه فيجزي أى يقضى فيه بخلاف الحق، أو يبعث المجرم شفيعا يتوسط بينه و بين الحاكم أو مجرى الحكم أو يعطى عدلا و بدلا إذا كانت حاجه الحاكم المرید للعقاب إليه أزيد و أكثر من الحاجه إلى عقاب ذلك المجرم، أو يستنصر قومه فينصروه فيتخلص بذلك عن تبعه العقاب و نحو ذلك. تلك سنه جاريه و عاده دائره بينهم، و كانت الملل القديمه من الوثنيين و غيرهم تعتقد أن الحياه الآخره نوع حياه دنيويه يطرد فيها قانون الأسباب و يحكم فيها ناموس التأثير و التأثير المادى

ص: ١٥٤



الطبيعي، فيقدمون إلى آلهتهم أنواع القرابين و الهدايا للصفح عن جرائمهم أو الإمداد في حوائجهم، أو يستشفعون بها، أو يقدون بشيء عن جريمه أو يستنصرون بنفس أو سلاح حتى إنهم كانوا يدفنون مع الأموات أنواع الزخرف و الزينه، ليكون معهم ما يتمتعون به في آخرتهم، و من أنواع السلاح ما يدافعون به عن أنفسهم، و ربما ألحدوا معه من الجوارى من يستأنس بها، و من الأبطال من يستنصر به الميت، و توجد اليوم في المتاحف بين الآثار الأرضيه عتائق كثيره من هذا القبيل، و يوجد عقائد متنوعه شبيهه بتلك العقائد بين الملل الإسلاميه على اختلاف ألسنتهم و ألوانهم، بقيت بينهم بالتوارث، ربما تلونت لونا بعد لونا، جيلا بعد جيل، و قد أبطل القرآن جميع هذه الآراء الواهيه، و الأقاويل الكاذبه، فقد قال عز من قائل: «وَ الْأَمْرُ يُؤَمِّدُ لِلَّهِ، الْانْفِطَارُ-١٩، و قال: «وَ رَأُوا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ» البقره-١٦٦، و قال: «وَ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَ مَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُفِّ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ، لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» الأنعام-٩٤، و قال: «هَذَا لِكِ تَبْلُؤَا كُلِّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ» يونس-٣٠، إلى غير ذلك من الآيات التي بين فيها: أن الموطن خال عن الأسباب الدنيويه، و بمعزل عن الارتباطات الطبيعيه، و هذا أصل يتفرع عليه بطلان كل واحد من تلك الأقاويل و الأوهام على طريق الإجمال، ثم فصل القول في نفى واحد واحد منها و إبطاله فقال: «وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ» البقره-٤٨، و قال: «يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ، وَ لَا خُلَّةٌ، وَ لَا شَفَاعَةٌ» البقره-٢٥٤، و قال: «يَوْمٌ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا» الدخان-٤١، و قال: «يَوْمٌ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَّا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ» المؤمن-٣٣، و قال: «مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْرِئُونَ» الصافات-٢٦، و قال: «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَسْتَبْنُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» يونس-١٨، و قال: «مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لَا شَفِيعٍ يُطَاعُ» المؤمن-١٨، و قال: «مَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ» الشعراء-١٠١، إلى غير ذلك من الآيات الكريمه النافيه لوقوع الشفاعه و تأثير الوسائط

ثم إن القرآن مع ذلك لا ينفي الشفاعة من أصلها، بل يثبتها بعض الإثبات، قال تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ» :السجده-٣، وقال تعالى: «لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ» :الأنعام-٥١، وقال تعالى: «قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا» :الزمر-٤٤، وقال تعالى: «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ» :البقره-٢٥٥، وقال تعالى: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» :يونس-٣، وقال تعالى: «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ» :الأنبياء-٢٨، وقال:

«وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» :الزخرف-٨٦، وقال: «لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» :مريم-٨٧، وقال تعالى: «يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» :طه-١١٠، وقال تعالى: «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» :السبا-٢٣، وقال تعالى: «وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ» :النجم-٢٦، فهذه الآيات كما ترى بين ما يحكم باختصاص الشفاعة بالله عز اسمه كآيات الثلاثة الأولى و بين ما يعممها لغيره تعالى بإذنه و ارتضائه و نحو ذلك، و كيف كان فهي تثبت الشفاعة بلا ريب، غير أن بعضها تثبتها بنحو الأصاله لله وحده من غير شريك، و بعضها تثبتها لغيره بإذنه و ارتضائه، و قد عرفت أن هناك آيات تنفيها فتكون النسبه بين هذه الآيات كالنسبه بين الآيات النافيه لعلم الغيب عن غيره، و إثباته له تعالى بالاختصاص و لغيره بارتضائه، قال تعالى: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ» :النمل-٦٥، و قال تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ» :الأنعام-٥٩، و قال تعالى:

«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ» :الجن-٢٧، و كذلك الآيات الناطقه في التوفى و الخلق و الرزق و التأثير و الحكم و الملك و غير ذلك فإنها

شاعه في أسلوب القرآن، حيث ينفي كل كمال عن غيره تعالى، ثم يثبت لنفسه، ثم يثبت لغيره بإذنه و مشيئته، فتفيد أن الموجودات غيره تعالى لا تملك ما تملك من هذه الكمالات بنفسها و استقلالها، و إنما تملكها بتمليك الله لها إياها، حتى أن القرآن تثبت نوعاً من المشيه في ما حكم فيه و قضى عليه بقضاء، حتم كقوله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ، إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَ أَمَّا الَّذِينَ سِئِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ» هود-١٠٨، فقد علق الخلود بالمشيه و خاصه في خلود الجنه مع حكمه بأن العطاء غير مجذوذ، إشعاراً بأن قضاءه تعالى بالخلود لا يخرج الأمر من يده و لا يبطل سلطانه و ملكه عز سلطانه كما يدل عليه قوله: «إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ» هود-١٠٧، و بالجمله لا إعطاء هناك يخرج الأمر من يده و يوجب له الفقر، و لا منع يضطره إلى حفظ ما منعه و إبطال سلطانه تعالى.

## [أبحاث الشفاعة.]

### أشاره

و من هنا يظهر أن الآيات النافيه للشفاعه إن كانت ناظره إلى يوم القيامة فإنما تنفيها عن غيره تعالى بمعنى الاستقلال في الملك، و الآيات المثبتة تثبتها لله سبحانه بنحو الأصالة، و لغيره تعالى بإذنه و تمليكه، فالشفاعه ثابتة لغيره تعالى بإذنه فلننظر ما ذا يفيد كلامه في معنى الشفاعة و متعلقها؟ و فيمن تجرى؟ و ممن تصح؟ و متى تتحقق؟ و ما نسبتها إلى العفو و المغفره منه تعالى؟ و نحو ذلك في أمور.

### ١ ما هي الشفاعة؟

الشفاعه على ما نعرف من معناها إجمالاً، بالقريحه المكتسبه من الاجتماع و التعاون (و هي من الشفع مقابل الوتر كأن الشفيع ينضم إلى الوسيله الناقصه التي مع المستشفع فيصير به زوجاً بعد ما كان فرداً فيقوى على نيل ما يريد، لو لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته و ضعفها و قصورها) من الأمور التي نستعملها لإنجاح المقاصد، و نستعين بها على حوائج الحياه، و جل الموارد التي نستعملها فيها إما مورد يقصد فيها جلب المنفعه و الخير، و إما مورد يطلب فيها دفع المضره و الشر، لكن لا كل نفع و ضرر،

فإننا لا نستشفع فيما يتضمنه الأسباب الطبيعيه و الحوادث الكونيه من الخير و الشر، و النفع و الضر، كالجوع، و العطش، و الحر، و البرد، و الصحه، و المرض، بل نتسبب فيها بالأسباب الطبيعيه، و نتوسل إليها بوسائلها المناسبه لها كالأكل، و الشرب، و اللبس و الاكتنان و المداواه، و إنما نستشفع فى الخيرات و الشرور و المنافع و المضار التى تستدعيها أو تستتبعها أوضاع القوانين و الأحكام التى وضعتها و اعتبرتها و قررتها و أجرتها حكومه الاجتماع بنحو الخصوص أو العموم، ففى دائره المولويه و العبوديه، و عند كل حاكم و محكوم، و أحكام من الأمر و النهى إذا عمل بها و امتثلها المكلف بها استتبع ذلك تبعه الثواب من مدح أو نفع، من جاه أو مال، و إذا خالفها و تمرد منها استتبع ذلك تبعه العقاب من ذم أو ضرر مادى، أو معنوى، فإذا أمر المولى أو نهى عبده، أو كل من هو تحت سيادته و حكومته بأمر أو نهى مثلاً- فامتثله كان له بذلك أجر كريم، و إن خالف كان له عقاب أو عذاب فهناك نوعان من الوضع و الاعتبار، وضع الحكم و وضع تبعه الحكم، يتعين به تبعه الموافقه و المخالفه.

و على هذا الأصل تدور جميع الحكومات العامه بين الملل و الخاصه بين كل إنسان و من دونه.

فإذا أراد الإنسان أن ينال كمالاً- و خيراً مادياً أو معنوياً و ليس عنده ما يستوجب ذلك بحسب ما يعينه الاجتماع، و يعرف به لياقته، أو أراد أن يدفع عن نفسه شراً متوجهاً إليه من عقاب المخالفه و ليس عنده ما يدفعه، أعنى الامتثال و الخروج عن عهده التكليف، و بعبارة واضحه إذا أراد نيل ثواب من غير تهيئه أسبابه، أو التخلص من عقاب من غير إتيان التكليف المتوجه إليه فذلك مورد الشفاعه، و عنده تؤثر لكن لا مطلقاً فإن من لا لياقه له بالنسبه إلى التلبس بكمال، أو لا رابطه له تربطها إلى المشفوع عنده أصلاً، كالعامى الأعمى الذى يريد تقلد مقام علمى، أو الجاحد الطاغى الذى لا يخضع لسيدته أصلاً لا تنفع عنده الشفاعه، فإنما الشفاعه متممه للسبب لا مستقله فى التأثير.

ثم إن تأثير الشفيع عند الحاكم المشفوع عنده لا يكون تأثيراً جزافياً من غير سبب يوجب ذلك بل لا بد أن يوسط أمراً يؤثر فى الحاكم، و يوجب نيل الثواب،

أو التخلص من العقاب، فالشفيع لا يطلب من المولى مثلاً أن يبطل مولويه نفسه و عبوديه عبده فلا يعاقبه، ولا يطلب منه أن يرفع اليد عن حكمه و تكليفه المجعول، أو ينسخه عموماً أو في خصوص الواقعة فلا- يعاقبه، ولا يطلب منه أن يبطل قانون المجازاه عموماً أو خصوصاً فلا يعاقب لذلك رأساً، أو في خصوص الواقعة، فلا نفوذ و لا تأثير للشفيع في مولويه و عبوديه، و لا في حكم و لا في جزاء حكم، بل الشفيع بعد ما يسلم جميع الجهات الثلاث المذكوره إنما يتمسك: إما بصفات في المولى الحاكم توجب العفو و الصفح كسؤدده، و كرمه، و سخائه، و شرافه محتده، و إما بصفات في العبد تستدعي الرأفه و الحنان و تثير عوامل المغفره كمدلته و مسكنته و حقارته و سوء حاله، و إما بصفات في نفسه أعنى نفس الشفيع من قربه إلى المولى و كرامته و علو منزلته عنده فيقول: ما أسألك إبطال مولويتك و عبوديته، و لا أن تبطل حكمك و لا أن تبطل الجزاء، بل أسألك الصفح عنه بأن لك سؤددا و رأفه و كرماً لا- تنتفع بعقابه و لا يضرك الصفح عن ذنبه أو بأنه جاهل حقير مسكين لا يعتنى مثلك بشأنه و لا يهتم بأمره أو بأن لى عندك من المنزله و الكرامه ما يوجب إسعاف حاجتى فى تخليصه و العفو عنه.

و من هنا يظهر للمتأمل أن الشفيع إنما يحكم بعض العوامل المربوطه بالمورد المؤثره فى رفع العقاب مثلاً من صفات المشفوع عنده أو نحوها على العامل الآخر الذى هو سبب وجود الحكم و ترتب العقاب على مخالفته، و نعى بالحكومه أن يخرج مورد الحكم عن كونه مورداً بإدخاله فى مورد حكم آخر، فلا يشمل الحكم الأول لعدم كونه من مصاديقه لا أن يشمل فيبطل حكمه بعد الشمول بالمضاده كإبطال الأسباب المتضاده فى طبيعته بعضها حكم بعض بالمعارضه و الغلبه فى التأثير، فحقيقه الشفاعة التوسط فى إيصال نفع أو دفع شر بنحو الحكومه دون المضاده.

و من هنا يظهر أيضاً أن الشفاعة من مصاديق السببيه فهى توسط السبب المتوسط القريب بين السبب الأول البعيد و مسببه، هذا ما يتحصل من تحليل معنى الشفاعة التى عندنا.

ثم إن الله سبحانه يمكن أن يقع مورد النظر فى السببيه من جهتين:

إحداهما: أنه يتدى منه التأثير، و ينتهى إليه السبب، فهو المالك للخلق و الإيجاد على الإطلاق، و جميع العلل و الأسباب أمور متخلله متوسطه بينه و بين غيره لنشر رحمته التى لا تنفذ و نعمته التى لا تحصى إلى خلقه و صنعته.

و الثانى: أنه تعالى تفضل علينا بالدنو فى حين علوه فشرع الدين و وضع فيه أحكاما من أوامر و نواهى و غير ذلك و تبعات من الثواب و العقاب فى الدار الآخرة و أرسل رسلا مبشرين و منذرين فبلغوه أحسن تبليغ و قامت بذلك الحجة و تمت كلمه ربك صدقا و عدلا لا مبدل لكلماته.

أما من الجبهه الأولى: و هى النظر إليه من جهه التكوين فانطبق معنى الشفاعة على شأن الأسباب و العلل الوجوديه المتوسطه واضح لا يخفى، فإنها تستفيد من صفاته العليا من الرحمه و الخلق و الإحياء و الرزق و غير ذلك إيصال أنواع النعم و الفضل إلى كل مفتقر محتاج من خلقه، و كلامه تعالى أيضا يحتمل ذلك كقوله تعالى: «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» البقره- ٢٥٥، و قوله «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» يونس- ٣، فإن الشفاعة فى مورد التكوين ليست إلا توسط العلل و الأسباب بينه و بين مسبباتها فى تدبير أمرها و تنظيم وجودها و بقائها فهذه شفاعة تكوينيه.

و أما من الجبهه الثانى و هى النظر إليه من جهه التشريع فالذى ينبغى أن يقال:

أن مفهوم الشفاعة على ما سبق من التحليل يصح صدقه فى مورد و لا محذور فى ذلك و عليه ينطبق قوله تعالى: «يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا» طه- ١٠٩، و قوله: «لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» السبا- ٢٣، و قوله «لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعِدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى» النجم- ٢٦، و قوله: «وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى» الأنبياء- ٢٨، و قوله: «وَ لَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» الزخرف- ٨٦، فإن الآيات كما ترى تثبت الشفاعة بمعنى الشافعيه لعهده من عبادته من الملائكه و الناس من بعد الإذن و الارتضاء، فهو تملك و لله الملك و له الأمر فلهم أن يتمسكوا برحمته و عفوه

و مغفرته و ما أشبه ذلك من صفاته العليا لتشمل عبدا من عباده سائت حاله بالمعصيه، و شملته بليه العقوبه، فيخرج عن كونه مصداقا للحكم الشامل، و الجرم العامل على ما عرفت أن تأثير الشفاعه بنحو الحكومه دون التضاد و هو القائل عز من قائل:

﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾: الفرقان-٧٠، فله تعالى أن يبدل عملا- من عمل كما أن له أن يجعل الموجود من العمل معدوما، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾: الفرقان-٢٣، و قال تعالى: ﴿فَأَحْبَبَ أَعْمَالَهُمْ﴾: محمد-١٠ و قال تعالى: ﴿إِنَّ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: النساء-٣١، و قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: النساء-٤٨، و الآيه في غير مورد الإيمان و التوبه قطعا فإن الإيمان و التوبه يغفر بهما الشرك أيضا كسائر الذنوب و له تكثير القليل من العمل، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾: القصص-٦٥، و قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ مِّثَالِهَا﴾: الأنعام-١٦٠، و له سبحانه أن يجعل المعدوم من العمل موجودا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مَا أَلْتَأَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾: الطور-٢١، و هذا هو اللحق و الإلحاق و بالجملة فله تعالى أن يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد.

نعم إنما يفعل لمصلحه مقتضيه، و عله متوسطه و لتكن من جملتها شفاعه الشافعين من أنبيائه و أوليائه و المقربين من عباده من غير جزاف و لا ظلم.

و من هنا ظهر أن معنى الشفاعه بمعنى الشافعيه، صادق بحسب الحقيقه في حقه تعالى فإن كلا من صفاته متوسطه بينه و بين خلقه في إفاضه الجود و بذل الوجود فهو الشفيع في الحقيقه على الإطلاق. قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾: الزمر-٤٤ و قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا شَفِيعٍ﴾: السجده-٤، و قال تعالى:

﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لَا شَفِيعٌ﴾: الأنعام-٥١. و غيره تعالى لو كان شفيعا فإنما هو بإذنه و تملكه. فقد ثبت بما مر صحه تحقق الشفاعه عنده تعالى في الجملة فيما لا يوجب محذورا لا يليق بساحه كبريائه تعالى.

قد عرفت: أن الشفاعة ثابتة في الجملة لا بالجملة، وستعرف أن الكتاب و كذلك السنه لا يثبتان أزيد من ذلك، بل التأمل في معناها وحده يقضى بذلك، فإن الشفاعة كما مر يرجع بحسب المعنى إلى التوسط في السببيه و التأثير، و لا معنى للإطلاق في السببيه و التأثير فلا السبب يكون سببا لكل مسبب من غير شرط و لا مسبب واحد يكون مسببا لكل سبب على الإطلاق فإن ذلك يؤدي إلى بطلان السببيه و هو باطل بالضرورة. و من هنا اشتبه الأمر على النافين للشفاعة حيث توهموها مطلقه من غير شرط فاستشكلوا فيها بأمر و بنوا عليها بطلان هذه الحقيقه القرآنيه من غير تدبر فيما يعطيه كلامه تعالى و هاك شطرا منها:

الإشكال الأول: أن رفع العقاب عن المجرم يوم القيامة بعد ما أثبتته الله تعالى بالوعيد إما أن يكون عدلا أو ظلما. فإن كان عدلا كان أصل الحكم المستتبع للعقاب ظلما لا يليق بساحته تعالى و تقدس، و إن كان ظلما كان شفاعه الأنبياء مثلا سؤالا للظلم منه و هو جهل لا يجوز نسبته إليهم صلوات الله عليهم.

و الجواب عنه أولا: بالنقض فإنه منقوض بالأوامر الامتحانيه فرفع الحكم الامتحاني ثانيا و إثباته أولا كلاهما من العدل، و الحكمه فيها اختبار سريره المكلف أو إظهار باطن أمره أو إخراج ما في قوته إلى الفعل، فيقال في مورد الشفاعة أيضا يمكن أن تكون النجاه مكتوبه لجميع المؤمنين، ثم يوضع الأحكام و ما لمخالفتها من أنواع العقاب ليهلك الكافرون بكفرهم، و أما المؤمنون فيرتفع بالطاعه درجات المحسنين منهم و يبقى المسيئون فينالون بالشفاعة النجاه المكتوبه لهم و لو بالنسبه إلى بعض أنواع العذاب أو أفراده مع مقاساه البعض الآخر كأحوال البرزخ و أهوال يوم القيامة، فيكون بذلك أصل وضع الحكم و عقابه أولا عدلا و رفع عقابه ثانيا عدلا.

و ثانيا: بالحل، فإن رفع العقاب أولا - بواسطة الشفاعة إنما يغير الحكم الأول فيما ذكر من العدل و الظلم لو كان رفع العقاب بالشفاعة نقضا للحكم الأول أو نقضا للحكم باستتباع العقوبه و قد عرفت أنه ليس كذلك بل أثر الشفاعة بالحكمه لا



بالمضاده فيها إخراج المجرم عن كونه مصداقا لشمول العقاب بجعله مصداقا لشمول الرحمة من صفات أخرى له تعالى من رحمته و عفو و مغفره، و منها إفضاله للشافع بالإكرام و الإعظام.

الإشكال الثاني: أن سنة الله تعالى جرت على صون أفعاله من التخلف و الاختلاف، فما قضى و حكم به يجريه على وتيره و أحده من غير استثناء، و على هذا جرت سنة الأسباب، قال تعالى: «هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ» :الحجر-٤٣، و قال تعالى: «وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ» :الأنعام-١٥٣، و قال تعالى: «فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا» :الفاطر-٤٢، و تحقق الشفاعة موجب للاختلاف في الفعل فإن رفع العقاب بالشفاعة عن جميع المجرمين في جميع جرائمهم موجب لنقض الفرض المحال، و لعب ينافي الحكمة قطعا، و رفعه عن بعض المجرمين أو في بعض جرائمهم و ذنوبهم اختلاف في فعله تعالى و تغير و تبدل في سنته الجارية و طريقته الدائمة، إذ لا فرق بين المجرمين في أن كل واحد منهم مجرم و لا بين الذنوب في أن كلا منها ذنب و خروج عن زى العبودية فتخصيص بعضهم أو بعض من أعمالهم بالصفح و الإغماض دون بعض بواسطة الشفاعة محال، و إنما تجرى الشفاعة و ما يشبهها في سنة هذه الحياه من ابتناء الأعمال و الأفعال على الأهواء و الأوهام التي ربما تقضى في الحق و الباطل على السواء، و تجرى عن الحكمة و عن الجهالة على نسق واحد.

و الجواب أنه لا ريب في أن صراطه تعالى مستقيم و سنته واحده لكن هذه السنه الواحده الغير المختلفه ليست قائمه على أصل صفه واحده من صفاته تعالى كصفه التشريع و الحكم مثلا حتى لا يتخلف حكم عن مورده و لا جزاء حكم عن محله قط بل هي قائمه على ما يستوجبه جميع صفاته المربوط علت صفاته.

توضيح ذلك: أن الله سبحانه هو الواهب المفيض لكل ما في الوجود من حياه أو موت أو رزق أو نعمه أو غير ذلك. و هي أمور مختلفه لا- ترتبط به سبحانه على السواء و لا- لرابطه واحده كيف كانت، فإن فيه بطلان الارتباط و السببيه، فهو تعالى لا يشفى مريضا من غير سبب موجب و مصلحه مقتضيه و لا يشفيه لأنه الله المميت

المنتقم شديد البطش بل لأنه الله الرؤوف الرحيم المنعم الشافي المعافي مثلاً ولا يهلك جباراً مستكبراً من غير سبب، لأنه رؤوف رحيم به، بل لأنه الله المنتقم الشديد البطش القهار مثلاً وهكذا. والقرآن بذلك ناطق فكل حادث من الحوادث بما يشتمل عليه من جهات الوجود يسند إليه من جهة صفة أو أكثر من صفاته العليا تتسبب إليه بالتلاؤم والابتلاف الواقع بينهما والافتضاء المستنتج من ذلك، وإن شئت قلت: كل أمر من الأمور يرتبط به تعالى من جهة ما يتضمنه من المصالح والخيرات. إذا عرفت هذا علمت: أن استقامه صراطه وعدم تبدل سنته وعدم اختلاف فعله إنما هي بالنسبة إلى ما يفعله بجميع صفاته المربوطه لا بالنسبة إلى مقتضى صفة قاصره وإن شئت قلت: بالنسبة إلى ما يتحصل من الفعل والانفعال والكسر والانكسار الواقع بين الحكم والمصالح المرتبطه بالمورد لا- بالنسبة إلى مقتضى مصلحه واحده. فلو كان هناك سبب الحكم المجعول فقط لم يتغير ولم يختلف في بر ولا فاجر ولا مؤمن ولا كافر. لكن الأسباب كثيره ربما استدعى توافق عدده منها غير ما يقتضيه بعضها فافهم ذلك.

فوقوع الشفاعه وارتفاع العقاب- ذلك إثر عدده من الأسباب كالرحمه والمغفره والحكم والقضاء وإعطاء كل ذي حق حقه والفصل في القضاء- لا يوجب اختلافاً في السنه الجاربه وضلالاً في الصراط المستقيم.

الإشكال الثالث: أن الشفاعه المعروفه عند الناس هي أن يحمل الشافع المشفوع عنده على فعل أو ترك أراد غيره حكم به أو لا فلا- تتحقق الشفاعه إلا- بترك الإراده ونسخها لأجل الشفيع فأما الحاكم العادل فإنه لا يقبل الشفاعه إلا إذا تغير علمه بما كان أراد أو حكم به، كأن أخطأ ثم عرف الصواب ورأى أن المصلحه أو العمل في خلاف ما كان يريد أو حكم به. وأما الحاكم المستبد الظالم فإنه يقبل شفاعه المقربين عنده في الشيء وهو عالم بأنه ظلم وأن العدل في خلافه ولكنه يفضل مصلحه ارتباطه بالشافع المقرب عنده على العداله، وكل من النوعين محال على الله تعالى لأن إرادته على حسب علمه وعلمه أزلى لا يتغير.

والجواب أن ذلك منه تعالى ليس من تغير الإراده والعلم في شيء وإنما التغير في المراد والمعلوم، فهو سبحانه يعلم أن الإنسان الفلاني سيتحول عليه الحالات فيكون

فى حىن كذا على حال كذا لاقتران أسباب و شرائط خاصه فى رىءه، ثم فى حىن آخر على حال آخر جءىء  
ىخالف الأول لاقتران أسباب و شرائط آخر فىءه فىءه أخرى و كل فىءه فى شأن، و قد قال تعالى: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ  
يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»: الرعد-٣٩، و قال: «بِئْسَ يَدَاؤُهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ»: المائءه-٦٧، مثال ذلك: أنا نعلم أن الهواء  
سغشاء الظلمه فلا- فى عمل أبصارنا و الحاجه إلىءه قائمه ثم تنجلى الظلمه بآناره الشمس فتتعلق إراءءنا عند إقبال اللىل بالاستضاءه  
بالسراج و عند انقضاءه بإطفائه و العلم و الإراده فىر متغيرىن و إنما تغير المعلوم و المراد، فخرجنا عن كونهما منطبقا علىءه للعلم و  
الإراءه، و لىس كل علم ينطبق على كل معلوم، و لا كل إراءه تتعلق بكل مراد، نعم تغير العلم و الإراده المسمى علىءه تعالى هو  
بطلان انطباق العلم على المعلوم و الإراده على المراد مع بقاء المعلوم و المراد على حالهما و هو الخطأ و الفسخ، مثل أن ترى  
شبحا فتحكم بكونه إنسانا ثم ىتبنى أنه فرس فىتبدل العلم، أو ترى أمرا لمصلحه ما ثم ىظهر لك أن المصلحه فى خلافه فتنسخ  
إراءءك، و هذان فىر جائزىن فى مورده تعالى، و الشفاعه و رفع العقاب بها لىس من هذا القبىل كما عرفء.

الإشكال الرابع: أن وعد الشفاعه منه تعالى أو تبلىءها من الأنبىاء (ع) مسمىلزم لتجربى الناس على المعصىه و إغراء لهم على هءك  
محرار الله تعالى و هو مناف للغرض الوحىء من الءىن من سوق الناس إلى العبوىه و الطلاعه فلا بد من تأوىل ما ىدل علىءه من  
الكتاب و السنه بما لا ىزاحم هذا الأصل البءىهى.

و الجواب عنه، أولا: بالنقض بالآىاء الءاله على شمول المغفره و سعه الرحمه كقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ  
مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»: النساء-٥١، و الآىه-كما-مر فى فىر مورد التوبه بءلىل استثناءه الشرك المغفور بالتوبه.

و ثانيا: بالحل: فإن وعد الشفاعه أو تبلىءها إنما ىستلزم تجربى الناس على المعصىه و إغراءهم على التمرد و المخالفه بشرطىن:

أءءهما: تعىن المجرم بنفسه و نعته أو تعىن الذنب الذى تقع فىءه الشفاعه تعىنا لا فىءه لىس بنحو الإنجاز من فىر تعليق بشرط  
جائز.

و ثانيهما: تأثير الشفاعة في جميع أنواع العقاب و أوقاته بأن تقلعه من أصله قلعا.

فلو قيل: إن الطائفه الفلانيه من الناس أو كل الناس لا يعاقبون على ما أجرموا و لا يؤاخذون فيما أذنبوا أبدا، أو قيل إن الذنب الفلاني لا عذاب عليه قط كان ذلك باطلا من القول و لعبا بالأحكام و التكاليف المتوجهه إلى المكلفين، و أما إذا أبهم الأمر من حيث الشرطين فلم يعين أن الشفاعة في أى الذنوب و في حق أى المذنبين أو أن العقاب المرفوع هو جميع العقوبات و في جميع الأوقات و الأحوال، فلا- تعلم نفس هل تنال الشفاعة الموعوده أو لا فلا تتجرى على هتك محارم الله تعالى، غير أن ذلك توقظ قريحه رجائها فلا يوجب مشاهدته ما يشاهدها من ذنوبها و آثامها فنوطا من رحمه الله، و يأسا من روح الله، مضافا إلى قوله تعالى: «إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ»: النساء- ٣١، فإن الآيه تدل على رفع عقاب السيئات و المعاصي الصغيره على تقدير اجتناب المعاصي الكبيره فإذا جاز أن يقول الله سبحانه:

إن اتقيتم الكبائر عفونا عن صغائركم، فليجز أن يقال: إن تحفظتم على إيمانكم حتى أتيتموني في يوم اللقاء بإيمان سليم قبلت فيكم شفاعه الشافعين، فإنما الشأن كل الشأن في حفظ الإيمان و المعاصي تضعف الإيمان و تقسى القلب و تجلب الشرك، و قد قال تعالى: «فَلَا يَأْمُرُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ»: الأعراف- ٩٨، و قال: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»: المطففين- ١٤، و قال: «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ»: الروم- ١٠، و ربما أوجب ذلك انقلاعه عن المعاصي، و ركوبه على صراط التقوى، و صيرورته من المحسنين، و استغناءه عن الشفاعة بهذا المعنى، و هذا من أعظم الفوائد، و كذا إذا عين المجرم المشفوع له أو الجرم المشفوع فيه لكن صرح بشموله على بعض جهات العذاب أو بعض أوقاته فلا- يوجب تجرى المجرمين قطعا.

و القرآن لم ينطق في خصوص المجرمين و في خصوص الذنب بالتعيين و لم ينطق في رفع العقاب إلا بالبعض كما سيجيء فلا إشكال أصلا.

الإشكال الخامس: أن العقل لو دل فإنما يدل على إمكان وقوع الشفاعة لا على

فعلية وقوعها على أن أصل دلالته ممنوع، و أما النقل فما يتضمنه القرآن لا دلالة فيه على وقوعها فإن فيها آيات داله على نفي الشفاعة مطلقا كقوله، «لَا يَتَّبِعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ» البقره-٢٥٤، وأخرى ناطقه بنفي منفعه الشفاعة كقوله تعالى: «فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ»: المدثر-٤٨ و أخرى تفيد النفي بمثل قوله تعالى: «إِلَّا بِإِذْنِهِ»: البقره-٢٥٥ و قوله: «إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ»: يونس-٣، و قوله تعالى: «إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى»: الأنبياء-٢٨، و مثل هذا الاستثناء أى الاستثناء بالإذن و المشيبه معهود في أسلوب القرآن في مقام النفي القطعي للإشعار بأن ذلك ياذنه و مشيته سبحانه كقوله تعالى: «سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ»: الأعلى-٦، و قوله تعالى: «خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ»: هود-١٠٧، فليس في القرآن نص قطعي على وقوع الشفاعة و أما السنه فما دلت عليه الروايات من الخصوصيات لا تعويل عليه، و أما المتيقن منها فلا يزيد على ما في الكتاب دلالة.

و الجواب: أما عن الآيات النافيه للشفاعة فقد عرفت أنها لا- تنفى مطلق الشفاعة بل الشفاعة بغير إذن الله و ارتضاءه، و أما عن الآيات النافيه لمنفعه الشفاعة على زعم المستشكل فإنها تثبت الشفاعة و لا تنفيه فإن الآيات واقعه في سوره المدثر و إنما تنفى الانتفاع عن طائفه خاصه من المجرمين لا عن جميعهم، و مع ذلك فالشفاعة مضافه لا مجردة مقطوعه عن الإضافه، ففرق بين أن يقول القائل: فلا تنفعهم الشفاعة و بين أن يقول: فلا تنفعهم شفاعه الشافعين فإن المصدر المضاف يشعر بوقوع الفعل في الخارج بخلاف المقطوع عن الإضافه، نص عليه الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز فقوله: شفاعه الشافعين يدل على أن شفاعه ما ستقع غير أن هؤلاء لا ينتفعون بها على أن الإتيان بصيغه الجمع في الشافعين يدل على ذلك أيضا كقوله: «كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ» و قوله: «وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» و قوله: «فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ» و قوله: «لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» و أمثال ذلك، و لو لا ذلك لكان الإتيان بصيغه الجمع و له مدلول زائد على مدلول المفرد لغوا زائدا في الكلام فقوله: فما تنفعهم شفاعه الشافعين من الآيات المثبتة للشفاعة دون النافيه.

و أما عن الآيات المشتمله على استثناء الإذن و الارتضاء فدلاله قوله: «إِلَّا بِإِذْنِهِ»

وقوله: «إِلَّا- مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» على الوقوع وهو مصدر مضاف مما لا ينبغي أن ينكره عارف بأساليب الكلام و كذا القول: يكون قوله: «إِلَّا بِإِذْنِهِ» وقوله: «إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى» بمعنى واحد وهو المشيه مما لا ينبغي الإصغاء إليه، على أن الاستثناء واقع في مورد الشفاعة بوجه مختلفه كقوله: «إِلَّا بِإِذْنِهِ وَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» وقوله «إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى» ، وقوله: «إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» إلى غير ذلك، فهب: أن الإذن و الارتضاء واحد وهو المشيه فهل يمكن التفوه بذلك في قوله: «إِلَّا- مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» . فهل المراد بهذا الاستثناء استثناء المشيه أيضا؟ هذا و أمثاله من المساهله في البيان مما لا يصح نسبه إلى كلام سوقي فكيف بالكلام البليغ! وكيف بأبلغ الكلام! و أما السنه فسيأتى الكلام في دلالتها على ما يحاذى دلاله الكتاب.

الإشكال السادس: أن الآيات غير صريحه في رفع العقاب الثابت على المجرمين يوم القيامة بعد ثبوت الجرم و لزوم العقاب بل المراد بها شفاعه الأنبياء بمعنى توسطهم بما هم أنبياء بين الناس و بين ربهم بأخذ الأحكام بالوحى و تبليغها الناس و هدايتهم و هذا المقدار كالبذر ينمو و ينشأ منه ما يستقبله من الأقدار و الأوصاف و الأحوال فهم (ع) شفعاء المؤمنين فى الدنيا و شفعاءؤهم فى الآخرة.

و الجواب: أنه لا- كلام فى أن ذلك من مصاديق الشفاعه إلا أن الشفاعه غير مقصوره فيه كما مر بيانه، و من الدليل عليه قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»: النساء- ٤٨، و قد مر بيان أن الآيه فى غير مورد الإيمان و التوبه، و الشفاعه التى قررهما المستشكل فى الأنبياء إنما هى بطريق الدعوه إلى الإيمان و التوبه.

الإشكال السابع: أن طريق العقل لا يوصل إلى تحقق الشفاعه، و ما نطق به القرآن آيات متشابهه تنفيها تاره و تثبتها أخرى، و ربما قيدتها و ربما أطلقتها، و الأدب الدينى الإيمان بها، و إرجاع علمها إلى الله تعالى.

و الجواب عنه: أن المتشابهه من الآيات تصير بإرجاعها إلى المحكمات محكمات مثلها، و هو أمر ميسور لنا غير مضروب دونه الستر، كما سيجىء بيانه عند قوله

تعالى: «مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ»: آل عمران-٧.

### ٣- فيمن تجرى الشفاعة؟

قد عرفت أن تعيين المشفوع لهم يوم القيامة لا يلائم الترتيبه الدينيه كل الملاءمه إلا أن يعرفوا بما لا يخلو عن شوب إبهام و على ذلك جرى بيان القرآن، قال تعالى:

«كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَ كُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ»  
:المدثر- ٤٨، بين سبحانه فيها أن كل نفس مرهونه يوم القيامة بما كسبت من الذنوب، مأخوذه بما أسلفت من الخطايا إلا أصحاب اليمين فقد فكوا من الرهن و أطلقوا و استقروا فى الجنان، ثم ذكر أنهم غير محجوبين عن المجرمين الذين هم مرهونون بأعمالهم، مأخوذ عليهم فى سقر، يتساءلون عنهم سلوكهم فى النار، و هم يجيبون بالإشارة إلى عده صفات ساقطهم إلى النار، فرع على هذه الصفات بأنه لم ينفعهم لذلك شفاعه الشافعين.

و مقتضى هذا البيان كون أصحاب اليمين غير متصفين بهذه الصفات التى يدل الكلام على كونها هى المانع عن شمول الشفاعه، و إذا كانوا غير متصفين بهذه الصفات المانع عن شمول الشفاعه و قد فكك الله تعالى نفوسهم عن رهانه الذنوب و الآثام دون المجرمين المحرومين عن الشفاعه، المسلوكين فى سقر، فهذا الفك و الإخراج إنما هو بالشفاعه فأصحاب اليمين هم المشفوعون بالشفاعه، و فى الآيات تعريف أصحاب اليمين بانتفاء الأوصاف المذكوره عنهم، بيان ذلك: أن الآيات واقعه فى سوره المدثر و هى من السور النازله بمكه فى بدء البعثه كما ترشد إليه مضامين الآيات الواقعه فيها، و لم يشرع يومئذ الصلاه و الزكاه بالكيفيه الموجوده اليوم، فالمراد بالصلاه فى قوله لم نك من المصلين التوجه إلى الله تعالى بالخضوع العبودى، و بإطعام المسكين مطلق الإنفاق على المحتاج فى سبيل الله، دون الصلاه و الزكاه المعهودتين فى الشريعه الإسلاميه و الخوض هو الغور فى ملاهى الحياه و زخارف الدنيا الصارفه للإنسان عن الإقبال على

الآخرة و ذكر الحساب يوم الدين، أو التعمق في الطعن في آيات الله المذكرة ليوم الحساب المبشره المنذره، و بالتلبس بهذه الصفات الأربعة، و هي ترك الصلاة لله و ترك الإنفاق في سبيل الله و الخوض و تكذيب يوم الدين ينهدم أركان الدين، و بالتلبس بها تقوم قاعدته على ساق فإن الدين هو الاقتداء بالهداه الطاهرين بالإعراض عن الإخلاق إلى الأرض و الإقبال إلى يوم لقاء الله، و هذان هما ترك الخوض و تصديق يوم الدين و لازم هذين عملا التوجه إلى الله بالعبوديه، و السعى في رفع حوائج جامعه الحياه و هذان هما الصلاة و الإنفاق في سبيل الله، فالدين يتقوم بحسب جهتي العلم و العمل بهذه الخصال الأربع، و تستلزم بقيه الأركان كالتوحيد و النبوه استلزاما هذا، فأصحاب اليمين هم الفائزون بالشفاعه، و هم المرضيون دينا و اعتقادا سواء كانت أعمالهم مرضيه غير محتاجه إلى شفاعه يوم القيامة أو لم تكن، و هم المعنيون بالشفاعه، فالشفاعه للمذنبين من أصحاب اليمين، و قد قال تعالى: «إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» :النساء- ٣١، فمن كان له ذنب باق إلى يوم القيامة فهو لا محاله من أهل الكبائر، إذ لو كان الذنب من الصغائر فقط لكان مكفرا عنه، فقد بان أن الشفاعه لأهل الكبائر من أصحاب اليمين، و قد قال النبي ص: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي- فأما المحسنون فما عليهم من سبيل، الحديث.

و من جهه أخرى إنما سمي هؤلاء بأصحاب اليمين في مقابل أصحاب الشمال و ربما سموا أصحاب اليمينه في مقابل أصحاب المشأمه، و هو من الألفاظ التي اصطلح عليه القرآن مأخوذ من إيتاء الإنسان يوم القيامة كتابه يمينه أو بشماله، قال تعالى:

«يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا» :إسراء- ٧٢، و سنين في الآيه إن شاء الله تعالى أن المراد من إيتاء الكتاب باليمين اتباع الإمام الحق، و من إيتائه بالشمال اتباع إمام الضلال كما قال تعالى في فرعون: «يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ» :هود- ٩٨، و بالجمله مرجع التسميه بأصحاب اليمين أيضا إلى ارتضاء الدين كما أن إليه مرجع التوصيف بالصفات الأربعة المذكوره هذا.

ثم إنه تعالى قال في موضع آخر من كلامه: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ»



الأنبياء-٢٨، فأثبت الشفاعة على من ارتضى، وقد أطلق الارتضاء من غير تقييد بعمل و نحوه، كما فعله في قوله: «إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا»: طه-١٠٩، ففهمنا أن المراد به ارتضاء أنفسهم أى ارتضاء دينهم لا ارتضاء عملهم، فهذه الآية أيضا ترجع من حيث الإفاده إلى ما ترجع إليه الآيات السابقة ثم إنه تعالى قال «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِذَاءً لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» فهو يملك الشفاعة (أى المصدر المبنى للمفعول) وليس كل مجرم بكافر محتوم له النار، بدليل قوله تعالى: «إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ»: طه-٧٥، فمن لم يكن مؤمنا قد عمل صالحا فهو مجرم سواء كان لم يؤمن، أو كان قد آمن و لم يعمل صالحا، فمن المجرمين من كان على دين الحق لكنه لم يعمل صالحا و هو الذى قد اتخذ عند الله عهدا لقوله تعالى: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ»: يس-٦١ فقوله تعالى: «وَأَنْ اعْبُدُونِي» عهد بمعنى الأمر و قوله تعالى: هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ، عهد بمعنى الالتزام لاشتغال الصراط المستقيم على الهدايه إلى السعادة و النجاه، فهؤلاء قوم من أهل الإيمان يدخلون النار لسوء أعمالهم، ثم ينجون منها بالشفاعة، و إلى هذا المعنى يلوح قوله تعالى «قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا»: البقره-٨٠، فهذه الآيات أيضا ترجع إلى ما ترجع إليه الآيات السابقة، و الجميع تدل على أن مورد الشفاعة أعنى المشفوع لهم يوم القيمة هم الدائنون بدين الحق من أصحاب الكبائر، و هم الذين ارتضى الله دينهم.

#### ٤- من تقع منه الشفاعة؟

قد عرفت أن الشفاعة منها تكوينيه، و منها تشريعيه، فأما الشفاعة التكوينية فجملة الأسباب الكونية شفعاء عند الله بما هم وسائط بينه و بين الأشياء. و أما الشفاعة التشريعيه، و هى الواقعه فى عالم التكليف و المجازات، فمنها ما يستدعى فى الدنيا مغفره من الله سبحانه أو قربا و زلفى، فهو شفيع متوسط بينه و بين عبده. و منه

التوبه كما قال تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَ أَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ» الزمر-٥٤، و يعم شموله لجميع المعاصي حتى الشرك. و منه الإيمان قال تعالى: «آمَنُوا بِرَسُولِهِ ، X إلى قوله X: وَ يَغْفِرْ لَكُمْ» الحديد-٢٨. و منه كل عمل صالح. قال تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ» المائدة-٩، و قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ» المائدة-٣٥ و الآيات فيه كثيره، و منه القرآن لقوله تعالى: «يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» المائدة-١٦.

و منه كل ما له ارتباط بعمل صالح، و المساجد و الأمكنه المتبركه و الأيام الشريفه، و منه الأنبياء و الرسل باستغفارهم لأمرهم. قال تعالى: «وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» النساء-٦٤. و منه الملائكه فى استغفارهم للمؤمنين، قال تعالى: «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا» المؤمن-٧، و قال تعالى: «وَ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» الشورى-٥، و منه المؤمنون باستغفارهم لأنفسهم و لإخوانهم المؤمنين.

قال تعالى حكاية عنهم «وَ اعْفُ عَنَّا وَ اعْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا» البقره-٢٧٦.

و منها الشفيع يوم القيمه بالمعنى الذى عرفت فمنهم الأنبياء. قال تعالى: «وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ» X إلى أن قال X: «وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى» الأنبياء-٢٩، فإن منهم عيسى بن مريم و هو نبي، و قال تعالى: «وَ لَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» الزخرف-٨٦، و الآيتان تدلان على جواز الشفاعة من الملائكه أيضا لأنهم قالوا إنهم بنات الله سبحانه. و منهم الملائكه.

قال تعالى: «وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى» النجم-٢٦، و قال تعالى: «يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ» طه-١١٠، و منهم الشهداء

لدلاله قوله تعالى: «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ»: الزخرف-٨٦، على تملكهم للشفاعة لشهادتهم بالحق، فكل شهيد فهو شفيع يملك الشهادة غير أن هذه الشهادة كما مر في سورة الفاتحة و سيأتي في قوله تعالى «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ»: البقره-١٤٣ شهادة الأعمال دون الشهادة بمعنى القتل في معركة القتال، و من هنا يظهر أن المؤمنين أيضا من الشفعاء فإن الله عز و جل أخبر بلحوقهم بالشهداء يوم القيامة، قال تعالى:

«وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ»: الحديد-١٩، كما سيجيء بيانه.

## ٥- بما ذا تتعلق الشفاعة؟

قد عرفت أن الشفاعة منها تكوينية تتعلق بكل سبب تكويني في عالم الأسباب و منها شفاعة تشريعية متعلقة بالشواب و العقاب فمنها ما يتعلق بعقاب كل ذنب، الشرك فما دونه كشفاعة التوبة و الإيمان قبل يوم القيامة و منها ما يتعلق بتبعات بعض الذنوب كبعض الأعمال الصالحة، و أما الشفاعة المتنازع فيها و هي شفاعة الأنبياء و غيرهم يوم القيامة لرفع العقاب ممن استحقه بالحساب، فقد عرفت في الأمر الثالث أن متعلقها أهل المعاصي الكبيره ممن يدين دين الحق و قد ارتضى الله دينه.

## ٦- متى تنفع الشفاعة؟

و نعى بها أيضا الشفاعة الرافعه للعقاب، و الذى يدل عليه قوله سبحانه: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَاءَ لَكُمْ فِي سِقَرٍ»: المدثر-٤٢، فالآيات كما مر داله على توصيف من تناله الشفاعة و من يحرم منها غير أنها تدل على أن الشفاعة إنما تنفع في الفك عن هذه الرهانه و الإقامه و الخلود في سجن النار، و أما ما يتقدم عليه من أهوال يوم القيامة و عظامها فلا دليل على وقوع شفاعه فيها لو لم تدل الآيه على انحصار الشفاعة في الخلاص من رهانه النار.

و اعلم أنه يمكن أن يستفاد من هذه الآيات وقوع هذا التساؤل بعد استقرار

أهل الجنة في الجنة و أهل النار في النار و تعلق الشفاعة بجمع من المجرمين بإخراجهم من النار، و ذلك لمكان قوله: فِي جَنّاتٍ الدال على الاستقرار و قوله: **مَا سَيَلَكُكُمْ فَإِن السُّلُوكُ** هو الإدخال لكن لا كل إدخال بل إدخال على سبيل النضد و الجمع و النظم فيه معنى الاستقرار و كذا قوله: **فَمَا تَنْفَعُهُمْ**، فإن ما لنفى الحال، فافهم ذلك.

و أما نشأه البرزخ و ما يدل على حضور النبي (ع) و الأئمة (ع) عند الموت و عند مساءله القبر و إعاتهم إياه على الشدائد كما سيأتى فى قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ» النساء-١٥٨، فليس من الشفاعة عند الله فى شىء و إنما هو من سبيل التصرفات و الحكومه الموهوبه لهم بإذن الله سبحانه، قال تعالى:

«وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيَمَاهُمْ وَ نَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَ هُمْ يَطْمَعُونَ، X إلى أن قال X: «وَ نَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيَمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ، أ هؤلاء الذين أفسمتم لا يذأ لهم الله برحمه اذخلوا الجنة لا خوف عليكم و لا أنتم تحزنون» الأعراف-٤٨، ٤٦، ٤٩، و من هذا القبيل من وجه قوله تعالى: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ» إسراء-٧١، فوساطه الإمام فى الدعوه، و إيتاء الكتاب من قبيل الحكومه الموهوبه فافهم.

فتحصل أن المتحصل من أمر الشفاعة وقوعها فى آخر موقف من مواقف يوم القيامة باستيهاب المغفره بالمنع عن دخول النار، أو إخراج بعض من كان داخلا فيها، باتساع رحمه أو ظهور الكرامه.

### (بحث روائى) [بحث آخر فى الشفاعة.]

فى أمالى الصدوق، عن الحسين بن خالد عن الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين (ع) قال: قال رسول الله ص: من لم يؤمن بحوضى فلا- أوردته الله حوضى- و من لم يؤمن بشفاعتى فلا- أناله الله شفاعتى- ثم قال (ص) إنما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى، فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل، قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا (ع) يا بن رسول الله- فما معنى قول الله عز و جل: «وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ» قال (ع)

لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه.

أقول: قوله (ص): إنما شفاعتي، هذا المعنى رواه الفريقان بطرق متعددة عنه (ص) وقد مر استفاده معناه من الآيات.

و في تفسير العياشى، عن سماعه بن مهران عن أبي إبراهيم (ع): في قول الله: عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا، قال: يقوم الناس يوم القيامة مقدار أربعين عاما- و يؤمر الشمس، فيركب على رءوس العباد، و يلجمهم العرق، و يؤمر الأرض لا تقبل من عرقهم شيئا- فيأتون آدم فيستشفعون منه فيدلهم على نوح، و يدلهم نوح على إبراهيم، و يدلهم إبراهيم على موسى، و يدلهم موسى على عيسى، و يدلهم عيسى فيقول:

عليكم بمحمد خاتم البشر فيقول محمد ص: أنا لها فينطلق حتى يأتى باب الجنة- فيدق فيقال له: من هذا؟ و الله أعلم فيقول: محمد، فيقال: افتحوا له فإذا فتح الباب- استقبل ربه فخر ساجدا- فلا رفع رأسه حتى يقال له: تكلم و سل تعط و اشفع تشفع- فيرفع رأسه و يستقبل ربه فيخر ساجدا- فيقال له مثلها فيرفع رأسه- حتى إنه ليشفع من قد أحرق بالنار- فما أحد من الناس يوم القيامة- في جميع الأمم أوجه من محمد ص- و هو قول الله تعالى: عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا.

أقول: و هذا المعنى مستفيض مروى بالاختصار و التفصيل بطرق متعددة من العامة و الخاصة، و فيها دلالة على كون المقام المحمود فى الآيه هو مقام الشفاعة، و لا- ينافى ذلك كون غيره (ص) من الأنبياء، و غيرهم جائز الشفاعة لإمكان كون شفاعتهم فرعا لشفاعته فافتتاحها بيده (ص).

و في تفسير العياشى، أيضا: عن أحدهما (ع): فى قوله تعالى: عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا، قال: هى الشفاعة.

و فى تفسير العياشى، أيضا: عن عبيد بن زرارته قال: سئل أبو عبد الله (ع) عن المؤمن هل له شفاعته؟ قال: نعم- فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعته محمد ص يومئذ؟ قال: نعم إن للمؤمنين خطايا و ذنوبا- و ما من أحد إلا يحتاج إلى شفاعته محمد يومئذ. قال: و سأله رجل عن قول رسول الله: أنا سيد ولد آدم و لا

فخر. قال نعم. قال: يأخذ حلقه باب الجنة فيفتحها فيخر ساجدا- فيقول الله:

ارفع رأسك اشفع تشفع اطلب تعط- فيرفع رأسه ثم يخر ساجدا- فيقول الله: ارفع رأسك اشفع تشفع و اطلب تعط- ثم يرفع رأسه فيشفع فيشفع و يطلب فيعطى.

و فى تفسير الفرات، عن محمد بن القاسم بن عبيد معننا عن بشر بن شريح البصرى قال: قلت لمحمد بن علي (ع)، آيه آيه فى كتاب الله أرجى؟ قال: فما يقول فيها قومك؟ قلت: يقولون: «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» .

قال: لكننا أهل بيت لا نقول ذلك. قال: قلت: فأى شىء تقولون فيها؟ قال:

نقول: وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى؛ الشفاعة و الله الشفاعة و الله الشفاعة.

أقول: أما كون قوله تعالى: «عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً؛ الآيه» مقام الشفاعة فربما ساعد عليه لفظ الآيه أيضا مضافا إلى ما استفاض عنه (ص) أنه مقام الشفاعة فإن قوله تعالى: أَنْ يَبْعَثَكَ ، يدل على أنه مقام سيناله يوم القيامة. و قوله مَحْمُوداً مطلق فهو حمد غير مقيد يدل على وقوعه من جميع الناس من الأولين و الآخرين، و الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى ففيه دلالة على وقوع فعل منه (ص) ينتفع به و يستفيد منه الكل فيحمده عليه، و لذلك

قال (ع) فى روايه عبيد بن زراره السابقه: و ما من أحد إلا يحتاج إلى شفاعه محمد يومئذ الحديث. و سيجىء بيان هذا المعنى بوجه آخر وجيه.

و أما كون قوله تعالى: وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، أرجى آيه فى كتاب الله دون قوله تعالى: يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا الْآيَه، فإن النهى عن القنوط و إن تكرر ذكره فى القرآن الشريف إلا أن قوله (ص) حكاية عن إبراهيم (ع): قال: «وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ»: حجر ٥٦، و قوله تعالى حكاية عن يعقوب (ع): «إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ»: يوسف- ٨٧، ناظرتان إلى اليأس و القنوط من الرحمة التكوينية بشهادة المورد.

و أما قوله تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَ أَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ: الزمر-٥٤، إلى آخر الآيات فهو وإن كان نهياً عن القنوط من الرحمة التشريعية بقريته قوله تعالى أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ الظاهر في كون القنوط في الآيه قنوطاً من جهة المعصية، وقد عمم سبحانه المغفرة للذنوب جميعاً من غير استثناء، ولكنه تعالى ذيله بالأمر بالتوبه والإسلام والعمل بالاتباع فدلّت الآيه على أن العبد المسرف على نفسه لا ينبغي له أن يقنط من روح الله ما دام يمكنه اختبار التوبه والإسلام والعمل الصالح.

و بالجمله فهذه رحمه مقيده أمر الله تعالى عباده بالتعلق بها، وليس رجاء الرحمة المقيده كرجاء الرحمة العامه والإعطاء، والإرضاء المطلقين الذين وعدهما الله لرسوله الذي جعله رحمه للعالمين. ذلك الوعد يطيب نفس رسول الله ص بقوله تعالى:

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ [الآيه].

توضيح ذلك: أن الآيه في مقام الامتنان وفيها وعد يختص به رسول الله ص لم يعد الله سبحانه بمثله أحداً من خلقه قط، ولم يقيد الإعطاء بشيء فهو إعطاء مطلق وقد وعد الله ما يشابه ذلك فريقاً من عباده في الجنه فقال تعالى: «لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» الشورى-٢٢، وقال تعالى: «لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَمُدِّينَا مَزِيدٌ» ق-٣٥، فأفاد أن لهم هناك ما هو فوق مشيتهم، والمشيه تتعلق بكل ما يخطر ببال الإنسان من السعاده والخير، فهناك ما لا يخطر على قلب بشر كما قال تعالى: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» السجده-١٧، فإذا كان هذا قدر ما أعطاه الله على عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهو أمر فوق القدر كما عرفت ذلك فما يعطيه لرسوله (ص) في مقام الامتنان أوسع من ذلك وأعظم فافهم.

فهذا شأن إعطائه تعالى، وأما شأن رضى رسول الله ص فمن المعلوم أن هذا الرضا ليس هو الرضا بما قسم الله، الذى هو زميل لأمر الله. فإن الله هو المالك الغنى على الإطلاق وليس للعبد إلا الفقر والحاجه فينبغى أن يرضى بقليل ما يعطيه ربه وكثيره و ينبغى أن يرضى بما قضاه الله فى حقه، سره ذلك أو ساءه، فإذا كان هذا هكذا فرسول الله ص أعلم وأعمل، لا يريد إلا ما يريد الله فى حقه، لكن هذا

الرضا حيث وضع في مقابل الإعطاء يفيد معنى آخر نظير إغناء الفقير بما يشكو فقده، وإرضاء الجائع بإشباعه فهو الإرضاء بالإعطاء من غير تحديد، وهذا أيضا مما وعد الله ما يشابهه لفريق من عباده. قال عز من قائل: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا بِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَزَاءُ عَذَابٍ عِدَّةٌ لِمَنْ تَجَرَّى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» البينه-٨، وهذا أيضا لموقع الامتنان والاختصاص يجب أن يكون أمرا فوق ما للمؤمنين وأوسع من ذلك، وقد قال تعالى: في حق رسوله: «بِالْمُؤْمِنِينَ رِؤُفٌ رَحِيمٌ» التوبه-١٢٨، فصدق رأفته وكيف يرضى رسول الله ص ويطيب نفسه أن يتنعم بنعيم الجنة و يرتاض في رياضه وفريق من المؤمنين متغلغلون في دركات السعير، مسجونون تحت أطباق النار هم معترفون لله بالربوبية، و لرسوله بالرساله، ولما جاء به بالصدق، وإنما غلبت عليهم الجهاله، ولعب بهم الشيطان، فاقتروا معاصي من غير عناد واستكبار. والواحد منا إذا راجع ما أسلفه من عمره ونظر إلى ما قصر به في الاستكمال والارتقاء يلوم نفسه بالتفريط في سعيه وطلبه ثم يلتفت إلى جهاله الشباب ونقص التجارب فربما خمدت نار غضبه وانكسرت سوره ملامته لرحمه ناقصه أودعها الله فطرته، فما ظنك برحمه رب العالمين في موقف ليس فيه إلا- جهاله إنسان ضعيف وكرامه النبي الرؤوف الرحيم ورحمه أرحم الراحمين. وقد رأى ما رأى من وبال أمره من لدن نشبت عليه أظفار المنيه إلى آخر مواقف يوم القيامة.

و في تفسير القمي: في قوله تعالى: «وَلَا تَتَفَعَّ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الْآيَةُ، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمَكْبَرِ-قال: دخل مولى لامرأه على بن الحسين يقال له: أبو أيمن-فقال:

يا أبا جعفر تغرون الناس و تقولون: شفاعه محمد، شفاعه محمد، فغضب أبو جعفر حتى تربد وجهه، ثم قال: ويحك يا أبا أيمن-أ غرك أن عف بطنك و فرجك؟ أما لو قد رأيت أفزاع القيمه لقد احتجت إلى شفاعه محمد، ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار؟ قال: ما من أحد من الأولين و الآخرين-إلا و هو محتاج إلى شفاعه محمد ص يوم القيامة، ثم قال أبو جعفر: إن لرسول الله الشفاعه في أمته، و لنا شفاعه في شيعتنا، و لشيعتنا شفاعه في أهاليهم، ثم قال: و إن المؤمن ليشفع في مثل ربيعه و مضر، و إن المؤمن ليشفع لخادمه و يقول: يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر و البرد.



أقول: قوله (ع): ما من أحد من الأولين و الآخرين إلا و هو محتاج إلى شفاعه محمد ص ظاهره أن هذه الشفاعه العامه غير التي ذكرها بقوله: ويلك فهل يشفع إلا- لمن وجبت له النار؛ وقد مر نظير هذا المعنى فى روايه العياشى عن عبيد بن زراره عن الصادق (ع). و فى هذا المعنى روايات آخر روتها العامه و الخاصه، و يدل عليه قوله تعالى: «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ»: الزخرف-٨٦، حيث يفيد أن الملاك فى الشفاعه هو الشهاده، فالشهداء هم الشفاعه المالكون للشفاعه، و سيأتى إن شاء الله فى قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يُكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا»: البقره-١٤٣، أن الأنبياء شهداء و أن محمدا ص شهيد عليهم، فهو (ص) شهيد الشهداء فهو شفيع الشفاعه و لو لا شهاده الشهداء لما قام للقيامه أساس.

و فى تفسير القمى، أيضا: فى قوله تعالى: «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» .

قال (ع): لا يشفع أحد من أنبياء الله و رسله- حتى يأذن الله له إلا رسول الله- فإن الله أذن له فى الشفاعه قبل يوم القيامه، و الشفاعه له و للأئمه من ولده ثم من بعد ذلك للأنبياء.

و فى الخصال،: عن على (ع) قال قال رسول الله ص: ثلاثه يشفعون إلى الله عز و جل فيشفعون: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء.

أقول: الظاهر أن المراد بالشهداء، شهداء معركة القتال كما هو المعروف فى لسان الأئمه فى الأخبار لا شهداء الأعمال كما هو مصطلح القرآن.

و فى الخصال، فى حديث الأربعمائه: و قال (ع): لنا شفاعه و لأهل مودتنا شفاعه.

أقول: و هناك روايات كثيره فى شفاعه سيده النساء فاطمه (ع) و شفاعه ذريتها غير الأئمه و شفاعه المؤمنين حتى السقط منهم.

فى الحديث المعروف عن النبى ص: تناكحوا تناسلوا- فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامه و لو بالسقط- يقوم محبطنًا على باب الجنه- فيقال له: ادخل- فيقول: لا حتى يدخل أبواى الحديث.

و فى الخصال، عن أبى عبد الله عن أبيه عن جده عن على (ع) قال: إن للجنه

ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيون و الصديقون، و باب يدخل منه الشهداء و الصالحون، و خمسة أبواب يدخل منها شيعةنا و محبوبنا، فلا أزال واقفا على الصراط أدعو و أقول: رب سلم شيعة و محبي و أنصاري و من تولاني في دار الدنيا- فإذا النداء من بطنان العرش، قد أجيبت دعوتك، و شفعت في شيعةك، و يشفع كل رجل من شيعة و من تولاني و نصرني- و حارب من عاداني بفعل أو قول في سبعين ألفا من جيرانه و أقربائه، و باب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله- و لم يكن في قلبه مقدار ذره من بغضنا أهل البيت.

و في الكافي،: عن حفص المؤذن عن أبي عبد الله (ع) في رسالته إلى أصحابه قال (ع): و اعلموا أنه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه- لا- ملك مقرب و لا- نبي مرسل و لا- من دون ذلك- من سره أن ينفعه شفاعه الشافعين عند الله- فليطلب إلى الله أن يرضى عنه.

و في تفسير الفرات،: بإسناده عن الصادق (ص) قال: قال جابر لأبي جعفر (ع): جعلت فداك يا بن رسول الله حدثني بحديث في جدتك فاطمة- و ساق الحديث يذكر فيه شفاعه فاطمه يوم القيامة- إلى أن قال: قال أبو جعفر (ع): فوالله لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات نادوا- كما قال الله تعالى ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَ لَآ صِدِّيقٍ حَمِيمٍ﴾- فلو أن لنا كره فنكون من المؤمنين، قال أبو جعفر (ع): هيهات هيهات منعوا ما طلبوا- و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه و إنهم لكاذبون.

أقول: تمسكه (ع) بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ يدل على استشعار دلالة الآيات على وقوع الشفاعه و قد تمسك بها النافون للشفاعة على نفيها و قد اتضح مما قدمناه في قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ وجه دلالتها عليها في الجملة، فلو كان المراد مجرد النفي لكان حق الكلام أن يقال: فما لنا من شفيع و لا صديق حميم، فالإتيان في حيز النفي بصيغه الجمع يدل على وقوع شفاعه من جماعه و عدم نفعها في حقهم، مضافا إلى أن قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بعد قوله:

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَ لَآ صِدِّيقٍ حَمِيمٍ﴾ المسوق للتحسر تمن واقع في حيز التحسر و من المعلوم أن التمني في حيز التحسر إنما يكون بما يتضمن ما فقده و يشتمل على ما تحسر

عليه فيكون معنى قولهم: فَلَمْ أُنْ لَدَا كَرَّةً معناه يا ليتنا نرد فنكون من المؤمنين حتى ننال الشفاعة من الشافعين كما نالها المؤمنون، فالآية من الآيات الدالة على وقوع الشفاعة.

و في التوحيد، عن الكاظم عن أبيه عن آبائه عن النبي ص قال: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي -فأما المحسنون فما عليهم من سبيل، قيل: يا بن رسول الله كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر، والله تعالى يقول: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَ مَنْ ارْتَكَبَ الْكَبِيرَةَ لَا- يكون مرتضى؟ فقال (ع): ما من مؤمن يرتكب ذنبا إلا- ساءه ذلك و ندم عليه، وقال النبي ص: كفى بالندم توبه، و قال (ص) من سرتة حسنة و ساءته سيئة فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن -و لم تجب له الشفاعة و كان ظالما- و الله تعالى ذكره يقول: مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ، فقيل له: يا بن رسول الله -و كيف لا يكون مؤمنا من لا يندم على ذنب يرتكبه- فقال: ما من أحد يرتكب كبيره من المعاصي -و هو يعلم أن سيعاقب عليه إلا ندم على ما ارتكب، و متى ندم كان تائبا مستحقا للشفاعة، و متى لم يندم عليها كان مصرا و المصر لا يغفر له، لأنه غير مؤمن بعقوبه ما ارتكب، و لو كان مؤمنا بالعقوبه لندم- و قد قال النبي ص: لا كبيره مع الاستغفار- و لا صغيره مع الإصرار، و أما قول الله عز و جل: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ -فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، و الدين الإقرار بالجزاء على الحسنات و السيئات، فمن ارتضى دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب- لمعرفته بعاقبته في القيامة.

أقول: قوله (ع) و كان ظالما، فيه تعريف الظالم يوم القيامة و إشاره إلى ما عرفه به القرآن حيث يقول: «فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» الَّذِينَ يَصِيدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ»: الأعراف- ٤٤ و ٤٥، و هو الذي لا يعتقد بيوم المجازاه فلا يتأسف على فوت أوامر الله تعالى و لا يسوؤه اقتحام محارمه إما بجحد جميع المعارف الحقه و التعاليم الدينيه و إما بالاستهانه لأمرها و عدم الاعتناء بالجزاء و الدين يوم الجزاء و الدين فيكون قوله به استهزاء بأمره و تكديبا له، و قوله (ع): فتكون تائبا مستحقا للشفاعة، أى راجعا إلى الله ذا دين

مرضى مستحقا للشفاعة، و أما التوبه المصطلحه فهى بنفسها شفيعه منجيه، و قوله (ع): و قد قال النبى لا كبيره مع الاستغفار، إلخ تمسكه (ع) به من جهه أن الإصرار و هو عدم الانقباض بالذنب و الندم عليه يخرج الذنب عن شأنه الذى له إلى شأن آخر و هو تكذيب المعاد و الظلم بآيات الله فلا يغفر لأن الذنب إنما يغفر إما بتوبه أو بشفاعه متوقفه على دين مرضى و لا توبه هناك و لا دين مرضيا.

و نظير هذا المعنى واقع

فى روايه العليل، عن أبى إسحاق الليثى قال: قلت لأبى جعفر محمد بن على الباقر (ع): يا بن رسول الله أخبرنى عن المؤمن المستبصر- إذا بلغ فى معرفه و كمل هل يزنى؟ قال: اللهم لا، قلت: فيلوط قال اللهم لا، قلت: فيسرق؟ قال لا، قلت: فيشرب الخمر؟ قال لا- قلت: فيأتى بكبيره من هذه الكبائر- أو فاحشه من هذه الفواحش؟ قال لا، قلت: فيذنب ذنبا؟ قال: نعم و هو مؤمن مذنب مسلم، قلت: ما معنى مسلم؟ قال: المسلم لا يلزمه و لا يصير عليه.

الحديث.

و فى الخصال،: بأسانيد عن الرضا عن آباءه (ع) قال قال رسول الله ص: إذا كان يوم القيامة تجلى الله عز و جل لعبده المؤمن- فيوقفه على ذنوبه ذنبا ذنبا- ثم يغفر الله له لا- يطلع الله له ملكا مقربا و لا- نبيا مرسلًا- و يستر عليه أن يقف عليه أحد، ثم يقول لسيناته: كوني حسنة.

و عن صحيح مسلم، مرفوعا إلى أبى ذر قال: قال رسول الله ص: يؤتى بالرجل يوم القيامة- فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه و نحوا عنه كبارها- فيقال: عملت يوم كذا و كذا و كذا- و هو مقر لا ينكر و هو مشفق من الكبائر- فيقال: أعطوه مكان كل سيئه حسنة- فيقول: إن لى ذنوبا ما أراها هاهنا، قال: و لقد رأيت رسول الله ضحك حتى بدت نواجذه.

و فى الأمالى،: عن الصادق (ع): إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك و تعالى رحمته- حتى يطمع إبليس فى رحمته.

أقول: و الروايات الثلاث الأخيره من المطلقات و الأخبار الداله على وقوع

ص: ١٨٢

شفاعه النبي ص يوم القيامة من طرق أئمه أهل البيت و كذا من طرق أهل السنه و الجماعه بالغه حد التواتر، و هي من حيث المجموع إنما تدل على معنى واحد و هو الشفاعه على المذنبين من أهل الإيمان إما بالتخليص من دخول النار و إما بالإخراج منها بعد الدخول فيها، و المتيقن منها عدم خلود المذنبين من أهل الإيمان في النار و قد عرفت أن القرآن أيضا لا يدل على أزيد من ذلك.

### (بحث فلسفي) [بحث آخر في الشفاعه.]

البراهين العقلية و إن قصرت عن إعطاء التفاصيل الواردة كتابا و سنه في المعاد لعدم نيلها المقدمات المتوسطة في الاستنتاج على ما ذكره الشيخ ابن سينا لكنها تنال ما يستقبله الإنسان من كمالاته العقلية و المثاليه في صراطى السعاده و الشقاوه بعد مفارقه نفسه بدنه من جهه التجرد العقلى و المثالى الناهض عليهما البرهان.

فالإنسان في بادئ أمره يحصل له من كل فعل يفعل هيبه نفسانيه و حال من أحوال السعاده و الشقاوه، و نعنى بالسعاده ما هو خير له من حيث إنه إنسان، و بالشقاوه ما يقابل ذلك، ثم تصير تلك الأحوال بتكررها ملكه راسخه، ثم يتحصل منها صور سعيده أو شقيه للنفس تكون مبدأ لهيئات و صور نفسانيه، فإن كانت سعيده فأثارها وجوديه ملائمته للصوره الجديده، و للنفس التى هى بمنزله الماده القابله لها، و إن كانت شقيه فأثارها أمور عدميه ترجع بالتحليل إلى الفقدان و الشر، فالنفس السعيده تلتذ بآثارها بما هى إنسان، و تلتذ بها بما هى إنسان سعيده بالفعل، و النفس الشقيه و إن كانت آثارها مستأنسه لها و ملائمته بما أنها مبدأ لها لكنها تتألم بها بما أنها إنسان، هذا بالنسبه إلى النفوس الكامله فى جانب السعاده و الشقاوه، أعنى الإنسان السعيده ذاتا و الصالح عملا و الإنسان الشقى ذاتا و الطالح عملا، و أما الناقصه فى سعادتها و شقاوتها فالإنسان السعيده ذاتا الشقى فعلا بمعنى أن يكون ذاته ذات صور سعيده بالاعتقاد الحق الثابت غير أن فى نفسه هيئات شقيه رديه من الذنوب و الآثام اكتسبتها حين تعلقها بالبدن الدنيوى و ارتضاعها من ثدى الاختيار، فهى أمور قسريه غير ملائمته لذاته، و قد أقيم البرهان على أن القسر لا يدوم، فهذه النفس سترزق التطهر منها فى برزخ أو

قيمه على حسب قوه رسوخها فى النفس، و كذلك الأمر فيما للنفس الشقيه من الهيئات العارضه السعيده فإنها ستسلب عنها و تزول سريعاً أو بطيئاً، و أما النفس التى لم تتم لها فعلية السعاده و الشقاوه فى الحياه الدنيا حتى فارقت البدن مستضعفه ناقصه فهى من المرجئين لأمر الله عز و جل، فهذا ما يقتضيه البراهين فى المجازاه بالثواب و العقاب المقتضيه لكونها من لوازم الأعمال و نتائجها، لوجوب رجوع الروابط الوضعيه الاعتباريه بالآخره إلى روابط حقيقيه وجوديه هذا.

ثم إن البراهين قائمه على أن الكمال الوجودى مختلف بحسب مراتب الكمال و النقص و الشده و الضعف و هو التشكيك خاصه فى النور المجرد فهذه النفوس مراتب مختلفه فى القرب و البعد من مبدأ الكمال و منتهاه فى سيرها الارتقائى و عودها إلى ما بدأت منها و هى بعضها فوق بعض، و هذه شأن العلل الفاعليه (بمعنى ما به) و وسائط الفيض، فلبعض النفوس و هى النفوس التامه الكامله كنفوس الأنبياء (ع) و خاصه من هو فى أرقى درجات الكمال و الفعلية و ساطه فى زوال الهيئات الشقيه الرديه القسريه من نفوس الضعفاء، و من دونهم من السعداء إذا لزمها قسراً، و هذه هى الشفاعه الخاصه بأصحاب الذنوب.

### **[بحث اجتماعى] [بحث آخر فى الشفاعه.]**

الذى تعطيه أصول الاجتماع أن المجتمع الإنسانى لا يقدر على حفظ حياته و إدامه وجوده إلا بقوانين موضوعه معتبره بينهم، لها النظاره فى حاله، و الحكومه فى أعمال الأفراد و شئونهم، تنشأ عن فطره المجتمع و غريزه الأفراد المجتمعين بحسب الشرائط الموجوده، فتسير بهدايتها جميع طبقات الاجتماع كل على حسب ما يلائم شأنه و يناسب موقعه فيسير المجتمع بذلك سيراً حثيثاً و يتولد بتألف أطرافه و تفاعل متفرقاته العدل الاجتماعى و هى موضوعه على مصالح و منافع ماديه يحتاج إليها ارتقاء الاجتماع المادى، و على كمالات معنويه كالأخلاق الحسنه الفاضله التى يدعو إليها صلاح الاجتماع كالصدق فى القول و الوفاء بالعهد و النصح و غير ذلك، و حيث كانت القوانين و الأحكام وضعيه غير حقيقيه احتاجت إلى تميم تأثيرها، بوضع أحكام مقرره أخرى فى المجازاه لتكون

هى الحافظه لحماها عن تعدى الأفراد المتهوسين و تساهل آخرين، و لذلك كلما قويت حكومه (أى حكومه كانت) على إجراء مقررات الجزاء لم يتوقف المجتمع فى سيره و لا ضل سائره عن طريقه و مقصده، و كلما ضعفت اشتد الهرج و المرج فى داخله و انحرف عن مسيره فمن التعاليم اللازمه تثبيتها فى الاجتماع تلقين أمر الجزاء، و إيجاد الإيمان به فى نفوس الأفراد، و من الواجب الاحتراز من أن يدخل فى نفوسهم رجاء التخلص عن حكم الجزاء، و تبعه المخالفه و العصيان، بشفاعه أو رشوه أو بشىء من الحيل و الدسائس المهلكه، و لذلك نعموا على الديانه المسيحيه ما وقع فيها أن المسيح فدى الناس فى معاصيهم بصلبه، فالناس يتكلمون عليه فى تخليصهم من يد القضاء يوم القيامه و يكون الدين إذ ذاك هادما للإنسانيه، مؤخرا للمدنيه، راجعا بالإنسان القهقرى كما قيل. و أن الإحصاء يدل من أن المتدينين أكثر كذبا و أبعد من العدل من غيرهم و ليس ذلك إلا أنهم يتكلمون بحقيه دينهم، و ادخار الشفاعه فى حقهم ليوم القيامه، فلا يبالون ما يعملون بخلاف غيرهم، فإنهم خلوا و غرائزهم و فطرتهم و لم يبطل حكمها بما بطل به فى المتدينين فحكمت بقبح التخلف عما يخالف حكم الإنسانيه و المدنيه الفاضله.

و بذلك عول جمع من الباحثين فى تأويل ما ورد فى خصوص الشفاعه فى الإسلام و قد نطق به الكتاب و تواترت عليه السنه.

و لعمري لا الإسلام تثبت الشفاعه بالمعنى الذى فسروها به، و لا الشفاعه التى تثبتها تؤثر الأثر الذى زعموه لها، فمن الواجب أن يحصل الباحث فى المعارف الدينيه و تطبيق ما شرعه الإسلام على هيكل الاجتماع الصالح و المدنيه الفاضله تمام ما رامه الإسلام من الأصول و القوانين المنطبقه على الاجتماع كيفيه ذلك التطبيق، ثم يحصل ما هى الشفاعه الموعوده و ما هو محلها و موقعها بين المعارف التى جاء بها.

فيعلم أولاً: أن الذى يثبت القرآن من الشفاعه هو أن المؤمنين لا يخلدون فى النار يوم القيامه بشرط أن يلاقوا ربهم بالإيمان المرضى و الدين الحق فهو وعد وعده القرآن مشروطا ثم نطق بأن الإيمان من حيث بقائه على خطر عظيم من جهه الذنوب و لا سيما الكبائر و لا سيما الإدمان منها و الإمرار فيها، فهو شفا جرف الهلاك الدائم،

و بذلك يتحصل رجاء النجاه و خوف الهلاك، و يسلك نفس المؤمن بين الخوف و الرجاء فيعبد ربه رغبه و رهبه، و يسير في حياته سيرا معتدلا غير منحرف لا إلى خمود القنوط و لا إلى كسل الوثوق.

و ثانيا: أن الإسلام قد وضع من القوانين الاجتماعيه من مادياتها و معنوياتها ما يستوعب جميع الحركات و السكنات الفرديه و الاجتماعيه، ثم اعتبر لكل ماده من موادها ما هو المناسب له من التبعه و الجزاء من ديه و حد و تعزير إلى أن ينتهي إلى تحريم مزايا الاجتماع و اللوم و الذم و التقييح، ثم تحفظ على ذلك بعد تحكيم حكومه أولياء الأمر، بتسليط الكل على الكل بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ثم أحيا ذلك بنفخ روح الدعوه الدينيه المضمنه بالإندار و التبشير بالعقاب و الثواب في الآخره، و بنى أساس تربيته بتلقين معارف المبدأ و المعاد على هذا الترتيب.

فهذا ما يرومه الإسلام بتعليمه، جاء به النبي ص و صدقه التجارب الواقع في عهده و عهد من يليه حتى أثبت به أيدي الولاه في السلطنه الأمويه و من شايعهم في استبدادهم و لعبهم بأحكام الدين و إبطالهم الحدود و السياسات الدينيه حتى آل الأمر إلى ما آل إليه اليوم و ارتفعت أعلام الحريه و ظهرت المدنيه الغريبه و لم يبق من الدين بين المسلمين إلا كصابه في إناء فهذا الضعف البين في سياسه الدين و ارتجاع المسلمين القهقري هو الموجب لتزلهم في الفضائل و الفواضل و انحطاطهم في الأخلاق و الآداب الشريفة و انغمارهم في الملاهى و الشهوات و خوضهم في الفواحش و المنكرات، هو الذى أجراهم على انتهاك كل حرمة و اقتراف كل ما يستشعنه حتى غير المنتحل بالدين لا ما يتخيله المعترض من استناد الفساد إلى بعض المعارف الدينيه التى لا- غايه لها و فيها إلا سعادته الإنسان فى آجله و عاجله و الله المعين، و الإحصاء الذى ذكرها إنما وقع على جمعيه المتدينين و ليس عليهم قيم و لا- حافظ قوى و على جمعيه غير المنتحلين، و التعليم و التربيه الاجتماعيان قيما عليهم حافظان لصلاحهم الاجتماعى فلا يفيد فيما أراده شيئا



وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)  
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠) وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ  
بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ  
(٥٣) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَيَّ إِنَّكُمْ بَارِكُمْ فَاذْكُرُوا أَنْفُسَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُهْتَدُونَ  
بَارِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ  
تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِنْ  
طَيِّبَاتِهَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَ  
ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ وَسَيُزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَيَدَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا  
عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ  
إِثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ  
نَضْبِرَ عَلَيْكَ طَعَامًا وَاحِدًا فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَ تَسْتَعْبِدُونَ لَلَّذِي  
هُوَ أَذْنَىٰ بِاللَّهِ هُوَ خَيْرٌ أِهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ لِمَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْسُهُمْ كَانُوا  
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)

قوله تعالى: وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ، أى يتركونهن أحياء للخدمه من غير أن يقتلوهن كالأبناء فالاستحياء طلب الحياه و يمكن أن يكون المعنى و يفعلون ما يوجب زوال حيائهن من المنكرات، و معنى يسومونكم يولونكم.

قوله تعالى: وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْفُرْقَ كالفصل و الوصل، و الفرق فى البحر الشق و الباء للسببيه أو الملايسه أى فرقنا لإنجائكم البحر أو لملايستكم دخول البحر.

قوله تعالى: وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَ قَصَّ تَعَالَى الْقِصَّةَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ بِقَوْلِهِ: «وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»: الْأَعْرَافِ-١٤٢، فعد المواعده فيها أربعين ليله إما للتغليب أو لأنه كانت العشره الأخيره بمواعده أخرى فالأربعون مجموع المواعدين كما وردت به الروايه.

قوله تعالى: فَتَوْبُوا إِلَيَّ بِرَبِّكُمْ الْبَارِئِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ كما قال تعالى:

«هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ»: الحشر-٢٤، وقع في ثلاث مواضع من كلامه تعالى: اثنان منها في هذه الآية و لعله خص بالذكر هاهنا من بين الأسماء الملائمة معناه للمورد لأنه قريب المعنى من الخالق و الموجود، من برأ براء إذا فصل لأنه يفصل الخلق من العدم أو الإنسان من الأرض، فكأنه تعالى يقول: هذه التوبة و قتلكم أنفسكم و إن كان أشق ما يكون من الأوامر لكن الله الذي أمركم بهذا الفناء و الزوال بالقتل هو الذي برأكم فالذي أحب وجودكم و هو خير لكم هو يحب الآن حلول القتل عليكم فهو خير لكم و كيف لا يحب خيركم و قد برأكم، فاختيار لفظ البارئ بإضافته إليهم في قوله: إِلَيَّ بِرَبِّكُمْ، و قوله عِنْدَ رَبِّكُمْ للإشعار بالاختصاص لإثاره المحبه.

قوله تعالى: ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ظَاهِرُ الْآيَةِ و ما تقدمها أن هذه الخطابات و ما وقع فيها من عد أنواع تعدياتهم و معاصيهم إنما نسبت إلى الكل مع كونها صادرة عن البعض لكونهم جامعهم ذات قومية واحده يرضى بعضهم بفعل بعض، و ينسب فعل بعضهم إلى آخرين. لمكان الوحده الموجوده فيهم، فما كل بنى إسرائيل عبدوا العجل، و لا كلهم قتلوا الأنبياء إلى غير ذلك من معاصيهم و على هذا فقوله تعالى: فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ، إنما يعنى به قتل البعض و هم الذين عبدوا العجل كما يدل عليه أيضا قوله تعالى: إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ، و قوله تعالى: ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ تتمه الحكايه من قول موسى كما هو الظاهر، و قوله تعالى: فَتَابَ عَلَيْكُمْ يدل على نزول التوبه و قبولها، و قد وردت الروايه أن التوبه نزلت و لما يقتل جميع المجرمين منهم.

و من هنا يظهر أن الأمر كان أمرا امتحانيا نظير ما وقع في قصه رؤيا إبراهيم (ع) و ذبح إسماعيل «يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا» :الصافات-١٠٥، فقد ذكر موسى (ع) فَتَوْبُوا إِلَيَّ بِرَبِّكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، و أمضى الله سبحانه قوله (ع) و جعل قتل البعض قتلا للكل و أنزل التوبه بقوله: فَتَابَ عَلَيْكُمْ .

قوله تعالى: رَجُزًا مِّنَ السَّمَاءِ ، الرجز العذاب.

قوله تعالى: وَلَا تَعْتُوا الْعَيْثَ وَالْعَيْثُ أَشَدُّ الْفُسَادِ.

قوله تعالى: وَفَتَانِهَا وَفُومِهَا ، القثناء الخيار و الفوم الثوم أو الحنطة.

قوله تعالى: وَبَاؤُ بِغَضَبٍ ، أى رجعوا.

قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ، تعليل لما تقدمه.

قوله تعالى: ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا ، تعليل للتعليل فعصيانهم و مداومتهم للاعتداء هو الموجب لكفرهم بالآيات و قتلهم الأنبياء كما قال تعالى: «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا السُّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ» :الروم-١٠، و فى التعليل بالمعصيه وجه سياى فى البحث الآتى.

### (بحث روائى) [الصابئين.]

فى تفسير العياشى،: فى قوله تعالى: «وَ إِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ اَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً» -عن أبى جعفر(ع)قال:كان فى العلم و التقدير ثلاثين ليله- ثم بدا منه فزاد عشا-فتم ميقات ربه الأول و الآخر أربعين ليله.

أقول:و الروايه تؤيد ما مر أن الأربعين مجموع المواعديتين.

و فى الدر المنثور،:عن على(ع): فى قوله تعالى: وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِالْآيَةِ،قال:قالوا لموسى:ما توبتنا؟قال:يقتل بعضكم بعضا-فأخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل أخاه و أباه و ابنه-و الله لا يبالى من قتل حتى قتل منهم سبعون ألفا-فأوحى الله إلى موسى فليرفعوا أيديهم-و قد غفر لمن قتل و تيب على من بقى.

و فى تفسير القمى،:قال(ع): إن موسى لما خرج إلى الميقات-و رجع إلى قومه و قد عبدوا العجل-قال لهم موسى: يَا قَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتَوْبُوا اِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ-ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ-فقالوا له:كيف نقتل

أنفسنا فقال لهم موسى: اغدوا كل واحد منكم إلى بيت المقدس -و معه سكين أو حديده أو سيف- فإذا سعدت أنا منبر بنى إسرائيل -فكونوا أنتم ملتثمين لا يعرف أحد صاحبه- فاقتلوا بعضهم بعضا» فاجتمعوا سبعين ألف رجل -ممن كان عبدوا العجل إلى بيت المقدس- فلما صلى بهم موسى و سعد المنبر أقبل بعضهم يقتل بعضا- حتى نزل جبرائيل فقال: قل لهم: يا موسى ارفعوا القتل فقد تاب الله لكم، فقتل منهم عشرة آلاف و أنزل الله: **ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ -فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .**

أقول: و الروايه كما ترى تدل على كون قوله تعالى: **ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ** مقولا لموسى و مقولا له سبحانه فيكون إمضاء لكلمه قالها موسى و كسفا عن كونها تامه على خلاف ما يلوح من الظاهر من كونها ناقصه فإن الظاهر يعطى أن موسى جعل قتل الجميع خيرا لهم عند بارئهم، و قد قتل منهم البعض دون الجميع فجعل سبحانه ما وقع من القتل هو الخير الذى ذكره موسى (ع) كما مر.

و فى تفسير القمى، أيضا: فى قوله تعالى: **وَ ظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعُمَامَ** الآية- أن بنى إسرائيل لما عبر موسى بهم البحر نزلوا فى مفازه- فقالوا: يا موسى أهلكتنا و قتلتنا- و أخرجتنا من العمران إلى مفازه لا ظل، و لا شجر، و لا ماء. و كانت تجىء بالنهار غمامه تظلمهم من الشمس- و ينزل عليهم بالليل المن- فيقع على النبات و الشجر و الحجر- فياً كلونه و بالعشى يأتهم طائر مشوى يقع على موائدهم- فإذا أكلوا و شربوا طار و مر- و كان مع موسى حجر يضعه وسط العسكر- ثم يضربه بعصاه فتتفجر منها اثنتا عشره عينا- كما حكى الله فيذهب إلى كل سبط فى رحله- و كانوا اثنى عشر سبطا.

و فى الكافى: فى قوله تعالى: **وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**، عن أبى الحسن الماضى (ع) قال: إن الله أعز و أمنع من أن يظلم أو ينسب نفسه إلى الظلم- و لكنه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه و ولايتنا ولايته، ثم أنزل الله بذلك قرآنا على نبيه فقال: **وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**. قال الراوى: قلت: هذا تنزيل، قال: نعم.

أقول: و روى ما يقرب منه أيضا عن الباقر (ع) و قوله (ع): أمنع من

أن يظلم بالبناء للمفعول تفسير لقوله تعالى: وَمِمَّا ظَلَمُونَنَا، وقوله: أو ينسب نفسه إلى الظلم بالبناء للفاعل، وقوله: ولكنه خلطنا بنفسه أى خلطنا معاشر الأنبياء والأوصياء والأئمة بنفسه، وقوله: قلت: هذا تنزِيل قال: نعم وجهه أن النفي فى هذه الموارد و أمثالها إنما يصح فيما يصح فيه الإثبات أو يتوهم صحته، فلا يقال للجدار، أنه لا يبصر أو لا يظلم إلا لنكته و هو سبحانه أجل من أن يسلم فى كلامه توهم الظلم عليه، أو جاز وقوعه عليه فالنكته فى هذا النفي الخلط المذكور لأن العظماء يتكلمون عن خدمهم و أعوانهم.

و فى تفسير العياشى:، فى قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْآيَةَ عَنِ الصَّادِقِ (ع) أنه قرأ هذه الآية: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ - وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ - فقال: والله ما ضربوهم بأيديهم و لا قتلوهم بأسيافهم - و لكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها - فقتلوا فكان قتلا و اعتداء و مصيبه:

أقول: و فى الكافى، عنه (ع) مثله و كأنه (ع) استفاد ذلك من قوله تعالى:

ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ

فإن القتل و خاصه قتل الأنبياء و الكفر بآيات الله لا يعلل بالعصيان بل الأمر بالعكس على ما يوجهه الشده و الأهميه لكن العصيان بمعنى عدم الكتمان و التحفظ مما يصح التعليل المذكور به.

[سوره البقره (٢): آيه ٦٢]

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)

(بيان)

تكرار الإيمان ثانيا و هو الاتصاف بحقيقته كما يعطيه السياق يفيد أن المراد

بالذين آمنوا في صدر الآيه هم المتصفون بالإيمان ظاهرا المتسمون بهذا الاسم فيكون محصل المعنى أن الأسماء و التسمى بها مثل المؤمنين و اليهود و النصارى و الصابئين لا يوجب عند الله تعالى أجرا و لا أمنا من العذاب كقولهم: لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، و إنما ملاك الأمر و سبب الكرامه و السعاده حقيقه الإيمان بالله و اليوم الآخر و العمل الصالح، و لذلك لم يقل من آمن منهم يارجاع الضمير إلى الموصول اللازم في الصلته لثلا يكون تقريراً للفائده في التسمى على ما يعطيه النظم كما لا يخفى و هذا مما تكررت فيه آيات القرآن أن السعاده و الكرامه تدور مدار العبوديه، فلا اسم من هذه الأسماء ينفع لتسميه شيئاً، و لا وصف من أوصاف الكمال يبقى لصاحبه و ينجيه إلا مع لزوم العبوديه، الأنبياء و من دونهم فيه سواء، فقد قال تعالى في أنبيائه بعد ما وصفهم بكل وصف جميل: «وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»: الأنعام- ٨٨، و قال تعالى في أصحاب نبيه و من آمن معه مع ما ذكر من عظم شأنهم و علو قدرهم: «وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»: الفتح- ٢٩، فأتى بكلمه منهم و قال في غيرهم ممن أوتى آيات الله تعالى: «وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَا بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ»: الأعراف- ١٧٦، إلى غير ذلك من الآيات الناصه على أن الكرامه بالحقيقه دون الظاهر.

### (بحث روائى)

فى الدر المنثور: عن سلمان الفارسى قال: سألت النبى ص عن أهل دين كنت معهم، فذكر من صلاتهم و عبادتهم فنزلت: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا» الآيه:

أقول: و روى أيضا نزول الآيه فى أصحاب سلمان بعده طرق أخرى.

و فى المعانى، عن ابن فضال قال: قلت للرضا (ع) لم سمي النصارى نصارى- قال: لأنهم كانوا من قريه اسمها ناصره من بلاد الشام- نزلتها مريم و عيسى بعد رجوعهما من مصر

أقول و في الروايه بحث سنتعرض له في قصص عيسى(ع) من سوره آل عمران إن شاء الله.

و في الروايه " : أن اليهود سموا باليهود لأنهم من ولد يهودا بن يعقوب.

و في تفسير القمي، قال: قال(ع): الصابئون قوم لا مجوس و لا يهود و لا نصارى و لا مسلمون-و هم يعبدون النجوم و الكواكب.

أقول: و هي الوثنيه، غير أن عباده الأصنام غير مقصوره عليهم بل الذي يخصهم عباده أصنام الكواكب.

### (بحث تاريخي) [بحث آخر في الشفاعة أيضا.]

ذكر أبو ريحان البيروني في الآثار الباقية، ما لفظه: و أول المذكورين منهم يعنى المتنبئين يوذاسف و قد ظهر عند مضي سنه من ملك طهمورث بأرض الهند و أتى بالكتابه الفارسيه، و دعا إلى مله الصابئين فاتبعه خلق كثير، و كانت الملوك البيشداديه و بعض الكيانيه ممن كان يستوطن بلخ يعظمون النيرين و الكواكب و كليات العناصر و يقدسونها إلى وقت ظهور زرادشت عند مضي ثلاثين سنه من ملك بشتاسف، و بقايا أولئك الصابئين بحران ينسبون إلى موضعهم، فيقال لهم: الحرانيه و قد قيل: إنها نسبه إلى هادان بن ترخ أخى إبراهيم(ع) و إنه كان من بين رؤسائهم أوغلهم في الدين و أشدهم تمسكا به، و حكى عنه ابن سنكلان النصراني في كتابه الذي قصد فيه نقض نحلتهم، فحشاه بالكذب و الأباطيل، أنهم يقولون إن إبراهيم(ع) إنما خرج عن جملتهم لأنه خرج في قلفته برص و إن من كان به ذلك فهو نجس لا يخالطونه فقطع قلفته بذلك السبب يعنى اختتن، و دخل إلى بيت من بيوت الأصنام فسمع صوتا من صنم يقول له: يا إبراهيم خرجت من عندنا بعيد واحد، و جئنا بعيبي، اخرج و لا تعاود المجيء إلينا فحمله الغيظ على أن جعلها جذاذا، و خرج من جملتهم ثم إنه ندم بعد ما فعله، و أراد ذبح ابنه لكوكب المشتري على عادتهم في ذبح أولادهم، زعم فلما علم كوكب المشتري صدق توبته فداه بكبش.



و حكى عبد المسيح بن إسحاق الكندى عنهم فى جوابه عن كتاب عبد الله بن إسماعيل الهاشمى، أنهم يعرفون بذبح الناس و لكن ذلك لا- يمكنهم اليوم جهرا و نحن لا نعلم منهم إلا أنهم أناس يوحدون الله، و ينزهونه عن القبائح، و يصفونه بالسلب لا الإيجاب كقولهم: لا- يحد، و لا يرى، و لا يظلم، و لا يجور و يسمونه بالأسماء الحسنى مجازا، إذ ليس عندهم صفه بالحقيقه، و ينسبون التدبير إلى الفلك و أجرامه، و يقولون بحياتها و نطقها و سمعها و بصرها، و يعظمون الأنوار، و من آثارهم القبه التى فوق محراب عند المقصوره من جامع دمشق، و كان مصلاهم، كان اليونانيون و الروم على دينهم، ثم صارت فى أيدي اليهود، فعملوها كنيستهم، ثم تغلب عليها النصارى، فصيروها بيعه إلى أن جاء الإسلام و أهله فاتخذوها مسجدا و كانت لهم هياكل و أصنام بأسماء الشمس معلومه الأشكال كما ذكرها أبو معشر البلخى فى كتابه فى بيوت العبادات، مثل هيكلكان لصنم الشمس، و قران فإنها منسوبه إلى القمر، و بناؤها على صورته كالطيلسان؛ و بقربها قريه تسمى سلمسين، و اسمها القديم صنم سين، أى صنم القمر، و قريه أخرى تسمى ترع عوز أى باب الزهره و يذكرون أن الكعبه و أصنامها كانت لهم، و عبدتها كانوا من جملتهم، و أن اللات كان باسم زحل، و العزى باسم الزهره و لهم أنبياء كثيره أكثرهم فلاسفه يونان كهرمس المصرى و أغاذيمون و واليس و فيشاغورث و باباسوار جد أفلاطون من جهه أمه و أمثالهم، و منهم من حرم عليه السمك خوفا أن يكون رغاوه و الفرخ لأنه أبدا محموم، و الثوم لأنه مصدع محرق للدم أو المنى الذى منه قوام العالم، و الباقلاء لأنه يغلظ الذهن و يفسده، و أنه فى أول الأمر إنما نبت فى مجمه إنسان، و لهم ثلاث صلوات مكتوبات.

أولها: عند طلوع الشمس ثمانى ركعات.

و الثانيه: عند زوال الشمس عن وسط السماء خمس ركعات، و فى كل ركعه من صلاتهم ثلاث سجادات، و يتنفلون بصلاه فى الساعه الثانيه من النهار، و أخرى فى التاسعه من النهار.

و الثالثه: فى الساعه الثالثه من الليل، و يصلون على طهر و وضوء، و يغتسلون من الجنابه و لا يختنون إذ لم يؤمروا بذلك زعموا و أكثر أحكامهم فى المناكح و الحدود مثل أحكام المسلمين، و فى التنجس عند مس الموتى، و أمثال ذلك شبيهه بالتوراه، و لهم

قرايين متعلقه بالكواكب و أصنامها و هياكلها و ذبائح يتولاها كهنتهم و فاتنهم، و يستخرجون من ذلك علم ما عسى يكون المقرب و جواب ما يسأل عنه، و قد يسمى هرمس بإدريس الذى ذكر فى التوراه أخوخ، و بعضهم زعم أن يوذاسف هو هرمس.

و قد قيل: إن هؤلاء الحرانىه ليسوا هم الصابئيه بالحقيقه، بل هم المسمون فى الكتب بالحنفاء و الوثنيه، فإن الصابئيه هم الذين تخلفوا ببابل من جمله الأسباط الناهضه فى أيام كورش و أيام أرطخشست إلى بيت المقدس، و مالوا إلى شرائع المجوس فصبوا إلى دين بخت نصر، فذهبوا مذهبا ممتزجا من المجوسيه و اليهوديه، كالسامره بالشام، و قد توجد أكثرهم بواسط و سواد العراق بناحيه جعفر و الجامده و نهري الصله متمين إلى أنوش بن شيث، و مخالفين للحرانيه، عائبين مذاهبهم، لا- يوافقونهم إلا- فى أشياء قليله، حتى أنهم يتوجهون فى الصلاه إلى جهه القطب الشمالى و الحرانيه إلى الجنوبى، و زعم بعض أهل الكتاب أنه كان لمتوشلخ ابن غير ملك يسمى صابى، و أن الصابئيه سموا به، و كان الناس قبل ظهور الشرائع و خروج يوذاسف شمينين سكان الجانب الشرقى من الأرض و كانوا عبده أوثان، و بقاياهم الآن بالهند و الصين و التغرغز و يسميهم أهل خراسان شمنان، و آثارهم و بهاراتهم و أصنامهم و فرخاراتهم ظاهره فى ثغور خراسان المتصله بالهند، و يقولون: بقدوم الدهر، و تناسخ الأرواح، و هوى الفلك فى خلا غير متناه، و لذلك يتحرك على استداره فإن الشىء المستدير إذا أزيل ينزل مع دوران، زعموا و منهم من أقر بحدوث العالم، و زعم أن مدته ألف سنه انتهى موضع الحاجه.

أقول: و ما نسبه إلى بعض من تفسير الصابئيه بالمذهب الممتزج من المجوسيه و اليهوديه مع أشياء من الحرانيه هو الأوفق بما فى الآيه فإن ظاهر السياق أن التعداد لأهل المله

## [سوره البقره (٢): الآيات ٦٣ الى ٧٤]

### إشارة

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ أذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤) وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَ مَا خَلْفَهَا وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦) وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَ تَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا بُكْرَ عَوًا بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْئِهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صِيْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوِئْهَا تَسُرُّ النَّاسَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَ إِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شَرِيَّةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَ إِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لِمَا يُنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَ إِنَّ مِنْهَا لِمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَ إِنَّ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)



قوله تعالى: «وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ، الطور هو الجبل كما بدله منه في قوله تعالى: «وَإِذِ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ»: الأعراف- ١٧١، و التثاق هو الجذب و الاقتلاع، و سياق الآية حيث ذكر أخذ الميثاق أولا و الأمر بأخذ ما أوتوا و ذكر ما فيه أخيرا و وضع رفع الطور فوقهم بين الأمرين مع السكوت عن سبب الرفع و غايتها يدل على أنه كان لإرهابهم بعظمه القدره من دون أن يكون لإجبارهم و إكراههم على العمل بما أوتوه و إلا- لم يكن لأخذ الميثاق وجه،فما ربما يقال: إن رفع الجبل فوقهم لو كان على ظاهره كان آيه معجزه و أوجب إجبارهم و إكراههم على العمل.

و قد قال سبحانه: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ»: البقره- ٢٥٦، و قال تعالى: «أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ»: يونس- ٩٩، غير وجيه فإن الآية كما مر لا تدل على مزيد من الإخافه و الإرهاب و لو كان مجرد رفع الجبل فوق بنى إسرائيل إكراها لهم على الإيمان أو العمل،لكان أغلب معجزات موسى موجه للإكراه،نعم هذا التأويل و صرف الآية عن ظاهرها،و القول بأن بنى إسرائيل كانوا فى أصل الجبل فزلزل و زعزع حتى أظل رأسه عليهم،فظنوا أنه واقع بهم فعبر عنها برفعه فوقهم أو نتقه فوقهم،مبنى على أصل إنكار المعجزات و خوارق العادات،و قد مر الكلام فيها و لو جاز أمثال هذه التأويلات لم يبق للكلام ظهور،و لا لبلاغه الكلام و فصاحته أصل تتكى عليه و تقوم به.

قوله تعالى: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . لعل كلمه ترج و اللازم فى الترجى صحته فى الكلام سواء كان قائما بنفس المتكلم أو المخاطب أو بالمقام، كأن يكون المقام مقام رجاء و إن لم يكن للمتكلم و المخاطب رجاء فيه و هو لا- يخلو عن شوب جهل بعاقبه الأمر فالرجاء فى كلامه تعالى إما بملا-حظه المخاطب أو بملا-حظه المقام.و أما هو تعالى فيستحيل نسبه الرجاء إليه لعلمه بعواقب الأمور، كما نبه عليه الراغب فى مفرداته.

قوله تعالى: كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ أى صاغرين.

قوله تعالى: فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا أى عبره يعتبر بها، والنكال هو ما يفعل من الإذلال و الإهانه بواحد ليعتبر به آخرون.

قوله تعالى: «وَ إِذِ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً» الخ، هذه قصه بقره بنى إسرائيل، و بها سميت السوره سورته البقره. و الأمر فى بيان القرآن لهذه القصة عجيب فإن القصة فصل بعضها عن بعض حيث قال تعالى: «وَ إِذِ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ» ثم قال: «وَ إِذِ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا» ثم إنه أخرج فصلا منها من وسطها و قدم أولا و وضع صدر القصة و ذيلها ثانيا، ثم إن الكلام كان مع بنى إسرائيل فى الآيات السابقه بنحو الخطاب فانقل بالالتفات إلى الغيبه حيث قال: «وَ إِذِ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ثُمَّ التفت إلى الخطاب ثانيا بقوله: وَ إِذِ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا».

أما الالتفات فى قوله تعالى: «وَ إِذِ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً»، ففيه صرف الخطاب عن بنى إسرائيل، و توجيهه إلى النبى فى شطر من القصة و هو أمر ذبح البقره و توصيفها ليكون كالمقدمه الموضحه للخطاب الذى سيخاطب به بنو إسرائيل بقوله: «وَ إِذِ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا» وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، الآيتان فى سلك الخطابات السابقه فهذه الآيات الخمس من قوله: «وَ إِذِ قَالَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ: وَ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ»، كالمعترضه فى الكلام تبين معنى الخطاب التالى مع ما فيها من الدلاله على سوء أديهم و إيذائهم لرسولهم، برميهم بفضول القول و لغو الكلام، مع ما فيه من تعنتهم و تشديدهم و إصرارهم فى الاستيضاح و الاستفهام المستلزم لنسبه الإيهام إلى الأوامر الإلهيه و بيانات الأنبياء مع ما فى كلامهم من شوب الإهانه و الاستخفاف الظاهر بمقام الربوبيه فانظر إلى قول موسى (ع) لهم: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً، و قولهم: اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ، و قولهم ثانيا: اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْئَاهَا، و قولهم ثالثا: اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا، فأتوا فى الجميع بلفظ ربك من غير أن يقولوا ربنا ثم كرروا قولهم: مَا هِيَ و قالوا إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا فادعوا التشابه بعد البيان، و لم يقولوا: إن البقره تشابهت علينا بل قالوا: إِنَّ الْبَقَرَ

كأنهم يدعون أن جنس البقر متشابه ولا يؤثر هذا الأثر إلا بعض أفراد هذا النوع وهذا المقدار من البيان لا يجزى في تعيين الفرد المطلوب و تشخيصه، مع أن التأثير لله عز اسمه لا للبقره، وقد أمرهم أن يذبحوا بقره فأطلق القول و لم يقيده بقيد، و كان لهم أن يأخذوا بإطلاقه، ثم انظر إلى قولهم لنبيهم: أَ تَتَّخِذُنَا هُزُوءًا، المتضمن لرميه (ع) بالجهالة و اللغو حتى نفاه عن نفسه بقوله: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، و قولهم أخيرا بعد تمام البيان الإلهي: أَلَا نَ جِئْتَ بِالْحَقِّ، الدال على نفى الحق عن البيانات السابقة المستلزم لنسبه الباطل إلى طرز البيان الإلهي و التبليغ النبوي.

و بالجمله فتقديم هذا الشطر من القصة لإبانه الأمر في الخطاب التالي كما ذكر مضافا إلى نكته أخرى، و هي أن قصة البقره غير مذكوره في التوراه الموجوده عند اليهود اليوم فكان من الحرى أن لا يخاطبوا بهذه القصة أصلا أو يخاطبوا به بعد بيان ما لعبت به أيديهم من التحريف، فأعرض عن خطابهم أولا بتوجيه الخطاب إلى النبی ثم بعد تثبيت الأصل، عاد إلى ما جرى عليه الكلام من خطابهم المتسلسل، نعم في هذا المورد من التوراه حكم لا يخلو عن دلالة ما على وقوع القصة و هاك عباره التوراه.

قال في الفصل الحادى و العشرين من سفر تثنيه الاشرع: " إذا وجد قتيل فى الأرض -التي يعطيك الرب إلهك لتملكها واقعا فى الحقل- لا يعلم من قتله يخرج شيوخك و قضاةك -و يقيسون إلى المدن التي حول القتيل- فالمدينه القريبه من القتيل -يأخذ شيوخ تلك المدينه عجله- من البقر لم يحرق عليها لم تجر بالغير- و ينحدر شيوخ تلك المدينه بالعجله- إلى واد دائم السيلا ن لم يحرق فيه و لم يزرع- و يكسرون عنق العجله فى الوادى- ثم يتقدم الكهنه بنى لاوى- لأنه إياهم اختار الرب إلهك ليخدموه و يباركوا باسم الرب- و حسب قولهم تكون كل خصومه و كل ضربه- و يغسل جميع شيوخ تلك المدينه القريبين من القتيل أيديهم- على العجله المكسوره العنق فى الوادى- و يصرخون و يقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم- و أعيننا لم تبصر اغفر لشعبك إسرائيل- الذى فديت يا رب- و لا تجعل دم برىء فى وسط شعبك إسرائيل- فيغفر لهم الدم انتهى.

إذا عرفت هذا على طوله علمت أن بيان هذه القصة على هذا النحو ليس من قبيل

فصل القصة، بل القصة مبينه على نحو الإجمال فى الخطاب الذى فى قوله: وَ إِذِ قَتَلْتُمْ نَفْسًا إِيَّاهُ وَ شَطَرَ مِنَ الْقِصَّةِ مَا تَبَيَّنَ بِهَا بَيَانٌ تَفْصِيلِيٌّ فِي صُورِهِ قِصَّةٌ أُخْرَى لِنَكْتِهِ دَعَتْ إِلَيْهِ.

فقوله تعالى: وَ إِذِ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ خُطَابٌ لِلنَّبِيِّ ص وَ هُوَ كَلَامٌ فِي صُورِهِ قِصَّةٌ وَ إِنَّمَا هِيَ مُقَدِّمَةٌ تَوْضِيحِيَّةٌ لِلخُطَابِ التَّالِيِّ لَمْ يَذْكَرْ مَعَهَا السَّبَبَ البَاعِثَ عَلَى هَذَا الأَمْرِ وَ الغَايَةَ المُقْصُودَةَ مِنْهَا بَلْ أَطْلَقَتْ إِطْلَاقًا لِيَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ نَفْسَ السَّامِعِ وَ تَقِفَ مَوْقِفَ التَّجَسُّسِ، وَ تَتَشَبَّهَ إِذَا سَمِعْتَ أَصْلَ القِصَّةِ، وَ نَالَتْ الأَرْتِبَاطَ بَيْنَ الكَلَامَيْنِ، وَ لِذَلِكَ لَمَّا سَمِعْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَوْلَهُ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً تَعْجَبُوا مِنْ ذَلِكَ وَ لَمْ يَحْمِلُوهُ إِلَّا عَلَى أَنْ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ لِعَدَمِ وَجُودِ رَابِطَةٍ عِنْدَهُمْ بَيْنَ ذَبْحِ البَقَرَةِ وَ مَا يَسْأَلُونَهُ مِنْ فَصْلِ الخِصْمَةِ وَ الحِصُولِ عَلَى القَاتِلِ قَالُوا أ تَتَّخِذُنَا هُزُوعًا وَ سَخِرِيَهُ.

وَ إِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِفَقْدِهِمْ رُوحَ الإِطَاعَةِ وَ السَّمْعِ وَ اسْتِقْرَارِ مُلْكِهِ الأَسْتِكْبَارِ وَ العِتْوِ فِيهِمْ، وَ قَوْلِهِمْ: إِنَّا لَأَنْ نَحْمُومَ حَوْلَ التَّقْلِيدِ المَذْمُومِ، وَ إِنَّمَا نُوْمِنُ بِمَا نَشَاهِدُهُ وَ نَرَاهُ كَمَا قَالُوا لِمُوسَى: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً وَ إِنَّمَا وَقَعُوا فِيهَا وَقَعُوا مِنْ جِهَةِ اسْتِقْلَالِهِمْ فِي الحُكْمِ وَ القِضَاءِ فِيهَا لَهُمْ ذَلِكَ، وَ فِيهَا لَيْسَ لَهُمْ ذَلِكَ فَحَكَمُوا بِالمَحْسُوسِ عَلَى المَعْقُولِ فَطَالَبُوا مَعَايِنَهُ الرَّبِّ بِالحِسِّ البَاصِرِ وَ قَالُوا: «يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» الأعراف-١٣٨، وَ زَعَمُوا أَنْ نَبِيَّهُمْ مُوسَى مِثْلَهُمْ يَتَهَوَّسُ كَتَهَوَّسِهِمْ، وَ يَلْعَبُ كَلَعْبِهِمْ، فَرَمَوْهُ بِالاسْتَهْزَاءِ وَ السَّفْهِ وَ الجَهَالَةِ حَتَّى رَدَّ عَلَيْهِمْ، وَ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ، وَ إِنَّمَا اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ وَ لَمْ يَخْبِرْ عَن نَفْسِهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِجَاهِلٍ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ (ع) أَخَذَ بِالعِصْمَةِ الإِلَهِيَّةِ الَّتِي لَا تَتَخَلَّفُ لِاحْكَمِهِ الخَلْقِيَّةِ الَّتِي رُبَّمَا تَتَخَلَّفُ.

وَ زَعَمُوا أَنْ لَيْسَ لِلإنْسَانِ أَنْ يَقْبَلَ قَوْلًا- إِلَّا- عَن دَلِيلٍ، وَ هَذَا حَقٌّ، لَكِنْهُمْ غَلَطُوا فِي زَعْمِهِمْ أَنْ كُلَّ حُكْمٍ يَجِبُ العُثُورَ عَلَى دَلِيلِهِ تَفْصِيلًا وَ لَا- يَكْفِي فِي ذَلِكَ الإِجْمَالُ وَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ طَالَبُوا تَفْصِيلَ أوصَافِ البَقَرَةِ لِحُكْمِهِمْ أَنْ نَوْعِ البَقَرِ لَيْسَ فِيهِ خَاصَّةٌ الإِحْيَاءِ، فَإِنْ كَانَ وَ لَا بَدَّ فَهُوَ فِي فَرْدٍ خَاصٍّ مِنْهُ يَجِبُ تَعْيِينُهُ بِأوصَافِ كَامِلَةِ البَيَانِ وَ لِذَلِكَ قَالُوا اذْءُغْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ، وَ هَذَا تَشْدِيدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ جِهَةٍ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَ قَالَ مُوسَى إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ، أَيْ لَيْسَتْ بِمَسْنَةٍ انْقَطَعَتْ

ولادتها وَلَا بَكْرٌ أَى لَمْ تَلِدْ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ، و العوان من النساء و البهائم ما هو فى منتصف السن أى واقعه فى السن بين ما ذكر من الفارض و البكر، ثم ترحم عليهم ربهم فوعظهم أن لا يلحوا فى السؤال، و لا يشددوا على أنفسهم و يقنعوا بما بين لهم فقال:

فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ

لكنهم لم يرتدعوا بذلك بل قالوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لُونُهَا، قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعِدْ شَدِيدَ الصَّفْرِ فِي صَفَاءِ لُونِهَا تَسِيرُ النَّاطِرِينَ و تم بذلك وصف البقره بيانا، و اتضح أنها ما هى و ما لونها و هم مع ذلك لم يرضوا به، و أعادوا كلامهم الأول، من غير تحجب و انقباض و قالوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا وَ إِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ، فأجابهم ثانيا بتوضيح فى ماهيتها و لونها و قال إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولَ أَى غير مذللته بالحرث و السقى تُثْبِتُ الْأَرْضَ بِالشَّيَارِ وَلَا تَشْقَى الْحَرْثَ فلما تم عليهم البيان و لم يجدوا ما يسألونه قالوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ قول من يعترف بالحقيقه بالإلزام و الحجه من غير أن يجد إلى الرد سبيلا، فيعترف بالحق اضطرارا، و يعتذر عن المبادره إلى الإنكار بأن القول لم يكن مبينا من قبل، و لا بينا تاما. و الدليل على ذلك قوله تعالى: فَذَبْحُوهَا وَ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ .

قوله تعالى: وَ إِذِ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا، شروع فى أصل القصه و التدارؤ هو التدافع من الدرء بمعنى الدفع فقد كانوا قتلوا- نفسا- و كل طائفه منهم يدفع الدم عن نفسها إلى غيرها- و أراد الله سبحانه إظهار ما كتموه.

قوله تعالى: فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضِهَا، أول الضميرين راجع إلى النفس باعتبار أنه قتل، و ثانيهما إلى البقره، و قد قيل: إن المراد بالقصه بيان أصل تشريع الحكم حتى ينطبق على الحكم المذكور فى التوراه الذى نقلناه، و المراد بإحياء الموتى العثور بوسيله تشريع هذا الحكم على دم المقتول، نظير ما ذكره تعالى بقوله: «وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ»: البقره- ١٧٩، من دون أن يكون هناك إحياء بنحو الإعجاز هذا، و أنت خير بأن سياق الكلام و خاصه قوله تعالى: فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى، يَأبَى ذَلِكَ.

قوله تعالى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً الْقَسْوَةُ القسوه فى القلب بمنزله الصلابه فى الحجر و كلمه أو بمعنى بل، و المراد بكونها بمعنى بل انطباق معناه على موردها،



وقد بين شدة قسوه قلوبهم بقوله: وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وقوبل فيه بين الحجاره و الماء لكون الحجاره يضرب بها المثل فى الصلابه ككون الماء يضرب به المثل فى اللين فهذه الحجاره على كمال صلابتها يتفجر منها الأنهار على لين مائها و تشقق فيخرج منها الماء على لينه و صلابتها، و لا يصدر من قلوبهم حال يلائم الحق، و لا قول حق يلائم الكمال الواقع.

قوله تعالى: وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، و هبوط الحجاره ما نشاهد من انشقاق الصخور على قلل الجبال، و هبوط قطعات منها بواسطة الزلازل، و صيروره الجمد الذى يتخللها فى فصل الشتاء ماء فى فصل الربيع إلى غير ذلك، و عد هذا الهبوط المستند إلى أسبابها الطبيعیه هبوطا من خشية الله تعالى لأن جميع الأسباب منتهيه إلى الله سبحانه فانفعال الحجاره فى هبوطها عن سببها الخاص بها انفعال عن أمر الله سبحانه إياها بالهبوط، و هى شاعره لأمر ربها شعورا تكوينيا، كما قال تعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» :إسراء-٤٤، و قال تعالى:

«كُلُّ لَه قَانِتُونَ» :البقره-١١٦، و الانفعال الشعورى هو الخشيه فهى هابطه من خشيه الله تعالى، فالآيه جاريه مجرى قوله تعالى: «وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ» :الرعد-١٣، و قوله تعالى: «وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ» :الرعد-١٥، حيث عد صوت الرعد تسبيحا بالحمد و عد الظلال ساجده لله سبحانه إلى غير ذلك من الآيات التى جرى القول فيها مجرى التحليل كما لا يخفى.

و بالجملة فقوله: وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ، بيان ثان لكون قلوبهم أقسى من الحجاره فإن الحجاره تخشى الله تعالى، فتهبط من خشيته، و قلوبهم لا تخشى الله تعالى و لا تهابه.

### (بحث روائى)

فى المحاسن: عن الصادق (ع): فى قول الله: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ، أ قوه

الأبدان أو قوه القلب؟ قال (ع): فيهما جميعا.

أقول: ورواه العياشى أيضا فى تفسيره.

وفى تفسير العياشى، عن الحلبي: فى قوله تعالى: **وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ**، قال: قال اذكروا ما فيه - و اذكروا ما فى تركه من العقوبه.

أقول: وقد استفيد ذلك من المقام من قوله تعالى: **وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا**.

وفى الدر المنثور: عن أبى هريره قال: قال رسول الله ص: لو لا أن بنى إسرائيل قالوا - و إنا إن شاء الله لمتهدون ما أعطوا أبدا - و لو أنهم اعتراضوا بقره من البقر - فذبوها لأجزأت عنهم - و لكنهم شددوا فشدد الله عليهم.

وفى تفسير القمى: عن ابن فضال قال: سمعت أبا الحسن (ع) يقول: إن الله أمر بنى إسرائيل أن يذبوا بقره - و إنما كانوا يحتاجون إلى ذنبها فشدد الله عليهم.

وفى المعانى، و تفسير العياشى: عن البرنطى قال: سمعت الرضا (ع) يقول:

إن رجلا - من بنى إسرائيل قتل قرابه له - ثم أخذه و طرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بنى إسرائيل - ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى إن سبط آل فلان قتلوا فلانا - فأخبر من قتله قال: ائتوني ببقره قالوا: **أَتَتَّحِدُنَا هُزُؤًا؟** قال: **أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** - و لو أنهم عمدوا إلى بقره أجزاءهم - و لكن شددوا فشدد الله عليهم، قالوا **ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ؟** قال **إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا - فِأَرْضٍ وَلَا بَكْرٌ -** يعنى لا - صغيره و لا كبيره عوان بين ذلك - و لو أنهم عمدوا إلى بقره أجزاءهم - و لكن شددوا فشدد الله عليهم - قالوا **ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْئِهَا؟** قال **إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صِيْفَاءُ - فَاقْعَ لَوْئِهَا تَسِيرُ النَّاطِرِينَ** و لو أنهم عمدوا إلى بقره أجزاءهم - و لكن شددوا فشدد الله عليهم - قالوا **ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ** **إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا - وَإِذَا** **إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ.**

قال: **إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا ذُلُومٌ تُبَيِّرُ الْأَرْضَ - وَلَا تَسْقَى الْحَزْتَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شَيْءَ فِيهَا.**

قالوا **الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ**

فطلبوها فوجدوها عند فتى من بنى إسرائيل - فقال لا أبيعها إلا

بملاء مسك ذهباً، فجاءوا إلى موسى وقالوا له ذلك- قال اشتروها فاشتروها و جاءوا بها فأمر بذبجها- ثم أمر أن يضربوا الميت بذبجها- فلما فعلوا ذلك حياى المقتول- وقال يا رسول الله إن ابن عمى قتلنى، دون من أدعى عليه قتلى، فعلموا بذلك قاتله- فقال لرسول الله موسى بعض أصحابه- إن هذه البقره لها نأ فقال و ما هو؟ قال إن فتى من بنى إسرائيل كان باراً بأبيه- وأنه اشترى بيعاً فجاء إلى أبيه و الأقاليد تحت رأسه فكره أن يوقظه فترك ذلك البيع- فاستيقظ أبوه فأخبره فقال أحسنت، هذه البقره فهى لك عوضاً مما فاتك- فقال له رسول الله موسى انظر إلى البر ما بلغ بأهله.

أقول: و الروايات كما ترى منطبقه على إجمال ما استفدناه من الآيات الشريفه.

### (بحث فلسفى) [إحياء الأموات و المسخ.]

السوره كما ترى مشتمله على عده من الآيات المعجزه، فى قصص بنى إسرائيل و غيرهم، كغرق آل فرعون فى قوله تعالى: **وَ إِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَ أَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ الْآيَه،** و أخذ الصاعقه بنى إسرائيل و إحيائهم بعد الموت فى قوله تعالى: **وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ الْآيَه،** و تظليل الغمام و إنزال المن و السلوى عليهم فى قوله تعالى: **وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ الْآيَه،** و انفجار العيون من الحجر فى قوله تعالى: **وَ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ الْآيَه،** و رفع الطور فوقهم فى قوله تعالى: **وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ الْآيَه،** و مسخ قوم منهم فى قوله تعالى: **فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً الْآيَه،** و إحياء القتيل ببعض البقره المذبوحه فى قوله: **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِنَعْصِهَا الْآيَه،** و إحياء قوم آخرين فى قوله **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمُ الْآيَه،** و إحياء الذى مر على قريه خربه فى قوله: **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا الْآيَه،** و إحياء الطير بيد إبراهيم فى قوله تعالى: **وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَيُوتَ الْآيَه،** فهذه اثنتا عشره آيه معجزه خارقه للعباده جرت أكثرها فى بنى إسرائيل ذكرها القرآن- و قد بينا فيما مر إمكان وقوع المعجزه و أن خوارق العادات جائزه الوقوع فى الوجود و هى مع ذلك ليست ناقضه لقانون العليه و المعلوليه الكلى، و تبين به أن

لا- دليل على تأويل الآيات الظاهره فى وقوع الإعجاز، و صرفها عن ظواهرها ما دامت الحادته ممكنه، بخلاف المحالات كانقسام الثلاثه بمتساويين و تولد مولود يكون أبا لنفسه، فإنه لا سبيل إلى جوازها.

نعم تختص بعض المعجزات كإحياء الموتى و المسخ ببحث آخر، فقد قيل: إنه قد ثبت فى محله أن الموجود الذى له قوه الكمال و الفعلية إذا خرج من القوه إلى الفعل فإنه يستحيل بعد ذلك رجوعه إلى القوه ثانيا، و كذلك كل ما هو أكمل وجودا فإنه لا يرجع فى سيره الاستكمالى إلى ما هو أنقص وجودا منه من حيث هو كذلك.

و الإنسان بموته يتجرد بنفسه عن الماده فيعود موجودا مجردا مثاليا أو عقليا، و هاتان الرتبتان فوق مرتبه الماده، و الوجود فيهما أقوى من الوجود المادى، فمن المحال أن تتعلق النفس بعد موتها بالماده ثانيا، و إلا لزم رجوع الشىء إلى القوه بعد خروجه إلى الفعل، و هو محال، و أيضا الإنسان أقوى وجودا من سائر أنواع الحيوان، فمن المحال أن يعود الإنسان شيئا من سائر أنواع الحيوان بالمسخ.

أقول: ما ذكره من استحاله رجوع ما بالقوه بعد خروجه إلى الفعل إلى القوه ثانيا حق لا ريب فيه، لكن عود الميت إلى حياته الدنيا ثانيا فى الجملة و كذا المسخ ليسا من مصاديقه. بيان ذلك: أن المحصل من الحس و البرهان أن الجوهر النباتى المادى إذا وقعت فى صراط الاستكمال الحيوانى فإنه يتحرك إلى الحيوانيه، فيتصور بالصوره الحيوانيه و هى صورته مجردة بالتجرد البرزخى، و حقيقتها إدراك الشىء نفسه بإدراك جزئى خيالى و هذه الصوره وجود كامل للجوهر النباتى و فعلية لهذه القوه تلبس بها بالحركه الجوهرية و من المحال أن ترجع يوما إلى الجوهر المادى فتصير إياه إلا أن تفارق مادتها فتبقى الماده مع صورته ماديه كالحيوان تموت فيصير جسدا لا- حراك به، ثم إن الصوره الحيوانيه مبدأ لأفعال إدراكيه تصدر عنها، و أحوال علميه تترتب عليها، تنتقش النفس بكل واحد من تلك الأحوال بصدورها منها، و لا يزال نقش عن نقش، و إذا تراكمت من هذه النقوش ما هى متشاكله متشابهه تحصل نقش واحد و صار صورته ثابتة غير قابله للزوال، و ملكه راسخه، و هذه صورته نفسانيه جديده يمكن أن يتنوع بها نفس حيوانى فتصير حيوانا خاصا ذا صورته خاصه منوعه كصوره المكر و الحقد و الشهوه و الوفاء و الافتراس و غير ذلك و إذا لم تحصل ملكه بقى النفس

على مرتبتها الساذجه السابقه، كالنبات إذا وقفت عن حركتها الجوهرية بقى نباتا و لم يخرج إلى الفعلية الحيوانيه، و لو أن النفس البرزخيه تتكامل من جهه أحوالها و أفعالها بحصول الصورة دفعه لا-نقطعت علقته مع البدن فى أول وجودها لكنها تتكامل بواسطه أفعالها الإدراكيه المتعلقه بالماده شيئا فشيئا حتى تصير حيوانا خاصا إن عمر العمر الطبيعى أو قدرا معتدا به، و إن حال بينه و بين استتمام العمر الطبيعى أو القدر المعتد به مانع كالموت الاخترامى بقى على ما كان عليه من سذاجه الحيوانيه، ثم إن الحيوان إذا وقعت فى صراط الإنسانيه و هى الوجود الذى يعقل ذاته تعقلا كليا مجردا عن الماده و لوازمها من المقادير و الألوان و غيرهما خرج بالحركه الجوهرية من فعلية المثال التى هى قوه العقل إلى فعلية التجرد العقلى، و تحققت له صورته الإنسان بالفعل، و من المحال أن تعود هذه الفعلية إلى قوتها التى هى التجرد المثالى على حد ما ذكر فى الحيوان.

ثم إن لهذه الصورة أيضا أفعالا و أحوالا تحصل بتراكمها التدريجى صورته خاصه جديده توجب تنوع النوعيه الإنسانيه على حد ما ذكر نظيره فى النوعيه الحيوانيه.

إذا عرفت ما ذكرناه ظهر لك أنا لو فرضنا إنسانا رجع بعد موته إلى الدنيا و تجدد لنفسه التعلق بالماده و خاصه الماده التى كانت متعلقه نفسه من قبل لم يبطل بذلك أصل تجرد نفسه فقد كانت مجردة قبل انقطاع العلقه و معها أيضا و هى مع التعلق ثانيا حافظه لتجردها، و الذى كان لها بالموت أن الأداه التى كانت رابطه فعلها بالماده صارت مفقوده لها فلا تقدر على فعل مادي كالصانع إذا فقد آلات صنعته و الأدوات اللازمه لها؛ فإذا عادت النفس إلى تعلقها الفعلى بالماده أخذت فى استعمال قواها و أدواتها البدنيه و وضعت ما اكتسبتها من الأحوال و الملكات بواسطه الأفعال فوق ما كانت حاضره و حاصله لها من قبل و استكملت بها استكمالا جديدا من غير أن يكون ذلك منه رجوعا قهقرى و سيرا نزوليا من الكمال إلى النقص، و من الفعل إلى القوه.

فإن قلت: هذا يوجب القول بالقسر الدائم مع ضروره بطلانه، فإن النفس المجرده المنقطعه عن البدن لو بقى فى طباعها إمكان الاستكمال من جهه الأفعال الماديه بالتعلق بالماده ثانيا كان بقاؤها على الحرمان من الكمال إلى الأبد حرمانا عما تستدعيه بطباعها، فما كل نفس برآجه إلى الدنيا يعجز أو خرق عاده، و الحرمان المستمر

قلت: هذه النفوس التي خرجت من القوه إلى الفعل في الدنيا و اتصلت إلى حد و ماتت عندها لا تبقى على إمكان الاستكمال اللاحق دائما بل يستقر على فعليتها الحاضره بعد حين أو تخرج إلى الصوره العقليه المناسبه لذلك و تبقى على ذلك، و تزول الإمكان المذكور بعد ذلك فالإنسان الذى مات و له نفس ساذجه غير أنه فعل أفعالا و خلط عملا صالحا و آخر سيئا لو عاش حيناً أمكن أن يكتسب على نفسه الساذجه صورته سعيده أو شقيه و كذا لو عاد بعد الموت إلى الدنيا و عاش أمكن أن يكتسب على صورته السابقه صورته خاصه جديده و إذا لم يعد فهو فى البرزخ مثاب أو معذب بما كسبته من الأفعال حتى يتصور بصوره عقليه مناسبه لصورته السابقه المثاليه و عند ذلك يبطل الإمكان المذكور و يبقى إمكانات الاستكمالات العقليه فإن عاد إلى الدنيا كالأنبياء و الأولياء لو عادوا إلى الدنيا بعد موتهم أمكن أن يحصل صورته أخرى عقليه من ناحيه ماده و الأفعال المتعلقة بها و لو لم يعد فليس له إلا ما كسب من الكمال و الصعود فى مدارجه، و السير فى صراطه، هذا.

و من المعلوم أن هذا ليس قسرا دائما و لو كان مجرد حرمان موجود عن كماله الممكن له بواسطه عمل عوامل و تأثير علل مؤثره قسرا دائما لكان أكثر حوادث هذا العالم الذى هو دار التزاحم، و موطن التضاد أو جميعها قسرا دائما، فجميع أجزاء هذا العالم الطبيعى مؤثره فى الجميع، و إنما القسر الدائم أن يجعل فى غريزه نوع من الأنواع اقتضاء كمال من الكمالات أو استعداد ثم لا يظهر أثر ذلك دائما إما لأمر فى داخل ذاته أو لأمر من خارج ذاته متوجه إلى إبطاله بحسب الغريزه، فيكون تغريز النوع المقتضى أو المستعد للكمال تغريزا باطلا و تجبيلا هباء لغوا فافهم ذلك، و كذا لو فرضنا إنسانا تغيرت صورته إلى صورته نوع آخر من أنواع الحيوان كالقرد و الخنزير فإنما هى صورته على صورته، فهو إنسان خنزير أو إنسان قرد، لا إنسان بطلت إنسانيته، و خلقت صورته الخنزيريه أو القرديه محلها، فالإنسان إذا كسب صورته من صور الملكات تصورت نفسه بها و لا دليل على استحاله خروجها فى هذه الدنيا من الكمون إلى البروز على حد ما ستظهر فى الآخره بعد الموت، و قد مر أن النفس

الإنسانيه فى أول حدودها على السذاجه يمكن أن تتنوع بصوره خاصه تخصصها بعد الإبهام و تقيدها بعد الإطلاق و القبول فالممسوخ من الإنسان إنسان ممسوخ لا- أنه ممسوخ فاقد للإنسانيه هذا، و نحن نقرأ فى المنشورات اليوميه من أخبار المجمع العلميه بأوربا و أمريكا ما يؤخذ جواز الحياه بعد الموت، و تبدل صوره الإنسان بصوره المسخ، و إن لم نتكل فى هذه المباحث على أمثال هذه الأخبار، لكن من الواجب على الباحثين من المحصلين أن لا ينسوا اليوم ما يتلونه بالأمس.

فإن قلت: فعلى هذا فلا مانع من القول بالتناسخ.

قلت: كلا فإن التناسخ و هو تعلق النفس المستكملة بنوع كمالها بعد مفارقتها البدن ببدن آخر محال، فإن هذا البدن إن كان ذا نفس استلزم التناسخ تعلق نفسين ببدن واحد، و هو وحده الكثير، و كثره الواحد، و إن لم تكن ذا نفس استلزم رجوع ما بالفعل إلى القوه، كرجوع الشيخ إلى الصبا، و كذلك يستحيل تعلق نفس إنسانى مستكملة مفارقه ببدن نباتى أو حيوانى بما مر من البيان..

### (بحث علمى و أخلاقى) [معنى التقليد.]

أكثر الأمم الماضيه قصه فى القرآن أمه بنى إسرائيل، و أكثر الأنبياء ذكرا فيه موسى بن عمران (ع)، فقد ذكر اسمه فى القرآن، فى مائه و سته و ثلاثين موضعا ضعف ما ذكر إبراهيم (ع) الذى هو أكثر الأنبياء ذكرا بعد موسى، فقد ذكر فى تسعه و ستين موضعا على ما قيل فيهما، و الوجه الظاهر فيه أن الإسلام هو الدين الحنيف المبني على التوحيد الذى أسس أساسه إبراهيم (ع) و أتمه الله سبحانه و أكمله لنبيه محمد ص قال تعالى: «مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ» :الحج-٧٨، و بنو إسرائيل أكثر الأمم لجاجا و خصاما، و بعدهم من الانقياد للحق، كما أنه كان كفار العرب الذين ابتلى بهم رسول الله ص على هذه الصفه، فقد آل الأمر إلى أن نزل فيهم: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» :البقره-٦.

و لا- ترى رذيله من رذائل بنى إسرائيل فى قسوتهم و جفوتهم مما ذكره القرآن إلا- و هو موجود فيهم، و كيف كان فأنت إذا تأملت قصص بنى إسرائيل المذكوره فى القرآن، و أمعنت فيها، و ما فيها من أسرار أخلاقهم و جدت أنهم كانوا قوما غائرين فى الماده مكيبين على ما يعطيه الحس من لذائذ الحياه الصوريه، فقد كانت هذه الأمه لا تؤمن بما وراء الحس، و لا تنقاد إلا إلى اللذه و الكمال المادى، و هم اليوم كذلك. و هذا الشأن هو الذى صير عقلهم و إرادتهم تحت انقياد الحس و الماده، لا يعقلون إلا ما يجوزانه، و لا يريدون إلا ما يرخسان لهم ذلك فانقياد الحس يوجب لهم أن لا يقبلوا قولاً إلا إذا دل عليه الحس، و إن كان حقا و انقياد الماده اقتضى فيهم أن يقبلوا كل ما يريده أو يستحسنه لهم كبراًؤهم ممن أوتى جمال الماده، و زخرف الحياه و إن لم يكن حقا، فأنتج ذلك فيهم التناقض قولاً و فعلاً، فهم يذمون كل اتباع باسم أنه تقليد و إن كان مما ينبغى إذا كان بعيداً من حسهم، و يمدحون كل اتباع باسم أنه حظ الحياه، و إن كان مما لا ينبغى إذا كان ملائماً لهوساتهم الماديه، و قد ساعدتهم على ذلك و أعانهم عليه مكثهم الممتد و قطنهم الطويل بمصر تحت استذلال المصريين، و استرقاقهم، و تعذيبهم، يسومونهم سوء العذاب و يذبحون أبناءهم و يستحيون نساءهم و فى ذلك بلاء من ربهم عظيم.

و بالجمله فكانوا لذلك صعبه الانقياد لما يأمرهم به أنبياءهم، و الربانيون من علمائهم مما فيه صلاح معاشهم و معادهم (تذكر فى ذلك مواقفهم مع موسى و غيره) و سريعه اللحوق إلى ما يدعوههم المغرضون و المستكبرون منهم.

و قد ابتليت الحقيقه و الحق اليوم بمثل هذه البليه بالمدينه الماديه التى أتحفها إليها عالم الغرب، فهى مبنيه القاعده على الحس و الماده، فلا يقبل دليل فيما بعد عن الحس و لا يسأل عن دليل فيما تضمن لذه ماديه حسيه، فأوجب ذلك إبطال الغريزه الإنسانيه فى أحكامها، و ارتحال المعارف العاليه و الأخلاق الفاضله من بيننا فصار يهدد الإنسانيه بالانهدام، و جامعته البشر بأشد الفساد و ليعلمن نبأه بعد حين.

و استيفاء البحث فى الأخلاق ينتج خلاف ذلك، فما كل دليل بمطلوب، و ما كل تقليد بمذموم، بيان ذلك: أن النوع الإنساني بما أنه إنسان إنما يسير إلى كماله



الحيوى بأفعاله الإراديه المتوقفه على الفكر و الإراده منه مستحيله التحقق إلا عن فكر، فالفكر هو الأساس الوحيد الذى يبتنى عليه الكمال الوجودى الضرورى فلا- بد للإنسان من تصديقات عمليه أو نظريه يرتبط بها كماله الوجودى ارتباطا بلا واسطه أو بواسطه، و هى القضايا التى نعلل بها أفعالنا الفرديه أو الاجتماعيه أو نحضرها فى أذهاننا، ثم نحصلها فى الخارج بأفعالنا، هذا.

ثم إن فى غريزه الإنسان أن يبحث عن علل ما يجده من الحوادث، أو يهاجم إلى ذهنه من المعلومات، فلا يصدر عنه فعل يريد به إيجاد ما حضر فى ذهنه فى الخارج إلا إذا حضر فى ذهنه علتة الموجه، و لا يقبل تصديقا نظريا إلا إذا اتكئ على التصديق بعلته بنحو، و هذا شأن الإنسان لا- يتخطاه البتة، و لو عثرنا فى موارد على ما يلوح منه خلاف ذلك فبالأمل و الإمعان تنحل الشبهه، و يظهر البحث عن العله، و الركون و الطمأنينه إليها فطرى، و الفطره لا تختلف و لا يتخلف فعلها، و هذا يؤدى الإنسان إلى ما فوق طاقته من العمل الفكرى و الفعل المتفرع عليه لسعه الاحتياج الطبيعى، بحيث لا يقدر الإنسان الواحد إلى رفعه معتمدا على نفسه و متكئا إلى قوه طبيعته الشخصيه فاحتالت الفطره إلى بعثه نحو الاجتماع و هو المدينه و الحضاره و وزعت أبواب الحاجه الحيويه بين أفراد الاجتماع، و وكل بكل باب من أبوابها طائفه كأعضاء الحيوان فى تكاليفها المختلفه المجتمعه فائدتها و عائدتها فى نفسه، و لا تزال الحوائج الإنسانيه تزداد كميته و اتساعا و تشعب الفنون و الصناعات و العلوم، و يترتب عند ذلك الأخصائىون من العلماء و الصناع، فكثير من العلوم و الصناعات كانت علما أو صنعه واحده يقوم بأمرها الواحد من الناس، و اليوم نرى كل باب من أبوابه علما أو علوما أو صنعه أو صنائع، كالتب المعدود قديما فنا واحدا من فروع الطبيعيات و هو اليوم فنون لا يقوم الواحد من العلماء الأخصائيين بأزيد من أمر فن واحد منها.

و هذا يدعو الإنسان بالإلهام الفطرى، أن يستقل بما يخصه من الشغل الإنسانى فى البحث عن علتة و يتبع فى غيره من يعتمد على خبرته و مهارته.

فبناء العقلاء من أفراد الاجتماع على الرجوع إلى أهل الخبره و حقيقه هذا الاتباع، و التقليد المصطلح و الركون إلى الدليل الإجمالى فيما ليس فى وسع الإنسان

أن ينال دليل تفاصيله كما أنه مفطور على الاستقلال بالبحث عن دليبه التفصيلي فيما يسعه أن ينال تفصيل علته و دليبه، و ملاك الأمر كله أن الإنسان لا يركن إلى غير العلم، فمن الواجب عند الفطره الاجتهاد، و هو الاستقلال في البحث عن العله فيما يسعه ذلك و التقليد و هو الاتباع و رجوع الجاهل إلى العالم فيما لا يسعه ذلك، و لما استحال أن يوجد فرد من هذا النوع الإنساني مستقلا بنفسه قائما بجميع شئون الأصل الذى يتكى عليه الحياه استحال أن يوجد فرد من الإنسان من غير اتباع و تقليد، و من ادعى خلاف ذلك أو ظن من نفسه أنه غير مقلد فى حياته فقد سفه نفسه.

نعم: التقليد فيما للإنسان أن ينال علته و سببه كالاجتهاد فيما ليس له الورود عليه و النيل منه، من الرذائل التى هى من مهلكات الاجتماع، و مفنيات المدينه الفاضله و لا يجوز الاتباع المحض إلا فى الله سبحانه لأنه السبب الذى إليه تنتهى الأسباب.

## [سوره البقره (٢): الآيات ٧٥ الى ٨٢]

### اشاره

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضٍ مِنْهُمْ إِلَى بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّ وَ إِنِ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢)

السياق و خاصه ما فى ذيل الآيات يفيد أن اليهود عند الكفار، و خاصه كفار المدينة: لقرب دارهم منهم كانوا يعرفون قبل البعثة ظهورا لرسول الله ص و عندهم علم الدين و الكتاب، و لذلك كان الرجاء فى إيمانهم أكثر من غيرهم، و كان المتوقع أن يؤمنوا به أفواجا فيتأيد بذلك و يظهر نوره، و ينتشر دعوته، و لما هاجر النبى إلى المدينة و كان من أمرهم ما كان تبدل الرجاء قنوطا، و الطمع يأسا، و لذلك يقول سبحانه: أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ إِلْحَ، يعنى أن كتمان الحقائق و تحريف الكلام من شيمهم، فلا ينبغى أن يستبعد نكولهم عما قالوا و نقضهم ما أبرموا.

قوله تعالى: أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ، فيه التفات من خطاب بنى إسرائيل إلى خطاب النبى و الذين آمنوا و وضعهم موضع الغيبه و كان الوجه فيه أنه لما قص قصه البقره و عدل فيها من خطاب بنى إسرائيل إلى غيبتهم لمكان التحريف الواقع فيها بحذفها من التوراه كما مر، أريد إتمام البيان بنحو الغيبه بالإشاره إلى تحريفهم كتاب الله تعالى فصرف لذلك وجه الكلام إلى الغيبه.

قوله تعالى: وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَا إِلْحَ، لا تقابل بين الشرطين و هما مدخولا إذا فى الموضعين كما فى قوله تعالى: «وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَابِئِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ» :البقره-١٤، بل المراد بيان موضعين آخرين من مواضع جرائمهم و جهالتهم.

أحدهما: أنهم ينافقون فيتظاهرون بالإيمان صونا لأنفسهم من الإيذاء و الطعن و القتل.

و ثانيهما: أنهم يريدون تعميهِ الأمر و إبهامه على الله سبحانه العالم بسرهم و علانيتهم و ذلك أن العامه منهم، و هم أولوا بساطه النفس ربما كانوا ينبسطون للمؤمنين، فيحدثونهم ببعض ما فى كتبهم من بشارات النبى أو ما ينفع المؤمنين فى تصديق النبوه، كما يلوح من لحن الخطاب فكان أولياؤهم ينهونهم معللا بأن ذلك مما فتح الله لهم، فلا ينبغى أن يفشى للمؤمنين، فيحاجوهم به عند ربهم كأنهم لو لم يحاجوهم به عند ربهم لم يطلع الله عليه فلم يؤاخذهم بذلك و لا يزم ذلك أن الله تعالى إنما يعلم علانيه الأمر، دون سره و باطنه و هذا من الجهل بمكان، فرد الله سبحانه عليهم بقوله: «أَوَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ» الآية فإن هذا النوع من العلم -و هو ما يتعلق بظاهر الأمر دون باطنه- إنما هو العلم المنتهى إلى الحس الذى يفتقر إلى بدن مادي مجهز بآلات ماديهِ مقيد بقيود الزمان و المكان مولود لعلل أخرى ماديهِ و ما هو كذلك مصنوع من العالم لا صانع العالم.

و هذا أيضا من شواهد ما قدمناه آنفا أن بنى إسرائيل لإذعانهم بأصالة الماده كانوا يحكمون فى الله سبحانه بما للماده من الأحكام، فكانوا يظنونه موجودا فعلا- فى الماده، مستعليا قاهرا عليه، و لكن بعين ما تفعل عله ماديهِ و تستعلى و تقهر على معلول مادي، و هذا أمر لا يختص به اليهود، بل هو شأن كل من يدعن بأصالة الماده من الملبين و غيرهم، فلا يحكمون فى ساحه قدسه سبحانه إلا- بما يعقلون من أوصاف الماديات من الحياه و العلم و القدره و الاختيار و الإراده و القضاء و الحكم و تدبير الأمر و إبرام القضاء إلى غير ذلك، و هذا داء لا ينجع معه دواء، و ما تغنى الآيات و النذر عن قوم لا يعقلون، حتى آل الأمر إلى أن استهزأ بهم من لا- مسكه له فى دينهم الحق و لا- قدم له فى معارفهم الحقه، قائلا- إن المسلمين يروون عن نبيهم أن الله خلق آدم على صورته و هم معاشر أمته يخلقون الله على صورهِ آدم، فهؤلاء- يدور أمرهم بين أن يثبتوا لربهم جميع أحكام الماده، كما يفعله المشبهه من المسلمين أو من يتلو تلوهم و إن لم يعرف بالتشبيه، أو لا- يفهموا شيئا من أوصاف جماله، فينفوا الجميع بإرجاعها إلى السلوب قائلا إن ما يبين أوصافه تعالى من الألفاظ إنما يقع عليه بالاشتراك اللفظى

فقلولنا: إنه موجود ثابت عالم قادر حى معان لا- نفهمها و لا- نعقلها، فاللازم إرجاع معانيها إلى النفى، فالمعنى مثلا أنه ليس بمعدوم، و لا- زائل، و لا- جاهل، و لا- عاجز و لا- ميت فاعتبروا يا أولى الأبصار فهذا بالاستلزام زعم منهم بأنهم يؤمنون بما لا يدرون، و يعبدون ما لا يفهمون، و يدعون إلى ما لا يعقلون، و لا يعقله أحد من الناس، و قد كفتهم الدعوه الدينيه مؤونه هذه الأباطيل بالحق فحكم على العامه أن يحفظوا حقيقه القول و لب الحقيقه بين التشبيه و التنزيه فيقولوا: إن الله سبحانه شىء لا كالأشياء و إن له علما لا- كعلومنا، و قدره لا- كقدرتنا، و حياه لا كحياتنا، مريد لا بهمامه، متكلم لا بشق فم، و على الخاصه أن يتدبروا فى آياته و يتفقهوا فى دينه فقد قال الله سبحانه: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَدِينُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَدِينُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ» الزمر- ٩، و الخاصه كما لا يساؤون العامه فى درجات المعرفه، كذلك لا يساؤونهم فى التكليف المتوجهه إليهم، فهذا هو التعليم الدينى النازل فى حقهم لو أنهم كانوا يأخذون به.

قوله تعالى: وَ مِنْهُمْ أُمَّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي، الأمى من لا يقرأ و لا يكتب منسوب إلى الأم لأن عطوفه الأم و شفقتها كانت تمنعها أن ترسل ولدها إلى المعلم و تسلمه إلى تربيته، فكان يكتب بتربيه الأم، و الأمانى جمع أمنيته، و هى الأكاذيب، فمحصل المعنى أنهم بين من يقرأ الكتاب و يكتبه فيحرفه و بين من لا يقرأ و لا يكتب و لا يعلم من الكتاب إلا أكاذيب المحرفين.

قوله تعالى: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ، الويل هو الهلكه و العذاب الشديد و الحزن و الخزى و الهوان و كل ما يحذره الإنسان أشد الحذر و الاشتراء هو الابتياح.

قوله تعالى: فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ إِنْخ، الضمائر إما راجعه إلى بنى إسرائيل أو لخصوص المحرفين منهم و لكل وجه و على الأول يثبت الويل للأمين منهم أيضا.

قوله تعالى: بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحْطَاطٌ بِهِ خَطِيئَتُهُ إِنْخ، الخطيئه هى الحاله الحاصله للنفس من كسب السيئه، و لذلك أتى بإحاطه الخطيئه بعد ذكر كسب

السيئه و إحاطه الخطيئه توجب أن يكون الإنسان المحاط مقطوع الطريق إلى النجاه كان الهدايه لإحاطه الخطيئه به لا تجد إليه سبيلا فهو من أصحاب النار مخلدا فيها و لو كان في قلبه شيء من الإيمان بالفعل، أو كان معه بعض ما لا يدفع الحق من الأخلاق و الملكات، كالإنصاف و الخضوع للحق، أو ما يشابههما لكانت الهدايه و السعاده ممكنتي النفوذ إليه، فإحاطه الخطيئه لا تتحقق إلا بالشرك الذي قال تعالى فيه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»: النساء-٤٨، و من جهة أخرى إلا بالكفر و تكذيب الآيات كما قال سبحانه: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»: البقره-٣٩، فكسب السيئه، و إحاطه الخطيئه كالكلمه الجامعه لما يوجب الخلود في النار.

و اعلم أن هاتين الآيتين قريبتا المعنى من قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ» X الخ: البقره-٦٢، و إنما الفرق أن الآيتين أعنى قوله:

بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً

، في مقام بيان أن الملاك في السعاده إنما هو حقيقه الإيمان و العمل الصالح دون الدعاوى و الآياتان المتقدمتان أعنى قوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا الخ في مقام بيان أن الملاك فيها هو حقيقه الإيمان و العمل الصالح دون التسمي بالأسماء.

### (بحث روائى)

في المجمع:، في قوله: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ، الآية- عن الباقر(ع) قال: كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين- إذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراه- من صفه محمد ص فهى كبرائوهم عن ذلك- و قالوا لا تخبروهم بما في التوراه من صفه محمد ص- فيحاجوهم به عند ربهم فنزلت هذه الآية

و في الكافي، عن أحدهما(ع): في قوله تعالى: بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً، قال: إذا جحدوا و لايه أمير المؤمنين- فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

أقول: و روى قريبا من هذا المعنى الشيخ في أماليه عن النبي ص، و الروايتان من الجرى و التطبيق على المصداق، و قد عد سبحانه الولايه حسنه في

قوله: «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسَيْنًا»: الشورى-٢٣، ويمكن أن يكون من التفسير لما سيجيء في سورة المائدة أنها العمل بما يقتضيه التوحيد وإنما نسب إلى علي (ع) لأنه أول فاتح من هذه الأمة لهذا الباب فانتظر.

## [سورة البقره (٢): الآيات ٨٣ الى ٨٨]

### إشاره

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسَيْنًا وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ (٨٣) وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ إِن يَأْتِكُمْ أَسَارَىٰ تَفَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِّنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَ قَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَ قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨)

قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، الآية في بديع نظمها بتبدئ أولاً بالغيبة و تنتهي إلى الخطاب حيث تقول: ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ، ثم إنها تذكر أولاً الميثاق وهو أخذ للعهد، ولا يكون إلا بالقول، ثم تحكى ما أخذ عليه الميثاق فتبتدئ، فيه بالخبر، حيث تقول: لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ، وتختتم بالإنشاء حيث تقول وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَلَعَلَّ الْوَجْهَ فِي ذَلِكَ كَلَهُ أَنْ الْآيَاتِ الْمُتَعَرِّضِ لِحَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا بَدَأَتْ بِالْخُطَابِ لِمَكَانِ اشْتِمَالِهَا عَلَى التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ وَجَرَتْ عَلَيْهِ كَانَ سِيَاقَ الْكَلَامِ فِيهَا الْخُطَابِ ثُمَّ لَمَّا تَبَدَّلَ الْخُطَابُ بِالْغَيْبِ بَعْدَ قِصَّةِ الْبَقْرَةِ لِنَكْتِهِ دَاعِيَهُ إِلَيْهَا كَمَا مَرَّ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ، فَبَدَأَتْ أَيْضًا بِالْغَيْبِ لَكِنِ الْمِيثَاقَ حَيْثُ كَانَ بِالْقَوْلِ وَبَنَى عَلَى حِكَايَتِهِ حَكَى بِالْخُطَابِ فَقِيلَ: لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَهُوَ نَهَى فِي صُورِهِ الْخَيْرِ. وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ دَلَالَةً عَلَى شِدَّةِ الْإِهْتِمَامِ بِهِ، كَانَ النَّاهِي لَا يَشْكُ فِي عَدَمِ تَحَقُّقِ مَا نَهَى عَنْهُ فِي الْخَارِجِ، وَلَا يَرْتَابُ فِي أَنَّ الْمَكْلَفَ الْمَأْخُوذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ سَوْفَ لَا يَنْتَهَى عَنْ نَهْيِهِ، فَلَا يُوَقَّعُ الْفِعْلَ قَطْعًا وَكَذَا قَوْلُهُ: وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ، كُلُّ ذَلِكَ أَمْرٌ فِي صُورِهِ الْخَيْرِ.

ثم إن الانتقال إلى الخطاب من قبل الحكاية أعطى فرصه للانتقال إلى أصل الكلام، وهو خطاب بني إسرائيل لمكان الاتصال في قوله: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَتُحِبُّونَ الْوَالِدِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَارْتَبُوا بِرَبَّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَفِيًّا.



قوله تعالى: وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، أمر أو خبر بمعنى الأمر و التقدير و أحسنوا بالوالدين إحسانا، و ذى القربى و اليتامى و المساكين، أو التقدير: و تحسنون بالوالدين إحسانا، إلخ، و قد رتب موارد الإحسان أخذًا من الأهم و الأقرب إلى المهم و الأبعد فقربه الإنسان أقرب إليه من غيرهم، و الوالدان و هما الأصل الذى تتكى عليه و تقوم به شجره وجوده أقرب من غيرهما من الأرحام، و فى غير القرابه أيضا اليتامى أحق بالإحسان لصغرهم و فقدهم من يقوم بأمرهم من المساكين. هذا و قوله: وَ اليتامى، اليتيم من مات أبوه، و لا- يقال لمن ماتت أمه يتيم. و قيل اليتيم فى الإنسان إنما تكون من جهة الأب و فى غير الإنسان من سائر الحيوان من جهة الأم و قوله تعالى: وَ الْمَسَاكِينِ، جمع مسكين و هو الفقير العادم الدليل. و قوله تعالى: حُسْنًا مصدر بمعنى الصفه جىء به للمبالغه. و فى بعض القراءات حسنا، بفتح الحاء و السين صفه مشبهه. و المعنى قولوا للناس قولًا حسنًا، و هو كناية عن حسن المعاشره مع الناس، كافرهم، و مؤمنهم و لا ينافى حكم القتال حتى تكون آيه القتال ناسخه له لأن مورد القتال غير مورد المعاشره فلا ينافى الأمر بحسن المعاشره كما أن القول الخشن فى مقام التأديب لا ينافى حسن المعاشره.

قوله تعالى: لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، خبر فى معنى الإنشاء نظير ما مر فى قوله:

لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ

، و السفك الصب.

قوله تعالى: تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ، التظاهر هو التعارف، و الظهير العون مأخوذ من الظهر لأن العون يلى ظهر الإنسان.

قوله تعالى: وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ، الضمير للشأن و القصه كقوله تعالى:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ .

قوله تعالى: أَمْ فَتَوْمُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ، أى ما هو الفرق بين الإخراج و الفديه حيث أخذتم بحكم الفديه و تركتم حكم الإخراج و هما جميعا فى الكتاب، أَمْ فَتَوْمُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ .

قوله تعالى: وَ قَفَّيْنَا التَّقْفِيَةَ الاتباع و إتيان الواحد قفا الواحد.

قوله تعالى: وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ، سيأتى الكلام فيه فى سورة آل عمران.

قوله تعالى: وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ جمع أغلف من الغلاف أى قلوبنا محفوظة تحت لفائف و أستار و حجب، فهو نظير قوله تعالى: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّهِ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ): حم سجده-5، و هو كناية عن عدم إمكان استماع ما يدعون إليه.

### (بحث روائى)

فى الكافى، عن أبى جعفر(ع): فى قوله تعالى: وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا الآية. قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال فيكم.

و فى الكافى، أيضا عن الصادق(ع) قال: قولوا للناس و لا تقولوا إلا خيرا حتى تعلموا ما هو.

و فى المعانى، عن الباقر(ع) قال: قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله عز و جل يبغض السباب اللعان الطعان-على المؤمنين الفاحش المفحش السائل- و يحب الحىى الحليم العفيف المتعفف.

أقول: و روى مثل الحديث فى الكافى، بطريق آخر عن الصادق(ع) و كذا العياشى عنه(ع) و مثل الحديث الثانى فى الكافى، عنه. و مثل الحديث الثالث العياشى عن الباقر(ع) و كان هذه المعانى استفيدت من إطلاق الحسن عند القائل و إطلاقه من حيث المورد.

و فى تفسير العياشى، عن الصادق(ع) قال: إن الله بعث محمدا ص بخمسة أسياف-فسيف على أهل الذمه. قال الله: وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، نزلت فى أهل الذمه ثم نسختها أخرى-قوله: «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» الحديث.

أقول: و هو منه(ع) أخذ بإطلاق آخر للقول و هو شموله للكلام و لمطلق التعرض. يقال لا تقل له إلا حسنا و خيرا أى لا تتعرض له إلا بالخير و الحسن، و لا تمسه إلا بالخير و الحسن. هذا إن كان النسخ فى قوله(ع) هو النسخ بالمعنى الأخص

و هو المصطلح و يمكن أن يكون المراد هو النسخ بالمعنى الأعم، على ما سيجيء في قوله تعالى: «مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا»  
البقره-١٠٦، و هو الكثير في كلامهم (ع) لتكون هذه الآيه و آيه القتال غير متحدتين موردا

## [سوره البقره (٢): الآيات ٨٩ الى ٩٣]

### اشاره

وَلَمَّا كَتَبْنَا لَهُمْ كِتَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) بِنَسِي مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْنَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبِ عَلِيٍّ غَضَبٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠) وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١) وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢) وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)

قوله تعالى: **وَلَمَّا جَاءَهُمْ إِنْخِ السِّيقِ** يدل على أن هذا الكتاب هو القرآن.

وقوله: **وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا**، على وقوع تعرض بهم من كفار العرب، وأنهم كانوا يستفتحون أى يطلبون الفتح عليهم ببعثه النبي ص و هجرته و أن ذلك الاستفتاح قد استمر منهم قبل الهجرة، بحيث كان الكفار من العرب أيضا يعرفون ذلك منهم لمكان قوله: **كَانُوا**، وقوله: **فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا**، أى عرفوا أنه هو بانطباق ما كان عندهم من الأوصاف عليه كفروا.

قوله تعالى: **بِئْسَ مَا اشْتَرَوْا بِبَيَانٍ** لسبب كفرهم بعد العلم و أن السبب الوحيد فى ذلك هو البغى و الحسد، فقوله بغيا، مفعول مطلق نوعى. وقوله **أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ** متعلق به، وقوله تعالى: **فَبَأَوْ بِغَضَبٍ عَلِيٍّ غَضَبٍ**، أى رجعوا بمصاحبتهم أو بتلبس غضب بسبب كفرهم بالقرآن على غضب بسبب كفرهم بالتوراه من قبل، والمعنى أنهم كانوا قبل البعثة و الهجرة ظهيرا للنبي ص و مستفتحا به و بالكتاب النازل عليه، ثم لما نزل بهم النبي ص و نزل عليه القرآن و عرفوا أنه هو الذى كانوا يستفتحون به و ينتظرون قدومه هاج بهم الحسد، و أخذهم الاستكبار، فكفروا و أنكروا ما كانوا يذكرونه كما كانوا يكفرون بالتوراه من قبل، فكان ذلك منهم كفرا على كفر.

قوله تعالى: **وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ**، أى يظهرون الكفر بما وراءه، و إلا فهم بالذى أنزل إليهم و هو التوراه أيضا كافرون.

قوله تعالى: **قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ، الْفَاءَ لِلتَّفْرِيعِ**. و السؤال متفرع على قولهم: **نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا**، أى لو كان قولكم: **نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا** حقا و صدقا فلم تقتلون أنبياء الله، و لم كفرتم بموسى باتخاذ العجل، و لم قتلتم عند أخذ الميثاق و رفع الطور:

**سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا**

قوله تعالى: **وَ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ**، الإشراب هو السقى، و المراد بالعجل

حب العجل، ووضع موضعه للمبالغه كأنهم قد أشربوا نفس العجل و به يتعلق قوله فى قلوبهم،ففى الكلام استعارتان أو استعاره و مجاز.

قوله تعالى: قُلْ بِئْسَ مَا يُؤْمَرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ، بمنزله أخذ النتيجة مما أورد عليهم من قتل الأنبياء و الكفر بموسى، و الاستكبار بإعلام المعصيه، و فيه معنى الاستهزاء بهم.

### (بحث روائى)

فى تفسير العياشى، عن الصادق (ع): فى قوله تعالى: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ» الآية-قال (ع): كانت اليهود تجد فى كتبهم-أن مهاجر محمد رسول الله ص ما بين غير و أحد-فخرجوا يطلبون الموضوع، فمروا بجبل يقال له حداد-فقالوا حداد و أحد سواء، فتفرقوا عنده، فنزل بعضهم بتيماء، و بعضهم بفدك، و بعضهم بخيبر، فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم، فمروا بهم أعرابى من قيس فتكادوا منه، و قال لهم أمر بكم ما بين غير و أحد، فقالوا له إذا مررت بهما فأذنا لهما، فلما توسط بهم أرض المدينه، قال ذلك غير و هذا أحد فنزلوا عن ظهر إبله-و قالوا له قد أصبنا بغيتنا فلا حاجه بنا إلى إبلك-فاذهب حيث شئت و كتبوا إلى إخوانهم-الذين بفدك و خيبر أنا قد أصبنا الموضوع-فهللوا إلينا فكتبوا إليهم أنا قد استقرت بنا الدار- و اتخذنا بها الأموال و ما أقربنا منكم-فإذا كان ذلك أسرعنا إليكم، و اتخذوا بأرض المدينه أموالا-فلما كثرت أموالهم بلغ ذلك تبع فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم- ثم آمنهم فنزلوا عليه فقال لهم-إنى قد استطبت بلادكم و لا أرانى إلا مقيما فيكم، فقالوا: ليس ذلك لك إننا مهاجر نبى، و ليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك، فقال لهم فإنى مخلف فيكم من أسرتى-من إذا كان ذلك ساعده و نصره-فخلف حين تراهم:

الأوس و الخزرج، فلما كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود، فكانت اليهود تقول لهم أما لو بعث محمد ص-لنخرجنكم من ديارنا و أموالنا-فلما بعث الله محمدا آمنت به الأنصار و كفرت به اليهود-و هو قوله تعالى: «وَكُنُوزًا مِنْ قَبْلُ يُسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا»

و فى الدر المنثور، أخرج ابن إسحاق و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس: " أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس و الخزرج برسول الله- قبل مبعثه- فلما بعثه الله من العرب- كفروا به و جحدوا ما كانوا يقولون فيه- فقال لهم معاذ بن جبل و بشر بن أبى البراء و داود بن سلمه- يا معشر اليهود اتقوا الله و أسلموا- فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد- و نحن أهل شرك و تخبرونا بأنه مبعوث و تصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم أحد بنى النضير ما جاءنا بشيء نعرفه- و ما هو بالذى كنا نذكر لكم فأنزل الله: **وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْآيَةَ.**

و فى الدر المنثور، أيضا أخرج أبو نعيم فى الدلائل من طريق عطاء و الضحاك عن ابن عباس قال: " كانت يهود بنى قريظة و النضير- من قبل أن يبعث محمد ص يستفتحون الله، يدعون على الذين كفروا و يقولون: اللهم إنا نستنصرك بحق النبى الأمى إلا نصرتنا عليهم- فينصرون فلما جاءهم ما عرفوا يريد محمدا ص- و لم يشكوا فيه كفروا به.

أقول: و روى قريبا من هذين المعنيين بطرق أخرى أيضا. قال بعض المفسرين بعد الإشارة إلى الرواية الأخيرة و نظائرها: إنها على ضعف روايتها و مخالفتها للروايات المنقولة شاذة المعنى جعل الاستفتاح دعاء بشخص النبى ص و فى بعض بحقه و هذا غير مشروع و لا حق لأحد على الله فيدعى به انتهى.

و هذا ناش من عدم التأمل فى معنى الحق و فى معنى القسم. بيانه: أن القسم هو تقييد الخبر أو الإنشاء بشيء ذى شرافه و كرامه من حيث إنه شريف أو كريم فتبطل شرافته أو كرامته ببطلان النسبه الكلاميه، فإن كان خيرا فببطلان صدقه و إن كان إنشأ أمرا أو نهيا فبعدم امتثال التكليف. فإذا قلت: لعمرى إن زيدا قائم فقد قيدت صدق كلامك بشرافه عمرك و حياتك و علقته عليه بحيث لو كان حديثك كاذبا كان عمرك فاقدا للشرافه، و كذا إذا قلت أفعل كذا و حياتى أو قلت أقسمك بحياتى أن تفعل كذا فقد قيدت أمرك بشرف حياتك بحيث لو لم يأتكم مخاطبك لذهب بشرف

و من هنا يظهر أولاً: أن القسم أعلى مراتب التأكيد في الكلام كما ذكره أهل الأدب.

و ثانياً: أن المقسم به يجب أن يكون أشرف من متعلقه فلا معنى لتأكيد الكلام بما هو دونه في الشرف و الكرامه. و قد أقسم الله تعالى في كتابه باسم نفسه و وصفه كقوله: «وَ اللّٰهُ رَبُّنَا» و كقوله: «فَو رَبُّكَ لَنَسِيئَلَنَّهُمْ» و قوله: «فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ» و أقسم بنبيه و ملائكته و كتبه و أقسم بمخلوقاته كالسما و الأرض و الشمس و القمر و النجوم و الليل و النهار و اليوم و الجبال و البحار و البلاد و الإنسان و الشجر و التين و الزيتون. و ليس إلا أن لها شرافه حقه بتشريف الله و كرامه على الله من حيث إن كلا منها إما ذو صفه من أوصافه المقدسه الكريمه بكرامه ذاته المتعالیه أو فعل منسوب إلى منبع البهاء و القدس -و الكل شريف بشرف ذاته الشريفة- فما المانع للداعي منا إذا سأل الله شيئاً أن يسأله بشيء منها من حيث إن الله سبحانه شرفه و أقسم به؟ و ما الذي هون الأمر في خصوص رسول الله ص حتى أخرجه من هذه الكليه و استثناء من هذه الجملة؟.

و لعمرى ليس رسول الله محمد ص بأهون عند الله من تينه عراقيه، أو زيتونه شاميه، و قد أقسم الله بشخصه الكريم فقال: «لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ»:

الحجر-٧٢.

ثم إن الحق -و يقابله الباطل- هو الثابت الواقع في الخارج من حيث إنه كذلك كالأرض و الإنسان و كل أمر ثابت في حد نفسه و منه الحق المالى و سائر الحقوق الاجتماعيه حيث إنها ثابتة بنظر الاجتماع و قد أبطل القرآن كل ما يدعى حقاً إلا ما حققه الله و أثبتته سواء في الإيجاد أو في التشريع فالحق في عالم التشريع و ظرف الاجتماع الديني هو ما جعله الله حقاً كالحقوق الماليه و حقوق الإخوان و الوالدين على الولد و ليس هو سبحانه محكوماً بحكم أحد فيجعل عليه تعالى ما يلزم به كما ربما يظهر من بعض

ص: ٢٢٥

الاستدلالات الاعتزالية غير أنه من الممكن أن يجعل على نفسه حقاً، جعلاً بحسب لسان التشريع فيكون حقاً لغيره عليه تعالى كما قال تعالى: «كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ» يونس-١٠٣، وقال تعالى: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» الصافات-١٧٣، ١٧٢، ١٧١.

والنصر كما ترى مطلق، غير مقيد بشيء فالإنجاء حق للمؤمنين على الله، والنصر حق للمرسل على الله تعالى وقد شرفه الله تعالى حيث جعله له فكان فعلاً- منه منسوباً إليه مشرفاً به فلا مانع من القسم به عليه تعالى وهو الجاعل المشرف للحق والمقسم بكل أمر شريف.

إذا عرفت ما ذكرناه علمت أن لا مانع من إقسام الله تعالى بنبيه (ص) أو بحق نبيه و كذا إقسامه بأوليائه الطاهرين أو بحقهم وقد جعل لهم على نفسه حقاً أن ينصرهم في صراط السعادة بكل نصر مرتبط بها كما عرفت.

و أما قول القائل: ليس لأحد على الله حق فكلام واه.

نعم ليس على الله حق يشته عليه غيره فيكون محكوماً بحكم غيره مقهوراً بقهر سواه. ولا- كلام لأحد في ذلك ولا أن الداعي يدعوه بحق ألزمه به غيره بل بما جعله هو تعالى بوعدته الذي لا يخلف هذا.

## [سوره البقره (٢): الآيات ٩٤ الى ٩٩]

### اشاره

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْحَاظُهُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَ لَتَجِدَنَّهْم أٰخْرَصَ النَّاسِ عَلٰى حَيٰٓاِهٖ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَ مَا هُوَ بِمُرْخِرِجِهٖ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلٰى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدًى وَ بَشْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ مَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩)



قوله تعالى: قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ إِيحَاءٌ، لما كان قولهم: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً: و قولهم نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا في جواب ما قيل لهم: آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ يَدْلَانِ بِالْإِلْتِرَامِ عَلَى دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ نَاجُونَ فِي الْآخِرَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ وَأَنَّ نَجَاتِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ فِيهَا غَيْرُ مَشُوبَةٍ بِهَلَاكٍ وَشِقَاءٍ لَأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِزَعَمِيِّينَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً وَهِيَ أَيَّامُ عِبَادَتِهِمْ لِلْعَجَلِ، قَابِلُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى خَطَابًا بِمَا يَظْهَرُ بِهِ كَذِبُهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ وَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ وَارْتِيَابٍ فَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: «قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ» أَي سَعَادَةُ تِلْكَ الدَّارِ فَإِنَّ مِنْ مَلِكٍ دَارًا فَإِنَّمَا يَتَصَرَّفُ فِيهَا بِمَا يَسْتَحْسِنُهُ وَيُحِبُّهُ وَيُحِلُّ مِنْهَا بِأَجْمَلِ مَا يُمْكِنُ وَأَسْعَدُهُ وَقَوْلُهُ «عِنْدَ اللَّهِ» أَي مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ تَعَالَى وَبِحُكْمِهِ وَإِذْنِهِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ»: آلِ عِمْرَانَ-١٩ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «خَالِصَةٌ» أَي غَيْرُ مَشُوبَةٍ بِمَا تَكْرَهُونَهُ مِنْ عَذَابٍ أَوْ هَوَانٍ لَزِعْمِكُمْ أَنْكُمْ لَا تَعَذِّبُونَ فِيهَا إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «مَنْ دُونَ النَّاسِ» وَذَلِكَ لِزِعْمِكُمْ بَطْلَانَ كُلِّ دِينٍ إِلَّا دِينَكُمْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونَ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»: الْجُمُعَةُ-٦ وَهَذِهِ مُوَآخِذُهُ بِإِلْزَامِ فِطْرِي بَيْنَ الْأَثَرِ فِي

الخارج بحيث لا يقع فيه أدنى الشك و هو أن الإنسان بل كل موجود ذى شعور إذا خير بين الراحة و التعب اختار الراحة من غير تردد و تذبذب و إذا خير بين حياه و عيشه مكدره مشوبه و أخرى خالصه صافيه اختار الخالصه الهنيئه قطعاً و لو فرض ابتلاؤه بما كان يميل عنه إلى غيره من حياه شقيه رديه أو عيشه منغصه لم يزل يتمنى الأخرى الطيبه الهنيئه فلا ينفك عن التحسر له فى قلبه و عن ذكره فى لسانه و عن السعى إليه فى عمله.

فلو كانوا صادقين فى دعواهم أن السعاده الخالصه الأخرويه لهم دون غيرهم من الناس و جب أن يتمنوه جنانا و لسانا و أركاناً و لن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم من قتل الأنبياء و الكفر بموسى و نقض المواثيق و الله عليم بالظالمين.

قوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أُيْدِيهِمْ كَنَائِهِ عَنِ الْعَمَلِ فَإِنَّ مَعْظَمَ الْعَمَلِ عِنْدَ الْحَسَنِ يَقَعُ بِوَسْطِهِ الْيَدُ فَيَقْدُمُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ أَوْ يَطْلُبُهُ فِيهِ عَنَائِتَانِ نَسَبَهُ التَّقْدِيمُ إِلَى الْأَيْدِي دُونَ أَصْحَابِ الْأَيْدِي وَ عَدَّ كُلَّ فِعْلٍ عَمَلًا لِلْأَيْدِي.

و بالجمله أعمال الإنسان و خاصه ما يستمر صدوره منه أحسن دليل على ما طوى عليه ضميره و ارتكز فى باطنه و الأعمال الطالحه و الأفعال الخبيثه لا يكشف إلا عن طوبه خبيثه تأبى أن تميل إلى لقاء الله و الحلول فى دار أوليائه.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِمْ﴾ ، كالدليل المبين لقوله تعالى:

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا﴾

أى و يشهد على أنهم لن يتمنوا الموت، إنهم أحرص الناس على هذه الحياه الدنيا التى لا حاجب و لا مانع عن تمنى الدار الآخره إلا الحرص عليها و الإخلاد إليها، و التنكير فى قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَيَاتِهِمْ﴾ للتحقير كما قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: العنكبوت-٦٤.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الظَّاهِرَ أَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى النَّاسِ وَ الْمَعْنَى وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمَرْخَرٍ مِّنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾، الظاهر أن ما نافية و ضمير

هو إما للشأن و القصه و أن يعمر مبتدأ خبره قوله: بِمُزَحِّزِهِ أَي بِمَبْعُدِهِ، و إما راجع إلى ما يدل عليه قوله: يَوَدُّ أَحَدُهُمْ، أَي و ما الذى يوده بمزحزحه من العذاب. و قوله تعالى: أَنْ يُعَمَّرَ بِيَانٍ لَهُ و معنى الآيه و لن يتمنوا الموت و أقسم لتجدنهم أحرص الناس على هذه الحياه الحقيه الرديه الصارفه عن تلك الحياه السعيده الطيبه بل تجدهم أحرص على الحياه من الذين أشركوا الذين لا يرون بعثا و لا نشورا يود أحدهم لو يعمر أطول العمر و ليس أطول العمر بمبعده من العذاب لأن العمر و هو عمر بالأخره محدود منته إلى أمد و أجل.

قوله تعالى: يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ، أَي أطول العمر و أكثره، فالألف كناية عن الكثيره و هو آخر مراتب العدد بحسب الوضع الإفرادى عند العرب و الزائد عليه يعبر عنه بالتكرير و التركيب كعشره آلاف و مائه ألف و ألف ألف.

قوله تعالى: وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ، البصير من أسمائه الحسنى و معناه العلم بالمبصرات فهو من شعب اسم العليم.

قوله تعالى: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ الخ. السياق يدل على أن الآيه نزلت جوابا عما قالتها اليهود و أنهم تابوا و استنكفوا عن الإيمان بما أنزل على رسول الله ص، و عللوه بأنهم عدو لجبريل النازل بالوحى إليه. و الشاهد على ذلك أن الله سبحانه يجيبهم فى القرآن و فى جبريل معا فى الآيتين و ما ورد من شأن النزول يؤيد ذلك فأجاب عن قولهم: إنا لا نؤمن بالقرآن لعداوتنا لجبريل النازل به أولا: أن جبريل إنما نزل به على قلبك بإذن الله لا من عند نفسه فعداوتهم لجبريل لا ينبغى أن يوجب إعراضهم عن كلام نازل بإذن الله، و ثانيا: أن القرآن مصدق لما فى أيديهم من الكتاب الحق و لا معنى للإيمان بأمر و الكفر بما يصدقه. و ثالثا: أن القرآن هدى للمؤمنين به، و رابعا أنه بشرى و كيف يصح لعاقل أن ينحرف عن الهدايه و يغمض عن البشرى و لو كان الآتى بذلك عدوا له.

و أجاب عن قولهم: إنا عدو جبريل أن جبريل ملك من الملائكه لا- شأن له إلا امتثال ما أمره به الله سبحانه كميكال و سائر الملائكه و هم عباد مكرمون لا يعصون

الله فيما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون، و كذلك رسل الله لا- شأن لهم إلا- بالله و من الله سبحانه فيغضهم و استعدادهم بغض و استعداد الله و من كان عدوا لله و ملائكته و رسله و جبريل و ميكال فإن الله عدو لهم، و إلى هذين الجوابين تشير الآيتان.

قوله تعالى: فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ، فيه التفات من التكلم إلى الخطاب و كان الظاهر أن يقال على قلبى، لكن بدل من الخطاب للدلالة على أن القرآن كما لا شأن فى إنزاله لجبريل و إنما هو مأمور مطيع كذلك لا شأن فى تلقيه و تبليغه لرسول الله ص إلا أن قلبه وعاء للوحى لا يملك منه شيئا و هو مأمور بالتبليغ.

و اعلم أن هذه الآيات فى أواخرها، أنواع الالتفات و إن كان الأساس فيها الخطاب لبنى إسرائيل، غير أن الخطاب إذا كان خطاب لوم و توبيخ و طال الكلام صار المقام مقام استمالة للحديث مع المخاطب و استحغار لشأنه فكان من الحرى للمتكلم البليغ الإعراض عن المخاطبه تاره بعد أخرى بالالتفات بعد الالتفات للدلالة على أنه لا يرضى بخطابهم لردائه سمعهم و حسه نفوسهم و لا يرضى بترك خطابهم إظهارا لحق القضاء عليهم.

قوله تعالى: عِدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ، فيه وضع الظاهر موضع المضمرة و النكته فيه الدلالة على عله الحكم كأنه قيل: فإن الله عدو لهم لأنهم كافرون و الله عدو للكافرين.

قوله تعالى: وَ مَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ، فيه دلالة على عله الكفر و أنه الفسق فهم لكفرهم فاسقون و لا يبعد أن يكون اللام فى قوله: الْفَاسِقُونَ للعهد الذكري و يكون ذلك إشارة إلى ما مر فى أوائل السوره من قوله تعالى: وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ الْآيَةَ.

و أما الكلام فى جبريل و كيفية تنزيله القرآن على قلب رسول الله ص و كذا الكلام فى ميكال و الملائكة فسيأتى فيما يناسبه من المحل إن شاء الله.

### (بحث روائى)

فى المجمع،: فى قوله تعالى: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ الْآيَاتان، قال ابن عباس كان

سبب نزول الآيه ما روى-أن ابن سوريا وجماعه من يهود أهل فدك-لما قدم النبي ص المدينه سألوه فقالوا:يا محمد كيف نومك؟فقد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان.

فقال تنام عيناي؛و قلبى يقظان.قالوا:صدقت يا محمد-فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو المرأة؟فقال أما العظام و العصب و العروق فمن الرجل- و أما اللحم و الدم و الظفر و الشعر فمن المرأة.قالوا:صدقت يا محمد-فما بال الولد يشبه أعمامه و ليس له من شبه أخواله شىء؟أو يشبه أخواله و ليس فيه من شبه أعمامه شىء؟فقال أيهما علا ماؤه كان الشبه له قالوا صدقت يا محمد- فأخبرنا عن ربك ما هو؟فأنزل الله سبحانه: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إِلَى آخِر السوره.فقال له ابن سوريا خصله واحده-إن قلتها آمنت بك و اتبعتك.أى ملكك يأتيك بما ينزل الله عليك؟قال:فقال جبرئيل.قال:

ذاك عدونا ينزل بالقتال و الشده و الحرب-و ميكائيل ينزل باليسر و الرخاء-فلو كان ميكائيل هو الذى يأتيك لآمنا بك.

أقول:قوله تنام عيناي؛و قلبى يقظان،قد استفاض الحديث من العامه و الخاصه أنه كان رسول الله ص تنام عينه و لا ينام قلبه و معناه أنه كان لا يغفل بالنوم عن نفسه فكان و هو فى النوم يعلم أنه نائم و أن ما يراه رؤيا يراها ليس باليقظه، و هذا أمر بما يتفق للصالحين أحيانا عند طهاره نفوسهم و اشتغالها بذكر مقام ربهم و ذلك أن إشراف النفس على مقام ربها لا يدعها غافله عما لها من طور الحياه الدنيويه و نحو تعلقها بربها.و هذا نحو مشاهده يبين للإنسان أنه فى عالم الحياه الدنيا على حال النوم سواء معه النوم الذى يراه الناس نوما فقط و كذا اليقظه التى يراها الناس يقظه و أن الناس و هم معتكفون على باب الحس مخلدون إلى أرض الطبيعه،رقود و إن عدوا أنفسهم أيقاظا.

فعن على(ع): الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا الحديث.و سيأتى زياده استيفاء لهذا البحث و كذا الكلام فى سائر فقرات هذا الحديث فى مواضع مناسبه من هذا الكتاب إن شاء الله.

## [سوره البقره (٢): الآيات ١٠٠ الى ١٠١]

### اشاره

أَوْ كَلَّمَا عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَ لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)

قوله تعالى: نَبَذَهُ ، النبذ الطرح.

قوله تعالى: وَ لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ رَسُولٌ ، المراد به رسول الله ص لا- كل رسول كان يأتيهم مصدقا لما معهم، لعدم دلالة قوله: وَ لَمَّا جَاءَهُمْ على الاستمرار بل إنما يدل على الدفعه، والآيه تشير إلى مخالفتهم للحق من حيث كتمانهم بشاره التوراه و عدم إيمانهم بمن يصدق ما معهم

### [سوره البقره (٢): الآيات ١٠٢ الى ١٠٣]

#### اشاره

وَ اتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانِ عَلَىٰ مَلَكِ سُلَيْمَانَ وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَ مَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَ لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)

قوله تعالى: **وَ اتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ**، إلخ، قد اختلف المفسرون في تفسير الآيه اختلافا عجيبا لا يكاد يوجد نظيره في آيه من آيات القرآن المجيد، فاختلّفوا في مرجع ضمير قوله: **إِتَّبَعُوا**، أ هم اليهود الذين كانوا في عهد سليمان، أو الذين في عهد رسول الله ص أو الجميع؟ و اختلفوا في قوله: **تَتْلُوا**، هل هو بمعنى تتبع الشياطين و تعمل به أو بمعنى تقرأ، أو بمعنى تكذب؟ و اختلفوا في قوله: **الشَّيَاطِينُ**، فقيل هم شياطين الجن و قيل شياطين الإنس و قيل هما معا، و اختلفوا في قوله: **عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ**، فقيل معناه في ملك سليمان، و قيل معناه في عهد ملك سليمان و قيل معناه على ملك سليمان بحفظ ظاهر الاستعلاء في معنى على، و قيل معناه على عهد ملك سليمان، و اختلفوا في قوله: **وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا**، فقيل إنهم كفروا بما استخرجوه من السحر إلى الناس و قيل إنهم كفروا بما نسبوه إلى سليمان من السحر، و قيل إنهم سحروا فعبر عن السحر بالكفر، و اختلفوا في قوله: **يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ**، فقيل إنهم ألقوا السحر إليهم فتعلموه، و قيل إنهم دلوا الناس على استخراج السحر و كان مدفونا تحت كرسي سليمان فاستخرجوه و تعلموه، و اختلفوا في قوله: **وَ مَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ قِيلَ مَا مَوْصُولُهُ** و العطف على قوله: **مَا تَتْلُوا**، و قيل ما موصوله و العطف على قوله: **مَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ قِيلَ مَا مَوْصُولُهُ**، و قيل ما نافية و الواو استينافية أي و لم ينزل على الملكين سحر كما يدعيه اليهود، و اختلفوا في معنى الإنزال فقيل إنزال من السماء و قيل بل من نجود الأرض و أعاليها، و اختلفوا في قوله: **الْمَلَائِكَةِ قِيلَ مَا مَوْصُولُهُ**، فقيل كانا من ملائكة السماء، و قيل بل كانا إنسانين ملكين بكسر اللام إن قرأناه، بكسر اللام كما قرئ كذلك في الشواذ، أو ملكين بفتح اللام أي صالحين، أو متظاهرين بالصلاح، إن قرأناه على ما قرأ به المشهور و اختلفوا في قوله: **بِبَابِلَ**، فقيل هي بابل العراق و قيل بابل دماوند، و قيل، من نصيبين إلى رأس العين، و اختلفوا في قوله: **وَ مَا يُعَلِّمَانِ**، فقيل علم بمعناه الظاهر، و قيل علم بمعنى أعلم، و اختلفوا في قوله: **فَلَا تَكْفُرْ**، فقيل، لا تكفر بالعمل بالسحر، و قيل لا تكفر بتعلمه، و قيل بهما معا،

و اختلفوا فى قوله: فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ۗ ففقىل أى من هاروت و ماروت، و قىل أى من السحر و الكفر، و قىل بدلا مما علماه الملكان بالنهاى إلى فعله، و اختلفوا فى قوله: ۗ يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ ۗ ففقىل أى يوجدون به حبا و بغضا بينهما، و قىل إنهم يغرون أحد الزوجين و يحملونه على الكفر و الشرك فىفرق بينهما اختلاف المله و النحله و قىل إنهم يسعون بينهما بالنميمة و الوشايه فىثول إلى الفرقه، فهذه نبذه من الاختلاف فى تفسير كلمات ما يشتمل على القصة من الآيه و جملة، و هناك اختلافات آخر فى الخارج من القصة فى ذىل الآيه و فى نفس القصة، و هل هى قصة واقعه أو بيان على سبىل التمثىل؟ أو غير ذلك؟ و إذا ضربت بعض الأرقام التى ذكرناها من الاحتمالات فى البعض الآخر، ارتقى الاحتمالات إلى كميّه عجيبه و هى ما يقرب من ألف ألف و مائتين و ستين ألف احتمال (٣/٩\*٣/٩\*٣/٩)!

و هذا لعمر الله من عجاىب نظم القرآن تتردد الآيه بين مذاهب و احتمالات تدهش العقول و تحير الألباب، و الكلام بعد متك على أرىكه حسنه متجمل فى أجمل جماله متحل بحلى بلاغته و فصاحته و سيمر بك نظيره هذه الآيه و هى قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً» هود-١٧.

و الذى ينبغى أن يقال: أن الآيه بسياقتها تتعرض لشأن آخر من شئون اليهود و هو تداول السحر بينهم، و أنهم كانوا يستندون فى أصله إلى قصة معروفه أو قصتين معروفتين عندهم فيها ذكر من أمر سليمان النبى و الملكين ببابل هاروت و ماروت، فالكلام معطوف على ما عندهم من القصة التى يزعمونها إلا- أن اليهود كما يذكره عنهم القرآن أهل تحريف و تغيير فى المعارف و الحقائق فلا- يؤمنون و لا- يؤمن من أمرهم أن يأتوا بالقصص التاريخيه محرفه مغيره على ما هو دأبهم فى المعارف يميلون كل حين إلى ما يناسبه من منافعهم فى القول و الفعل و فيما يلوح من مطاوى جمل الآيه كفايه، و كيف كان فيلوح من الآيه أن اليهود كانوا يتناولون بينهم السحر ينسبونه إلى سليمان زعما منهم أن سليمان(ع) إنما ملك الملك و سخر الجن و الإنس و الوحش و الطير، و أتى بغرائب الأمور و خوارقها بالسحر الذى هو بعض ما فى أيديهم، و ينسبون بعضه الآخر إلى الملكين ببابل هاروت و ماروت فرد عليهم القرآن بأن سليمان(ع) لم يكن يعمل



بالسحر، كيف و السحر كفر بالله و تصرف فى الكون على خلاف ما وضع الله العاده عليه و أظهره على خيال الموجودات الحيه و حواسها؟ و لم يكفر سليمان(ع) و هو نبي معصوم، و هو قوله تعالى: «وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ» و قوله تعالى: «وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» فسليمان(ع) أعلى كعبا و أقدس ساحه من أن ينسب إليه السحر و الكفر و قد استعظم الله قدره فى مواضع من كلامه فى عده من السور المكيه النازله قبل هذه السوره كسوره الأنعام و الأنبياء و النمل و سوره(ص) و فيها أنه كان عبدا صالحا و نبيا مرسلا آتاه الله العلم و الحكمة و وهب له من الملك ما لا ينبغى لأحد من بعده فلم يكن بساحر بل هو من القصص الخرافيه و الأساطير التى وضعتها الشياطين و تلوها و قرءوها على أوليائهم من الإنس و كفروا بإضلالهم الناس بتعليم السحر. و رد عليهم القرآن فى الملكين ببال هاروت و ماروت بأنه و إن أنزل عليهما ذلك و لا ضير فى ذلك لأنه فتنه و امتحان إلهى كما ألهم قلوب بنى آدم وجوه الشر و الفساد فتنه و امتحانا و هو من القدر، فهما و إن أنزل عليهما السحر إلا أنهما ما كانا يعلمان من أحد إلا و يقولان له إنما نحن فتنه فلا تكفر باستعمال ما تتعلمه من السحر فى غير مورد كإبطال السحر و الكشف عن بغى أهله و هم مع ذلك يتعلمون منهما ما يفسدون به أصلح ما وضعه الله فى الطبيعه و العاده، فيفرون به بين المرء و زوجه ابتغاء للشر و الفساد و يتعلمون ما يضرهم و لا ينفعهم، فقوله تعالى: «وَاتَّبَعُوا أَى اتبعت اليهود الذين بعد عهد سليمان بتوارث الخلف عن السلف ما تتلوا، أى تضع و تكذب الشياطين من الجن على ملك سليمان و الدليل على أن تتلوا بمعنى تكذب تعديه بعلى و على أن الشياطين هم الجن كون هؤلاء تحت تسخير سليمان و معذيين بعذابه، و بذلك كان(ع) يحبسهم عن الإفساد، قال تعالى: «وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يُغْوِصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَ كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ» الأنبياء- ٨٢، و قال تعالى: «فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ»: سبأ- ١٤.

قوله تعالى: «وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ»، أى و الحال أن سليمان لم يسحر حتى يكفر و لكن الشياطين كفروا، و الحال أنهم يضلون الناس و يعلمونهم السحر.

قوله تعالى: «وَمَا أُنزِلَ»، أى و اتبعت اليهود ما أنزل بالإخطار و الإلهام على

الملكين بيابل هاروت و ماروت، والحال أنهما ما يعلمان السحر من أحد حتى يحذراه العمل به و يقولوا إنما نحن فتنه لكم و امتحان تمتحنون بنا بما نعلمكم فلا تكفر باستعماله.

قوله تعالى: **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا**، أى من الملكين و هما هاروت و ماروت، **مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ** أى سحرا يفرقون بعمله و تأثيره بين المرء و زوجته.

قوله تعالى: **وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**، دفع لما يسبق إلى الوهم أنهم بذلك يفسدون أمر الصنع و التكوين و يسبقون تقدير الله و يبطلون أمره فدفعه بأن السحر نفسه من القدر لا يؤثر إلا بإذن الله فما هم بمعجزين، و إنما قدم هذه الجملة على قوله: **وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا** **يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ**، لأن هذه الجملة أعنى: **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا** **مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ**، وحدها مشتملة على ذكر التأثير، فأردفت بأن هذا التأثير بإذن الله.

قوله تعالى: **وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ**، علموا ذلك بعقولهم لأن العقل لا يرتاب فى أن السحر أشأم منابع الفساد فى الاجتماع الإنسانى و علموا ذلك أيضا من قول موسى فإنه القائل: **«وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى»**: طه-٦٩.

قوله تعالى: **وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**، أى إنهم مع كونهم عالمين بكونه شرا لهم مفسدا لآخرتهم غير عالمين بذلك حيث لم يعملوا بما علموا فإن العلم إذا لم يهد حامله إلى مستقيم الصراط كان ضلالا و جهلا لا علما، قال تعالى:

**«أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ»**: الجاثية-٢٣.

فهؤلاء مع علمهم بالأمر ينبغى أن يتمنى المتمنى لهم العلم و الهداية.

قوله تعالى: **وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا**، إلخ أى اتبعوا الإيمان و التقوى، بدل اتباع أساطير الشياطين، و الكفر بالسحر، و فيه دليل على أن الكفر بالسحر كفر فى مرتبه العمل كترك الزكاه، لا كفر فى مرتبه الاعتقاد، و لو كان السحر كفرا فى الاعتقاد لقال تعالى: و لو أنهم آمنوا لمثوبه، إلخ، و اقتصر على الإيمان و لم يذكر التقوى فاليهود آمنوا و لكن لما لم يتقوا و لم يراعوا محارم الله، لم يعبا بإيمانهم فكانوا كافرين.

قوله تعالى: لَمْ تُؤْتَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، أى من المثوبات و المنافع التى يرومونها بالسحر و يقتنونها بالكفر هذا.

### بحث روائى [بحث آخر فيما نسب من السحر إلى سليمان و هاروت و ماروت.]

فى تفسير العياشى، و القمى،: فى قوله تعالى: وَ اتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ -عن الباقر(ع) فى حديث: فلما هلك سليمان وضع إبليس السحر- و كتبه فى كتاب ثم طواه و كتب على ظهره، هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود- من ذخائر كنوز العلم من أراد كذا و كذا- فليعمل كذا و كذا ثم دفنه تحت سريره- ثم استتاره لهم فقرأه فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان إلا بهذا، و قال المؤمنون: بل هو عبد الله و نبيه، فقال الله جل ذكره: وَ اتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ .

أقول: إسناد الوضع و الكتابه و القراءه إلى إبليس لا ينافى استنادها إلى سائر الشياطين من الجن و الإنس لانتهاه الشر كله إليه و انتشاره منه لعنه الله، إلى أوليائه بالوحي و الوسوسة و ذلك شائع فى لسان الأخبار. و ظاهر الحديث أن كلمه تتلوه من التلاوه بمعنى القراءه و هذا لا ينافى ما استظهرناه فى البيان السابق: أن تتلو بمعنى يكذب لأن إفاده معنى الكذب من جهة التضمين أو ما يشبهه، و تقدير قوله: تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ يقرءونه كاذبين على ملك سليمان و الأصل فى معنى تلا يتلوه رجوعه إلى معنى ولى يلى ولايه و هو أن يملكك الشىء من حيث الترتيب و وقوع جزء منه عقيب جزء آخر، و سيأتى الكلام فيه فى سوره المائده فى الكلام على قوله تعالى:

«إِنَّمَا وَدَّعَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ» : المائده- ٥٨.

و فى العيون،: فى حديث الرضا(ع) مع المأمون، و أما هاروت و ماروت فكانا ملكين علما الناس السحر- ليتحرزا به عن سحر السحرة و يبطلوا كيدهم- و ما علما أحدا من ذلك شيئا إلا- قال- له إنما نحن فتنه- فلا تكفر فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز عنه- و جعلوا يفرقون بما يعملونه بين المرء و زوجته، قال الله تعالى: وَ مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ .

و فى الدر المنثور، أخرج ابن جرير عن ابن عباس، قال: " كان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء- أو يأتي شيئاً من شأنه أعطى الجراده و هى امرأته خاتمه- فلما أراد الله أن يتلى سليمان بالذى ابتلاه به- أعطى الجراده ذلك اليوم خاتمه- فجاء الشيطان فى صورهِ سليمان فقال لها: هاتى خاتمى فأخذه و لبسه- فلما لبسه دانت له شياطين الجن و الإنس فجاءها سليمان- فقال: هاتى خاتمى فقالت كذبت لست سليمان- فعرف أنه بلاء ابتلى به- فانطلقت الشياطين فكتبت فى تلك الأيام كتباً فيها سحر و كفر- ثم دفنوها تحت كرسى سليمان ثم أخرجوها فقروا وها على الناس- فقالوا إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب- فبرئ الناس من سليمان و أكفروه- حتى بعث الله محمداً و أنزل عليه: **وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا .**

أقول: و القصة مرويه فى روايات أخرى و هى قصه طويله من جمله القصص الوارده فى عثرات الأنبياء المذكوره فى جملتها.

و فى الدر المنثور، أيضاً و أخرج سعيد بن جرير و الخطيب فى تاريخه عن نافع قال: سافرت مع ابن عمر فلما كان فى آخر الليل، قال يا نافع: انظر هل طلعت الحمراء؟ قلت لا، مرتين أو ثلاثاً ثم قلت: قد طلعت. قال: لا مرحبا بها و لا أهلاً.

قلت: سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع. قال ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله ص. قال: إن الملائكه قالت: يا رب- كيف صبرك على بنى آدم فى الخطايا و الذنوب؟ قال: إني أبليتهم و عافيتهم. قالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك، قال:

فاختاروا ملكين منكم، فلم يألوا جهداً أن يختاروا فاختاروا هاروت و ماروت فنزلا، فألقى الله عليهما الشبق. قلت: و ما الشبق؟ قال: الشهوه فجاءت امرأه يقال لها الزهره- فوقع فى قلوبهما فجعل كل واحد منهما يخفى عن صاحبه ما فى نفسه- ثم قال أحدهما للآخر هل وقع فى نفسك ما وقع فى قلبى؟ قال: نعم، فطالباها لأنفسهما فقالت لا أمكنكما- حتى تعلمانى الاسم الذى تعرجان به إلى السماء و تهبطان فأبيا- ثم سألاها أيضاً فأبت. ففعلا- فلما استطيرت طمسها الله كوكبا و قطع أجنحتهما- ثم سألا التوبه من ربهما فخيرهما- فقال إن شئتما رددتكما إلى ما كنتما عليه، فإذا كان يوم القيامة عذبتكما، و إن شئتما عذبتكما فى الدنيا- فإذا كان يوم القيامة رددتكما إلى ما كنتما عليه، فقال أحدهما لصاحبه إن عذاب الدنيا ينقطع و يزول- فاختارا

عذاب الدنيا على عذاب الآخرة- فأوحى الله إليهما أن اثريا بابل فانطلقا إلى بابل فحسف بهما فهما منكوسان بين السماء و الأرض معذبان إلى يوم القيامة.

أقول: وقد روى قريب منه فى بعض كتب الشيعة مرفوعا عن الباقر(ع) و روى السيوطى فيما يقرب من هذا المعنى فى أمر هاروت و ماروت و الزهره نيفا و عشرين حديثا، صرحوا بصحة طريق بعضها. و فى منتهى إسنادها عده من الصحابه كابن عباس و ابن مسعود و على و أبى الدرداء و عمر و عائشه و ابن عمر. و هذه قصه خرافيه تنسب إلى الملائكه المكرمين الذين نص القرآن على نزاهه ساحتهم و طهاره وجودهم عن الشرك و المعصيه أغلظ الشرك و أقبح المعصيه، و هو: عباده الصنم و القتل و الزنا و شرب الخمر و تنسب إلى كوكبه الزهره أنها امرأه زانيه مسخت - و أنها أضحوكه - و هى كوكبه سماويه طاهره فى طبيعتها و صنعها أقسم الله تعالى عليها فى قوله: «الْجَوَارِ الْكُنَّسِ»: التكوير- ١٦ على أن علم الفلك أظهر اليوم هويتها و كشف عن عنصرها و كميتها و كيفيتها و سائر شئونها.

فهذه القصه كالتى قبلها المذكوره فى الروايه السابقه تطابق ما عند اليهود على ما قيل: من قصه هاروت و ماروت، تلك القصه الخرافيه التى تشبه خرافات يونان فى الكواكب و النجوم.

و من هاهنا يظهر للباحث المتأمل: أن هذه الأحاديث كغيرها الوارده فى مطاعن الأنبياء و عثراتهم لا تخلو من دس دسته اليهود فيها و تكشف عن تسربهم الدقيق و نفوذهم العميق بين أصحاب الحديث فى الصدر الأول فقد لعبوا فى رواياتهم بكل ما شاءوا من الدس و الخلط و أعانهم على ذلك قوم آخرون.

لكن الله عز اسمه جعل كتابه فى محفظه إلهيه من هوسات المتهوسين من أعدائه كلما استرق السمع شيطان من شياطينهم أتبعه بشهاب ميين، فقال عز من قائل: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»: الحجر- ٩، و قال «وَ إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»: فصلت- ٤٢ و قال: «وَ نُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا»: إسرائ- ٨٢

فأطلق القول و لم يقيد،فما من خلط أو دس إلا و يدفعه القرآن و يظهر خسار صاحبه بالكشف عن حاله و إقراء صفحه تاريخه،

و قال رسول الله فيما رواه الفريقان: ما وافق كتاب الله فخذوه و ما خالفه فاتركوه. فأعطى ميزانا كلياً يوزن به المعارف المنقوله منه و من أوليائه،و بالجمله فبالقرآن يدفع الباطل عن ساحه الحق ثم لا- يلبث أن يظهر بطلانه و يماث عن القلوب الحيه كما أميت عن الأعيان.قال تعالى: «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ»: الأنبياء-١٨،و قال تعالى: «و يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ»: الأنفال-٧،و قال تعالى: «لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ»: الأنفال-٨،و لا- معنى لإحقاق الحق و لا لإبطال الباطل إلا إظهار صفتها.

و بعض الناس و خاصه من أهل عصرنا من المتوغلين فى الأبحاث الماديه و المرعوبين من المدنيه الغريبه الحديثه استفادوا من هذه الحقيقه المذكوره سوء و أخذوا بطرح جميع ما تضمنته سنه رسول الله و اشتملت عليه جوامع الروايات فسلكوا فى ذلك مسلك التفريط،قبال ما سلكه بعض الأخباريين و أصحاب الحديث و الحروريه و غيرهم مسلك الإفراط و الأخذ بكل روايه منقوله كيف كانت.و كما أن القبول المطلق تكذيب للموازين المنصوبه فى الدين لتمييز الحق من الباطل و نسبه الباطل و اللغو من القول إلى النبي ص كذلك الطرح الكلى تكذيب لها و إلغاء و إبطال للكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و هو القائل جل ثناؤه: «مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»: الحشر-٧ و قوله تعالى: «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» النساء-٦٤، إذ لو لم يكن لقول رسول الله ص حجيه أو لما ينقل من قوله(ص)إلينا معاشر الغائبين فى عصره أو الموجودين بعد ارتحاله من الدنيا حجيه لما استقر من الدين حجر على حجر،و الركون على النقل و الحديث مما يعتوره البشر و يقبله فى حياته الاجتماعيه قبولا يضطر إليه بالبداهه و يهديه إلى ذلك الفطره الإنسانيه لا غنى له عن ذلك،و أما وقوع الدس و الخلط فى المعارف المنقوله الدينيه فليس ببدع يختص بالدين كيف و رحى الاجتماع بجميع جهاتها و أركانها تدور على الأخبار الدائره اليوميه العامه و الخاصه،و وجوده الكذب و الدس و الخلط فيها أزيد و أيدى السياسات الكليه و الجزئيه بها ألعب؟و نحن على فطرتنا

الإنسانيه لا- نجرى على مجرد قرع السمع فى الأخبار المنقوله إلينا فى نادى الاجتماع بل نعرض كل واحد واحد منها على ما عندنا من الميزان الذى يمكن أن يوزن به فإن وافقه و صدقه قبلناه و إن خالفه و كذبه طرحناه و إن لم يتبين شىء من أمره و لم يتميز حقه من باطله و صدقه من كذبه توقفنا فيه من غير قبول و لا رد على الاحتياط الذى جبلنا عليه فى الشرور و المضار.

هذا كله بشرط الخبره فى نوع الخبر الذى نقل إلينا، و أما ما لا خبره للإنسان فيه من الأخبار بما يشتمل عليه من المضمون فسبيل العقلاء من أهل الاجتماع فيه الرجوع إلى أهل خبرته و الأخذ بما يرون فيه و يحكمون به هذا.

فهذا ما عليه بناؤنا الفطرى فى الاجتماع الإنسانى، و الميزان الدينى المضروب لتمييز الحق من الباطل و كذا الصدق من الكذب، لا يغير ذلك بل هو هو بعينه، و هو العرض على كتاب الله فإن تبين منه شىء أخذ به و إن لم يتبين لشبهه فالوقوف عند الشبهه، و على ذلك أخبار متواتره عن النبى ص و الأئمه من أهل بيته. هذا كله فى غير المسائل الفقهييه و أما هى فالمرجع فى البحث عنها فن أصول الفقه.

### (بحث فلسفى) [بحث آخر فيما نسب من السحر إلى سليمان و هاروت و ماروت.]

من المعلوم وقوع أفعال خارقه للعاده الجاربه للمشاهده و النقل، فقلما يوجد منا من لم يشاهد شيئاً من خوارق الأفعال أو لم ينقل إليه شىء من ذلك- قليل أو كثير إلا أن البحث الدقيق فى كثير منها يبين رجوعها إلى الأسباب الطبيعیه العاديه، فكثير من هذه الأفعال الخارقه يتقوى بها أصحابها بالاعتیاد و التمرين كأكل السموم و حمل الأثقال و المشى على حبل ممدود فى الهواء إلى غير ذلك، و كثير منها تتكى على أسباب طبيعیه مخفيه على الناس مجهوله لهم كمن يدخل النار و لا يحترق بها من جهه طلايه الطلق بيدنه أو يكتب كتاباً لا خط عليه و لا يقرؤه إلا صاحبه، و إنما كتب بما يع لا يظهر إلا إذا عرض الكتاب على النار إلى غير ذلك. و كثير منها يحصل بحركات

سريعه تخفى على الحس لسرعتها فلا- يرى الحس إلا- أنه وقع من غير سبب طبيعي كالخوارق التي يأتى بها أصحاب الشعبه،فهذه كلها مستنده إلى أسباب عاديه مخفيه على حسنا أو غير مقدوره لنا لكن بعض هذه الخوارق لا يحلل إلى الأسباب الطبيعه الجاربه على العاده كالأخبار عن بعض المغيبات و خاصه ما يقع منها فى المستقبل و كأعمال الحب و البغض و العقد و الحل و التنويم و التمريض و عقد النوم و الإحضار و التحريكات بالإراداه مما يقع من أرباب الرياضات و هى أمور غير قابله للإنكار،شاهدنا بعضا منها و نقل إلينا بعض آخر نقلا لا يطعن فيه،و هو ذا يوجد اليوم من أصحابها بالهند و إيران و الغرب جماعه يشاهد منهم أنواع من هذه الخوارق و التأمل التام فى طرق الرياضات المعطيه لهذه الخوارق و التجارب العملى فى أعمالهم و إرادتهم يوجب القول بأنها مستنده إلى قوه الإراده و الإيمان بالتأثير على تشتت أنواعها،فالإراداه تابعه للعلم و الإذعان السابق عليه،فربما توجد على إطلاقها و ربما توجد عند وجود شرائط خاصه ككتابه شىء خاص بمداد خاص فى مكان خاص فى بعض أعمال الحب و البغض،أو نصب المرآه حيال وجه طفل خاص عند إحضار الروح أو قراءه عوده خاصه إلى غير ذلك، فجميع ذلك شرائط لحصول الإراده الفاعله،فالعلم إذا تم علما قاطعا أعطى للحواس مشاهده ما قطع به،و يمكنك أن تختبر صحه ذلك بأن تلقن نفسك أن شيئا كذا أو شخصا كذا حاضر عندك تشاهده بحاستك ثم تتخيله بحيث لا تشك فيه و لا تلتفت إلى عدمه و لا- إلى شىء غيره فإنك تجده أمامك على ما تريد،و ربما توجد فى الآثار معالجه بعض الأطباء الأمراض المهلكه بتلقين الصحه على المريض.

و إذا كان الأمر على هذا فلو قويت الإراده أمكنها أن تؤثر فى غير الإنسان المرید نظير ما تجده فى نفس الإنسان المرید إما من غير شرط و قيد أو مع شىء من الشرائط.

و يتبين بما مر أمور:أحدها:أن الملاك فى هذا التأثير تحقق العلم الجازم من صاحب خرق العاده و أما مطابقه هذا العلم للخارج فغير لازم كما كان يعتقد أصحاب تسخير الكواكب من الأرواح المتعلقه بالأجرام الفلكيه،و يمكن أن يكون من هذا القبيل الملائكه و الشياطين الذين يستخرج أصحاب الدعوات و العزائم أسماءهم



و يدعون بها على طرق خاصه عندهم، و كذلك ما يعتقد أصحاب إحضار الأرواح من حضور الروح فلا دليل لهم على أزيد من حضورها فى خيالهم أو حواسهم دون الخارج و إلا لرآه كل من حضر عندهم و للكل حس طبيعى، و به تنحل شبهه أخرى فى إحضار روح من هو حى فى حال اليقظه مشغول بأمره من غير أن يشعر به و الواحد من الإنسان ليس له إلا روح واحده، و به تنحل أيضا شبهه أخرى و هى أن الروح جوهر مجرد لا نسبه له إلى زمان و مكان دون زمان و مكان، و به تنحل أيضا شبهه ثالثه، و هى: أن الروح الواحده ربما تحضر عند أحد بغير الصوره التى تحضر بها عند آخر.

و به تنحل أيضا شبهه رابعه، و هى: أن الأرواح ربما تكذب عند الإحضار فى أخبارها و ربما يكذب بعضها بعضا. فالجواب عن الجميع: أن الروح إنما تحضر فى مشاعر الشخص المحضر لا فى الخارج منها على حد ما نحس بالأشياء الماديه الطبيعیه.

ثانيها: أن صاحب هذه الإراده المؤثره ربما يعتمد فى إرادته على قوه نفسه و ثبات إنيته كغالب أصحاب الرياضات فى إرادتهم فتكون لا محاله محدوده القوه مقيده الأثر عند المريد و فى الخارج، و ربما يعتمد فيه على ربه كالأنبياء و الأولياء من أصحاب العبوديه لله و أرباب اليقين بالله فهم لا يريدون شيئا إلا لربهم و بربهم، و هذه إرادته طاهره لا استقلال للنفس التى تطلع هذه الإراده منها بوجه و لم تتلون بشىء من ألوان الميول النفسانيه و لا اتكأ لها إلا على الحق فهى إرادته ربانيه غير محدوده و لا مقيده.

و القسم الثانى: إن أثرت فى مقام التحدى كغالب ما ينقل من الأنبياء سميت آيه معجزه و إن تحققت فى غير مقام التحدى سميت كرامه أو استجابته دعوه إن كانت مع دعاء، و القسم الأول إن كان بالاستخبار و الاستنصار من جن أو روح أو نحوه سمى كهانه و إن كان بدعوه أو عزيمه أو رقيه أو نحو ذلك سمى سحرا.

ثالثها: أن الأمر حيث كان دائرا مدار الإراده فى قوتها و هى على مراتب من القوه و الضعف أمكن أن يبطل بعضها أثر البعض كتقابل السحر و المعجزه أو أن لا يؤثر بعض النفوس فى بعض إذا كانت مختلفه فى مراتب القوه و هو مشهود فى أعمال التنويم و الإحضار، هذا و سيأتى شطر من الكلام فى ذلك.

العلوم الباعثة عن غرائب التأثير كثيره و القول الكلى فى تقسيمها و ضبطها عسيره جدا، و أعرف ما هو متداول بين أهلها ما نذكره: منها: السيمياء، و هو العلم الباعث عن تمزيج القوى الإراديه مع القوى الخاصه الماديه للحصول على غرائب التصرف فى الأمور الطبيعيه، و منه التصرف فى الخيال المسمى بسحر العيون و هذا الفن من أصدق مصاديق السحر، و منها: الليمياء و هو العلم الباعث عن كيفيه التأثيرات الإراديه باتصالها بالأرواح القويه العاليه كالأرواح الموكله بالكواكب و الحوادث و غير ذلك بتسخيرها أو باتصالها و استمدادها من الجن بتسخيرهم، و هو فن التسخيرات، و منها: الهيمياء. و هو العلم الباعث عن تركيب قوى العالم العلوى مع العناصر السفليه للحصول على عجائب التأثير و هو الطلسمات، فإن للكواكب العلويه و الأوضاع السماويه ارتباطات مع الحوادث الماديه كما أن العناصر و المركبات و كيفياتها الطبيعيه كذلك، فلو ركبت الأشكال السماويه المناسبه لحدثه من الحوادث كموت فلان، و حياه فلان، و بقاء فلان مثلا مع الصوره الماديه المناسبه أنتج ذلك الحصول على المراد و هذا معنى الطلسم، و منها: الريميا، و هو العلم الباعث عن استخدام القوى الماديه للحصول على آثارها بحيث يظهر للحس أنها آثار خارقه بنحو من الأنحاء و هو الشعبده، و هذه الفنون الأربعه مع فن خامس يتلوها و هو الكيمياء الباعث عن كيفيه تبديل صور العناصر بعضها إلى بعض كانت تسمى عندهم بالعلوم الخمسه الخفيه، قال شيخنا البهائى: أحسن الكتب المصنفه التى فى هذه الفنون كتاب رأيته ببلده هرات اسمه (كله سر) و قد ركب اسمه من أوائل أسماء هذه العلوم، الكيمياء، و الليمياء، و الهيمياء، و السيمياء، و الريميا انتهى ملخص كلامه.

و من الكتب المعتمده فيها خلاصه كتب بليناس و رسائل الخسرو شاهى و الذخيره الإسكندريه و السر المكتوم للرازى و التسخيرات للسكاكى و أعمال الكواكب السبعه للحكيم طمطم الهندى.

و من العلوم الملحقه بما مر علم الأعداد و الأوقات و هو الباعث عن ارتباطات

الأعداد و الحروف للمطالب و وضع العدد أو الحروف المناسبه للمطلوب فى جداول مثلثه أو مربعه أو غير ذلك على ترتيب مخصوص، ومنها: الخافيه و هو تكسير حروف المطلوب أو ما يناسب المطلوب من الأسماء و استخراج أسماء الملائكه أو الشياطين الموكله بالمطلوب و الدعوه بالعزائم المؤلفه منها للنيل على المطلوب و من الكتب المعتره فيها عندهم كتب الشيخ أبى العباس التونى و السيد حسين الأخلاطى و غيرهما.

و من الفنون الملحقه بها الدائره اليوم التنويم المغناطيسى و إحضار الأرواح و هما كما مر من تأثير الإراده و التصرف فى الخيال و قد ألفت فيها كتب و رسائل كثيره، و اشتهاه أمرها يغنى عن الإشاره إليها هاهنا، و الغرض مما ذكرنا على طوله إيضاح انطباق ما ينطبق منها على السحر أو الكهان.

## [سوره البقره (٢): الآيات ١٠٤ الى ١٠٥]

### اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَإِسْمِعُوا لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥)

### (بيان)

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، أول مورد فى القرآن ورد فيه خطاب المؤمنين بلفظه يا أيها الذين آمنوا، و هو واقع فى القرآن خطابا فى نحو من خمسة و ثمانين موضعا و التعبير عن المؤمنين بلفظه الذين آمنوا بنحو الخطاب أو بغير الخطاب مما يختص بهذه الأمه، و أما الأمم السابقه فيعبر عنهم بلفظه القوم كقوله: «قَوْمِ نُوحٍ وَ قَوْمِ هُودٍ» و قوله: «قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنِهِ الْآيَةِ» و قوله: «أَصْحَابِ مَدْيَنَ وَ أَصْحَابِ الرَّسِّ»، و يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، و يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فالتعبير بلفظه الذين آمنوا

مما يختص التشرف به بهذه الأمة، غير أن التدبير في كلامه تعالى يعطى أن التعبير بلفظه الذين آمنوا يراد به في كلامه تعالى غير ما يراد بلفظه المؤمنين كقوله تعالى:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾: النور-٣١، بحسب المصداق، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: المؤمن-٧، فجعل استغفار الملائكة وحملة العرش أولا للذين آمنوا ثم بدله ثانيا من قوله: لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا، و التوبة هي الرجوع، ثم علق دعاءهم بالذين آمنوا و عطف عليهم آباءهم و ذرياتهم و لو كان هؤلاء المحكى عنهم بالذين آمنوا هم أهل الإيمان برسول الله ص، كيف ما كانوا، كان الذين آمنوا شاملا للجميع من الآباء و الأبناء و الأزواج و لم يبق للعطف و التفرقة محل و كان الجميع في عرض واحد و وقعوا في صف واحد. و يستفاد هذا المعنى أيضا من قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾: الطور-٢١، فلو كان ذريتهم الذين اتبعوهم بإيمان مصداقا للذين آمنوا في كلامه تعالى لم يبق للإلحاق وجه، و لو كان قوله: ﴿وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ قرينه على إرادته أشخاص خاصة من الذين آمنوا و هم كل جمع من المؤمنين بالنسبة إلى ذريتهم، المؤمنين لم يبق للإلحاق أيضا وجه، و لا لقوله، ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، ووجه صحيح إلا في الطبقة الأخيرة التي لا ذرية بعدهم يتبعونهم بإيمان فهم يلحقون بآبائهم، و هذا و إن كان معنى معقولا إلا أن سياق الآية و هو سياق التشریف يأبى ذلك لعود المعنى على ذلك التقدير إلى مثل معنى قولنا: المؤمنون بعضهم من بعض أو بعضهم يلحق ببعض و هم جميعا في صف واحد من غير شرافه للبعض على البعض و لا للمتقدم على المتأخر فإن الملائكة هو الإيمان و هو في الجميع واحد و هذا مخالف لسياق الآية الدال على نوع كرامه و تشریف للسابق بإلحاق ذريته به، فقوله:

﴿وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾، قرينه على إرادته أشخاص خاصة بقوله: الَّذِينَ آمَنُوا، و هم السابقون الأولون في الإيمان برسول الله ص من المهاجرين و الأنصار في يوم العسره فكلمه الذين آمنوا كلمه تشریف يراد بها هؤلاء، و يشعر بذلك أيضا قوله تعالى:

«لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ، X إلى أن قال X: وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ، X إلى أن قال X:

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» الحشر-١٠، فلو كان مصداق قوله: لِلَّذِينَ آمَنُوا، عين مصداق قوله الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، كان من وضع الظاهر موضع المضمرة من غير وجه ظاهر.

و يشعر بما مر أيضا قوله تعالى: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سِجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا، X إلى أن قال X: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»: الفتح-٢٩.

فقد تحصل أن الكلمه كلمه تشریف تختص بالسابقين الأولين من المؤمنين، ولا يبعد جريان نظير الكلام في لفظه الذين كفروا فيراد به السابقون في الكفر برسول الله ص من مشركى مكه و أتراهم كما يشعر به أمثال قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ، أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»: البقره-٦.

فإن قلت: فعلى ما مر يختص الخطاب بالذين آمنوا بعده خاصه من الحاضرين في زمان النبى ص مع أن القوم ذكروا أن هذه خطابات عامه لزمان الحضور و غيره و الحاضرين الموجودين في عصر النبى ص و غيرهم و خاصه بناء على تقريب الخطاب بنحو القضييه الحقيقيه.

قلت: نعم هو خطاب تشریفى يختص بالبعض لكن ذلك لا- يوجب اختصاص التكليف المتضمن لها الخطاب بهم فإن لسعه التكليف و ضيقه أسبابا غير ما يوجب سعه الخطاب و ضيقه من الأسباب، كما أن التكليف المجرده عن الخطاب عامه و سيعه من غير خطاب، فعلى هذا يكون تصدير بعض التكليف بـ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» من قبيل تصدير بعض آخر من الخطابات بـ «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ»، و «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ مَبْنِيَا عَلَى التَّشْرِيفِ»، و التكليف عام، و المراد وسيع، و مع هذا كله لا يوجب ما ذكرناه من الاختصاص التشریفى عدم إطلاق لفظه الذين آمنوا على غير هؤلاء المختصين بالتشريف أصلا إذا كانت هناك قرينه تدل على ذلك كقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا

ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ: النساء-١٣٧، و قوله تعالى: حكاية عن نوح: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾: هود-٢٩.

قوله تعالى: لا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا أَنْظُرْنَا، أى بدلوا قول (راعنا) من قول (انظرنا) و لئن لم تفعلوا ذلك كان ذلك منكم كفرا و للكافرين عذاب أليم فيه نهى شديد عن قول راعنا و هذه كلمة ذكرتها آية أخرى و بينت معناها فى الجملة و هى قوله تعالى «مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ اسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَ رَاعِنًا لِيَا بَالِسِتِّهِمْ وَ طَعْنَا فِي الدِّينِ» النساء-٤٦، و منه يعلم أن اليهود كانت تريد بقولهم للنبي ص راعنا نحوا من معنى قوله: اسمع غير مسمع و لذلك ورد النهى عن خطاب رسول الله ص بذلك و حينئذ ينطبق على ما نقل: أن المسلمين كانوا يخاطبون النبي ص بذلك إذا ألقى إليهم كلاما يقولون راعنا يا رسول الله- يريدون أمهلنا و انظرنا حتى نفهم ما تقول- و كانت اللفظة تفيد فى لغة اليهود معنى الشتم فاعتنم اليهود ذلك فكانوا يخاطبون النبي ص بذلك يظهرون التأدب معه و هم يريدون الشتم و معناه عندهم اسمع لا أسمع فتر. مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ اسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَ رَاعِنًا، الآية و نهى الله المؤمنين عن الكلمة و أمرهم أن يقولوا ما فى معناه و هو انظرنا فقال: لا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا أَنْظُرْنَا .

قوله تعالى: وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ، يريد المتمردين من هذا النهى و هذا أحد الموارد التى أطلق فيها الكفر على ترك التكليف الفرعية.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا أَنْظُرْنَا﴾، لو كان المراد بأهل الكتاب اليهود خاصة كما هو الظاهر لكون الخطابات السابقة مسوقة لهم فتوصيفهم بأهل الكتاب يفيد الإشارة إلى العلة، و هو أنهم لكونهم أهل كتاب ما يودون نزول الكتاب على المؤمنين لاستلزامه بطلان اختصاصهم بأهليه الكتاب مع أن ذلك ضنه منهم بما لا يملكونه، و معارضه مع الله سبحانه فى سعه رحمته و عظم فضله، و لو كان المراد عموم أهل الكتاب من اليهود و النصارى فهو تعميم بعد التخصيص لاشتراك الفريقين فى بعض الخصائل، و هم على غيظ من الإسلام، و ربما يؤيد هذا الوجه بعض

الآيات اللاحقه كقوله تعالى: «وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى»: البقره-١١١، وقوله تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ»: البقره-١١٣.

### (بحث روائى)

فى الدر المنثور، أخرج أبو نعيم فى الحليه عن ابن عباس قال قال رسول الله ص:

ما أنزل الله آيه فيها، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا -إلا و على رأسها و أميرها.

أقول: و الروايه تؤيد ما سنقله من الروايات الوارده فى عده من الآيات أنها فى على أو فى أهل البيت نظير ما فى قوله تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلدَّاسِ»: آل عمران-١١٠ و قوله تعالى: «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ»: البقره-١٤٣، و قوله تعالى: وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ:، التوبه-١١٩.

### [سوره البقره (٢): الآيات ١٠٦ الى ١٠٧]

#### اشاره

مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (١٠٧)

#### (بيان) [النسخ].

الآيتان فى النسخ و من المعلوم أن النسخ بالمعنى المعروف عند الفقهاء و هو الإبانه عن انتهاء أمد الحكم و انقضاء أجله اصطلاح متفرع على الآيه مأخوذ منها و من مصاديق ما يتحصل من الآيه فى معنى النسخ على ما هو ظاهر إطلاق الآيه.

قوله تعالى: مَا نَنْسَخْ، النسخ هو الإزاله، يقال: نسخت الشمس الظل إذا

أزالته و ذهب به، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾: الحج-٥١، و منه أيضا قولهم: نسخت الكتاب إذا نقل من نسخه إلى أخرى فكأن الكتاب أذهب به و أبدل مكانه و لذلك بدل لفظ النسخ من التبديل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: النحل-١٠١، و كيف كان فالنسخ لا- يوجب زوال نفس الآية من الوجود و بطلان تحققها بل الحكم حيث علق بالوصف و هو الآية و العلامه مع ما يلحق بها من التعليل في الآية بقوله تعالى: أَلَمْ تَعْلَمْ، إلخ أفاد ذلك أن المراد بالنسخ هو إذهاب أثر الآية من حيث إنها آية، أعنى إذهاب كون الشيء آية و علامه مع حفظ أصله فبالنسخ يزول أثره من تكليف أو غيره مع بقاء أصله و هذا هو المستفاد من اقتران قوله: نُسِخَهَا بقوله: مَا نُنَسِّخُ، و الإنساء إفعال من النسيان و هو الإذهاب عن العلم كما أن النسخ هو الإذهاب عن العين فيكون المعنى ما نذهب بآية عن العين أو عن العلم نأت بخير منها أو مثلها.

ثم إن كون الشيء آية يختلف باختلاف الأشياء و الحيات و الجهات، فالبعض من القرآن آية لله سبحانه باعتبار عجز البشر عن إتيان مثله، و الأحكام و التكاليف الإلهيه آيات له تعالى باعتبار حصول التقوى و القرب بها منه تعالى، و الموجودات العينيه آيات له تعالى باعتبار كشفها بوجودها عن وجود صانعها و بخصوصيات وجودها عن خصوصيات صفاته و أسمائه سبحانه، و أنبياء الله و أولياؤه تعالى آيات له تعالى باعتبار دعوتهم إليه بالقول و الفعل و هكذا، و لذلك كانت الآية تقبل الشده و الضعف قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾: النجم-١٨.

و من جهة أخرى الآية ربما كانت في أنها آية ذات جهه واحده و ربما كانت ذات جهات كثيره، و نسخها و إزالتها كما يتصور بجهته الواحده كإهلاكها كذلك يتصور ببعض جهاتها دون بعض إذا كانت ذات جهات كثيره، كآية من القرآن تنسخ من حيث حكمها الشرعى و تبقى من حيث بلاغتها و إعجازها و نحو ذلك.

و هذا الذى استظهرناه من عموم معنى النسخ هو الذى يفيد عموم التعليل المستفاد من قوله تعالى: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ



وذلك أن الإنكار المتوهم في المقام أو الإنكار الواقع من اليهود على ما نقل في شأن نزول الآيه بالنسبه إلى معنى النسخ يتعلق به من وجهين:

أحدهما: من جهة أن الآيه إذا كانت من عند الله تعالى كانت حافظه لمصلحه من المصالح الحقيقيه لا تحفظها شيء دونها، فلو زالت الآيه فاتت المصلحه و لن تقوم مقامها شيء تحفظ به تلك المصلحه، و يستدرك به ما فات منها من فائده الخلقه و مصلحه العباد، و ليس شأنه تعالى كشأن عباده و لا علمه كعلمهم بحيث يتغير بتغير العوامل الخارجيه فيتعلق يوما علمه بمصلحه فيحكم بحكم ثم يتغير علمه غدا و يتعلق بمصلحه أخرى فاتت عنه بالأمس، فيتغير الحكم، و يقضى بطلان ما حكم سابقا، و إتيان آخر لاحقا، فيطلع كل يوم حكم، و يظهر لون بعد لون، كما هو شأن العباد غير المحيطين بجهات الصلاح في الأشياء، فكانت أحكامهم و أوضاعهم تتغير بتغير العلوم بالمصالح و المفاسد زياده و نقيصه و حدودا و بقاء، و مرجع هذا الوجه إلى نفى عموم القدره و إطلاقها.

و ثانيهما: أن القدره و إن كانت مطلقه إلا أن تحقق الإيجاد و فعلية الوجود يستحيل معه التغير، فإن الشيء لا يتغير عما وقع عليه بالضروره و هذا مثل الإنسان في فعله الاختياري فإن الفعل اختياري للإنسان ما لم يصدر عنه فإذا صدر كان ضروري الثبوت غير اختياري له، و مرجع هذا الوجه إلى نفى إطلاق الملكيه و عدم جواز بعض التصرفات بعد خروج الزمام ببعض آخر كما قالت اليهود: **يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** : فأشار سبحانه إلى الجواب عن الأول بقوله: **أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** أي فلا يعجز عن إقامه ما هو خير من الفائت أو إقامه ما هو مثل الفائت مقامه و أشار إلى الجواب عن الثاني بقوله: **أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**، أي أن ملك السموات و الأرض لله سبحانه فله أن يتصرف في ملكه كيف يشاء و ليس لغيره شيء من الملك حتى يوجب ذلك انسداد باب من أبواب تصرفه سبحانه، أو يكون مانعا دون تصرف من تصرفاته، فلا يملك شيء شيئا، لا ابتداء و لا بتملكه تعالى، فإن التملك الذي يملكه غيره ليس كتمليك بعضنا بعضا شيئا بنحو يبطل ملك الأول و يحصل ملك الثاني، بل هو مالك

فى عين ما يملك غيره ما يملك، فإذا نظرنا إلى حقيقة الأمر كان الملك المطلق و التصرف المطلق له وحده، و إذا نظرنا إلى ما ملكنا بملكه من دون استقلال كان هو الولى لنا و إذا نظرنا إلى ما تفضل علينا من ظاهر الاستقلال-و هو فى الحقيقة فقر فى صورته الغنى، و تبعيه فى صورته الاستقلال-لم يمكن لنا أيضا أن ندبر أمورنا من دون إعانتة و نصره كان هو النصير لنا.

و هذا الذى ذكرناه هو الذى يقتضيه الحصر الظاهر من قوله تعالى: «أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَقوله تعالى: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» ، مرتب على ترتيب ما يتوهم من الاعتراضين، و من الشاهد على كونهما اعتراضين اثنين الفصل بين الجملتين من غير وصل، و قوله تعالى: وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ ، مشتمل على أمرين هما كالمتممين للجواب أى و إن لم تنظروا إلى ملكه المطلق بل نظرتم إلى ما عندكم من الملك الموهوب فحيث كان ملكا موهوبا من غير انفصال و استقلال فهو وحده وليكم، فله أن يتصرف فيكم و فى ما عندكم ما شاء من التصرف، و إن لم تنظروا إلى عدم استقلالكم فى الملك بل نظرتم إلى ظاهر ما عندكم من الملك و الاستقلال و انجمدم على ذلك فحسب، فإنكم ترون أن ما عندكم من قدره و الملك و الاستقلال لا تتم وحدها، و لا تجعل مقاصدكم مطيعه لكم خاضعه لقصودكم و إرادتكم وحدها بل لا بد معها من إعانه الله و نصره فهو النصير لكم فله أن يتصرف من هذا الطريق فله سبحانه التصرف فى أمركم من أى سبيل سلكتم هذا، و قوله: وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، جىء فيه بالظاهر موضع المضمر نظرا إلى كون الجملة بمنزله المستقل من الكلام لتاميه الجواب دونه.

فقد ظهر مما مر: أولا، أن النسخ لا يختص بالأحكام الشرعيه بل يعم التكوينية أيضا.

و ثانيا: أن النسخ لا يتحقق من غير طرفين ناسخ و منسوخ.

و ثالثا: أن النسخ يشتمل على ما فى المنسوخ من كمال أو مصلحه.

و رابعا: أن النسخ ينافى المنسوخ بحسب صورته و إنما يرتفع التناقض بينهما من

جهه اشتغال كليهما على المصلحة المشتركة فإذا توفي نبي و بعث نبي آخر و هما آيتان من آيات الله تعالى أحدهما ناسخ للآخر كان ذلك جريانا على ما يقتضيه ناموس الطبيعه من الحياه و الموت و الرزق و الأجل و ما يقتضيه اختلاف مصالح العباد بحسب اختلاف الأعصار و تكامل الأفراد من الإنسان، و إذا نسخ حكم ديني بحكم ديني كان الجميع مشتملا على مصلحة الدين و كل من الحكمين أطبق على مصلحه الوقت، أصلح لحال المؤمنين كحكم العفو في أول الدعوه و ليس للمسلمين بعد عده و لا عده. و حكم الجهاد بعد ذلك حينما قوى الإسلام و أعد فيهم ما استطاعوا من قوه و ركز الرعب في قلوب الكفار و المشركين. و الآيات المنسوخه مع ذلك لا تخلو من إيماء و تلويح إلى النسخ كما في قوله تعالى «فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ» البقره-١٠٩، المنسوخ بآيه القتال و قوله تعالى: «فَأَمْسِكُوا فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا»: النساء-١٤ المنسوخ بآيه الجلد فقوله: حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ و قوله: «أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» لا يخلو عن إشعار بأن الحكم موقت مؤجل سيلحقه نسخ.

و خامسا: أن النسبه التي بين الناسخ و المنسوخ غير النسبه التي بين العام و الخاص و بين المطلق و المقيد و بين المجمل و المبين، فإن الرفع للتنافي بين الناسخ و المنسوخ بعد استقراره بينهما بحسب الظهور اللفظي هو الحكمه و المصلحة الموجوده بينهما، بخلاف الرفع للتنافي بين العام و الخاص و المطلق و المقيد و المجمل و المبين فإنه قوه الظهور اللفظي الموجود في الخاص و المقيد و المبين، المفسر للعام بالتخصيص، و للمطلق بالتقييد، و للمجمل بالتبيين على ما بين في فن أصول الفقه، و كذلك في المحكم و المتشابه على ما سيجيء في قوله: «مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ»: آل عمران-٧.

قوله تعالى: أَوْ نُنْسِئُهَا، قرئ بضم النون و كسر السين من الإنشاء بمعنى الإذهاب عن العلم و الذكر و قد مر توضيحه، و هو كلام مطلق أو عام غير مختص برسول الله ص بل غير شامل له أصلا لقوله تعالى: «سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسِي إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ»: الأعلى-٧، و هي آيه مكيه و آيه النسخ مدنيه فلا يجوز عليه النسيان بعد قوله تعالى:

فَلَا تَنْسَى و أما اشتماله على الاستثناء بقوله: إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ فهو على حد الاستثناء الواقع في قوله تعالى: «خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ»: هود-١٠٩، جىء بها لإثبات بقاء القدره مع الفعل على تغيير الأمر، و لو كان الاستثناء مسوقا لبيان الوقوع فى الخارج لم يكن للامتنان بقوله: فَلَا تَنْسَى معنى، إذ كل ذى ذكر و حفظ من الإنسان و سائر الحيوان كذلك يذكر و ينسى و ذكره و نسيانه كلاهما منه تعالى و بمشيئته، و قد كان رسول الله ص كذلك قبل هذا الإقراء الامتنانى الموعود بقوله: سَيُنْقَرِيكَ يَذُكُرُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَ يَنْسَى بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تعالى فليس معنى الاستثناء إلا إثبات إطلاق القدره أى سنقرئك فلا تنسى أبدا و الله مع ذلك قادر على إنسائك هذا. و قرئ قوله: ننساها بفتح النون و الهمزة من نسيء نسيئا إذا أخر تأخيرا فيكون المعنى على هذا: ما ننسخ من آيه بإزالتها أو نؤخرها بتأخير إظهارها نأت بخير منها أو مثلها و لا يوجب التصرف الإلهى بالتقديم و التأخير فى آياته فوت كمال أو مصلحه، و الدليل على أن المراد بيان أن التصرف الإلهى يكون دائما على الكمال و المصلحه هو قوله: بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا فَإِنِ الْخَيْرِيهِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كَمَالِ شَيْءٍ مَوْجُودٍ أَوْ مَصْلَحِهِ حَكْمٌ مَجْعُولٌ فَفِي ذَلِكَ يَكُونُ مَوْجُودٌ مِمَّا ثَلَا لآخر فى الخيريه أو أزيد منه فى ذلك فافهم.

### (بحث روائى)

قد تكاثرت روايات الفريقين عن النبى ص و الصحابه و عن أئمه أهل البيت (ع): أن فى القرآن ناسخا و منسوخا.

و فى تفسير النعمانى، عن أمير المؤمنين (ع): بعد ذكر عدده آيات من الناسخ و المنسوخ: قال (ع) - و نسخ قوله تعالى: وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ - قوله عز و جل: وَ لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذَلِكَ خَلَقَهُمْ - أى للرحمه خلقهم.

أقول: و فيها دلالة على أخذه (ع) النسخ فى الآيه أعم من النسخ الواقع فى التشريع فالآيه الثانيه تثبت حقيقه توجب تحديد الحقيقه التى تثبتها الآيه الأولى،

و بعبارة واضحة: الآيه الأولى تثبت للخلقه غاية و هي العبادة، و الله سبحانه غير مغلوب في الغاية التي يريدها في فعل من أفعاله غير أنه سبحانه خلقهم على إمكان الاختلاف فلا يزالون مختلفين في الاهتداء و الضلال فلا يزالون مختلفين إلا من أخذته العناية الإلهية، و شملته رحمه الهداية، و لذلك خلقهم أي و لهذه الرحمه خلقهم، فالآيه الثانيه تثبت للخلقه غاية، و هو الرحمه المقارنه للعباده و الاهتداء و لا- يكون إلا- في البعض دون الكل و الآيه الأولى كانت تثبت العباده غاية للجميع فهذه العباده جعلت غاية الجميع من جهة كون البعض مخلوقا لأجل البعض الآخر و هذا البعض أيضا لآخر حتى ينتهي إلى أهل العباده و هم العابدون المخلوقون للعباده فصح أن العباده غاية لكل نظير بناء الحديقه و غرس الشجره لثمرتها أو لمنافعها الماليه فالآيه الثانيه تنسخ إطلاق الآيه الأولى،

و في تفسير النعماني، أيضا عنه (ع): قال: و نسخ قوله تعالى:

«وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا» - قوله: «الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ - أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا - وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَخَزْنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ» .

أقول: و ليست الآيتان من قبيل العام و الخاص لقوله تعالى: «كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا»، و القضاء الحتم غير قابل الرفع و لا ممكن الإبطال و يظهر معنى هذا النسخ مما سيجيء إن شاء الله في قوله: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» :الأنبياء- ١٠١.

و في تفسير العياشي، عن الباقر (ع): أن من النسخ البداء المشتمل عليه قوله تعالى: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»، و نجاه قوم يونس.

أقول: و الوجه فيه واضح.

و في بعض الأخبار عن أئمة أهل البيت (ع) موت إمام و قيام إمام آخر مقامه من النسخ.

أقول: و قد مر بيانه، و الأخبار في هذه المعاني كثيره مستفيضه.

و في الدر المنثور، أخرج عبد بن حميد و أبو داود في ناسخه و ابن جرير عن

قتاده قال: " كانت الآيه تنسخ الآيه -و كان نبى الله يقرأ الآيه و السوره و ما شاء الله من السوره- ثم ترفع فينسيها الله نبيه فقال الله: يقص على نبيه ما ننسخ من آيه أو ننسها نأت بخير منها، يقول: فيها تخفيف، فيها رخصه، فيها أمر، فيها نهى.

أقول: و روى فيه أيضا فى معنى الإنساء روايات عديدة و جميعها مطروحة بمخالفه الكتاب كما مر فى بيان قوله أو ننسها.

## [سوره البقره (٢): الآيات ١٠٨ الى ١١٥]

### اشاره

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨) وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَ مَا تُعَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْأٰخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)

قوله تعالى: أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ، سياق الآية يدل على أن بعض المسلمين-ممن آمن بالنبي-سأل النبي أمورا على حد سؤال اليهود نبيهم موسى (ع) والله سبحانه وبخهم على ذلك في ضمن ما يوبخ اليهود بما فعلوا مع موسى و النبيين من بعده، والنقل يدل على ذلك.

قوله تعالى: سَوَاءَ السَّبِيلِ أَي مَسْتَوَى الطَّرِيقِ.

قوله تعالى: وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، نقل أنه حى بن الأخطب و بعض من معه من متعصبى اليهود.

قوله تعالى: فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا، قالوا: إنها آية منسوخه بآيه القتال.

قوله تعالى: حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ فِيهِ كَمَا مَرَّ إِيمَاءٌ إِلَىٰ حَكْمٍ سَيُشْرِعُهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي حَقِّهِمْ، و نظيره قوله تعالى: فِي الْآيَةِ الْآتِيَةِ «أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ» ، مع قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا» :التوبة-٢٩، و سيأتى الكلام فى معنى الأمر فى قوله تعالى: «يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» :إسراء-٨٥.

قوله تعالى: وَقَالُوا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، شروع فى إلحاق النصارى باليهود تصريحاً و سوق الكلام فى بيان جرائمهم معاً.

قوله تعالى: بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ، هذه كره ثلثه عليهم فى بيان أن السعادة لا تدور مدار الاسم و لا كرامه لأحد على الله إلا بحقيقه الإيمان و العبوديه، وألاها قوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا»؛ البقره-٦٢، و ثانيها، قوله تعالى:

«بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَ بِهَا خَطِيئَتُهُ»؛ البقره-٨١، و ثالثها، هذه الآيه و يستفاد من تطبيق الآيات تفسير الإيمان بإسلام الوجه إلى الله و تفسير الإحسان بالعمل الصالح.

قوله تعالى: وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أى و هم يعملون بما أوتوا من كتاب الله لا ينبغي لهم أن يقولوا ذلك و الكتاب يبين لهم الحق و الدليل على ذلك قوله: «كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ» فالمراد بالذين لا يعلمون غير أهل الكتاب من الكفار و مشركى العرب قالوا: إن المسلمين ليسوا على شيء أو إن أهل الكتاب ليسوا على شيء.

قوله تعالى: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ، ظاهر السياق أن هؤلاء كفار مكه قبل الهجره فإن هذه الآيات نزلت فى أوائل ورود رسول الله ص المدينة.

قوله تعالى: أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ، يدل على مضى الواقعه و انقضائها لمكان قوله؛ كَانَ، فينطبق على كفار قريش و فعالهم بمكه كما ورد به النقل أن المانعين كفار، مكه كانوا يمنعون المسلمين عن الصلاة فى المسجد الحرام و المساجد التى اتخذوها بفناء الكعبه.

قوله تعالى: وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ، المشرق و المغرب و كل جهه من الجهات حيث كانت فهى لله بحقيقه الملك التى لا تقبل التبدل و الانتقال، لا كالمملك الذى بيننا معاشر أهل الاجتماع، و حيث إن ملكه تعالى مستقر على ذات الشىء محيط بنفسه و أثره، لا- كملكننا المستقر على أثر الأشياء و منافعها، لا على ذاتها، و الملك لا يقوم من جهه أنه ملك إلا بمالكة فالله سبحانه قائم على هذه الجهات محيط



بها و هو معها، فالمتوجه إلى شىء من الجهات متوجه إليه تعالى.

و لما كان المشرق و المغرب جهتين إضافيتين شملتا سائر الجهات تقريبا إذ لا يبقى خارجا منهما إلا نقطتا الجنوب و الشمال الحقيقتان و لذلك لم يقيد إطلاق قوله فَأَيُّمَا، بهما بأن يقال: أينما تولوا منهما فكأن الإنسان أينما ولى وجهه فهناك إما مشرق أو مغرب، فقوله: وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ بمنزله قولنا: والله الجهات جميعا و إنما أخذ بهما لأن الجهات التى يقصدها الإنسان بوجهه إنما تتعين بشروق الشمس و غروبها و سائر الأجرام العلوية المنيرة.

□  
قوله تعالى: فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ، فيه وضع عله الحكم فى الجزاء موضع الجزاء، و التقدير -و الله- أعلم فَأَيُّمَا تُولُّوا جاز لكم ذلك فإن وجه الله هناك، و يدل على هذا التقدير تعليل الحكم بقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، أى إن الله واسع الملك و الإحاطة عليم بقصودكم أينما توجهت، لا كالواحد من الإنسان أو سائر الخلق الجسمانى لا يتوجه إليه إلا إذا كان فى جهه خاصه، و لا أنه يعلم توجه القاصد إليه إلا من جهه خاصه كقدامه فقط، فالتوجه إلى كل جهه توجه إلى الله، معلوم له سبحانه.

□  
و اعلم أن هذا توسعه فى القبلة من حيث الجهه لا من حيث المكان، و الدليل عليه قوله: وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ .

### (بحث روائى)

فى التهذيب، عن محمد بن الحصين قال: كتب إلى عبد صالح الرجل -يصلى فى يوم غيم فى فلاه من الأرض- و لا يعرف القبلة فيصلى -حتى فرغ من صلاته بدت له الشمس- فإذا هو صلى لغير القبلة يعتد بصلاته أم يعيدها؟ فكتب يعيد ما لم يفت الوقت، أو لم يعلم أن الله يقول: -و قوله الحق- فَأَيُّمَا تُولُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ .

□  
و فى تفسير العياشى، عن الباقر (ع): فى قوله تعالى: وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ إلخ، قال (ع): أنزل الله هذه الآيه فى التطوع خاصه - فَأَيُّمَا تُولُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، و صلى رسول الله إيماء على راحلته -أينما توجهت به حين خرج إلى خيبر،

و حين رجع من مكه، و جعل الكعبه خلف ظهره.

أقول: و روى العياشى أيضا قريبا من ذلك عن زراره عن الصادق(ع)، و كذا القمى و الشيخ عن أبى الحسن(ع)، و كذا الصدوق عن الصادق(ع).

و اعلم أنك إذا تصفحت أخبار أئمه أهل البيت حق التصفح، فى موارد العام و الخاص و المطلق و المقيّد من القرآن و جدتها كثيرا ما تستفيد من العام حكما، و من الخاص أعنى العام مع المخصص حكما آخر، فمن العام مثلا الاستحباب كما هو الغالب و من الخاص الوجوب، و كذلك الحال فى الكراهه و الحرمة، و على هذا القياس. و هذا أحد أصول مفاتيح التفسير فى الأخبار المنقوله عنهم، و عليه مدار جم غفير من أحاديثهم.

و من هنا يمكنك أن تستخرج منها فى المعارف القرآنيه قاعدتين:

إحداهما: أن كل جملة وحدها، و هى مع كل قيد من قيودها تحكى عن حقيقه ثابتة من الحقائق أو حكم ثابت من الأحكام كقوله تعالى: «قُلِ اللَّهُ تُمَّ ذَرُهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»: الأنعام- ٩١، ففيه معان أربع: الأول: قُلِ اللَّهُ، و الثانى: قُلِ اللَّهُ تُمَّ ذَرُهُمْ، و الثالث: قُلِ اللَّهُ تُمَّ ذَرُهُمْ فِي حَوْضِهِمْ، و الرابع: قُلِ اللَّهُ تُمَّ ذَرُهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ. و اعتبر نظير ذلك فى كل ما يمكن.

و الثانى: أن القستين أو المعنيين إذا اشتركا فى جملة أو نحوها، فهما راجعان إلى مرجع واحد. و هذان سران تحتها أسرار و الله الهادى.

## [سوره البقره (٢): الآيات ١١٦ الى ١١٧]

### إشاره

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٍ (١١٦) يَدْعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧)

## (بيان) [نفى الولد عنه تعالى].

قوله تعالى: **وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا** يعطى السياق، أن المراد بالقائلين بهذه المقالة هم اليهود والنصارى: إذ قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فإن وجه الكلام مع أهل الكتاب، وإنما قال أهل الكتاب هذه الكلمة أعنى قولهم: اتخذ الله ولداً أول ما قالوها تشريفاً لأنبيائهم كما قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه ثم تلبست بلباس الجد والحقيقة فرد الله سبحانه عليهم فى هاتين الآيتين فأضرب عن قولهم بقوله: **بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**، ويشتمل على برهانين ينفى كل منهما الولادة و تحقق الولد منه سبحانه، فإن اتخاذ الولد هو أن يجزى موجود طبيعى بعض أجزاء وجوده، ويفصله عن نفسه فيصيره بتربيته تدريجيه فردا من نوعه مماثلا لنفسه، وهو سبحانه منزه عن المثل، بل كل شىء مما فى السموات والأرض مملوك له، قائم الذات به، كانت ذليل عنده ذله وجوديه، فكيف يكون شىء من الأشياء ولدا له مماثلا نوعيا بالنسبه إليه؟ وهو سبحانه بديع السموات والأرض، وإنما يخلق ما يخلق على غير مثال سابق، فلا يشبه شىء من خلقه خلقا سابقا، ولا يشبه فعله فعل غيره فى التقليد والتشبيه ولا فى التدريج، والتوصل بالأسباب إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون من غير مثال سابق ولا تدريج، فكيف يمكن أن ينسب إليه اتخاذ الولد؟ و تحققه يحتاج إلى تربيته وتدرج، فقوله: **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ** برهان تام، وقوله:

**بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**

برهان آخر تام، هذا.

و استفاد من الآيتين:

أولا: شمول حكم العباده لجميع المخلوقات مما فى السموات والأرض.

و ثانيا: أن فعله تعالى غير تدريجى، ويستدرج من هنا، أن كل موجود تدريجى فله وجه غير تدريجى، به يصدر عنه تعالى كما قال تعالى: **«إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»**: يس- ٨٢، وقال تعالى: **«وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصِيرِ»**: القمر- ٥٠، وتفصيل القول فى هذه الحقيقه القرآنيه، سيأتى إن شاء الله فى ذيل قوله: **«إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا»**: يس- ٨٢ فانظر.

قوله تعالى: **سُبْحَانَهُ** مصدر بمعنى التسييح و هو لا يستعمل إلا مضافا و هو مفعول مطلق لفعل محذوف أى سبحته تسييحا، فحذف الفعل و أضيف المصدر إلى الضمير المفعول و أقيم مقامه، و فى الكلمه تأديب إلهى بالتنزيه فيما يذكر فيه ما لا يليق بساحه قدسه تعالى و تقدس.

قوله تعالى: **كُلُّ لَه قَانِتُونَ**، القنوت العباده و التذلل.

قوله تعالى: **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ**، بداعه الشىء كونه لا يماثل غيره مما يعرف و يؤنس به.

قوله تعالى: **فَيَكُونُ**، تفریع على قول كن و ليس فى مورد الجزاء حتى يجزم.

### (بحث روائى)

فى الكافى، و البصائر، عن سدير الصيرفى، قال: سمعت عمران بن أعين يسأل أبا جعفر (ع) - عن قول الله تعالى: **يَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ**، فقال أبو جعفر (ع): إن الله عز و جل ابتدع الأشياء كلها بعلمه على غير مثال كان قبله، فابتدع السماوات و الأرضين و لم يكن قبلهن سماوات و لا أرضون - أ ما تسمع لقوله: **وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** . ؟ أقول: و فى الروايه استفاده أخرى لطيفه، و هى أن المراد بالماء فى قوله تعالى:

**وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** غير المصداق الذى عندنا من الماء بدليل أن الخلقه مستويه على البداعه و كانت السلطنه الإلهيه قبل خلق هذه السماوات و الأرض مستقره مستويه على الماء فهو غير الماء و سيجىء تتمه الكلام فى قوله تعالى: **«وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»**  
:هود-7.

### (بحث علمى و فلسفى) [تميز الذوات وجودا و بداعه الإيجاد].

دل التجارب على افتراق كل موجودين فى الشخصيات و إن كانت متحده فى

الكليات حتى الموجودان اللذان لا يميز الحس جهه الفرقة بينهما فالحس المسلح يدرك ذلك منهما، والبرهان الفلسفى أيضا يوجب ذلك، فإن المفروضين من الموجودين لو لم يتميز أحدهما عن الآخر بشىء خارج عن ذاته، كان سبب الكثرة المفروضه غير خارج من ذاتهما فيكون الذات صرفه غير مخلوطه، و صرف الشىء لا يتثنى ولا يتكرر، فكان ما هو المفروض كثيرا واحدا غير كثير هذا خلف. فكل موجود مغاير الذات لموجود آخر، فكل موجود فهو بديع الوجود على غير مثال سابق ولا معهود، والله سبحانه هو المبتدع بديع السماوات والأرض.

## [سوره البقره (٢): الآيات ١١٨ الى ١١٩]

### اشاره

وَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ لَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)

### (بيان)

قوله تعالى: وَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ هم المشركون غير أهل الكتاب و يدل عليه المقابله السابقه فى قوله تعالى: وَ قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ، وَ قَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ، قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ الْآيَهُ. ففى تلك الآيه ألحق أهل الكتاب فى قولهم بالمشركين و الكفار من العرب، و فى هذه الآيه ألحق المشركين و الكفار بهم، فقال: وَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ، كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ - و هم أهل الكتاب و اليهود من بينهم - حيث اقترحوا بمثل هذه الأقاويل على نبي الله موسى (ع)، فهم و الكفار متشابهون فى أفكارهم و آرائهم، يقول هؤلاء ما قاله أولئك و بالعكس،

تشابهت قلوبهم.

قوله تعالى: قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ جواب عن قول الذين لا يعلمون إلخ، والمراد أن الآيات التي يطالبون بها مأتية مبينه، و لكن لا- ينتفع بها إلا قوم يوقنون بآيات الله، و أما هؤلاء الذين لا يعلمون، فقلوبهم محجوبه بحجاب الجهل، مؤثفه بآفات العصبية و العناد، و ما تغنى الآيات عن قوم لا يعلمون. و من هنا يظهر وجه توصيفهم بعدم العلم، ثم أيد ذلك بتوجيه الخطاب إلى رسول الله ص و الإشعار بأنه مرسل من عند الله بالحق بشيرا و نذيرا، فلتطب به نفسه، و ليعلم أن هؤلاء أصحاب الجحيم، مكتوب عليهم ذلك، لا مطمع في هدايتهم و نجاتهم.

قوله تعالى: وَلَا تَسْئَلْ عَن أَصْحَابِ الْجَحِيمِ، يجرى مجرى قوله: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَاءَ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»: البقره-٦.

### [سوره البقره (٢): الآيات ١٢٠ الى ١٢٣]

#### اشاره

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (١٢٣)

ص: ٢٦٤

قوله تعالى: **وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ**، رجوع إلى الطائفتين بعد الالتفات إلى غيرهم، وهو بمنزلة جمع أطراف الكلام على تفرقتها و تشتتها، فكأنه بعد هذه الخطابات و التوبيخات لهم يرجع إلى رسوله و يقول له: هؤلاء ليسوا براضين عنك، حتى تتبع ملتهم التي ابتدعوها بأهوائهم و نظموا بآرائهم، ثم أمره بالرد عليهم بقوله: **قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ** أي إن الاتباع إنما هو لغرض الهدى و لا- هدى إلا- هدى الله و الحق الذي يجب أن يتبع و غيره- و هو ملتكم- ليس بالهدى، فهي أهواؤكم ألبستموها لباس الدين و سميتوها باسم المله، ففي قوله:

**قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ**

إلخ، جعل الهدى كناية عن القرآن النازل، ثم أضيف إلى الله فأفاد صحه الحصر في قوله: **إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ** على طريق قصر القلب، و أفاد ذلك خلو ملتهم عن الهدى، و أفاد ذلك كونها أهواء لهم، و استلزم ذلك كون ما عند النبي علماء، و كون ما عندهم جهلاء و اتسع المكان لتعقيب الكلام بقوله: **وَلَنْ تَبْغَتْ أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**، ما لك من الله من ولي و لا نصير، فانظر إلى ما في هذا الكلام من أصول البرهان العريقه، و وجوه البلاغه على إيجازه، و سلاسه البيان و صفائه.

قوله تعالى: **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ** يمكن أن تكون الجملة بقريته الحصر المفهوم من قوله: **أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ** به جوابا للسؤال المقدر الذي يسوق الذهن إليه قوله تعالى: **وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ** إلخ و هو أنهم إذا لم يكن مطمع في إيمانهم، فمن ذا الذي يؤمن منهم؟ و هل توجيه الدعوه إليهم باطل لغو؟ فأجيب بأن الذين آتيناهم الكتاب و الحال أنهم يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون بكتابهم فيؤمنون بك، أو أن أولئك يؤمنون بالكتاب، كتاب الله المنزل أيا ما كان، أو أن أولئك يؤمنون بالكتاب الذي هو القرآن. و على هذا: فالقصر في قوله: **أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ** به قصر أفراد و الضمير في قوله: **بِهِ** على بعض التقادير لا يخلو عن استخدام.

و المراد بالذين أتوا الكتاب قوم من اليهود و النصارى ليسوا متبعين للهوى من أهل

الحق منهم، وبالكتاب التوراه والإنجيل، وإن كان المراد بهم المؤمنين برسول الله ص وبالكتاب القرآن، فالمعنى. إن الذين آتيناهم القرآن، وهم يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون بالقرآن، لا هؤلاء المتبعون لأهوائهم، فالقصر حينئذ قصر قلب.

قوله تعالى: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا، إلى آخر الآيتين إرجاع ختم الكلام إلى بدئه، و آخره إلى أوله، وعنده يختتم شطر من خطابات بنى إسرائيل.

### (بحث روائى)

فى إرشاد الديلمى، عن الصادق (ع): فى قوله: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، قال: يرتلون آياته و يتفقهون به و يعملون بأحكامه، و يرجون وعده، و يخافون وعيده، و يعتبرون بقصصه، و يأترون بأوامره، و ينتهون بنواهيها، ما هو و الله حفظ آياته، و درس حروفه، و تلاوه سوره، و درس أعشاره و أحماسه، حفظوا حروفه و أضعوا حدوده، و إنما هو تدبر آياته و العمل بأحكامه، قال الله تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ - مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ .

و فى تفسير العياشى، عن الصادق (ع): فى قول الله عز و جل: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ - قال (ع): الوقوف عند الجنه و النار. أقول: و المراد به التدبر.

و فى الكافى، عنه (ع): فى الآية قال (ع): هم الأئمه.

أقول: و هو من باب الجرى و الانطباق على المصداق الكامل

### [سوره البقره (٢): آيه ١٢٤]

#### اشاره

وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)

ص: ٢٦٦



شروع بجمل من قصص إبراهيم(ع) و هو كالمقدمه و التوطئه لآيات تغيير القبله و آيات أحكام الحج، و ما معها من بيان حقيقه الدين الحنيف الإسلامى بمراتبها: من أصول المعارف، و الأخلاق، و الأحكام الفرعيه الفقهيه جملا، و الآيات مشتمله على قصه اختصاصه تعالى إياه بالإمامه و بنائه الكعبه و دعوته بالبعثه.

ف قوله تعالى: وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ إِسْحَاقَ، إشاره إلى قصه إعطائه الإمامه و حبائه بها، و القصه إنما وقعت فى أواخر عهد إبراهيم(ع) بعد كبره و تولد إسماعيل، و إسحاق له و إسكانه إسماعيل و أمه بمكه، كما تنبه به بعضهم أيضا، و الدليل على ذلك قوله(ع) على ما حكاه الله سبحانه بعد قوله تعالى له: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلدَّاسِ إِمَامًا، قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي، فإنه(ع) قبل مجيء الملائكه ببشاره إسماعيل، و إسحاق، ما كان يعلم و لا يظن أن سيكون له ذريه من بعده حتى أنه بعد ما بشرته الملائكه بالأولاد خاطبهم بما ظاهره اليأس و القنوط كما قال تعالى: «وَ نَبَّأَهُمْ عَنْ ضَعْفِ إِبْرَاهِيمَ، إِذِ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ: إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ، قَالُوا: لَا تَوْجَلْ إِذْنَا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ، قَالَ أَ بَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بُبَشِّرُونَ؟ قَالُوا، بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ» :الحجر-٥٥، و كذلك زوجته على ما حكاه الله تعالى فى قصه بشارته أيضا إذ قال تعالى: «وَ امْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ، فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ، قَالَتْ، يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ، قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، رَحِمَتُ اللَّهُ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» :هود-٧٣، و كلامهما كما ترى يلوح منه آثار اليأس و القنوط و لذلك قابلته الملائكه بنوع كلام فيه تسليتهما و تطيب أنفسهما فما كان هو و لا أهله يعلم أن سيرزق ذريه، و قوله(ع): و من ذريتي، بعد

قوله تعالى: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**، قول من يعتقد لنفسه ذريته، وكيف يسع من له أدنى دربه بأدب الكلام و خاصه مثل إبراهيم الخليل في خطاب يخاطب به ربه الجليل أن يتفوه بما لا-علم له به؟ و لو كان ذلك لكان من الواجب أن يقول: و من ذريتي إن رزقتني ذريه أو ما يؤدي هذا المعنى فالقصه واقعه كما ذكرنا في أواخر عهد إبراهيم بعد البشاره.

على أن قوله تعالى: **وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**، يدل على أن هذه الإمامه الموهوبه إنما كانت بعد ابتلائه بما ابتلاه الله به من الامتحانات و ليست هذه إلا أنواع البلاء التي ابتلى (ع) بها في حياته، و قد نص القرآن على أن من أوضحها بلاء قضيه ذبح إسماعيل، قال تعالى: **«قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ»** X إلى أن قال X: **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ**: الصافات-١٠٦.

و القضيه إنما وقعت في كبر إبراهيم، كما حكى الله تعالى عنه من قوله:

**«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ، وَ إِسْحَاقَ، إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ»**: إبراهيم-٤١.

و ليرجع إلى ألفاظ الآيه فقوله: **وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ**، الابتلاء و البلاء بمعنى واحد تقول: ابتليته و بلوته بكذا، أى امتحنته و اختبرته، إذا قدمت إليه أمرا أو أوقعته في حدث فاختبرته بذلك و استظهرت ما عنده من الصفات النفسانيه الكامنه عنده كالإطاعه و الشجاعه و السخاء و العفه و العلم و الوفاء أو مقابلاتها، و لذلك لا يكون الابتلاء إلا بعمل فإن الفعل هو الذى يظهر به الصفات الكامنه من الإنسان دون القول الذى يحتمل الصدق و الكذب قال تعالى: **«إِنَّا بَلَوْنَا هُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ»**: ن-١٧، و قال تعالى: **«إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ»**: البقره-٢٤٩.

فتعلق الابتلاء، فى الآيه بالكلمات إن كان المراد بها الأقوال إنما هو من جهه تعلقها بالعمل و حكايتها عن العهود و الأوامر المتعلقة بالفعل كقوله تعالى **«وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا»**: البقره-٨٣، أى عاشروهم معاشره جميله و قوله:

، الكلمات و هي جمع كلمه و إن أطلقت في القرآن على العين الخارجى دون اللفظ و القول، كقوله تعالى: «بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» آل عمران-٤٥، إلا- أن ذلك بعنايه إطلاق القول كما قال تعالى: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» آل عمران-٥٩.

و جميع ما نسب إليه تعالى من الكلمه فى القرآن أريد بها القول كقوله تعالى: «وَلَا تُدْرِكُهُ الْكَلِمَاتُ الْغَيْبِيَّةُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْكَلِمَاتُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» الأنعام-٣٤، و قوله: «لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ» يونس-٦٤، و قوله: «يُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ» الأنفال-٧، و قوله: «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ» يونس-٩٦، و قوله: «وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ» الزمر-٧١، و قوله «وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ» المؤمن-٦، و قوله: «وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَيَّئٍ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» الشورى-١٤، و قوله: «وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا» التوبه-٤١، و قوله: «قَالَ فَالْحَقُّ، وَالْحَقُّ أَقُولُ» ص-٨٤، و قوله:

«إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» النحل-٤٠، فهذه و نظائرها أريد بها القول بعنايه أن القول توجيه ما يريد المتكلم إعلامه المخاطب ما عنده كما فى الأخبار أو لغرض تحميله عليه كما فى الإنشاء و لذلك ربما تتصف فى كلامه تعالى بالتمام كقوله تعالى: «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ» الأنعام-١١٥، و قوله تعالى: «وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسَيْنِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» الأعراف-١٣٦، كأن الكلمه إذا صدرت عن قائلها فهى ناقصه بعد، لم تتم، حتى تلبس لباس العمل و تعود صدقا.

و هذا لا ينافى كون قوله تعالى فعله، فإن الحقائق الواقعيه لها حكم، و للعنايات الكلاميه اللفظيه حكم آخر، فما يريد الله سبحانه إظهاره لواحد من أنبيائه، أو غيرهم بعد خفائه، أو يريد تحميله على أحد قول و كلام له لاشتماله على غرض القول و الكلام و تضمنه غايه الخبر و النبأ، و الأمر و النهى، و إطلاق القول و الكلمه على مثل ذلك شائع فى الاستعمال إذا اشتمل على ما يؤديه القول و الكلمه، تقول: لأفعلن كذا و كذا، لقول قلته و كلمه قدمتها، و لم

تقل قولاً، ولا قدمت كلمه، وإنما عزمت عزمه لا تنقضها شفاعه شفيح أو وهن إرادته، و منه قول عنتره:

و قولى كلما جشأت و جاشت.مكانك تحمدى أو تستريحى.

يريد بالقول توطين نفسه على الثبات و العزم، على لزومها مكانها لتفوز بالحمد إن قتل، و بالاستراحه إن غلب.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أن المراد بقوله تعالى: بِكَلِمَاتٍ، قضايا ابتلى بها و عهود إلهيه أريدت منه، كابتلائه بالكواكب و الأصنام، و النار و الهجره و توضيحه بابنه و غير ذلك و لم يبين فى الكلام ما هى الكلمات لأن الغرض غير متعلق بذلك، نعم قوله: قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، من حيث ترتبه على الكلمات تدل على أنها كانت أموراً تثبت بها لياقته، (ع) لمقام الإمامه.

فهذه هى الكلمات و أما إتمامهن فإن كان الضمير فى قوله تعالى: فَأَتَمَّهُنَّ راجعاً إلى إبراهيم كان معنى إتمامهن إتيانه (ع) ما أريد منه، و امتثاله لما أمر به، و إن كان الضمير راجعاً إليه تعالى كما هو الظاهر كان المراد توفيقه لما أريد منه، و مساعدته على ذلك، و أما ما ذكره بعضهم: أن المراد بالكلمات قوله تعالى: قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، إلى آخر الآيات فمعنى لا ينبغى الركون إليه إذ لم يعهد فى القرآن إطلاق الكلمات على جمل الكلام.

قوله تعالى: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، أى مقتدى يقتدى بك الناس، و يتبعونك فى أقوالك و أفعالك، فالإمام هو الذى يقتدى و يأتى به الناس، و لذلك ذكر عده من المفسرين أن المراد به النبوه، لأن النبى يقتدى به أمته فى دينهم، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ، إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» :النساء - ٦٣، لكنه فى غايه السقوط.

أما أولاً: فلأن قوله: إِمَامًا، مفعول ثان لعامله الذى هو قوله:

جَاعِلُكَ

و اسم الفاعل لا يعمل إذا كان بمعنى الماضى، و إنما يعمل إذا كان

بمعنى الحال أو الاستقبال فقولهُ، إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، وعده (ع) بالإمامه فى ما سيأتى، مع أنه وحى لا- يكون إلا- مع نبوه، فقد كان (ع) نبيا قبل تقلده الإمامه، فليست الإمامه فى الآيه بمعنى النبوه (ذكره بعض المفسرين). و أما ثانيا: فلأننا بينا فى صدر الكلام: أن قصه الإمامه، إنما كانت فى أواخر عهد إبراهيم (ع) بعد مجىء البشاره له ياسحق و إسماعيل، و إنما جاءت الملائكه بالبشاره فى مسيرهم إلى قوم لوط و إهلاكهم، و قد كان إبراهيم حينئذ نبيا مرسلا، فقد كان نبيا قبل أن يكون إماما فإمامته غير نبوته.

و منشأ هذا التفسير و ما يشابهه الابتذال الطارئ على معانى الألفاظ الواقعه فى القرآن الشريف فى أنظار الناس من تكرر الاستعمال بمرور الزمن و من جمله تلك الألفاظ لفظ الإمامه، ففسره قوم: بالنبوه و التقدم و المطاعيه مطلقا، و فسره آخرون بمعنى الخلافه أو الوصايه، أو الرئاسه فى أمور الدين و الدنيا- و كل ذلك لم يكن- فإن النبوه معناها: تحمل النبيا من جانب الله و رساله معناها تحمل التبليغ، و المطاعيه و الإطاعه قبول الإنسان ما يراه أو يأمره غيره و هو من لوازم النبوه و رساله، و الخلافه نحو من النيابة، و كذلك و الوصايه، و الرئاسه نحو من المطاعيه و هو مصدرية الحكم فى الاجتماع و كل هذه المعانى غير معنى الإمامه التى هى كون الإنسان بحيث يقتدى به غيره بأن يطبق أفعاله و أقواله على أفعاله و أقواله بنحو التبعية، و لا معنى لأن يقال لنبى من الأنبياء مفترض الطاعه إني جاعلك للناس نبيا، أو مطاعا فيما تبلغه بنبوتك، أو رئيسا تأمر و تنهى فى الدين، أو وصيا، أو خليفه فى الأرض تقضى بين الناس فى مرافعاتهم بحكم الله.

و ليست الإمامه تخالف الكلمات السابقه و تختص بموردها بمجرد العناية اللفظيه فقط، إذ لا يصح أن يقال لنبى- من لوازم نبوته كونه مطاعا بعد نبوته- إني جاعلك مطاعا للناس بعد ما جعلتك كذلك، و لا يصح أن يقال له ما يثول إليه معناه و إن اختلف بمجرد عناية لفظيه، فإن المحذور هو المحذور، و هذه المواهب الإلهيه ليست مقصوره على مجرد المفاهيم اللفظيه، بل دونها حقائق من المعارف

الحقيقيه، فلمعنى الإمامه حقيقه وراء هذه الحقائق.

و الذى نجده فى كلامه تعالى: أنه كلما تعرض لمعنى الإمامه تعرض معها للهدايه تعرض التفسير، قال تعالى فى قصص إبراهيم (ع): «و وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا»: الأنبياء-٧٣، و قال سبحانه: «وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَايِعَاتًا يُوقِنُونَ»: السجده-٢٤، فوصفها بالهدايه وصف تعريف، ثم قيدها بالأمر، فبين أن الإمامه ليست مطلق الهدايه، بل هى الهدايه التى تقع بأمر الله، و هذا الأمر هو الذى بين حقيقته فى قوله: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ»: يس-٨٣، و قوله: «وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَّمَحٍ بِالْبَصْرِ»: القمر-٥٠، و سببين فى الآيتين أن الأمر الإلهى و هو الذى تسميه الآيه المذكوره بالملكوت وجه آخر للخلق، يواجهون به الله سبحانه، طاهر مطهر من قيود الزمان و المكان خال من التغير و التبديل و هو المراد بكلمه كُنْ الذى ليس إلا وجود الشىء العينى، و هو قبال الخلق الذى هو وجه آخر من وجهى الأشياء، فيه التغير و التدريج و الانطباق على قوانين الحركه و الزمان، و ليكن هذا عندك على إجماله حتى يأتيك تفصيله إن شاء الله العزيز.

و بالجملة فالإمام هاد يهدى بأمر ملكوتى يصاحبه، فالإمامه بحسب الباطن نحو ولايه للناس فى أعمالهم، و هدايتها إيصالها إياهم إلى المطلوب بأمر الله دون مجرد إراءه الطريق الذى هو شأن النبى و الرسول و كل مؤمن يهدى إلى الله سبحانه بالنصح و المواعظه الحسنه، قال تعالى: «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ» و يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»: إبراهيم-٤، و قال تعالى: فى مؤمن آل فرعون، «وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ»: مؤمن-٣٨، و قال تعالى: «فَلَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»: التوبه-١٢٢، و سيتضح لك هذا المعنى مزيد اتضاح.

ثم إنه تعالى بين سبب موهبه الإمامه بقوله: «لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَايِعَاتًا يُوقِنُونَ

الآية» فيبين أن الملا-ك في ذلك صبرهم في جنب الله-و قد أطلق الصبر-فهو في كل ما يتلى و يمتحن به عبد في عبوديته، و كونهم قبل ذلك موقنين، و قد ذكر في جملة قصص إبراهيم(ع) قوله: «وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ»: الأنعام-٧٥، و الآية كما ترى تعطى بظاها: أن إراءه الملكوت لإبراهيم كانت مقدمه لإفاضه اليقين عليه، و يتبين به أن اليقين لا ينفك عن مشاهدته الملكوت كما هو ظاهر قوله تعالى: «كَأَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ»: التكاثر- ٦ و قوله تعالى: كَلَّا- بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ X- إلى أن قال- X كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ، وَ مَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ»: المطففين-٢١ و هذه الآيات تدل على أن المقربين هم الذين لا- يحجبون عن ربهم بحجاب قلبي و هو المعصية و الجهل و الريب و الشك، فهم أهل اليقين بالله، و هم يشهدون عليين كما يشهدون الجحيم.

و بالجملة فالإمام يجب أن يكون إنسانا ذا يقين مكشوف له عالم الملكوت-متحققا بكلمات من الله سبحانه-و قد مر أن الملكوت هو الأمر الذي هو الوجه الباطن من وجهي هذا العالم، فقوله تعالى: يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا، يدل دلاله و اوضحه على أن كل ما يتعلق به أمر الهداية-و هو القلوب و الأعمال-فالإمام باطنه و حقيقته، و وجهه الأمرى حاضر عنده غير غائب عنه، و من المعلوم أن القلوب و الأعمال كسائر الأشياء في كونها ذات وجهين، فالإمام يحضر عنده و يلحق به أعمال العباد، خيرها و شرها، و هو المهيم على السبيلين جميعا، سبيل السعادة و سبيل الشقاوه. و قال تعالى أيضا:

«يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ»: الإسراء-٧١ و سيجيء تفسيره بالإمام الحق دون كتاب الأعمال، على ما يظن من ظاهاها، فالإمام هو الذي يسوق الناس إلى الله سبحانه يوم تبلى السرائر، كما أنه يسوقهم إليه في ظاهر هذه الحياه الدنيا و باطنها، و الآية مع ذلك تفيد أن الإمام لا يخلو عنه زمان من الأزمنه، و عصر من الأعصار، لمكان قوله تعالى: كُلُّ أُنَاسٍ عَلَى مَا سِجِيءٌ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ مِنْ تَقْرِيْبِهِ.

ثم إن هذا المعنى أعنى الإمامه، على شرافته و عظمته، لا يقوم إلا بمن كان سعيد الذات بنفسه، إذ الذي ربما تلبس ذاته بالظلم و الشقاء، فإنما سعاده بهدايه من غيره، و قد قال الله تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى»:

يونس-٣٥. وقد قوبل في الآيه بين الهادى إلى الحق و بين غير المهتدى إلا بغيره، أعنى المهتدى بغيره، وهذه المقابله تقتضى أن يكون الهادى إلى الحق مهتديا بنفسه، و أن المهتدى بغيره لا يكون هاديا إلى الحق البته.

و يستتج من هنا أمران: أحدهما: أن الإمام يجب أن يكون معصوما عن الضلال و المعصيه، و إلا كان غير مهتد بنفسه، كما مر كما، يدل عليه أيضا قوله تعالى:

«وَجَعَلْنَا لَهُمْ آيَاتٍ أَنْبَأُوا لَنَا بِحَدِيثِنَا وَ كَانُوا لَنَا غَافِلِينَ» :الأنبياء-٧٣ فأفعال الإمام خيرات يهتدى إليها لا بهدايه من غيره بل باهداء من نفسه بتأييد إلهى، و تسديد ربانى و الدليل عليه قوله تعالى:

«فَعَلَّ الْخَيْرَاتِ» بناء على أن المصدر المضاف يدل على الوقوع، ففرق بين مثل قولنا:

و أوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات فلا يدل على التحقق و الوقوع، بخلاف قوله «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلَّ الْخَيْرَاتِ» فهو يدل على أن ما فعلوه من الخيرات إنما هو بوحى باطنى و تأييد سماوى. الثانى: عكس الأمر الأول و هو أن من ليس بمعصوم فلا- يكون إماما هاديا إلى الحق البته.

و بهذا البيان يظهر: أن المراد بالظالمين فى قوله تعالى، «قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» مطلق من صدر عنه ظلم ما، من شرك أو معصيه، و إن كان منه فى برهه من عمره، ثم تاب و صلح.

و قد سئل بعض أساتيدنا رحمه الله عليه: عن تقريب دلالة على عصمه الإمام.

فأجاب: أن الناس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام: من كان ظالما فى جميع عمره، و من لم يكن ظالما فى جميع عمره، و من هو ظالم فى أول عمره دون آخره، و من هو بالعكس هذا. و إبراهيم(ع) أجل شأننا من أن يسأل الإمامه للقسمة الأول و الرابع من ذريته، فبقى قسمان و قد نفى الله أحدهما، و هو الذى يكون ظالما فى أول عمره دون آخره، فبقى الآخر، و هو الذى يكون غير ظالم فى جميع عمره انتهى و قد ظهر مما تقدم من البيان أمور:

الأول: إن الإمامه لمجعله.

الثانى: أن الإمام يجب أن يكون معصوما بعصمه إلهيه.



الثالث: أن الأرض و فيه الناس، لا تخلو عن إمام حق.

الرابع: أن الإمام يجب أن يكون مؤيدا من عند الله تعالى.

الخامس: أن أعمال العباد غير محجوبه عن علم الإمام.

السادس: أنه يجب أن يكون عالما بجميع ما يحتاج إليه الناس في أمور معاشهم و معادهم.

السابع: أنه يستحيل أن يوجد فيهم من يفوقه في فضائل النفس.

فهذه سبع مسائل هي أمهات مسائل الإمامه: تعطىها الآيه الشريفه بما ينضم إليها من الآيات و الله الهادي.

فإن قلت: لو كانت الإمامه هي الهدايه بأمر الله تعالى: و هي الهدايه إلى الحق الملازم مع الاهتداء بالذات كما استفيد من قوله تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ» الآية كان جميع الأنبياء أئمه قطعاً، لوضوح أن نبوه النبي لا يتم إلا باهتداء من جانب الله تعالى بالوحي، من غير أن يكون مكتسباً من الغير، بتعليم أو إرشاد و نحوهما، و حينئذ فموهبه النبوه تستلزم موهبه الإمامه، و عاد الإشكال إلى أنفسكم.

قلت: الذي يتحصل من البيان السابق المستفاد من الآية أن الهدايه بالحق و هي الإمامه تستلزم الاهتداء بالحق، و أما العكس و هو أن يكون كل من اهتدى بالحق هادياً لغيره بالحق، حتى يكون كل نبي لاهتدائه بالذات إماماً، فلم يتبين بعد، و قد ذكر سبحانه هذا الاهتداء بالحق، من غير أن يقرنه بهدايه الغير بالحق في قوله تعالى:

«وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلِيَّاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ.

وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالتُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ»: الأنعام- ٩٠، و سياق الآيات كما ترى يعطى أن هذه الهدايه أمر ليس من شأنه أن يتغير و يتخلف، و أن هذه الهدايه لن ترتفع بعد رسول الله عن أمته، بل عن ذريه إبراهيم منهم خاصة، كما يدل

عليه قوله تعالى: «وَ إِذْ قَالَ اِبْرَاهِيمُ لِاَبِيهِ وَ قَوْمِهِ اِنِّى بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ اِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى فَاِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»: الزخرف-٢٨، فأعلم قومه ببراءته فى الحال و أخبرهم بهدأيته فى المستقبل، و هى الهدأيه بأمر الله حقا، لا الهدأيه التى يعطيها النظر و الاعتبار، فإنها كانت حاصله مدلولا عليها بقوله: اِنِّى بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ اِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى، ثم أخبر الله: أنه جعل هذه الهدأيه كلمه باقيه فى عقب إبراهيم، و هذا أحد الموارد التى أطلق القرآن الكلمه فيها على الأمر الخارجى دون القول، كقوله تعالى: «وَ اَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوٰى وَ كَانُوا اَٰحَقَّ بِهَا»: الفتح-٢٦.

و قد تبين بما ذكر: أن الإمامه فى ولد إبراهيم بعده، و فى قوله تعالى: «قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ» إشاره إلى ذلك، فإن إبراهيم (ع) إنما كان سأل الإمامه لبعض ذريته لا لجميعهم، فأجيب: بنفيها عن الظالمين من ولده، و ليس جميع ولده ظالمين بالضروره حتى يكون نفيها عن الظالمين نفيها عن الجميع، فيه إجابته لما سأله مع بيان أنها عهد، و عهده تعالى لا ينال الظالمين.

قوله تعالى: «لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ»، فى التعبير إشاره إلى غايه بعد الظالمين عن ساحة العهد الإلهى، فهى من الاستعاره بالكنايه.

### (بحث روائى)

فى الكافى، عن الصادق (ع): أن الله عز و جل اتخذ إبراهيم عبدا قبل أن يتخذه نبيا، و أن الله اتخذه نبيا قبل أن يتخذه رسولا، و أن الله اتخذه رسولا قبل أن يتخذه خليلا، و أن الله اتخذه خليلا قبل أن يتخذه إماما، فلما جمع له الأشياء قال: «إِنِّى لَجَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» - قال (ع): فمن عظمها فى عين إبراهيم قال: «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ» قال: لا يكون السفیه إمام التقى.

أقول: و روى هذا المعنى أيضا عنه بطريق آخر و عن الباقر (ع) بطريق آخر، و رواه المفيد عن الصادق (ع).

قوله: إن الله اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، يستفاد ذلك من قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ لَعَالِمِينَ -X إلى قوله X- مِنَ الشَّاهِدِينَ»: الأنبياء-٥٦، وهو اتخاذ بالعبودية في أول أمر إبراهيم.

و اعلم أن اتخاذه تعالى أحداً من الناس عبداً غير كونه في نفسه عبداً، فإن العبدية من لوازم الإيجاد و الخلقه، لا- ينفك عن مخلوق ذي فهم و شعور، و لا يقبل الجعل و الاتخاذ و هو كون الإنسان مثلاً مملوك الوجود لربه، مخلوقاً مصنوعاً له، سواء جرى في حياته على ما يستدعيه مملوكيته الذاتية، و استسلم لربوبيه ربه العزيز، أو لم يجر على ذلك، قال تعالى: «إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا»: مريم-٩٤، و إن كان إذا لم يجر على رسوم العبودية و سنن الرقيہ استكباراً في الأرض و عتوا كان من الحرى أن لا يسمى عبداً بالنظر إلى الغايات، فإن العبد هو الذى أسلم وجهه لربه، و أعطاه تدبير نفسه، فينبغى أن لا يسمى بالعبد إلا من كان عبداً في نفسه و عبداً في عمله، فهو العبد حقيقه، قال تعالى: «وَ عَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا»: الفرقان-٦٣. و على هذا فاتخاذه تعالى إنساناً عبداً- و هو قبول كونه عبداً و الإقبال عليه بالربوبية- هو الولاية، و هو تولى أمره كما يتولى الرب أمر عبده، و العبودية مفتاح للولاية، كما يدل عليه قوله تعالى: «إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ، وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ»: الأعراف-١٩٦، أى اللاتقين للولاية، فإنه تعالى سمى النبي في آيات من كتابه بالعبد، قال تعالى: «الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدَهُ الْكِتَابَ»: الكهف-١، و قال تعالى: «يُنزِّلُ عَلَيَّ عَبْدَهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ»: الحديد-٩ و قال تعالى: «قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ»: الجن-١٩، فقد ظهر أن الاتخاذ للعبودية هو الولاية.

و قوله(ع): و أن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، الفرق بين النبي و الرسول على ما يظهر

من الروايات المرويه عن أئمه أهل البيت: أن النبي هو الذى يرى فى المنام ما يوحى به إليه، و الرسول هو الذى يشاهد الملك فيكلمه، و الذى يظهر من قصص إبراهيم هو هذا الترتيب، قال تعالى: «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ، وَ لَا يُبْصِرُ، وَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا»: مريم-٤٢، فظاهر الآيه أنه(ع) كان صديقاً نبياً حين يخاطب أباه بذلك، فيكون هذا تصديقاً لما أخبر به إبراهيم(ع) فى أول وروده على قومه: «إِنِّي

﴿بِرَاءٍ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾: الزخرف-٢٧، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾: هود-٦٩، والقصة-وهي تتضمن مشاهدته الملك وتكليمه-واقعه في حال كبر إبراهيم(ع) بعد ما فارق أباه وقومه.

وقوله(ع):﴿إن الله اتخذني رسولا قبل أن يتخذني خليلا، يستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿وَ اتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾: النساء-١٢٥، فإن ظاهره أنه إنما اتخذني خليلا-لهذه الملة الحنيفة التي شرعها بأمر ربه إذ المقام مقام بيان شرف ملة إبراهيم الحنيف، التي تشرف بسببها إبراهيم(ع) بالخله والخليل أخص من الصديق فإن أحد المتحابين يسمى صديقا إذا صدق في معاشرته ومصاحبته ثم يصير خليلا إذا قصر حوائجه على صديقه، والخله الفقر والحاجة.

وقوله(ع):﴿و أن الله اتخذني خليلا قبل أن يتخذني إماما، الخ يظهر معناه مما تقدم من البيان.

وقوله:قال لا يكون السفيه إمام التقى إشاره إلى قوله تعالى، ﴿وَمَنْ يَزْعُبْ عَنْ مَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: البقره-١٣١، فقد سمي الله سبحانه الرغبه عن ملة إبراهيم وهو الظلم سفها، وقابلها بالاصطفاء، وفسر الاصطفاء بالإسلام، كما يظهر بالتدريج في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ ثم جعل الإسلام والتقوى واحدا أو في مجرى واحد في قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: آل عمران-١٠٢ فافهم ذلك.

وعن المفيد عن درست وهشام عنهم(ع)قال:قد كان إبراهيم نبيا وليس بإمام، حتى قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فقال الله تبارك وتعالى: لا ينال عهد الظالمين، من عبد صنما أو وثنا أو مثالا، لا يكون إماما.

أقول:وقد ظهر معناه مما مر.

وفي أمالي الشيخ،مسندا،و عن مناقب ابن المغازلي مرفوعا عن ابن مسعود عن

النبى ص: فى الآيه عن قول الله لإبراهيم: من سجد لصنم دونى لا أجعله إماما. قال ((ع)) و انتهت الدعوه إلى و إلى أخى على، لم يسجد أحدنا لصنم قط.

و فى الدر المنثور، أخرج وكيع و ابن مردويه عن على بن أبى طالب (ع) عن النبى: فى قوله: «لَا يَدْرِي عَهْدِي الظَّالِمِينَ» قال: لا طاعه إلا فى المعروف.

و فى الدر المنثور، أيضا: أخرج عبد بن حميد عن عمران بن حصين سمعت النبى يقول:

لا طاعه لمخلوق فى معصيه الله.

أقول: معانيها ظاهره مما مر.

و فى تفسير العياشى، بأسانيد عن صفوان الجمال قال: كنا بمكة فجرى الحديث فى قول الله: «وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» قال: فأتهمن بمحمد و على و الأئمه من ولد على فى قول الله: «ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» .

أقول: و الروايه مبنيه على كون المراد بالكلمه الإمامه كما فسرت بها فى قوله تعالى: «فَأَنَّهُ سَيُهْدَىٰ وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ» الآيه فىكون معنى الآيه: «وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ» هن إمامته، و إمامه إسحاق و ذريته، و أتمهن بإمامه محمد، و الأئمه من أهل بيته من ولد إسماعيل ثم بين الأمر بقوله: «قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» إلى آخر الآيه

## [سوره البقره (٢): الآيات ١٢٥ الى ١٢٩]

### اشاره

وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ أَمْنًا وَ اتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِلًّا وَ عَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تَبَّ عَلَيْنَا إِنْكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يَزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)

**(بيان) [قصة بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة و ما يتعلق بها من دعائه للنبي و أمته و معنى ذلك.]**

قوله تعالى: **وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً** إشاره إلى تشريع الحج و الأمن في البيت، و المثابه هي المرجع، من تاب يثوب إذا رجع.

قوله تعالى: **«وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ كَأَنه عطف على قوله: جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً**، بحسب المعنى، فإن قوله: **جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً**، لما كان إشاره إلى التشريع كان المعنى و إذ قلنا للناس ثوبوا إلى البيت و حجوا إليه، **وَ اتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ**، و ربما قيل إن الكلام على تقدير القول، و التقدير: و قلنا اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، و المصلى اسم مكان من الصلاة بمعنى الدعاء أى اتخذوا من مقامه (ع) مكانا للدعاء و الظاهر أن قوله: **جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً** إلتخ بمنزله التوطئه أشير به إلى مناط تشريع الصلاة و لذا لم يقل: و صلوا، فى مقام إبراهيم، بل قال: **وَ اتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ**، فلم يعلق الأمر بالصلاة فى المقام، بل علق على اتخاذ المصلى منه.

قوله تعالى: وَ عَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا ، العهد هو الأمر و التطهير إما تخلص البيت لعباده الطائفين، و العاكفين، و المصلين، و نسكهم فيكون من الاستعاره بالكنايه، و أصل المعنى: أن خلصا بيتي لعباده العباد، و ذلك تطهير و إما تنظيفه من الأقدار و الكثافات الطارئه من عدم مبالاه الناس، و الركع السجود جمعا راعع و ساجد و كان المراد به المصلون.

قوله تعالى: وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ ، هذا دعاء دعا به إبراهيم يسأل به الأمن على أهل مكه و الرزق و قد أجيبت دعوته، و حاشا لله سبحانه أن ينقل في كلامه دعاء لا يستجيبه و لا يرده في كلامه الحق فيشتمل كلامه على هجاء لغو لغا به لاغ جاهل، و قد قال تعالى: «وَ الْحَقُّ أَقُولُ» :ص-٨٤، و قال تعالى: «إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ» :الطارق-١٤.

و قد نقل القرآن العظيم عن هذا النبي الكريم دعوات كثيره دعا بها و سألها ربه كدعائه لنفسه في بادئ أمره، و دعائه عند مهاجرته إلى سوريه و دعائه و مسألته بقاء الذكر الخير، و دعائه لنفسه و ذريته و لوالديه و للمؤمنين و المؤمنات، و دعائه لأهل مكه بعد بناء البيت، و دعائه و مسألته بعثه النبي من ذريته. و من دعواته و مسأله التي تجسم آماله و تشخص مجاهداته و مساعيه في جنب الله و فضائل نفسه المقدسه، و بالجملة تعرف موقعه و زلفاه من الله عز اسمه، و سائر قصصه و ما مدحه به ربه، يستنبط شرح حياته الشريفه، و سنتعرض للميسور من ذلك في سوره الأنعام.

قوله تعالى: مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ، لما سأل(ع) لبلد مكه الأمن، ثم سأل لأهله أن يرزقوا من الثمرات، استشعر: أن الأهل سيكون منهم مؤمنون، و كفرون و دعاؤه للأهل بالرزق يعم الكافر و المؤمن، و قد تبرأ من الكافرين و ما يعبدونه، قال تعالى «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ» :التوبه-١١٤، فشهد تعالى له: بالبراءه و التبري عن كل عدو لله، حتى أبيه، و لذلك لما استشعر ما استشعره من عموم دعوته قيدها بقوله من آمن منهم- و هو يعلم أن رزقهم من الثمرات لا- يتم من دون شركه الكافرين على ما يحكم به ناموس الحياه الدنيويه الاجتماعيه-غير أنه خص مسألته-و الله أعلم- بما يحكم لسائر عبادته، و يريد في حقهم، فأجيب((ع)) بما يشمل المؤمن و الكافر، و وفيه

بيان أن المستجاب من دعوته ما يجرى على حكم العاده و قانون الطبيعه من غير خرق للعاده، و إبطال لظاهر حكم الطبيعه، و لم يقل: و ارزق من آمن من أهله من الثمرات لأن المطلوب استيهاب الكرامه للبلد لكرامه البيت المحرم، و لا ثمره تحصل فى واد غير ذى زرع، و وقع فيه البيت، و لو لا ذلك لم يعمر البلد، و لا وجد أهلا يسكنونه.

قوله تعالى: وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا، قرئ فأمتعته من باب الإفعال و التفعيل و الإمتاع و التمتع بمعنى واحد.

قوله تعالى: ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ إِنْ كُنَّ مُّكْرِمَةً لِأُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا، فيه إشاره إلى مزيد إكرام البيت و تطيب لئفس إبراهيم ((ع))، كأنه قيل: ما سألته من إكرام البيت برزق المؤمنين من أهل هذا البلد استجبته و زياده، و لا يغتر الكافر بذلك أن له كرامه على الله، و إنما ذلك إكرام لهذا البلد، و إجابته لدعوتك بأزيد مما سألته، فسوف يضطر إلى عذاب النار، و بئس المصير.

قوله تعالى: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ، القواعد جمع قاعده و هى ما قعد من البناء على الأرض، و استقر عليه الباقي، و رفع القواعد من المجاز بعد ما يوضع عليها منها، و نسبه الرفع المتعلق بالمجموع إلى القواعد وحدها.

و فى قوله تعالى: مِنَ الْبَيْتِ تلميح إلى هذه العنايه المجازيه.

قوله تعالى: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، دعاء لإبراهيم و إسماعيل، و ليس على تقدير القول، أو ما يشبهه، و المعنى يقولان: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنْ كُنَّ مُّكْرِمَةً لِأُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا، بل هو فى الحقيقة حكاية المقول نفسه، فإن قوله: يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ حكاية الحال الماضيه، فهما يمثلان بذلك تمثيلا كأنهما يشاهدان و هما مشتغلان بالرفع، و السامع يراهما على حالهما ذلك ثم يسمع دعاءهما بألفاظهما من غير وساطه المتكلم المشير إلى موقفهما و عملهما، و هذا كثير فى القرآن، و هو من أجمل السياقات القرآنيه- و كلها جميل- و فيه من تمثيل القصة و تقريبه إلى الحس ما لا يوجد و لا شىء من نوع بداعته فى التقبل بمثل القول و نحوه.

و فى عدم ذكر متعلق التقبل- و هو بناء البيت- تواضع فى مقام العبوديه،



و استحقر لما عملا به و المعنى ربنا تقبل منا هذا العمل اليسير إنك أنت السميع لدعوتنا، العليم بما نويناه فى قلوبنا.

قوله تعالى: رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ، وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ، من البديهى أن الإسلام على ما تداول بيننا من لفظه، و يتبادر إلى أذهاننا من معناه أول مراتب العبوديه، و به يمتاز المنتحل من غيره، و هو الأخذ بظاهر الاعتقادات و الأعمال الدينيه، أعم من الإيمان و النفاق، و إبراهيم(ع) - و هو النبى الرسول أحد الخمسه أولى العزم، صاحب المله الحنيفيه - أجل من أن يتصور فى حقه أن لا يكون قد ناله إلى هذا الحين، و كذا ابنه إسمعيل رسول الله و ذبيحه، أو يكونا قد نالاه و لكن لم يعلما بذلك، أو يكونا علما بذلك و أرادا البقاء على ذلك، و هما فى ما هما فيه من القربى و الزلفى، و المقام مقام الدعوه عند بناء البيت المحرم، و هما أعلم بمن يسألانه، و أنه من هو، و ما شأنه، على أن هذا الإسلام من الأمور الاختياريه التى يتعلق بها الأمر و النهى كما قال تعالى: «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِمْ قَالَ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»: البقره - 131، و لا معنى لنسبه ما هو كذلك إلى الله سبحانه أو مسأله ما هو فعل اختيارى للإنسان من حيث هو كذلك من غير عناية يصح معها ذلك.

فهذا الإسلام المسئول غير ما هو المتداول المتبادر عندنا منه، فإن الإسلام مراتب و الدليل على أنه ذو مراتب قوله تعالى: «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِمْ قَالَ أَسْلِمْتُ الْآيَهُ» حيث يأمرهم إبراهيم بالإسلام و قد كان مسلما، فالمراد بهذا الإسلام المطلوب غير ما كان عنده من الإسلام الموجود، و لهذا نظائر فى القرآن.

فهذا الإسلام هو الذى سنفسره من معناه، و هو تمام العبوديه و تسليم العبد كل ما له إلى ربه، و هو إن كان معنى اختياريا للإنسان من طريق مقدماته إلا أنه إذا أضيف إلى الإنسان العادى و حاله القلبي المتعارف كان غير اختيارى بمعنى كونه غير ممكن النيل له - و حاله حاله - كسائر مقامات الولايه و مراحلها العالیه، و كسائر معارج الكمال البعيده عن حال الإنسان المتعارف المتوسط الحال بواسطه مقدماته الشاقه، و لهذا يمكن أن يعد أمرا إليها خارجا عن اختيار الإنسان، و يسأل من الله سبحانه أن يفيض به، و أن يجعل الإنسان متصفا به.

على أن هنا نظراً أدق من ذلك، وهو أن الذى ينسب إلى الإنسان و يعد اختيارياً له، هو الأفعال، و أما الصفات و الملكات  
الحاصلة من تكرر صدورها فليست اختيارية بحسب الحقيقة، فمن الجائز أو الواجب أن ينسب إليه تعالى، و خاصة إذا كانت من  
الحسنات و الخيرات التى نسبتها إليه تعالى، أولى من نسبتها إلى الإنسان، و على ذلك جرى ديدن القرآن، كما فى قوله تعالى:  
«رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِمَّنْ ذُرِّيَّتِي» : إبراهيم-٤٠، و قوله تعالى: «وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ» : الشعراء-٨٣، و قوله تعالى: «رَبِّ  
أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ، وَ عَلَى وَالِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ» : النمل-١٨، و قوله تعالى: «رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا  
مُسْلِمِينَ لَكَ» الآية، فقد ظهر أن المراد بالإسلام غير المعنى الذى يشير إليه قوله تعالى: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ  
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» : الحجرات-١٤، بل معنى أرقى و أعلى منه سيجىء بيانه.

قوله تعالى: «وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تَبَّ عَلَيْنَا إِنْ كُنَّا نَتُوبُ الرَّحِيمِ» ، يدل على ما مر من معنى الإسلام أيضاً، فإن المناسك جمع  
منسك بمعنى العبادة، كما فى قوله تعالى:

«وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسِكاً» : الحج-٣٤، أو بمعنى المتعبد، أعنى الفعل المأتى به عباده و إضافه المصدر يفيد التحقق، فالمراد  
بمناسكنا هى الأفعال العبادية الصادره منهما و الأعمال التى يعملانها دون الأفعال، و الأعمال التى يراد صدورها منهما، فليس  
قوله: أَرِنَا بمعنى علمنا أو وفقنا، بل التسديد بآرائه حقيقة الفعل الصادر منهما، كما أشرنا إليه فى قوله تعالى: «وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ  
الْخَيْرَاتِ، وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ آتَاءَ الزَّكَاةِ» : الأنبياء-٧٣، و سنينه فى محله: أن هذا الوحي تسديد فى الفعل، لا- تعليم للتكليف  
المطلوب، و كأنه إليه الإشارة بقوله تعالى: «وَ اذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ، وَ إِسْحَاقَ، وَ يَعْقُوبَ، أُولَى الْأَيْدِي وَ الْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصَيْنَاهُمْ  
بِخَالصِّهِ ذِكْرَى الدَّارِ» : ص-٤٦.

فقد تبين أن المراد بالإسلام و البصيره فى العبادة، غير المعنى الشائع المتعارف، و كذلك المراد بقوله تعالى: «وَ تَبَّ عَلَيْنَا»، لأن  
إبراهيم و إسماعيل كانا نبيين معصومين بعصمه الله تعالى، لا يصدر عنهما ذنب حتى يصح توبتهما منه، كتوبتنا من المعاصى

فإن قلت: كل ما ذكر من معنى الإسلام و إراءه المناسك و التوبه مما يليق بشأن إبراهيم و إسماعيل(ع)، لا يلزم أن يكون هو مراده فى حق ذريته فإنه لم يشرك ذريته معه و مع ابنه إسماعيل إلا- فى دعوه الإسلام و قد سأل لهم الإسلام بلفظ آخر فى جملة أخرى، فقال: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَكَ و لم يقل: و اجعلنا و من ذريتنا مسلمين، أو ما يؤدي معناه فما المانع أن يكون مراده من الإسلام ما يعم جميع مراتبه حتى ظاهر الإسلام، فإن الظاهر من الإسلام أيضا له آثار جميله، و غايات نفيسه فى المجتمع الإنسانى، يصح أن يكون بذلك بغيه لإبراهيم(ع) يطلبها من ربه كما كان كذلك عند النبي ص حيث اكتفى(ص) من الإسلام بظاهر الشهادتين الذى به يحقن الدماء، و يجوز التزويج، و يملك الميراث، و على هذا يكون المراد بالإسلام فى قوله تعالى: رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُّسْلِمِينَ لَكَ، ما يليق بشأن إبراهيم و إسماعيل، و فى قوله: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَكَ، ما هو اللائق بشأن الأمه التى فيها المنافق، و ضعيف الإيمان و قويه و الجميع مسلمون.

قلت مقام: التشريع و مقام السؤال من الله مقامان مختلفان، لهما حكمان متغايران لا ينبغي أن يقاس أحدهما على الآخر، فما اكتفى به النبي ص من أمته بظاهر الشهادتين من الإسلام، إنما هو لحكمه توسعه الشوكه و الحفظ لظاهر النظام الصالح، ليكون ذلك كالقشر يحفظ به اللب الذى هو حقيقه الإسلام، و يسان به عن مصادمه الآفات الطارئه.

و أما مقام الدعاء و السؤال من الله سبحانه فالسلطه فيها للحقائق، و الغرض متعلق هناك بحق الأمر، و صريح القرب و الزلفى و لا هوى للأنبياء فى الظاهر من جهه ما هو ظاهر و لا هوى لإبراهيم(ع) فى ذريته و لو كان له هوى لبدأ فيه لأبيه قبل ذريته و لم يتبرأ منه لما تبين أنه عدو لله، و لم يقل فى ما حكى الله من دعائه «وَأَلَّا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»: الشعراء - ٨٩، و لم يقل «وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ»: الشعراء - ٨٤، بل اكتفى بلسان ذكر فى الآخرين إلى غير ذلك.

فليس الإسلام الذى سأله لذريته إلا- حقيقه الإسلام، و فى قوله تعالى: **أُمَّهُ مُسْلِمَةٌ لَكَ**، إشاره إلى ذلك فلو كان المراد مجرد صدق اسم الإسلام على الذريه لقليل: أمه مسلمه، و حذف قوله: **لَكَ**، هذا.

قوله تعالى: **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ** إلخ دعوه للنبي (ع)

و قد كان (ص) يقول: «أنا دعوه إبراهيم

**(بحث روائى) [قصة بناء إبراهيم عليه السلام للكعبه و ما يتعلق بها من دعائه للنبي و أمته و معنى ذلك. و ما أورد على ما ورد فى فضائل الكعبه و الجواب عنه.]**

فى الكافى، عن الكنانى:، قال سألت أبا عبد الله ((ع)) عن رجل- نسى أن يصلى الركعتين عند مقام إبراهيم فى طواف الحج و العمره، فقال ((ع)) إن كان بالبلد صلى الركعتين عند مقام إبراهيم، فإن الله عز و جل يقول: **وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** - و إن كان قد ارتحل، فلا أمره أن يرجع.

أقول: و روى قريبا منه، الشيخ فى التهذيب، و العياشى فى تفسيره بعده أسانيد و خصوصيات الحكم- و هو الصلاه عند المقام أو خلفه، كما

فى بعض الروايات: ليس لأحد أن يصلى ركعتى الطواف إلا خلف المقام، الحديث- مستفاده من لفظه من، و مصلى من قوله تعالى: **وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** الآيه.

و فى تفسير القمى، عن الصادق ((ع)): فى قوله تعالى: **أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ** الآيه- يعنى «نح عنه المشركين».

و فى الكافى، عن الصادق ((ع)) قال: إن الله عز و جل يقول فى كتابه: **طَهَّرْنَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ**، فينبغى للعبد أن لا يدخل مكه- إلا و هو طاهر قد غسل عرقه، و الأذى، و تطهر.

أقول: و هذا المعنى مروى فى روايات أخر، و استفاده طهاره الوارد من طهاره المورد، ربما تمت من آيات أخر، كقوله تعالى **«الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ، وَ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ»**

و فى المجمع، عن ابن عباس قال: "لما أتى إبراهيم بإسماعيل و هاجر، فوضعهما بمكه و أتت على ذلك مده، و نزلها الجرميون، و تزوج إسماعيل امرأه منهم، و ماتت هاجر، و استأذن إبراهيم ساره، فأذنت له، و شرطت عليه أن لا ينزل، فقدم إبراهيم و قد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته أين صاحبك؟ قالت له ليس هو هاهنا، ذهب يتصيد، و كان إسماعيل يخرج من الحرم يتصيد و يرجع، فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافه؟ فقالت ليس عندى شىء، و ما عندى أحد، فقال لها إبراهيم: إذا جاء زوجك، فأقرئيه السلام- و قولى له: فليغير عتبه بابه و ذهب إبراهيم فجاء إسماعيل، و وجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: جاءنى شيخ صفته كذا و كذا، كالمستخفه بشأنه، قال: فما قال لك؟ قالت:

قال لى: أقرئى زوجك السلام، و قولى له: فليغير عتبه بابه، فطلقها و تزوج أخرى، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن ساره: أن يزور إسماعيل و أذنت له، و اشترطت عليه: أن لا ينزل فجاء إبراهيم، حتى انتهى إلى باب إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يتصيد و هو يجىء الآن إن شاء الله، فانزل، يرحمك الله، قال لها: هل عندك ضيافه؟ قالت: نعم- فجاءت باللبن و اللحم، فدعا لها بالبركه، فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر- لكان أكثر أرض الله برا و شعيرا و تمرا، فقالت له انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل- فجاءت بالمقام فوضعت على شقه فوضع قدمه عليه، فبقى أثر قدمه عليه، فغسلت شق رأسه الأيمن، ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر- فبقى أثر قدمه عليه، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، و قولى له: قد استقامت عتبه بابك- فلما جاء إسماعيل ((ع)) و وجد ريح أبيه- فقال لامرأته هل جاءك أحد؟ قالت نعم شيخ أحسن الناس وجهها، و أطيبهم ريحا، فقال لى كذا و كذا- و قلت له: كذا و غسلت رأسه، و هذا موضع قدميه على المقام، فقال إسماعيل لها: ذاك إبراهيم.

أقول: و روى القمى، فى تفسيره: ما يقرب منه.

و فى تفسير القمى، عن الصادق (ع) قال: إن إبراهيم كان نازلا، فى بادية

الشام- فلما ولد له من هاجر إسماعيل- اغتمت ساره من ذلك غما شديدا، لأنه لم يكن لها ولد، وكانت تؤذى إبراهيم في هاجر و  
تغمه، فشكا إبراهيم ذلك إلى الله عز وجل، فأوحى الله إليه: «مثل المرأة مثل الضلع العوجاء، إن تركتها استمتعت بها، وإن أقمته  
كسرتها» ثم أمره: أن يخرج إسماعيل وأمه، فقال: يا رب إلى أى مكان؟ فقال إلى حرمى وأمنى، وأول بقعه خلقتها من الأرض، و  
هى مكة- فأنزل الله عليه جبرئيل بالبراق- فحمل هاجر وإسماعيل وإبراهيم- وكان إبراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر وزرع  
ونخل- إلا وقال إبراهيم: يا جبرئيل إلى هاهنا، إلى هاهنا- فيقول جبرئيل لا امض، امض، حتى وافى مكة فوضعه فى موضع البيت، و  
قد كان إبراهيم عاهد ساره أن لا ينزل حتى يرجع إليها، فلما نزلوا فى ذلك المكان كان فيه شجر، فألقت هاجر على ذلك الشجر  
كساء كان معها، فاستظلوا تحته، فلما سرحهم إبراهيم ووضعهم أراد الانصراف عنهم إلى ساره، قالت له هاجر: يا إبراهيم- أتعنا  
فى موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع؟ فقال إبراهيم: الله الذى أمرنى، أن أضعكم فى هذا المكان هو يكفيكم- ثم انصرف  
عنهم، فلما بلغ كداء، (وهو جبل بذى طوى) التفت إبراهيم، فقال: رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَّكُنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، عِنْدَ بَيْتِكَ  
الْمُحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، فَاجْعَلْ أُمَّدَةَ مَنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ، لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ، ثم مضى وبقيت  
هاجر، فلما ارتفع النهار عطش إسماعيل، فقامت هاجر فى موضع السعى فصعدت على الصفا، ولمع لها السراب فى الوادى، فظنت  
أنه ماء، فنزلت فى بطن الوادى، وسعت فلما بلغت المروه غاب عنها إسماعيل، عادت حتى بلغت الصفا، فنظرت- حتى فعلت ذلك  
سبع مرات فلما كان فى الشوط السابع، وهى على المروه نظرت إلى إسماعيل- وقد ظهر الماء من تحت رجليه فعادت- حتى  
جمعت حوله رملا، فإنه كان سائلا، فزمته بما جعلت حوله، فلذلك سميت زمزم- وكانت جرهم نازله بذى المجاز و عرفات، فلما  
ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحش على الماء، فنظرت جرهم إلى تعكف الطير والوحش على ذلك المكان- فاتبعتهما، حتى  
نظروا إلى امرأه و صبى نازلين فى ذلك الموضع، قد استظلا بشجره، وقد ظهر الماء لهما، فقالوا لهاجر: من أنت و ما شأنك و شأن  
هذا الصبى؟ قالت: أنا أم ولد إبراهيم خليل الرحمن، وهذا ابنه، أمره الله أن ينزلنا هاهنا، فقالوا لها: تأذنين لنا أن نكون

بالقرب منكم؟ فقالت لهم: حتى يأتى إبراهيم، فلما زارهم إبراهيم فى اليوم الثالث- قالت هاجر: يا خليل الله- إن هاهنا قوما من جرحهم يستلونك: أن تأذن لهم، حتى يكونوا بالقرب منا، أفتأذن لهم فى ذلك؟ قال إبراهيم: نعم، فأذنت هاجر لهم، فنزلوا بالقرب منهم، و ضربوا خيامهم، فأنست هاجر و إسماعيل بهم، فلما زارهم إبراهيم فى المره الثانيه نظر إلى كثره الناس حولهم- فسر بذلك سرورا شديدا، فلما تحرك إسماعيل و كانت جرحهم قد وهبوا لإسماعيل كل واحد منهم شاه، و شاتين فكانت هاجر و إسماعيل، يعيشان بها- فلما بلغ إسماعيل مبلغ الرجال، أمر الله إبراهيم: أن يبنى البيت إلى أن قال: فلما أمر الله إبراهيم أن يبنى البيت لم يدر فى أى مكان بينه، فبعث الله جبرئيل، و خط له موضع البيت- إلى أن قال فبنى إبراهيم البيت، و نقل إسماعيل من ذى طوى فرفعه فى السماء تسعه أذرع، ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم، و وضعه فى موضعه الذى هو فيه الآن، فلما بنى جعل له بابين بابا إلى الشرق، و بابا إلى الغرب، و الباب الذى إلى الغرب، يسمى المستجار، ثم ألقى عليه الشجر و الإذخر، و ألقى هاجر على بابها كساء كان معها و كانوا يكونون تحته، فلما بنى و فرغ منه، حج إبراهيم و إسماعيل، و نزل عليهما جبرئيل يوم الترويه، لثمان من ذى الحجه فقال: يا إبراهيم قم و ارتو من الماء، لأنه لم يكن بمنى و عرفات ماء، فسميت الترويه لذلك- ثم أخرجته إلى منى فبات بها ففعل به ما فعل بآدم، فقال إبراهيم لما فرغ من بناء البيت: «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا، وَ ارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ، مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ الْآيَةَ، قال(ع): من ثمرات القلوب، أى حبيهم إلى الناس، ليستأنسوا بهم، و يعودوا إليهم.

أقول: هذا الذى لخصناه من أخبار القصة هو الذى تشتمل عليه الروايات الوارده فى خلاصه القصة، و قد اشتملت عده منها، و ورد فى أخبار أخرى: أن تاريخ بناء البيت يتضمن أمورا خارقه للعاده، ففى بعض الأخبار، أن البيت أول ما وضع كان قبه من نور، نزلت على آدم، و استقرت فى البقعه التى بنى إبراهيم عليها البيت، و لم تنزل حتى وقع طوفان نوح، فلما غرقت الدنيا رفعه الله تعالى، و لم تغرق البقعه، فسمى لذلك البيت العتيق.

و فى بعض الأخبار: أن الله أنزل قواعد البيت من الجنة.

و فى بعضها: أن الحجر الأسود نزل من الجنة-و كان أشد بياضا من الثلج- فاسودت:لما مسته أيدى الكفار.

و فى الكافى، أيضا عن أحدهما(ع)قال: إن الله أمر إبراهيم ببناء الكعبه، و أن يرفع قواعدها،و يرى الناس مناسكهم،فبنى إبراهيم و إسماعيل البيت كل يوم ساقا،حتى انتهى إلى موضع الحجر الأسود،و قال أبو جعفر(ع):فنادى أبو قبيس:أن لك عندى وديعه،فأعطاه الحجر،فوضعه موضعه.

و فى تفسير العياشى،عن الثورى عن أبى جعفر(ع)،قال: سألته عن الحجر، فقال:نزلت ثلاثه أحجار من الجنة،الحجر الأسود استودعه إبراهيم،و مقام إبراهيم، و حجر بنى إسرائيل.

و فى بعض الأخبار: أن الحجر الأسود كان ملكا من الملائكه.

أقول:و نظائر هذه المعانى كثيره وارده فى أخبار العامه و الخاصه،و هى و إن كانت آحادا غير بالغه حد التواتر لفظا،أو معنى،لكنها ليست بعادمه النظير فى أبواب المعارف الدينيه و لا موجب ل طرحها من رأس.

أما ما ورد من نزول القبه على آدم،و كذا سير إبراهيم إلى مكه بالبراق، و نحو ذلك،مما هو كرامه خارقه لعاده الطبيعه،فهى أمور لا دليل على استحالتها،مضافا إلى أن الله سبحانه خص أنبياءه بكثير من هذه الآيات المعجزه،و الكرامات الخارقه،و القرآن يثبت موارد كثيره منها.

و أما ما ورد من نزول قواعد البيت من الجنة و نزول الحجر الأسود من الجنة،و نزول حجر المقام-و يقال:إنه مدفون تحت البناء المعروف اليوم بمقام إبراهيم-من الجنة و ما أشبه ذلك،فذلك كما ذكرنا كثير النظائر،و قد ورد فى عده من النباتات و الفواكه و غيرها:أنها من الجنة،و كذا ما ورد:أنها من جهنم،



و من فوره الجحيم، و من هذا الباب أخبار الطينه القائله: إن طينه السعداء من الجنة، و إن طينه الأشقياء من النار، أو هما من عليين، و سجين، و من هذا الباب أيضا ما ورد: أن جنة البرزخ في بعض الأماكن الأرضيه، و نار البرزخ في بعض آخر، و أن القبر إما روضه من رياض الجنة، أو حفره من حفر النار، إلى غير ذلك، مما يعثر عليه المتتبع البصير في مطاوى الأخبار، و هي كما ذكرنا بالغه في الكثره حدا ليس مجموعها من حيث المجموع بالذى يطرح أو يناقش في صدوره أو صحه انتسابه و إنما هو من إلهيات المعارف التى سمح بها القرآن الشريف، و انعطف إلى الجرى على مسيرها الأخبار الذى يقضى به كلامه تعالى: أن الأشياء التى فى هذه النشأه الطبيعيه المشهوده جميعا نازله إليها من عند الله سبحانه، فما كانت منها خيرا جميلا، أو وسيله خيره، أو وعاء لخيره، فهو من الجنة، و إليها تعود، و ما كان منها شرا، أو وسيله شر، أو وعاء لشر، فهو من النار، و إليها ترجع، قال تعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ: الحجر- ٢١، أفاد: أن كل شىء موجود عنده تعالى وجودا غير محدود بحد، و لا مقدر بقدر، و عند التنزيل -و هو التدرىج فى النزول- يتقدر بقدره و يتحدد بحده، فهذا على وجه العموم، و قد ورد بالخصوص أيضا أمثال قوله تعالى: «وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ»: الزمر- ٦، و قوله تعالى: «وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ»: الحديد- ٢٥، و قوله تعالى: «وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوَعَّدُونَ»: الذاريات- ٢٢، على ما سيجىء من توضيح معناها إن شاء الله العزيز، فكل شىء نازل إلى الدنيا من عند الله سبحانه، و قد أفاد فى كلامه: أن الكل رجوع إليه سبحانه، فقال: «وَ أَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى»: النجم- ٤٢، و قال تعالى: «إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعَى»: العلق- ٨، قال: «هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ»: المؤمن- ٣، و قال تعالى: «أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ»: الشورى- ٥٣، إلى غير ذلك من الآيات الكثيره.

و أفاد: أن الأشياء -و هى بين بدئها و عودها- تجرى على ما يستدعيه بدؤها، و يحكم به حظها من السعاده و الشقاء، و الخير و الشر، فقال تعالى: «كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ»: إسراء- ٨٤، و قال: «وَ لِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا»: البقره- ١٤٨، و سيجىء توضيح دلالتها جميعا، و الغرض هاهنا مجرد الإشاره إلى ما يتم به البحث،

و هو أن هذه الأخبار الحاكية عن كون هذه الأشياء الطبيعيه، من الجنة، أو من النار، إذا كانت ملازمه لوجه السعاده أو الشقاوه لا تخلو عن وجه صحه، لمطابقتها لأصول قرآنيه ثابتة فى الجملة، وإن لم يستلزم ذلك كون كل واحد واحد صحيحا، يصح الركون إليه، فافهم المراد.

و ربما قال القائل: إن قوله تعالى: «وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ الْآيَةَ» ظاهر فى أنهما، هما اللذان بنايا هذا البيت لعباده الله تعالى فى تلك البلاد الوثنيه، و لكن القصاصين و من تبعهم من المفسرين، جاءونا من ذلك بغير ما قصه الله تعالى علينا، و تفننوا فى رواياتهم، عن قدم البيت، و عن حج آدم، و عن ارتفاعه إلى السماء وقت الطوفان، و عن كون الحجر الأسود من أحجار الجنة، و قد أراد هؤلاء القصاصون أن يزينوا الدين و يرقشوه برواياتهم هذه، و هذه التزيينات بزخارف القول، و إن أثرت أثرها فى قلوب العامه، لكن أرباب اللب و النظر من أهل العلم يعلمون أن الشرف المعنوى الذى أفاضه الله سبحانه، بتكريم بعض الأشياء على بعض، فشرف البيت إنما هو بكونه بيتا لله، منسوبا إليه، و شرف الحجر الأسود بكونه موردا للاستلام بمنزله يد الله سبحانه؛ و أما كون الحجر فى أصله ياقوته، أو دره، أو غير ذلك، فلا يوجب مزيه فيه، و شرفا حقيقيا له، و ما الفرق بين حجر أسود، و حجر أبيض، عند الله تعالى فى سوق الحقائق، فشرف هذا البيت بتسميه الله تعالى إياه بيته، و جعله موضعا لضروب من عبادته، لا تكون فى غيره - كما تقدم - لا بكون أحجاره تفضل سائر الأحجار، و لا بكون موقعه تفضل سائر المواقع، و لا بكونه من السماء، و عالم الضياء و كذلك شرف الأنبياء على غيرهم من البشر ليس لمزيه فى أجسامهم، و لا فى ملابسهم، و إنما هو لاصطفاء الله تعالى إياهم، و تخصيصهم بالنبوه، التى هى أمر معنوى، و قد كان أهل الدنيا أحسن زينه، و أكثر نعمه منهم.

قال: و هذه الروايات فاسده، فى تناقضها و تعارضها فى نفسها، و فاسده فى عدم صحه أسانيدها، و فاسده فى مخالفتها لظاهر الكتاب.

قال: و هذه الروايات خرافات إسرائيليه، بثها زنادقه اليهود فى المسلمين،

ليشوهوا عليهم دينهم، وينفروا أهل الكتاب منه.

أقول: ما ذكره لا يخلو من وجه في الجملة، إلا أنه أفرط في المناقشه، فاعترضه من خبط القول ما هو أردى و أشنع.

أما قوله: إن هذه الروايات فاسده أولاً من جهه التناقض و التعارض و ثانياً من جهه مخالفه الكتاب، ففيه أن التناقض أو التعارض إنما يضر لو أخذ بكل واحد واحد منها، و أما الأخذ بمجموعها من حيث المجموع (بمعنى أن لا يطرح الجميع لعدم اشتمالها على ما يستحيل عقلاً - أو يمنع نقلاً) فلا - يضره التعارض الموجود فيها و إنما نعني بذلك: الروايات الموصولة إلى مصادر العصمه، كالنبي ص و الطاهرين من أهل بيته، و أما غيرهم من مفسرى الصحابه، و التابعين، فحالهم حال غيرهم من الناس و حال ما ورد من كلامهم الخالى عن التناقض، حال كلامهم المشتمل على التناقض و بالجملة لا موجب لطرح روايه، أو روايات، إلا إذا خالفت الكتاب أو السنه القطعيه، أو لاحت منها لوائح الكذب و الجعل، كما لا حجه إلا للكتاب و السنه القطعيه، فى أصول المعارف الدينيه الإلهيه.

فهناك ما هو لازم القبول، و هو الكتاب و السنه القطعيه، و هناك ما هو لازم الطرح، و هو ما يخالفهما من الآثار، و هناك ما لا دليل على رده، و لا - على قبوله، و هو ما لا دليل من جهه العقل على استحالته، و لا من جهه النقل أعنى: الكتاب و السنه القطعيه على منعه.

و به يظهر فساد إشكاله بعدم صحه أسانيدها فإن ذلك لا يوجب الطرح ما لم يخالف العقل أو النقل الصحيح.

و أما مخالفتها لظاهر قوله: **وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ الْآيَةَ فَلَيْتَ شَعْرَى: أَنْ الْآيَةَ الشَّرِيفَةَ كَيْفَ تَدُلُّ عَلَى نَفْيِ كَوْنِ الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْجَنَّةِ؟ أَمْ كَيْفَ تَدُلُّ عَلَى نَفْيِ نَزُولِ قَبِهِ عَلَى الْبَقْعَةِ فِي زَمَنِ آدَمَ، ثُمَّ ارْتِفَاعِهَا فِي زَمَنِ نُوحٍ؟ وَ هَلِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَزِيدٍ مِنْ أَنْ هَذَا الْبَيْتُ الْمَبْنَى مِنَ الْحَجْرِ وَ الطِّينِ بِنَاءِ إِبْرَاهِيمَ؟ وَ أَى رِبْطٍ لَهُ إِثْبَاتٌ أَوْ نَفْيٌ بِمَا تَتَضَمَّنُهُ الرِّوَايَاتُ الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا، نَعَمْ لَا يَسْتَحْسِنُهُ طَبَعُ هَذَا الْقَائِلِ، وَ لَا يَرْضِيهِ رَأْيُهُ**

لعصبيته مذهبيه توجب نفى معنويات الحقائق عن الأنبياء، واتكاء الظواهر الدينيه على أصول و أعراق معنويه، أو لتبعيه غير إراديه للعلوم الطبيعیه المتقدمه اليوم، حيث تحكم: أن كل حادثه من الحوادث الطبيعیه، أو ما يرتبط بها أى ارتباط من المعنويات يجب أن يعلل بتعليل مادی أو ما ينتهي إلى الماده، الحاكمه فى جميع شئون الحوادث كالتعليمات الاجتماعيه.

و قد كان من الواجب: أن يتدبر فى أن العلوم الطبيعیه شأنها البحث عن خواص الماده و تراكيبها و ارتباط الآثار الطبيعیه بموضوعاتها، ذاك الارتباط الطبيعى و كذا العلوم الاجتماعيه إنما تبحث عن الروابط الاجتماعيه بين الحوادث الاجتماعيه فقط.

و أما الحقائق الخارجيه عن حومه الماده و ميدان عملها، المحيطه بالطبيعه و خواصها و ارتباطاتها المعنويه غير الماديه مع الحوادث الكونيه و ما اشتمل عليه عالمنا المحسوس فهى أمور خارجه عن بحث العلوم الطبيعیه و الاجتماعيه، و لا يسعها أن تتكلم فيها، أو تعرض لإثباتها، أو تقضى بنفيها فالعلوم الطبيعیه إنما يمكنها أن تقضى أن البيت يحتاج فى الطبيعیه إلى أجزاء من الطين و الحجر، و إلى بان يبنيه و يعطيه بحركاته و أعماله هيئه البيت أو كيف تتكون الحجره من الأحجار السود و كذا الأبحاث الاجتماعيه تعين الحوادث الاجتماعيه التى أنتجت بناء إبراهيم للبيت، و هى جمل من تاريخ حياته، و حياه هاجر، و إسماعيل، و تاريخ، تهامه و نزول جرهم، إلى غير ذلك، و أما أنه ما نسبه هذا الحجر مثلا إلى الجنه أو النار الموعودتين فليس من وظيفه هذه العلوم أن تبحث عنه، أو تنفى ما قيل، أو يقال فيه، و قد عرفت: أن القرآن الشريف هو الناطق بكون هذه الموجودات الطبيعیه الماديه نازله إلى مقرها و مستقرها من عند الله سبحانه ثم راجعه إليه متوجهه نحوه «أيما إلى جنه أيما إلى نار»، و هو الناطق بكون الأعمال صاعده إلى الله، مرفوعه نحوه، نائله إياه، مع أنها حركات و أوضاع طبيعیه، تألفت تألفا اعتباريا اجتماعيا من غير حقيقه تكوينيه، قال تعالى: «وَلَكِنْ يَنْالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ» الحج- ٣٧، و التقوى فعل، أو صفه حاصله من فعل، و قال تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»: الفاطر- ١٠، فمن الواجب على الباحث الدينى أن يتدبر فى هذه الآيات فيعقل أن المعارف الدينيه لا مساس لها مع الطبيعيات و الاجتماعيات من جهه النظر الطبيعى و الاجتماعى على الاستقامه و إنما اتكاؤها و ركونها

إلى حقائق و معان وراء ذلك.

و أما قوله: إن شرف الأنبياء و المعاهد و الأمور المنسوبة إليهم كالبيت و الحجر الأسود ليس شرفا ظاهريا بل شرف معنوى ناش عن التفضيل الإلهي فكلام حق، لكن يجب أن يفهم منه حق المعنى الذى يشتمل عليه، فما هذا الأمر المعنوى الذى يتضمن الشرافه؟ فإن كان من المعانى التى يعطيها الاحتياجات الاجتماعيه لموضوعاتها و موادها نظير الرتب و المقامات التى يتداولها الدول و الملل كالرئاسه و قياده فى الإنسان و غلاء القيمه فى الذهب و الفضة و كرامه الوالدين و حرمه القوانين و النواميس فإنما هى معان يعتبرها الاجتماعات لضروره الاحتياج الدنيوى، لا أثر منها فى خارج الوهم و الاعتبار الاجتماعى، و من المعلوم أن الاجتماع الكذائى لا يتعدى عالم الاجتماع الذى صنعته الحاجه الحيويه، و الله عز سلطانه أقدس ساحه من أن يتطرق إليه هذه الحاجه الطارقه على حياه الإنسان، و مع ذلك فإذا جاز أن يتشرف النبى بهذا الشرف غير الحقيقى فليجز أن يتشرف بمثله بيت أو حجر، و إن كان هذا الشرف حقيقيا واقعيا من قبيل النسبه بين النور و الظلمه، و العلم و الجهل، و العقل و السفه بأن كان حقيقه وجود النبى غير حقيقه وجود غيره و إن كانت حواسنا الظاهريه لا تنال ذلك و هو اللائق بساحه قدسه من الفعل و الحكم، كما قال الله تعالى: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ، وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» :الدخان- ٣٩ و سيجىء بيانه كان ذلك عائدا إلى نسبه حقيقه معنويه غير ماديه إلى ما وراء الطبيعه، فإذا جاز تحققها فى الأنبياء بنحو فليجز تحققها فى غير الأنبياء كالبيت و الحجر و نحوهما و إن وقع التعبير عن هذه النسب الحقيقه المعنويه بما ظاهره المعانى المعروفه عند العامه التى اصطلحت عليه أهل الاجتماع.

و ليت شعرى: ما ذا يصنعه هؤلاء فى الآيات التى تنطق بتزيين الجنه و تشريف أهلها بالذهب و الفضة، و هما فلزان ليس لهما من الشرف إلا غلاء القيمه المستنده إلى عزه الوجود؟ فما ذا يراد من تشريف أهل الجنه بهما؟ و ما الذى يؤثره معنى الثروه فى الجنه و لا معنى للاعتبار المالى فى الخارج من ظرف الاجتماع؟ فهل لهذه البيانات الإلهيه و الظواهر الدينيه وجه غير أنها حجب من الكلام و أستار وراءها أسرار؟ فلتن جاز أمثال هذه البيانات فى أمور نشأ الآخره فليجز نظيرتها فى بعض الأمور نشأ الدنيا.

و فى تفسير العياشى، عن الزبيرى عن أبى عبد الله (ع) قال: قلت له: أخبرنى عن أمه محمد (ص) من هم؟ قال أمه محمد (ص) بنو هاشم خاصة-قلت: فما الحجه فى أمه محمد-أنهم أهل بيته الذين ذكرت دون غيرهم؟ قال: قول الله: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ- رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَكَ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، فلما أجاب الله إبراهيم وإسماعيل وجعل من ذريتهما أمه مسلمه-و بعث فيها رسولا منهم يعنى من تلك الأمه-يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة-و ردف دعوته الأولى دعوته الأخرى-فسأل لهم تطهيرا من الشرك و من عباده الأصنام-ليصح أمره فيهم و لا يتبعوا غيرهم، فقال: وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ- رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ الدَّاسِ، فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنِ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، ففى هذا دلالة على أنه لا يكون الأئمة و الأمه المسلمه-التي بعث فيها محمدا إلا من ذرية إبراهيم-لقوله:

أَجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ .

أقول: استدلاله (ع) فى غايه الظهور، فإن إبراهيم (ع)) إنما سأل أمه مسلمه من ذريته خاصة، و من المعلوم من ذيل دعوته: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ انتهى:

أن هذه الأمه المسلمه هى أمه محمد (ص) لكن لا أمه محمد بمعنى الذين بعث (ص) إليهم و لا أمه محمد بمعنى من آمن بنبوته فإن هذه الأمه أعم من ذرية إبراهيم و إسماعيل بل أمه مسلمه هى من ذرية إبراهيم (ع)) ثم سأل ربه أن يجنب و يبعد ذريته و بنيه من الشرك و الضلال و هى العصمه، و من المعلوم أن ذرية إبراهيم و إسماعيل-و هم عرب مضر أو قريش خاصة فيهم ضال و مشرك فمراده من بنيه فى قوله: وَبَنِيَّ، أهل العصمه من ذريته خاصة، و هم النبى و عترته الطاهره، فهؤلاء هم أمه محمد (ص) فى دعوه إبراهيم (ع))، و لعل هذه النكته هى الموجبه للعدول عن لفظ الذرية إلى لفظ البنين، و يؤيده قوله: فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَ مَنِ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ الآية.

حيث أتى بفاء التفرع و أثبت من تبعه جزءا من نفسه، و سكت عن غيرهم كأنه ينكرهم و لا يعرفهم، هذا.

و قوله (ع): فسأل لهم تطهيرا من الشرك و من عباده الأصنام، إنما سأل

إبراهيم((ع))التطهير من عباده الأصنام إلا أنه((ع))الله بالضلال فأنتج سؤال التطهير من جميع الضلال من عباده الأصنام و من أى شرك حتى المعاصى،فإن كل معصيه شرك كما مر بيانه فى قوله تعالى: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» :فاتحه الكتاب-٦.

و قوله(ع):و فى هذا دلالة على أنه لا يكون الأئمة و الأمة المسلمه،إلخ أى إنهما واحد،و هما من ذريه إبراهيم كما مر بيانه.

فإن قلت:لو كان المراد بالأئمة فى هذه الآيات و نظائرها كقوله تعالى «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» :،آل عمران-١١٠،عده معدوده من الأئمة دون الباقيين كان لازمه المجاز فى الكلام من غير موجب يصحح ذلك و لا مجوز لنسبه ذلك إلى كلامه تعالى،على أن كون خطابات القرآن متوجهه إلى جميع الأئمة ممن آمن بالنبي ضرورى لا يحتاج إلى إقامه حجه.

قلت:إطلاق أمه محمد و إرادته جميع من آمن بدعوته من الاستعمالات المستحدثه بعد نزول القرآن و انتشار الدعوه الإسلاميه و إلا- فالأئمة بمعنى القوم كما قال تعالى «عَلَىٰ أُمَّةٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَ أُمَّةٍ سَيُنْتَجِبُهُمْ» :هود-٤٨،و ربما أطلق على الواحده كقوله تعالى «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ» :النحل-١٢٠،و على هذا فمعناها من حيث السعه و الضيق يتبع موردها الذى استعمل فيه لفظها،أو أريد فيه معناها.

فقوله تعالى: رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ،وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ الْآيَه- و المقام مقام الدعاء بالبيان الذى تقدم-لا يراد به إلا عده معدوده ممن آمن بالنبي ص و كذا قوله: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ و هو فى مقام الامتتان و تعظيم القدر و ترفيع الشأن لا يشمل جميع الأئمة،و كيف يشمل فراعنه هذه الأئمة و دجاجلتها الذين لم يجدوا للدين أثرا إلا عفوه و محوه،و لا لأوليائه عظما إلا- كسروه و سيجىء تمام البيان فى الآيه إن شاء الله فهو من قبيل قوله تعالى لبنى إسرائيل: «وَ أَنَّىٰ فَضَّلْتُكُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ» :البقره-٤٧،فإن منهم قارون و لا- يشمله الآيه قطعاً،كما أن قوله تعالى: «وَ قَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» :الفرقان- ٣٠،لا يعم جميع هذه الأئمة و فيهم أولياء القرآن و رجال لا تلهيهم تجاره و لا بيع عن ذكر الله تعالى.

و أما قوله تعالى: «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ، وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»: البقره-١٣٤، فالخطاب فيه متوجه إلى جميع الأمم ممن آمن بالنبى، أو من بعث إليه.

### (بحث علمى) [معنى قصه إبراهيم و سر تشريع الحج.]

إذا رجعنا إلى قصه إبراهيم(ع) و سيره بولده و حرمة إلى أرض مكه، و إسكانهما هناك، و ما جرى عليهما من الأمر، حتى آل الأمر، إلى ذبح إسماعيل و فدائه من جانب الله و بنائهما البيت، وجدنا القصة دوره كامله من السير العبودى الذى يسير به العبد من موطن نفسه إلى قرب ربه، و من أرض البعد إلى حظيره القرب بالإعراض عن زخارف الدنيا، و ملاذها، و أمانها من جاه، و مال، و نساء و أولاد، و الانقلاع و التخلص عن وسائل الشياطين، و تكديريهم صفو الإخلاص و الإقبال و التوجه إلى مقام الرب و دار الكبرياء.

فها هى وقائع متفرقه مترتبه تسلسلت و تألفت قصه تاريخيه تحكى عن سير عبودى من العبد إلى الله سبحانه و تشمل من أدب السير و الطلب و الحضور و رسوم الحب و الوله و الإخلاص على ما كلما زدت فى تدبره إمعانا زادك استناره و لمعانا.

ثم: إن الله سبحانه أمر خليله إبراهيم، أن يشرع للناس عمل الحج، كما قال «وَ أَدِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوَكَّ رِجَالًا وَ عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ X إلى آخر الآيات X»: الحج-٢٧، و ما شرعه(ع) و إن لم يكن معلوما لنا بجميع خصوصياته، لكنه كان شعارا دينيا عند العرب فى الجاهليه إلى أن بعث الله النبى ص و شرع فيه ما شرع و لم يخالف فيه ما شرعه إبراهيم إلا بالتكميل كما يدل عليه قوله تعالى: «قُلْ إِنِّى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّهَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا»: الأنعام-١٦١، و قوله تعالى: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا، وَ الَّذِى أُوحِيَنا إِلَيْكَ، وَ مَا وَصَّينا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى، وَ عِيسَى»: الشورى-١٣.

و كيف كان فما شرعه النبى ص من نسك الحج المشتمل على الإحرام و الوقوف



بعرفات و مييت المشعر و التضحيه و رمى الجمرات و السعى بين الصفا و المروه و الطواف و الصلاه بالمقام تحكى قصه ابراهيم، و تمثل مواقفه و مواقف أهله و مشاهدتهم و يا لها من مواقف طاهره إلهيه القائد إليها جذبه الربوبيه و السائق نحوها ذله العبوديه.

و العبادات المشروعه-على مشرعها أفضل السلام-صور لمواقف الكملين من الأنبياء من ربههم، و تماثل تحكى عن مواردهم و مصادرهم فى مسيرهم إلى مقام القرب و الزلفى، كما قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»: الأحزاب- ٢١ و هذا أصل.

و فى الأخبار الميينه لحكم العبادات و أسرار جعلها و تشريعها شواهد كثيره على هذا المعنى، يعثر عليها المتتبع البصير.

## [سوره البقره (٢): الآيات ١٣٠ الى ١٣٤]

### أشاره

وَ مَنْ يَزْعُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا- مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدْ إِضْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنِيهِ وَ يَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤)

قوله تعالى: وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ، الرغبه إذا عدت بعن أفادت معنى الإعراض و النفره،و إذا عدت بفي أفادت:معنى الشوق و الميل،و سفهه يأتي متعديا و لازما،و لذلك ذكر بعضهم أن قوله: نَفْسُهُ مفعول لقوله:سفهه،و ذكر آخرون أنه تمييز لا مفعول،و المعنى على أى حال:

أن الإعراض عن مله إبراهيم من حماقه النفس،و عدم تمييزها ما ينفعها مما يضرها و من هذه الآيه يستفاد معنى ما ورد فى الحديث: أن العقل ما عبده به الرحمن.

قوله تعالى: وَ لَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا، الاصطفاء أخذ صفوه الشيء و تمييزه عن غيره إذا اختلطا،و ينطبق هذا المعنى بالنظر إلى مقامات الولايه على خلوص العبوديه و هو أن يجرى العبد فى جميع شئونه على ما يقتضيه مملوكيته و عبوديته من التسليم الصرف لربه،و هو التحقق بالدين فى جميع الشئون فإن الدين لا يشتمل إلا على مواد العبوديه فى أمور الدنيا و الآخره و تسليم ما يرضاه الله لعبده فى جميع أموره كما قال الله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ»: آل عمران-١٩، فظهر: أن مقام الاصطفاء هو مقام الإسلام بعينه و يشهد بذلك قوله تعالى: «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ الْآيَه» فإن الظاهر أن الظرف متعلق بقوله: اصْطَفَيْنَاهُ، فيكون المعنى أن اصطفاه إنما كان حين قال له ربه: أَسْلِمْ، فأسلم لله رب العالمين فقوله تعالى: إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، بمنزله التفسير لقوله:

اصْطَفَيْنَاهُ

و فى الكلام التفات من التكلم إلى الغيبه فى قوله: إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ، و لم يقل إذ قلنا له أسلم،و التفات آخر من الخطاب إلى الغيبه فى المحكى من قول إبراهيم:

قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

،و لم يقل:قال أسلمت لك أما الأول،فالنكته فيه الإشاره إلى أنه كان سرا استسر به ربه إذ أسره إليه فيما خلى به معه فإن للسامع المخاطب اتصالا بالمتكلم فإذا غاب المتكلم عن صفه حضوره انقطع المخاطب عن مقامه و كان بينه و بين ما للمتكلم من الشأن و القصه ستر مضروب،فأفاد أن القصه من مسامرات الأنس و خصائص الخلوه.

و أما الثانى فلأن قوله تعالى: إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ، يفيد معنى الاختصاص باللطف و الاسترسال فى المساره لكن أدب الحضور كان يقتضى من إبراهيم و هو عبد عليه طابع الذله و التواضع أن لا- يسترسل، و لا- يعد نفسه مختصا بكرامه القرب متشرفا بحظيره الأئس، بل يراها واحدا من العبيد الأذلاء المربوبين، فيسلم لرب يستكين إليه جميع العالمين فيقول: أَسَلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

### [معنى الإسلام-مراتب الإسلام و الإيمان.]

و الإسلام و التسليم و الاستسلام بمعنى واحد، من السلم، و أحد الشيتين إذا كان بالنسبه إلى الآخر بحال لا يعصيه و لا يدفعه فقد أسلم و سلم و استسلم له، قال تعالى «بَلَى مَنْ أَسَلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ»: البقره-١١٢، و قال تعالى: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ حَنِيفًا»: الأنعام-٧٩، و وجه الشىء ما يواجهك به، و هو بالنسبه إليه تعالى تمام وجود الشىء، فإسلام الإنسان له تعالى هو وصف الانقياد و القبول منه لما يرد عليه من الله سبحانه من حكم تكوينى، من قدر و قضاء، أو تشريعى من أمر أو نهى أو غير ذلك، و من هنا كان له مراتب بحسب ترتب الوردات بمراتبها.

الأولى: من مراتب الإسلام، القبول لظواهر الأوامر و النواهى بتلقى الشهادتين لسانا، سواء وافقه القلب، أو خالفه، قال تعالى: «قَالَتِ الْمَغْرَابُ آمَدًا قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسَلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ»: الحجرات-١٤، و يتعقب الإسلام بهذا المعنى أول مراتب الإيمان و هو الإذعان القلبي بمضمون الشهادتين إجمالا و يلزمه العمل فى غالب الفروع.

الثانيه: ما يلى الإيمان بالمرتبه الأولى، و هو التسليم و الانقياد القلبي لجل الاعتقادات الحقه التفصيليه و ما يتبعها من الأعمال الصالحه و إن أمكن التخطى فى بعض الموارد، قال الله تعالى فى وصف المتقين: «الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَ كَانُوا مُسْلِمِينَ»: الزخرف-٦٩، و قال أيضا: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً»: البقره-٢٠٨، فمن الإسلام ما يتأخر عن الإيمان محققا فهو غير المرتبه الأولى من الإسلام، و يتعقب هذا الإسلام المرتبه الثانيه من الإيمان و هو الاعتقاد التفصيلي بالحقائق الدينيه، قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزُوا وَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنفُسِهِمْ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ»: الحجرات-١٥، و قال

أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلَّكُمْ عَلَىٰ تَجَارِهِ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾: الصف-١١، وفيه إرشاد المؤمنين إلى الإيمان، فالإيمان غير الإيمان.

الثالثة: ما يلي الإيمان بالمرتبه الثانيه فإن النفس إذا أنست بالإيمان المذكور و تخلقت بأخلاقه تمكنت منها و انقادت لها سائر القوى البهيميه و السبعيه، و بالجمله القوى المائله إلى هوسات الدنيا و زخارفها الفانيه الدائره، و صار الإنسان يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، و لم يجد في باطنه و سره ما لا ينقاد إلى أمره و نهيه أو يسخط من قضائه و قدره، قال الله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: النساء-٦٥، و يتعقب هذه المرتبه من الإسلام المرتبه الثالثه من الإيمان، قال الله تعالى «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» X إلى أن قال X: «وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ»: المؤمنون-٣، و منه قوله تعالى: «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» إلى غير ذلك، و ربما عدت المرتبتان الثانيه و الثالثه مرتبه واحده.

و الأخلاق الفاضله من الرضاء و التسليم، و الحسبه و الصبر في الله، و تمام الزهد و الورع، و الحب و البغض في الله، من لوازم هذه المرتبه.

الرابعه: ما يلي، المرتبه الثالثه من الإيمان فإن حال الإنسان و هو في المرتبه السابقه مع ربه حال العبد المملوك مع مولاه، إذ كان قائما بوظيفه عبوديته حق القيام، و هو التسليم الصرف لما يريد المولى أو يحبه و يرتضيه، و الأمر في ملك رب العالمين لخلقه أعظم من ذلك و أعظم و إنه حقيقه الملك الذي لا- استقلال دونه لشيء من الأشياء لا ذاتا و لا صفه، و لا فعلا على ما يليق بكبريائه جلت كبرياؤه.

فالإنسان- و هو في المرتبه السابقه من التسليم- ربما أخذته العناية الربانيه فأشهدت له أن الملك لله وحده لا يملك شيء سواه لنفسه شيئا إلا به لا رب سواه، و هذا معنى وهبي، و إفاضه إلهيه لا تأثير لإرادته الإنسان فيه، و لعل قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ، وَارِنَا مَنَاسِكَنَا، الْآيَه، إشاره

إلى هذه المرتبة من الإسلام فإن قوله تعالى: إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ، قَالَ، أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ الآيه ظاهره أنه أمر تشريعي لا تكويني، فإبراهيم كان مسلماً باختياره، إجابته لدعوه ربه و امتثالاً لأمره، وقد كان هذا من الأوامر المتوجهة إليه (ع) في مبادئ حاله، فسؤاله في أواخر عمره مع ابنه إسماعيل الإسلام و إراءه المناسك سؤال لأمر ليس زمامه بيده أو سؤال لثبات على أمر ليس بيده فالإسلام المسئول في الآيه هو هذه المرتبة من الإسلام و يتعقب الإسلام بهذا المعنى المرتبة الرابعة من الإيمان و هو استيعاب هذا الحال لجميع الأحوال و الأفعال، قال تعالى: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ» : يونس- ٦٢، فإن هؤلاء المؤمنين المذكورين في الآيه يجب أن يكونوا على يقين من أن لا استقلال لشيء دون الله، و لا تأثير لسبب إلا- بإذن الله حتى لا- يحزنوا من مكروه واقع، و لا يخافوا محذوراً محتملاً، و إلا فلا معنى لكونهم بحيث، لا يخوفهم شيء، و لا يحزنهم أمر، فهذا النوع من الإيمان بعد الإسلام المذكور فافهم.

قوله تعالى: وَ إِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ، الصلاح ، و هو اللياقة بوجه ربما نسب في كلامه إلى عمل الإنسان و ربما نسب إلى نفسه و ذاته، قال تعالى: «فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا» : الكهف- ١١٠، و قال تعالى: «وَ أَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ» : النور- ٣٢.

و صلاح العمل و إن لم يرد به تفسير بين من كلامه تعالى غير أنه نسب إليه من الآثار ما يتضح به معناه.

فمنها: أنه صالح لوجه الله، قال تعالى: «صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ» : الرعد- ٢٢، و قال تعالى: «وَ مَا تَتَّقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ» : البقره- ٢٧٢.

و منها: أنه صالح لأن يثاب عليه، قال تعالى: «تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا» : القصص- ٨٠.

و منها: أنه يرفع الكلم الطيب الصاعد إلى الله سبحانه قال تعالى: «إِلَيْهِ يَصِيءُ عَدُوُّ الكَلِمِ الطَّيِّبِ وَ العَمَلُ الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ» : فاطر- ١٠، فيستفاد من هذه الآثار المنسوبة

إليه أن صلاح العمل معنى تهوؤه و لياقته لأن يلبس لباس الكرامه و يكون عوننا و ممدا لصعود الكلام الطيب إليه تعالى، قال تعالى: «وَلِكِنْ يَذَّالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ»: الحج-٣٧، و قال تعالى: «كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءِ، وَ هُوْلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ، وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا»: الإسراء-٢٠، فعطاؤه تعالى بمنزله الصورة، و صلاح العمل بمنزله الماده.

و أما صلاح النفس و الذات فقد قال تعالى: «وَ مِنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَ الصَّٰدِقِينَ، وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّٰلِحِينَ، وَ حَسَنَ أَوْلَادِكَ رَفِيقًا»: النساء-٦٩، و قال تعالى: «وَ أَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّٰلِحِينَ»: الأنبياء-٨٦، و قال تعالى حكاية عن سليمان: «وَ أَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّٰلِحِينَ»: النمل-١٩، و قال تعالى: «وَ لَوْ طَأَّ آتِنَاءُ حُكْمًا وَ عِلْمًا إِلَىٰ قَوْلِهِ X وَ أَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّٰلِحِينَ»: الأنبياء-٧٥، و ليس المراد الصلاح لمطلق الرحمة العامه الإلهيه الواسعه لكل شيء و لا الخاصه بالمؤمنين على ما يفيدته قوله تعالى: «وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ»: الأعراف-١٥٦، إذ هؤلآء القوم و هم الصالحون، طائفه خاصه من المؤمنين المتقين، و من الرحمة ما يختص ببعض دون، بعض قال تعالى «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ»: البقره-١٠٥ و ليس المراد أيضا مطلق كرامه، الولايه و هو تولى الحق سبحانه أمر عبده، فإن الصالحين و إن شرفوا بذلك، و كانوا من الأولياء المكرمين على ما بيناه سابقا فى قوله تعالى: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»: فاتحه الكتاب-٥ و سيجىء فى تفسير الآيه لكن هذه أعنى الولايه صفه مشتركه بينهم و بين النبيين، و الصديقين، و الشهداء فلا يستقيم إذن عدهم طائفه خاصه فى قبالهم.

نعم الأثر الخاص بالصلاح هو الإدخال فى الرحمه، و هو الأيمن العام من العذاب كما ورد المعنيان معا فى الجنة، قال تعالى: «فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ»: الجاثيه-٣٠، أى فى الجنة، و قال تعالى: «يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ»: الدخان-٥٥ أى فى الجنة.

و أنت إذا تدبرت قوله تعالى: «وَ أَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا»: الأنبياء-٧٥ و قوله:

«وَ كُلًّا جَعَلْنَا صَّٰلِحِينَ»: الأنبياء-٧٢ حيث نسب الفعل إلى نفسه تعالى لا إلى

العبد- ثم تأملت أنه تعالى قصر الأجر و الشكر على ما بحذاء العمل و السعى قضيت بأن الصلاح الذاتى كرامه ليست بحذاء العمل و الإراده و ربما تبين به معنى قوله تعالى: «لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا» -و هو ما بالعمل- و قوله: «وَلَمَدِينًا مَزِيدًا» -و هو أمر غير ما بالعمل على ما سيجىء بيانه إن شاء الله فى تفسير قوله تعالى: «لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا»: ق-٣٥.

ثم إنك إذا تأملت حال إبراهيم و مكانته فى أنه كان نبيا مرسلا و أحد أولى العزم من الأنبياء، و أنه إمام، و أنه مقتدى عده ممن بعده من الأنبياء و المرسلين و أنه من الصالحين بنص قوله تعالى: «وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ»: الأنبياء-٧٢، الظاهر فى الصلاح المعجل على أن من هو دونه فى الفضل من الأنبياء أكرم بهذا الصلاح المعجل و هو ((ع)) مع ذلك كله يسأل اللحق بالصالحين الظاهر فى أن هناك قوما من الصالحين سبقوه و هو يسأل اللحق بهم فيما سبقوه إليه، و أجيب بذلك فى الآخره كما يحكيه الله تعالى فى ثلاثه مواضع من كلامه حيث قال تعالى: «وَلَقَدْ اصْرَفْنَا فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ»: البقره-١٣٠، و قال تعالى: «وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ»: العنكبوت-٢٧، و قال تعالى: «وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ»: النحل-١٢٢، فإذا تأملت ذلك حق التأمل قضيت بأن الصلاح ذو مراتب بعضها فوق بعض و لم تستبعد لو قرع سمعك أن إبراهيم ((ع)) سأل اللحق بمحمد «ص» و آله الطاهرين ((ع)) فإجيب إلى ذلك فى الآخره لا- فى الدنيا فإنه (ع) يسأل اللحق بالصالحين، و محمد «ص» يدعيه لنفسه. قال تعالى: «إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ»: الأعراف-١٩٦ فإن ظاهر الآيه أن رسول الله «ص» يدعى لنفسه الولايه فالظاهر منه أن رسول الله «ص» هو المتحقق بالصلاح الذى يدعيه بموجب الآيه لنفسه و إبراهيم كان يسأل الله اللحق بعده من الصالحين يسبقونه فى الصلاح فهو هو.

قوله تعالى: «وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ»، أى وصى بالمله.

قوله تعالى: «فَلَا تَمُوتُنَّ»، النهى عن الموت و هو أمر غير اختيارى للإنسان، و التكليف إنما يتعلق بأمر اختيارى إنما هو لرجوعه إلى أمر يتعلق بالاختيار، و التقدير احذروا أن يغتالكم الموت فى غير حال الإسلام، أى داوموا و الزموا الإسلام لثلا يقع

موتكم إلا في هذا الحال، و في الآية إشارة إلى أن الدين هو الإسلام كما قال تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ»: آل عمران-١٩.

قوله تعالى: وَ إِلَهَ آبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ، في الكلام إطلاق لفظ الأب على الجد و العم و الوالد من غير مصحح للتغليب، و حجه فيما سيأتي إن شاء الله تعالى في خطاب إبراهيم لآزر بالأب.

قوله تعالى: إِلَهًا وَاحِدًا، في هذا الإيجاز بعد الإطناب بقوله: إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ «إلخ» دفع لإمكان إبهام اللفظ أن يكون إلهه غير إله آبائه على نحو ما يتخذه الوثنيون من الآلهة الكثيره.

قوله تعالى: وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، بيان للعباده و أنها ليست عباده كيفما اتفقت بل عباده على نهج الإسلام و في الكلام جملة أن دين إبراهيم هو الإسلام و الموروث منه في بنى إبراهيم كإسحق و يعقوب و إسماعيل، و في بنى إسرائيل، و في بنى إسماعيل من آل إبراهيم جميعا هو الإسلام لا غير، و هو الذى أتى به إبراهيم من ربه فلا حجه لأحد في تركه و الدعوه إلى غيره.

### (بحث روائى)

في الكافي، عن سماعه عن الصادق ((ع)): الإيمان من الإسلام بمنزلة الكعبة الحرام من الحرم- قد يكون في الحرم و لا يكون في الكعبة- و لا يكون في الكعبة حتى يكون في الحرم.

و فيه، عن سماعه أيضا عن الصادق ((ع)) قال: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله و التصديق برسول الله، به حققت الدماء و عليه جرت المناكح و المواريث- و على ظاهره جماعه الناس، و الإيمان الهدى و ما يثبت في القلوب من صفه الإسلام.

أقول: و في هذا المضمون روايات أخر و هى تدل على ما مر بيانه من المرتبه الأولى من الإسلام و الإيمان.

و فيه، عن البرقى عن على (ع): قال الإسلام هو التسليم و التسليم هو اليقين ،

و فيه، عن كاهل عن الصادق: لو أن قوما عبدوا الله- و وحده لا شريك له- و أقاموا الصلاة



و آتوا الزكاه، و حجوا البيت، و صاموا شهر رمضان- ثم قالوا لشيء صنع الله أو صنع رسول الله- إلا صنع بخلاف الذى صنع أو وجدوا ذلك فى قلوبهم- لكانوا بذلك مشركين الحديث.

أقول: و الحديثان يشيران إلى المرتبه الثالثه من الإسلام و الإيمان.

و فى البحار، عن إرشاد الديلمى، و ذكر سندين لهذا الحديث، و هو من أحاديث المعراج- و فيه: قال الله سبحانه: يا أحمد هل تدرى أى عيش أهنى و أى حياه أبقي؟ قال: اللهم لا- قال: أما العيش الهنىء فهو الذى لا- يفتقر صاحبه عن ذكرى- و لا ينسى نعمتى، و لا- يجهل حقى، يطلب رضائى فى ليله و نهاره، و أما الحياه الباقية، فهى التى يعمل لنفسه- حتى تهون عليه الدنيا، و تصغر فى عينه، و تعظم الآخره عنده، و يؤثر هواى على هواه و يبتغى مرضاتى، و يعظم حق نعمتى، و يذكر عملى به، و يراقبنى بالليل و النهار عند كل سيئه أو معصيه، و ينقى قلبه عن كل ما أكره، و يبغض الشيطان و وساوسه، و لا يجعل لإبليس على قلبه سلطانا و سيلا، فإذا فعل ذلك أسكنت قلبه حبا- حتى أجعل قلبه و فراغه و اشتغاله و همه و حديثه من النعمه التى أنعمت بها على أهل محبتى من خلقى- و أفتح عين قلبه و سمعه، حتى يسمع بقلبه و ينظر بقلبه إلى جلالى و عظمتى، و أضيق عليه الدنيا، و أبغض إليه ما فيها من اللذات، و أحذر من الدنيا و ما فيها- كما يحذر الراعى على غنمه مراتع الهلكه، فإذا كان هكذا يفر من الناس فرارا، و ينقل من دار الفناء إلى دار البقاء، و من دار الشيطان إلى دار الرحمن، يا أحمد و لأزينته بالهيبه و العظمه- فهذا هو العيش الهنىء و الحياه الباقية، و هذا مقام الراضين فمن عمل برضاى ألزمه ثلاث خصال- أعرفه شكرا لا- يخالطه الجهل، و ذكر لا يخالطه النسيان، و محبه لا- يؤثر على محبتى محبه المخلوقين، فإذا أحببته و أفتح عين قلبه إلى جلالى، و لا- أخفى عليه خاصه خلقى- و أناجيه فى ظلم الليل و نور النهار، حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين، و مجالسته معهم، و أسمع كلامى و كلام ملائكتى- و أعرفه السر الذى سترته عن خلقى، و ألبسه الحياء، حتى يستحى منه الخلق كلهم، و يمشى على الأرض مغفورا له، و أجعل قلبه واعيا و بصيرا و لا- أخفى عليه شيئا من جنه و لا- نار، و أعرفه ما يمر على الناس فى القيامه من الهول و الشده- و ما أحاسب به الأغنياء و الفقراء و الجهال و العلماء، و أنومه فى قبره، و أنزل عليه منكرا

و نكيرا حتى يسألاه، و لا- يرى غم الموت، و ظلمه القبر و اللحد، و هول المطلع، ثم أنصب له ميزانه، و أنشر ديوانه، ثم أضع كتابه فى يمينه فيقرؤه منشورا، ثم لا- أجعل بينى و بينه و ترجمانا فهذه صفات المحبين» يا أحمد اجعل همك هما واحدا- و اجعل لسانك لسانا واحدا و اجعل بدنك حيا- لا يغفل أبدا من يغفل عنى لم أبال فى أى واد هلك.

و فى البحار، عن الكافى، و المعانى، و نوادر الراوندى، بأسانيد مختلفه عن الصادق و الكاظم (ع)- و اللفظ المنقول هاهنا للكافى- قال: استقبل رسول الله: حارثه بن مالك بن النعمان الأنصارى- فقال له: كيف أنت يا حارثه بن مالك النعمانى؟ فقال:

يا رسول الله مؤمن حقا، فقال له رسول الله: لكل شىء حقيقه فما حقيقه قولك؟ فقال يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى، و أظمأت هواجرى، و كأنى أنظر إلى عرش ربي و قد وضع للحساب، و كأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاوون فى الجنة- و كأنى أسمع عواء أهل النار فى النار، فقال رسول الله «ص»: عبد نور الله قلبه أبصرت فأثبت.

أقول: و الروايتان تحومان حوم المرتبه الرابعه من الإسلام و الإيمان المذكورتين و فى خصوصيات معناهما روايات كثيره متفرقه سنورد جمله منها فى تضاعيف الكتاب إن شاء الله تعالى و الآيات تؤيدها على ما سيجىء بيانها، و اعلم أن لكل مرتبه من مراتب الإسلام و الإيمان معنى من الكفر و الشرك يقابله، و من المعلوم أيضا أن الإسلام و الإيمان كلما دق معناهما و لطف مسلكهما، صعب التخلص مما يقابلهما من معنى الكفر أو الشرك، و من المعلوم أيضا أن كل مرتبه من مراتب الإسلام و الإيمان الدانيه، لا ينافى الكفر أو الشرك من المرتبه العاليه، و ظهور آثارهما فيها، و هذان أصلان.

و يتفرع عليهما: أن للآيات القرآنيه بواطن تنطبق على موارد لا تنطبق عليها ظواهرها و ليكن هذا عندك على إجماله حتى يأتىك تفصيله.

و فى تفسير القمى،: فى قوله تعالى: وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ، قال (ع) النظر إلى رحمه الله.

و فى المجمع، عن النبى «ص»: يقول الله: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

أقول: و الروايتان قد اتضح معناهما عند بيان معنى الصلاح، و الله الهادى.

و فى تفسير العياشى، فى قوله تعالى: أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ الْآيَةَ- عن الباقر(ع) أنها جرت فى القائم.

أقول قال: فى الصافى: لعل مراده أنها فى قائم آل محمد فكل قائم منهم يقول:

ذلك حين موته لبنيه، و يجيونه بما أجابوا به.

## [سوره البقره (٢): الآيات ١٣٥ الى ١٤١]

### اشاره

وَ قَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ مَا  
أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إسماعيلَ وَ إسحاقَ وَ يعقوبَ وَ الأسباطِ وَ مَا أُوتِيَ موسى وَ عيسى وَ مَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ  
أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صَبَّغَهُ اللَّهُ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبَّغَهُ وَ نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَ هُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ وَ لَنَا  
أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَ إسماعيلَ وَ إسحاقَ وَ يعقوبَ وَ الأسباطِ كَانُوا هُودًا أَوْ  
نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا  
مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١)

قوله تعالى: **وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارًا تَهْتَدُوا**، لما بين تعالى أن الدين الحق الذى كان عليه أولاد إبراهيم من إسماعيل و إسحاق و يعقوب و أولاده كان هو الإسلام الذى كان عليه إبراهيم حنيفاً، استنتج من ذلك أن الاختلافات و الانشعابات التى يدعو إليها فرق المنتحلين من اليهود و النصارى، أمور اخترعتها هوساتهم، و لعبت بها أيديهم لكونهم فى شقاق، فتقطعوا بذلك طوائف و أحزاباً دينية، و صبغوا دين الله سبحانه—و هو دين التوحيد و دين الوحده، بصبغه الأهواء و الأغراض و المطامع، مع أن الدين واحد كما أن الإله المعبود بالدين واحد و هو دين إبراهيم، و به فليتمسك المسلمون و ليركوا شقاق أهل الكتاب.

فإن من طبيعه هذه الحياه الأرضيه الدنيويه التغير و التحول فى عين الجرى و الاستمرار كنفس الطبيعه التى هى كالماده لها و يوجب ذلك أن تتغير الرسوم و الآداب و الشعائر القوميه بين طوائف الملل و شعباتها، و ربما يوجب ذلك تغييراً و انحرافاً فى المراسم الدينيه، و ربما يوجب دخول ما ليس من الدين فى الدين، أو خروج ما هو منه و الأغراض و الغايات الدنيويه ربما تحل محل الأغراض الدينيه الإلهيه (و هى بليه الدين)، و عند ذلك ينصبغ الدين بصبغه القوميه فيدعو إلى هدف دون هدفه الأصلي و يؤدب الناس غير أدبه الحقيقى، فلا يلبث حتى يعود المنكر (و هو ما ليس من الدين) معروفاً يتعصب له الناس لموافقته هوساتهم و شهواتهم و المعروف منكراً ليس له حام يحميه و لا واق يقيه و يئول الأمر إلى ما نشاهده اليوم من...

و بالجمله فقوله تعالى: **وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارًا**، إجمال تفصيل معناه و قالت اليهود كونوا هوداً تهتدوا، و قالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا، كل ذلك لتشعبهم و شقاقهم.

قوله تعالى: **قُلْ بَيْتُ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمِمَّا كَانُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ**، جواب عن قولهم أى قل، بل نتبع مله إبراهيم حنيفاً فإنها المله الواحده التى كان عليها جميع

أنبيائكم، إبراهيم، فمن دونه، وما كان صاحب هذه الملة و هو إبراهيم من المشركين و لو كان فى ملته هذه الانشعابات، و هى الضمائم التى ضمها إليها المبتدعون، من الاختلافات لكان مشركا بذلك، فإن ما ليس من دين الله لا يدعو إلى الله سبحانه، بل إلى غيره و هو الشرك، فهذا دين التوحيد الذى لا يشتمل على ما ليس من عند الله تعالى.

قوله تعالى: قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا، لما حكى ما يأمره به اليهود و النصارى من اتباع مذهبهم، ذكر ما هو عنده من الحق (و الحق يقول) و هو الشهادة على الإيمان بالله، و الإيمان بما عند الأنبياء، من غير فرق بينهم، و هو الإسلام و خص الإيمان بالله بالذكر و قدمه و أخرجه من بين ما أنزل على الأنبياء لأن الإيمان بالله فطرى، لا يحتاج إلى بينة النبوه، و دليل الرساله.

ثم ذكر سبحانه ما أنزل إلينا و هو القرآن أو المعارف القرآنيه و ما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب، ثم ذكر ما أوتى موسى و عيسى و خصهما بالذكر لأن المخاطبه مع اليهود و النصارى و هم يدعون إليهما فقط ثم ذكر ما أوتى النبيون من ربهم، ليشمل الشهاده جميع الأنبياء فيستقيم قوله بعد ذلك: لا نفرق بين أحد منهم.

و اختلاف التعبير فى الكلام، حيث عبر عما عندنا و عند إبراهيم و إسحاق و يعقوب بالإنزال و عما عند موسى و عيسى و النبيين بالإيتاء و هو الإعطاء، لعل الوجه فيه أن الأصل فى التعبير هو الإيتاء، كما قال تعالى بعد ذكر إبراهيم، و من بعده و من قبله من الأنبياء فى سورة الأنعام: «أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ»: الأنعام-٨٩، لكن لفظ الإيتاء ليس بصريح فى الوحي و الإنزال كما قال تعالى: «وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ»: لقمان-١٢، و قال: «وَ لَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ»: الجاثية-١٦، و لما كان كل من اليهود و النصارى يعدون إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط من أهل ملتهم، فاليهود من اليهود، و النصارى من النصارى، و اعتقادهم أن الملة الحق من النصرانية، أو اليهوديه، هى ما أوتيه موسى و عيسى، فلو كان قيل: و ما أوتى إبراهيم و إسماعيل

لم يكن بصريح في كونهم بأشخاصهم صاحب مله بالوحي و الإنزال و احتمال أن يكون ما أوتوه، هو الذى أوتيه موسى و عيسى(ع)نسب إليهم بحكم التبعية كما نسب إيتاؤه إلى بنى إسرائيل فلذلك خص إبراهيم و من عطف عليه باستعمال لفظ الإنزال، و أما النبيون قبل إبراهيم فليس لهم فيهم كلام حتى يوهم قوله: و ما أوتى النبيون شيئاً يجب دفعه.

قوله تعالى: وَ الْأَسْبَاطِ، الْأَسْبَاطُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ كَالْقَبَائِلِ فِي بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَ السَّبْطُ كَالْقَبِيلَةِ الْجَمَاعَةُ يَجْتَمِعُونَ عَلَى أَبِي وَاحِدٍ، وَ قَدْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أُسْبَاطًا أَمَّا وَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ تَنْتَهِي إِلَى وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ وَ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ، فَخَلْفَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أُمَةٌ مِنَ النَّاسِ.

فإن كان المراد بالأسباط الأعم و الأقوام فنسبه الإنزال إليهم لاشتمالهم على أنبياء من سبطهم، و إن كان المراد بالأسباط الأشخاص كانوا أنبياء أنزل إليهم الوحي و ليسوا بإخوة يوسف لعدم كونهم أنبياء، و نظير الآية قوله تعالى: «وَ أُوحِيَْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ عِيسَى» النساء-١٦٣.

قوله تعالى: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا، الإتيان بلفظ المثل مع كون أصل المعنى، فإن آمنوا بما آمنتم به، لقطع عرق الخصام و الجدال، فإنه لو قيل لهم أن آمنوا بما آمننا به أمكن أن يقولوا كما قالوا، بل تؤمن بما أنزل علينا و نكفر بما وراءه، لكن لو قيل لهم، إنا آمننا بما لا يشتمل إلا على الحق فآمنوا أنتم بما يشتمل على الحق مثله، لم يجدوا طريقاً للمراء و المكابرة، فإن الذى بيدهم لا يشتمل على صفوه الحق.

قوله تعالى: فِي شِقَاقٍ، الشقاق النفاق و المنازعة و المشاجرة و الافتراق.

قوله تعالى: فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ، وعد لرسول الله بالنصره عليهم، و قد أنجز وعده و سيتم هذه النعمة للأمة الإسلاميه إذا شاء، و اعلم: أن الآية معترضه بين الآيتين السابقيه و اللاحقه.

قوله تعالى: صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً، الصبغه بناء نوع من الصبغ

أى هذا الإيمان المذكور صبغه إلهيه لنا، وهى أحسن الصبغ لا صبغه اليهوديه و النصرانيه بالتفرق فى الدين، و عدم إقامته.

قوله تعالى: وَ نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ، فى موضع الحال، و هو كبيان العله لقوله:

صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ

قوله تعالى: قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ، إنكار لمحاجه أهل الكتاب، المسلمين فى الله سبحانه و قد بين وجه الإنكار، و كون محاجتهم لغوا و باطلا، بقوله وَ هُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ وَ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ، و بيانه: أن محاجه كل تابعين فى متبوعهما و مخاصمتهما فيه إنما تكون لأحد أمور ثلاثة: إما لاختصاص كل من التابعين بمتبوع دون متبوع الآخر، فيريدان بالمحاجه كل تفضيل متبوعه و ربه على الآخر، كالمحاجه بين وثنى و مسلم، و إما لكون كل واحد منهما أو أحدهما و يريد مزيد الاختصاص به، و إبطال نسبه رفيقه، أو قربه أو ما يشبه ذلك، بعد كون المتبوع واحدا، و إما لكون أحدهما ذا خصائص و خصال لا ينبغى أن ينتسب إلى هذا المتبوع و فعاله ذاك الفعال، و خصاله تلك الخصال لكونه موجبا، لهتكه أو سقوطه أو غير ذلك فهذه علل المحاجه و المخاصمه بين كل تابعين، و المسلمون و أهل الكتاب إنما يعبدون إلهها واحدا، و أعمال كل من الطائفتين لا تراحم الأخرى شيئا و المسلمون مخلصون فى دينهم لله، فلا سبب يمكن أن يتشبث به أهل الكتاب فى محاجتهم، و لذلك أنكر عليهم محاجتهم أولا ثم نفى واحدا واحدا من أسبابها الثلاثة، ثانيا.

قوله تعالى: أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ إِلَى قَوْلِهِ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى، و هو قول كل من الفريقين، أن إبراهيم و من ذكر بعده منهم، و لازم ذلك كونهم هودا أو نصارى أو قولهم صريحا أنهم كانوا هودا أو نصارى، كما يفيدته ظاهر قوله تعالى «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» آل عمران- ٦٥.

قوله تعالى: قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ، فإن الله أخبرنا و أخبركم فى الكتاب أن موسى و عيسى و كتابيهما بعد إبراهيم و من ذكر معه.

قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ، أى كتم ما تحمل شهادته أن الله أخبر بكون تشريع اليهوديه أو النصرانيه بعد إبراهيم و من ذكر معه، فالشهادة المذكوره فى الآيه، شهادته تحمل، أو المعنى كتم شهادته الله على كون هؤلاء قبل التوراه و الإنجيل، فالشهادة شهادته أداء، المتعين هو المعنى الأول.

قوله تعالى: تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ، أى أن الغور فى الأشخاص و أنهم ممن كانوا لا ينفع حالكم، و لا يضركم السكوت عن المحاجه و المجادله فيهم، و الواجب عليكم الاشتغال بما تسألون غدا عنه، و تكرار الآيه مرتين لكونهم يفرطون فى هذه المحاجه التى لا تنفع لحالهم شيئا، و خصوصا مع علمهم بأن إبراهيم كان قبل اليهوديه و النصرانيه، و إلا فالبحث عن حال الأنبياء، و الرسل بما ينفع البحث فيه كمزايا رسالاتهم و فضائل نفوسهم الشريفه مما ندب إليه القرآن حيث يقص قصصهم و يأمر بالتدبر فيها.

### (بحث روائى)

فى تفسير العياشى،: فى قوله تعالى قُلْ: بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا الْآيَه، عن الصادق (ع) قال إن الحنيفيه فى الإسلام.

و عن الباقر (ع): ما أبقت الحنيفيه شيئا، حتى أن منها قص الشارب و قلم الأظفار و الختان.

و فى تفسير القمى،": أنزل الله على إبراهيم الحنيفيه، و هى الطهاره، و هى عشره: خمس فى الرأس و خمس فى البدن، فأما التى فى الرأس - فأخذ الشارب و إعفاء اللحي و طم الشعر و السواك و الخلال، و ما التى فى البدن فأخذ الشعر من البدن و الختان - و قلم الأظفار و الغسل من الجنابه، و الطهور بالماء - و هى الحنيفيه الطاهره التى جاء بها إبراهيم فلم تنسخ و لا تنسخ إلى يوم القيامه.

أقول: طم الشعر بجزه، و توفيره و فى معنى الروايه أو ما يقرب منه أحاديث كثيره جدا روتها الفريقان فى كتبهم.

□ □  
و فى الكافى، و تفسير العياشى، عن الباقر (ع): فى قوله تعالى، قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ



الآية، قال إنما عنى بها عليا وفاطمه والحسن والحسين - و جرت بعدهم فى الأئمه الحديث.

أقول: ويستفاد ذلك من وقوع الخطاب فى ذيل دعوه إبراهيم و من ذريتنا أمه مسلمه لك الآيه و لا ينافى ذلك توجيه الخطاب إلى عامه المسلمين و كونهم مكلفين بذلك، فإن لهذه الخطابات عموما و خصوصا بحسب مراتب معناها على ما مر فى الكلام على الإسلام و الإيمان و مراتبهما.

□  
و فى تفسير القمى، عن أحدهما، و فى المعانى، عن الصادق (ع): فى قوله تعالى صِبْغَةَ اللَّهِ الآيه، قال الصبغه هى الإسلام.

أقول: و هو الظاهر من سياق الآيات.

و فى الكافى، و المعانى، عن الصادق (ع) قال: صبغ المؤمن بالولاية فى الميثاق.

أقول: و هو من باطن الآيه على ما سنيين معناه و نبين أيضا معنى الولاية و معنى الميثاق إن شاء الله العزيز.

## [سوره البقره (٢): الآيات ١٤٢ الى ١٥١]

### اشاره

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣) قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا فَبَلَّتْكَ وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧) وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَ لَأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)



الآيات مترتبة متسقة منتظمة فى سياقها على ما يعطيه التدبر فيها و هى تنبئ عن جعل الكعبة قبله للمسلمين فلا يصغى إلى قول من يقول إن فيها تقدما و تأخرا أو إن فيها ناسخا و منسوخا، و ربما رووا فيها شيئا من الروايات، و لا يعاب بشيء منها بعد مخالفتها لظاهر الآيات.

قوله تعالى: سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، هذا تمهيد ثانيا لما سيأمر تعالى به من اتخاذ الكعبة قبله و تعليم للجواب عما سيعترض به السفهاء من الناس و هم اليهود تعصبا لقبلتهم التى هى بيت المقدس و مشركو العرب الراصدون لكل أمر جديد يحتمل الجدل و الخصام، و قد مهد لذلك أولا بما ذكره الله تعالى من قصص إبراهيم و أنواع كرامته على الله سبحانه و كرامه ابنه إسماعيل و دعوتهما للكعبة و مكة و للنبي و الأمة المسلمة و بنائهما البيت و الأمر بتطهيره للعبادة، و من المعلوم أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة من أعظم الحوادث الدينية و أهم التشريعات التى قوبل به الناس بعد هجره النبي إلى المدينة و أخذ الإسلام فى تحقيق أصوله و نشر معارفه و بث حقائقه، فما كانت اليهود و غيرهم تسكت و تستريح فى مقابل هذا التشريع، لأنهم كانوا يرون أنه يبطل واحدا من أعظم مفاخرهم الدينية و هو القبلة و اتباع غيرهم لهم فيها و تقدمهم على من دونهم فى هذا الشعار الدينى، على أن ذلك تقدم باهر فى دين المسلمين، لجمعه و جوههم فى عباداتهم و مناسكهم الدينية إلى نقطه واحده يخلصهم من تفرق الوجوه فى الظاهر و شتات الكلمه فى الباطن و استقبال الكعبة أشد تأثيرا و أقوى من أمثال الطهارة و الدعاء و غيرها فى نفوس المسلمين، عند اليهود و مشركى العرب و خاصه عند اليهود كما يشهد به قصصهم المقتصه فى القرآن، فقد كانوا أمه لا- يرون لغير المحسوس من عالم الطبيعه أصاله و لا- لغير الحس و قعا، إذا جاءهم حكم من أحكام الله معنوى قبلوه من غير تكلم عليه و إذا جاءهم أمر من ربهم صورى متعلق بالمحسوس من الطبيعه كالقتال و الهجره و السجده و خضوع القول و غيرها قابلوه بالإنكار و قاوموا عليه و دونه أشد المقاومه.

و بالجمله فقد أخبر الله سبحانه عما سيعترضون به على تحويل القبلة و علم رسوله ما ينبغي أن يجابوا و يقطع به قولهم.

أما اعتراضهم: فهو أن التحول عن قبله شرعها الله سبحانه للماضين من أنبيائه إلى بيت، ما كان به شيء من هذا الشرف الذاتى ما وجهه؟ فإن كان بأمر من الله فإن الله هو الذى جعل بيت المقدس قبله فكيف ينقض حكمه و ينسخ ما شرعه، و اليهود ما كانت تعتقد النسخ (كما تقدم فى آيه النسخ) و إن كان بغير أمر الله ففيه الانحراف عن مستقيم الصراط و الخروج من الهدايه إلى الضلال و هو تعالى و إن لم يذكر فى كلامه هذا الاعتراض إلا أن ما أجاب به يلوح ذلك.

و أما الجواب: فهو أن جعل بيت من البيوت كالكعبه أو بناء من الأبنية أو الأجسام كبيت المقدس، أو الحجر الواقع فيه قبله ليس لاقتضاء ذاتى منه يستحيل التعدى عنه أو عدم إجابته اقتضائه حتى يكون البيت المقدس فى كونه قبله لا يتغير حكمه و لا يجوز إلغاؤه، بل جميع الأجسام و الأبنية و جميع الجهات التى يمكن أن يتوجه إليه الإنسان فى أنها لا تقتضى حكما و لا يستوجب تشريعا على السواء و كلها لله يحكم فيها ما يشاء و كيف يشاء و متى يشاء، و ما حكم به من حكم فهو لهدايه الناس على حسب ما يريد من صلاحهم و كمالهم الفردى و النوعى، فلا يحكم إلا ليهدى به و لا يهدى إلا إلى ما هو صراط مستقيم إلى كمال القوم و صلاحهم.

قوله تعالى: سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ، أراد بهم اليهود و المشركين من العرب و لذلك عبر عنهم بالناس و إنما سفههم لعدم استقامه فطرتهم و ثقوب رأيهم فى أمر التشريع، و السفاهه عدم استقامه العقل و تزلزل الرأى.

قوله تعالى: مَّا وَلَا هُمْ، توليه الشيء أو المكان جعله قدام الوجه و أمامه كالأستقبال، قال تعالى فَلَتَوَلَّيْنَكَ قِبَلَهُ تَرَضَاهَا، الآيه و التوليه عن الشيء صرف الوجه عنه كالأستدبار و نحوه، و المعنى ما الذى صرفهم أو صرف وجههم عن القبلة التى كانوا عليها و هو بيت المقدس الذى كان يصلى إليه النبى و المسلمون أيام إقامته بمكه و عدّه شهور بعد هجرته إلى المدينه و إنما نسبوا القبلة إلى المسلمين مع أن اليهود أقدم فى الصلاه

إليها ليكون أوقع في إيجاد التعجب و أوجب للاعتراض، و إنما قيل ما وليهم عن قبلتهم و لم يقل ما ولي النبي و المسلمين لما ذكرنا من الوجه، فلو قيل ما ولي النبي و المسلمين عن قبله اليهود لم يكن التعجب واقعا موقعه و كان الجواب عنه ظاهرا لكل سامع بأدنى تنبه.

قوله تعالى: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ، اقتصر من بين الجهات بهاتين لكونهما هما المعنيتين لسائر الجهات الأصلية و الفرعية كالشمال و الجنوب و ما بين كل جهتين من الجهات الأربعة الأصلية، و المشرق و المغرب جهتان إضافيتان تتعنان بشروق الشمس أو النجوم و غروبهما، يعمان جميع نقاط الأرض غير نقطتين موهومتين هما نقطتا الشمال و الجنوب الحقيقيتان، و لعل هذا هو الوجه في وضع المشرق و المغرب موضع الجهات.

قوله تعالى: يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، تنكير الصراط لأن الصراط يختلف باختلاف الأمم في استعداداتها للهداية إلى الكمال و السعادة.

قوله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، الظاهر أن المراد كما سنحول القبلة لكم لنهديكم إلى صراط مستقيم كذلك جعلناكم أمة وسطا، و قيل إن المعنى و مثل هذا الجعل العجيب جعلناكم أمة وسطا (و هو كما ترى)، و أما المراد بكونهم أمة وسطا شهداء على الناس فالوسط هو المتخلل بين الطرفين لا إلى هذا الطرف و لا إلى ذاك الطرف، و هذه الأمة بالنسبة إلى الناس و هم أهل الكتاب و المشركون - على هذا الوصف فإن بعضهم - و هم المشركون و الوثنيون - إلى تقوية جانب الجسم محضا لا يريدون إلا الحياة الدنيا و الاستكمال بملاذها و زخارفها و زينتها، لا يرجون بعثا و لا نشورا، و لا يعبثون بشيء من الفضائل المعنوية و الروحية، و بعضهم كالنصارى إلى تقوية جانب الروح لا يدعون إلا إلى الرهبانية و رفض الكمالات الجسميه التي أظهرها الله تعالى في مظاهر هذه النشأه الماديه لتكون ذريعه كامله إلى نيل ما خلق لأجله الإنسان، فهؤلاء أصحاب الروح أبطلوا النتيجة بإبطال سببها و أولئك أصحاب الجسم أبطلوا النتيجة بالوقوف على سببها و الجمود عليها، لكن الله سبحانه جعل هذه الأمة وسطا بأن جعل لهم دينا يهدي منتحليه إلى سواء الطريق وسط الطرفين لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء بل يقوى كلا من الجانبين - جانب الجسم و جانب الروح - على ما يليق به و يندب إلى جمع الفضيلتين فإن الإنسان مجموع الروح و الجسم لا روح محضا و لا جسم محضا، و محتاج

فى حياتاه السعيده إلى جمع كلا الكمالين و السعادتين الماديه و المعنويه، فهذه الأمه هى الوسط العدل الذى به يقاس و يوزن كل من طرفى الإفراط و التفريط فى الشهيد على سائر الناس الواقعه فى الأطراف و النبى ص و هو المثال الأكل من هذه الأمه- هو شهيد على نفس الأمه فهو(ص) ميزان يوزن به حال الآحاد من الأمه، و الأمه ميزان يوزن به حال الناس و مرجع يرجع إليه طرفا الإفراط و التفريط، هذا ما قرره بعض المفسرين فى معنى الآيه، و هو فى نفسه معنى صحيح لا يخلو عن دقه إلا أنه غير منطبق على لفظ الآيه فإن كون الأمه وسطا إنما يصح كونها مرجعا يرجع إليه الطرفان، و ميزانا يوزن به الجانبان لا كونها شاهده تشهد على الطرفين، أو يشاهد الطرفين، فلا تناسب بين الوسطيه بذاك المعنى و الشهاده و هو ظاهر، على أنه لا وجه حينئذ للتعرض بكون رسول الله شهيدا على الأمه إذ لا- يترتب شهاده الرسول على الأمه على جعل الأمه وسطا، كما يترتب الغايه على المغيا و الغرض على ذيه.

على أن هذه الشهاده المذكوره فى الآيه، حقيقه من الحقائق القرآنيه تكرر ذكرها فى كلامه سبحانه، و اللائح من موارد ذكرها معنى غير هذا المعنى، قال تعالى «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا» :النساء- ٤١، و قال تعالى «و يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» :النحل- ٨٤ «و قال تعالى وَ وُضِعَ الْكِتَابُ وَ جِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ» :الزمر- ٦٩، و الشهاده فيها مطلقه، و ظاهر الجمع على إطلاقها هو الشهاده على أعمال الأمم، و على تبليغ الرسل أيضا، كما يومئ إليه قوله تعالى «فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ» :الأعراف- ٦، و هذه الشهاده و إن كانت فى الآخره يوم القيامه لكن تحملها فى الدنيا على ما يعطيه قوله تعالى -حكايه عن عيسى(ع)- «و كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» :المائده- ١١٧ و قوله تعالى «و يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» :النساء- ١٥٩، و من الواضح أن هذه الحواس العاديه التى فىنا، و القوى المتعلقه بها منا لا تتحمل إلا صور الأفعال و الأعمال فقط، و ذلك التحمل أيضا إنما يكون فى شىء يكون موجودا حاضرا عند الحس لا- معدوما و لا- غائبا عنه و أما حقائق الأعمال و المعانى النفسانيه من الكفر و الإيمان و الفوز و الخسران، و بالجمله كل خفى عن الحس و مستبطن عند الإنسان- و هى التى تكسب

القلوب، و عليه يدور حساب رب العالمين يوم تبلى السرائر كما قال تعالى «وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ» :البقره-٢٢٥ فهي مما ليس فى وسع الإنسان إحصاؤها و الإحاطه بها و تشخيصها من الحاضرين فضلا عن الغائبين إلا رجل يتولى الله أمره و يكشف ذلك له بيده، و يمكن أن يستفاد ذلك من قوله تعالى «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» :الزخرف-٨٦، فإن عيسى داخل فى المستثنى فى هذه الآيه قطعاً- و قد شهد الله تعالى فى حقه بأنه من الشهداء- كما مر فى الآيتين السابقتين، فهو شهيد بالحق و عالم بالحقيقه.

و الحاصل أن هذه الشهاده ليست هى كون الأمه على دين جامع للكمال الجسمانى و الروحانى فإن ذلك على أنه ليس معنى الشهاده خلاف ظاهر الآيات الشريفه.

بل هى تحمل حقائق أعمال الناس فى الدنيا من سعادته أو شقاء و رد و قبول، و انقياد و تمرد، و أداء ذلك فى الآخره يوم يستشهد الله من كل شىء، حتى من أعضاء الإنسان، يوم يقول الرسول يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا.

و من المعلوم أن هذه الكرامه ليست تنالها جميع الأمه، إذ ليست إلا- كرامه خاصه للأولياء الطاهرين منهم، و أما من دونهم من المتوسطين فى السعاده، و العدول من أهل الإيمان فليس لهم ذلك، فضلا عن الأجلاف الجافيه، و الفراعنه الطاغيه من الأمه، و ستعرف فى قوله تعالى «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصُّدَّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» :النساء-٦٩، إن أقل ما يتصف به الشهداء- و هم شهداء الأعمال- أنهم تحت ولايه الله و نعمته و أصحاب الصراط المستقيم، و قد مر إجمالاً فى قوله تعالى «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» :فاتحه الكتاب-٧.

فالمراد بكون الأمه شهيده أن هذه الشهاده فيهم، كما أن المراد بكون بنى إسرائيل فضلوا على العالمين، أن هذه الفضيله فيهم من غير أن يتصف به كل واحد منهم، بل نسب وصف البعض إلى الكل لكون البعض فيه و منه، فكون الأمه شهيده هو أن فيهم من يشهد على الناس و يشهد الرسول عليهم.

فإن قلت: قوله تعالى «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ»: الحديد-١٩، يدل على كون عامه المؤمنين شهداء.

قلت: قوله عِنْدَ رَبِّهِمْ، يدل على أنه تعالى سيلحقهم بالشهداء يوم القيامة، و لم ينالوه في الدنيا، نظير ذلك قوله تعالى «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ»: الطور-٢١، على أن الآية مطلقه تدل على كون جميع المؤمنين من جميع الأمم شهداء عند الله من غير اختصاص بهذه الأمة فلا ينفع المستدل شيئا.

فإن قلت: جعل هذه الأمة أمه وسطا بهذا المعنى لا يستتبع كونهم أو كون بعضهم شهداء على الأعمال و لا كون الرسول شهيدا على هؤلاء الشهداء فالإشكال وارد على هذا التقريب كما كان واردا على التقريب السابق.

قلت: معنى الشهادة غايه متفرعه في الآية على جعل الأمة وسطا فلا محاله تكون الوسطية معنى يستتبع الشهادة و الشهداء، وقد قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ»: الحج-٧٨، جعل تعالى كون الرسول شهيدا عليهم و كونهم شهداء على الناس غايه متفرعه على الاجتباء و نفى الحرج عنهم في الدين ثم عرف الدين بأنه هو الملة التي كانت لأبيكم إبراهيم الذي هو سماكم المسلمين من قبل، و ذلك حين دعا لكم ربه و قال: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكُمْ» فاستجاب الله دعوته و جعلكم مسلمين، تسلمون له الحكم و الأمر من غير عصيان و استنكاف، و لذلك ارتفع الحرج عنكم في الدين، فلا- يشق عليكم شيء منه و لا- يخرج، فأنتم المجتوبون المهديون إلى الصراط، المسلمون لربهم الحكم و الأمر، و قد جعلناكم كذلك ليكون الرسول شهيدا عليكم و تكونوا شهداء على الناس، أي تتوسطوا بين الرسول و بين الناس فتتصلوا من جهة إليهم، و عند ذلك يتحقق مصداق دعائه(ع) فيكم و في الرسول



حيث قال «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْنَهُم آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ» :البقره-١٢٩، فتكونون أمه مسلمه أودع الرسول في قلوبكم علم الكتاب و الحكمه، و مزكين بتزكيتهم، و التزكيه التطهير من قذرات القلوب، و تخليصها للعبوديه، و هو معنى الإسلام كما مر بيانه، فتكونون مسلمين خالصين في عبوديتكم، و للرسول في ذلك القدم الأول و الهدايه و الترييه، فله التقدم على الجميع، و لكم التوسط بالحقوق به، و الناس في جانب، و في أول الآيه و آخرها قرائن تدل على المعنى الذى استفدناه منها غير خفيه على المتدبر فيها سنينها في محله إن شاء الله.

فقد تبين بما قدمناه: أولاً، أن كون الأمة وسطا مستتبع للغايتين جميعا، و أن قوله تعالى: لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا آيَه جميعا لازم كونهم وسطا.

و ثانيا: أن كون الأمة وسطا إنما هو بتخللها بين الرسول و بين الناس، لا بتخللها بين طرفى الإفراط و التفريط، و جانبى تقويه الروح و تقويه الجسم فى الناس.

و ثالثا: أن الآيه بحسب المعنى مرتبطه بآيات دعوه إبراهيم (ع) و أن الشهاده من شئون الأمه المسلمه.

و اعلم: أن الشهاده على الأعمال على ما يفيدته كلامه تعالى لا يختص بالشهداء من الناس، بل كل ما له تعلق ما بالعمل كالملائكه و الزمان و المكان و الدين و الكتاب و الجوارح و الحواس و القلب فله فيه شهاده.

و يستفاد منها أن الذى يحضر منها يوم القيامه هو الذى فى هذه النشأه الدنيويه و أن لها نحوا من الحياه الشاعره بها، تتحمل بها خصوصيات الأعمال، و ترتسم هى فيها، و ليس من اللازم أن تكون الحياه التى فى كل شىء، سنخا واحدا كحياه جنس الحيوان، ذات خواص و آثار كخواصها و آثارها، حتى تدفعه الضروره فلا دليل على انحصار أنحاء الحياه فى نحو واحد، هذا إجمال القول فى هذا المقام و أما تفصيل القول فى كل واحد واحد منها فموكول إلى محله اللائق به.

قوله تعالى: وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ

، المراد بقوله لِنَعْلَمَ: إما علم الرسل و الأنبياء مثلا- لأن العظماء يتكلمون عنهم و عن أتباعهم، كقول الأمير، قتلنا فلانا و سجننا فلانا، و إنما قتله و سجنه أتباعه لا نفسه، و إما العلم العيني الفعلى منه تعالى الحاصل مع الخلقه و الإيجاد، دون العلم قبل الإيجاد.

و الانقلاب على العقبين كناية عن الإعراض، فإن الإنسان- و هو منتصب على عقبيه- إذا انقلب من جهه، إلى جهه انقلب على عقبيه، فجعل كناية عن الإعراض نظير قوله «وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ»: الأنفال-١٦، و ظاهر الآيه أنه دفع لما يختلج في صدور المؤمنين: من تغيير القبلة و نسخها، و من جهه الصلوات التي صلوها إلى القبلة، ما شأنها؟ و يظهر من ذلك أن المراد بالقبلة التي كان رسول الله عليها، هو بيت المقدس الكعبه، فلا دليل على جعل بيت المقدس قبله مرتين، و جعل الكعبه قبله مرتين، إذ لو كان المراد من القبلة في الآيه الكعبه كان لازم ذلك ما ذكر.

و بالجملة كان من المترقب أن يختلج في صدور المؤمنين: أولا، أنه لما كان من المقدر أن يستقر القبلة بالآخره على الكعبه فما هو السبب، أولا: في جعل بيت المقدس قبله؟ فبين سبحانه أن هذه الأحكام و التشريعات ليست إلا لأجل مصالح تعود إلى تربيته الناس و تكميلهم، و تمحيص المؤمنين من غيرهم، و تمييز المطيعين من العاصين، و المنقادين من المتمردين، و السبب الداعي إلى جعل القبلة السابقه في حقكم أيضا هذا السبب بعينه، فالمراد بقوله إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ، إلا لتمييز من يتبعك، و العدول من لفظ الخطاب إلى الغيبه لدخاله صفه رساله في هذا التمييز، و المراد بجعل القبلة السابقه: جعلها في حق المسلمين، و إن كان المراد أصل جعل بيت المقدس قبله فالمراد مطلق الرسول، و الكلام على رسله من غير التفات، غير أنه بعيد من الكلام بعض البعد.

و ثانيا: أن الصلوات التي كان المسلمون صلوها إلى بيت المقدس كيف حالها، و قد صليت إلى غير القبلة؟ و الجواب: أن القبلة قبله ما لم تنسخ، و أن الله سبحانه إذا

نسخ حكما رفعه من حين النسخ، لا من أصله، لرافته و رحمته بالمؤمنين، وهذا ما أشار إليه بقوله: **وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ بِالدَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ**. و الفرق بين الرافه و الرحمه، بعد اشتراكهما فى أصل المعنى، أن الرافه يختص بالمبتلى المفتاق، و الرحمه أعم.

قوله تعالى: **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَهُ تَرْضَاهَا**، الآية تدل على أن رسول الله قبل نزول آيه القبله-و هى هذه الآية- كان يقبل وجهه فى آفاق السماء، و أن ذلك كان انتظارا منه، أو توقعا لنزول الوحي فى أمر القبله، لما كان يجب أن يكرمه الله تعالى بقبله تختص به، لا- أنه كان لا- يرتضى بيت المقدس قبله، و حاشا رسول الله من ذلك، كما قال تعالى: **فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَهُ تَرْضَاهَا**، فإن الرضا بشىء لا- يوجب السخط بخلافه بل اليهود على ما فى الروايات الوارده فى شأن نزول الآية كانوا يعيرون المسلمين فى تبعيه قبلتهم، و يتفاخرون بذلك عليهم، فحزن رسول الله ذلك، فخرج فى سواد الليل يقبل وجهه إلى السماء ينتظر الوحي من الله سبحانه، و كشف همه فنزلت الآية، و لو نزلت على البقاء بالقبله السابقه لكانت حجه له (ص) على اليهود، و ليس لم يكن لرسول الله و لا- للمسلمين عار فى استقبال قبلتهم، إذ ليس للعبد إلا- الإطاعه و القبول، لكن نزلت بقبله جديده، فقطع تعبيرهم و تفاخرهم ، مضافا إلى تعيين التكليف، فكانت حجه و رضى.

قوله تعالى: **قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**. الشطر البعض، و شطر المسجد الحرام هو الكعبه، و فى قوله تعالى **شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** دون أن يقال: قول وجهك الكعبه، أو يقال: قول وجهك البيت الحرام، محاذاه للحكم فى القبله السابقه، فإنها كانت شطر المسجد الأقصى، و هى الصخره المعروفه هناك، فبدلت من شطر المسجد الحرام- و هى الكعبه- على أن إضافه الشطر إلى المسجد، و توصيف المسجد بالحرام يعطى مزايا للحكم، تفوت لو قيل: الكعبه أو البيت الحرام.

و تخصيص رسول الله بالحكم أولا بقوله **قَوْلٌ وَجْهَكَ**، ثم تعميم الحكم له و لغيره من المؤمنين بقوله **وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ** يؤيد أن القبله حولت، و رسول الله قائم يصلى فى

المسجد-و المسلمون معه-فاختص الأمر به،أولا فى شخص صلاته ثم عقب الحكم العام الشامل له و لغيره،و لجميع الأوقات و الأمكنه قوله تعالى: **وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ**،و ذلك لاشتغال كتابهم على صدق نبوه رسول الله ص،أو كون قبله هذا النبى الصادق هو شطر المسجد الحرام،و أيا ما كان فقوله: **أُوتُوا الْكِتَابَ**،يدل على اشتغال كتابهم على حقيه هذا التشريع،إما مطابقه أو تضمنا،**وَ مَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** من كتمان الحق،و احتكار ما عندهم من العلم.

قوله تعالى: **وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ**،تفريع لهم بالعناد و اللجاج،و أن إباءهم عن القبول ليس لخفاء الحق عليهم،و عدم تبينه لهم،فإنهم عالمون بأنه حق علما لا يخالطه شك،بل الباعث لهم على بث الاعتراض و إثارة الفتنة عنادهم فى الدين و جحودهم للحق، فلا ينفعهم حجه،و لا يقطع إنكارهم آيه،فلو أتيتهم بكل آيه ما تبعوا قبلتك لعنادهم و جحودهم،**وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتَهُمْ**،لأنك على بينه من ربك،و يمكن أن يكون قوله: **وَ مَا أَنْتَ نَهِيَا فِي صَوْرِهِ خَيْرٌ**،**وَ مَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَهُ بَعْضٌ**،و هم اليهود يستقبلون صخره بيت المقدس أينما كانوا،و النصارى يستقبلون المشرق أينما كانوا،فلا هذا البعض يقبل قبله ذاك البعض،و لا ذاك يقبل قبله هذا اتباعا للهوى.

قوله تعالى: **وَ لَئِنْ أَتَيْتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**،تهديد للنبي، و المعنى متوجه إلى أمته،و إشاره إلى أنهم فى هذا التمرد إنما يتبعون أهواءهم و أنهم بذلك ظالمون.

قوله تعالى: **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**،الضمير فى قوله يعرفونه،راجع إلى رسول الله ص دون الكتاب،و الدليل عليه تشبيه هذه المعرفة بمعرفة الأبناء،فإن ذلك إنما يحسن فى الإنسان،و لا يقال فى الكتاب،أن فلانا يعرفه أو يعلمه،كما يعرف ابنه،على أن سياق الكلام-و هو فى رسول الله،

و ما أوحى إليه من أمر القبله، أجنبى عن موضوع الكتاب الذى أوتيه أهل الكتاب، فالمعنى أن أهل الكتاب يعرفون رسول الله بما عندهم من بشارات الكتب كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق و هم يعلمون.

و على هذا ففى الكلام النفات من الحضور إلى الغيبه فى قوله يعرفونه، فقد أخذ رسول الله غائبا، و وجه الخطاب إلى المؤمنين بعد ما كان (ص) حاضرا، و الخطاب معه، و ذلك لتوضيح: أن أمره (ص) واضح ظاهر عند أهل الكتاب، و مثل هذا النظم كمثل كلام من يكلم جماعه لكنه يخص واحدا منهم بالمخاطبه إظهارا لفضله، فيخاطبه و يسمع غيره، فإذا بلغ إلى ما يخص شخص المخاطب من الفضل و الكرامه، عدل عن خطابه إلى مخاطبه الجماعه، ثم بعد الفراغ عن بيان فضله عدل ثانيا إلى ما كان فيه أولا من توجيه الخطاب إليه و بهذا يظهر نكته الالتفات.

قوله تعالى: **الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**، تأكيد للبيان السابق و تشديد فى النهى عن الامتراء، و هو الشك و الارتياب، و ظاهر الخطاب لرسول الله ص و معناه للأمه.

قوله تعالى: **وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيٌّ** **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**، الوجهه ما يتوجه إليه كالقبله، و هذا رجوع إلى تلخيص البيان السابق، و تبديل له من بيان آخر يهدى الناس إلى ترك تعقيب أمر القبله، و الإكثار من الكلام فيه، و المعنى أن كل قوم فلهم قبله مشرعه على حسب ما يقتضيه مصالحهم و ليس حكما تكوينيا ذاتيا لا- يقبل التغيير و التحويل، فلا- يهم لكم البحث و المشاجره، فيه فاتركوا ذلك و استبقوا الخيرات و سارعوا إليها بالاستباق، فإن الله سيجمعكم إلى يوم لا ريب فيه، و **أَيَّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**.

و اعلم أن الآيه كما أنها قابله الانطباق على أمر القبله لوقوعها بين آياتها كذلك تقبل الانطباق على أمر التكوين، و فيها إشاره إلى القدر و القضاء، و جعل الأحكام و الآداب لتحقيقها و سيجىء تمام بيانه فيما يخص به من المقام إن شاء الله.

قوله تعالى: وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، ذكر بعض المفسرين أن المعنى و من أى مكان خرجت، و فى أى بقعه حلت فول و جهك و ذكر بعضهم أن المعنى و من حيث خرجت من البلاد، و يمكن أن يكون المراد بقوله وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ؛ مكة، التى خرج رسول الله ص منها كما قال تعالى «مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ»: محمد-١٣ و يكون المعنى أن استقبال البيت حكم ثابت لك فى مكة و غيرها من البلاد و البقاع، و فى قوله وَ إِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تأكيد و تشديد.

قوله تعالى: وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ، تكرار الجملة الأولى بلفظها لعله للدلالة على ثبوت حكمها على أى حال، فهو كقول القائل، اتق الله إذا قمت و اتق الله إذا قعدت، و اتق الله إذا نطقت، و اتق الله إذا سكت، يريد: التزم التقوى عند كل واحده من هذه الأحوال و لتكن معك، و لو قيل اتق الله إذا قمت و إذا قعدت و إذا نطقت و إذا سكت فأت هذه النكته، و المعنى استقبال شطر المسجد الحرام من التى خرجت منها و حيث ما كنتم من الأرض فولوا ووجهكم شطره.

قوله تعالى: لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم و اخشوني، بيان لفوائد ثلاث فى هذا الحكم الذى فيه أشد التأكيد على ملازمه الامتثال و التحذر عن الخلاف:

إحداها: أن اليهود كانوا يعلمون من كتبهم أن النبى الموعود تكون قبلته الكعبة دون بيت المقدس، كما قال تعالى: وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ الآيه، و فى ترك هذا الحكم الحجة لليهود على المسلمين بأن النبى ليس هو النبى الموعود لكن الترام هذا الحكم و العمل به يقطع حججهم إلا الذين ظلموا منهم، و هو استثناء منقطع، أى لكن الذين ظلموا منهم باتباع الأهواء لا ينقطعون بذلك فلا تخشوهم لأنهم ظالمون باتباع الأهواء، و الله لا يهدى القوم الظالمين و اخشوني.

و ثانيها: أن ملازمه هذا الحكم يسوق المسلمين إلى تمام النعمة عليهم بكمال دينهم، و سنيين معنى تمام النعمة فى الكلام على قوله تعالى «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي»: المائدة-٤.

و ثالثها: رجاء الاهتداء إلى الصراط المستقيم، وقد مر معنى الاهتداء فى الكلام على معنى قوله تعالى «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» فاتحه الكتاب-٦.

و ذكر بعض المفسرين أن اشتمال هذه الآيه و هى آيه-تحويل القبلة-على قوله و ليتم نعمته عليكم و لعلكم تهتدون، مع اشتمال قوله تعالى فى سورة الفتح فى ذكر فتح مکه على هاتين الجملتين، إذ قال تعالى «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا»:الفتح-٢ يدل على كونها مشتمله على البشاره بفتح مکه.

بيان ذلك أن الكعبه كانت مشغوله فى صدر الإسلام بأصنام المشركين و أوثانهم و كان السلطان معهم، و الإسلام لم يقو بعد بحيث يظهر قهره و قدرته، فهدى الله رسوله إلى استقبال بيت المقدس، لكونه قبله لليهود، الذين هم أقرب فى دينهم من المشركين إلى الإسلام، ثم لما ظهر أمر الإسلام بهجره رسول الله إلى المدينة، و قرب زمان الفتح و توقع تطهير البيت من أرجاس الأصنام جاء الأمر بتحويل القبلة و هى النعمه العظيمه التى اختص به المسلمون، و وعد فى آيه التحويل إتمام النعمه و الهدايه و هو خلوص الكعبه من أدناس الأوثان، و تعينها لأن تكون قبله يعبد الله إليها، و يكون المسلمون هم المختصون بها، و هى المختصه بهم، فهى بشاره بفتح مکه، ثم لما ذكر فتح مکه حين فتحت أشار إلى ما وعدهم به من إتمام النعمه و البشاره بقوله وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا الآيه.

و هذا الكلام و إن كان بظاهره و جيهها لكنه خال عن التدبر، فإن ظاهر الآيات لا يساعد عليه، إذ الدال على وعد إتمام النعمه فى هذه الآيه: وَ لَأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، الآيه إنما هو لام الغايه، و آيه سورة الفتح التى أخذها إنجازا لهذا الوعد و مصداقا لهذه البشاره أعنى قوله تعالى: لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، مشتمله على هذه اللام بعينها، فالآيتان جميعا مشتملتان على الوعد الجميل بإتمام النعمه، على أن آيه الحج مشتمله على وعد إتمام النعمه لجميع المسلمين، و آيه الفتح على ذلك لرسول الله خاصة فالسياق فى الآيتين مختلف.

و لو كان هناك آيه تحكى عن إنجاز الوعد الذى تشتمل عليه الآيتان لكان هو قوله

تعالى «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» :المائدة-٤، و سيجيء الكلام فى معنى النعمة و تشخيص هذه النعمة التى يمتن بها الله سبحانه فى الآيه.

و نظير هاتين الآيتين فى الاشتمال على عده إتمام النعمة قوله تعالى «وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» :المائدة-٦، و قوله تعالى «كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ» :النحل-٨١، و سيجيء إن شاء الله شىء من الكلام المناسب لهذا المقام فى ذيل هذه الآيات.

قوله تعالى: «كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ»، ظاهر الآيه أن الكاف للتشبيه و ما مصدرية، فالمعنى: أنعمنا عليكم بأن جعلنا لكم البيت الذى بناه إبراهيم، و دعا له بما دعا من الخيرات و البركات قبله كما أرسلنا فيكم رسولا- منكم يتلوا عليكم آياتنا و يعلمكم الكتاب و الحكمة و يذكركم مستجيبين لدعوه إبراهيم، إذ قال هو و ابنه إسماعيل ربنا و ابعث فيهم رسولا- منهم يتلوا عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يذكركم، و فيهم امتنان عليهم بالإرسال كالامتنان بجعل الكعبة قبله، و من هنا يظهر أن المخاطب بقوله فيكم رسولا منكم، هو الأمة المسلمة، و هو أولياء الدين من الأمة خاصة بحسب الحقيقة، و المسلمون جميعا من آل إسماعيل- و هم عرب مضر- بحسب الظاهر، و جميع العرب بل جميع المسلمين بحسب الحكم.

قوله تعالى: «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا»، ظاهره آيات القرآن لمكان قوله يَتْلُوا، فإن العناية فى التلاوه إلى اللفظ دون المعنى، و التركيبه هى التطهير، و هو إزالة الأدناس و القذارات، فيشمل إزاله الاعتقادات الفاسده كالشرك و الكفر، و إزاله الملكات الرذيله من الأخلاق كالكبر و الشح، و إزاله الأعمال و الأفعال الشنيعة كالقتل و الزنا و شرب الخمر و تعليم الكتاب و الحكمة، و تعليم ما لم يكونوا يعلمونه يشمل جميع المعارف الأصلية و الفرعية.

و اعلم: أن الآيات الشريفة تشتمل على موارد من الالتفات، فيه تعالى بالغيبه و التكلم وحده و مع الغير، و فى غيره تعالى أيضا بالغيبه و الخطاب و التكلم، و النكته فيها غير خفيه على المتدبر البصير.



فى المجمع، عن القمى: فى تفسيره فى قوله تعالى سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ الْآيَةَ-عن الصادق (ع) قال تحولت القبلة إلى الكعبة-بعد ما صلى النبى ص بمكة-ثلاث عشرة سنة إلى بيت المقدس-و بعد مهاجرته إلى المدينة-صلى إلى بيت المقدس سبعة أشهر-قال ثم وجهه الله إلى مكة-و ذلك أن اليهود كانوا يعيرون على رسول الله-يقولون أنت تابع لنا تصلى إلى قبلتنا-فاغتم رسول الله من ذلك غما شديدا-و خرج فى جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء-ينتظر من الله فى ذلك أمرا-فلما أصبح و حضر وقت صلاه لظهر-كان فى مسجد بنى سالم-و قد صلى من الظهر ركعتين فنزل جبرئيل-فأخذ بعضديه و حوله إلى الكعبة و أنزل عليه-قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ-فَلَنُوَلِّينَاكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا-قَوْلٌ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ-فكان قد صلى ركعتين إلى بيت المقدس- و ركعتين إلى الكعبة-فقالت اليهود و السفهاء-ما وليهم عن قبلتهم التى كانوا عليها أقول و الروايات الواردة من طرق العامة و الخاصة كثيرة مودعه فى جوامع الحديث قريبه المضامين و قد اختلف فى تاريخ الواقعة و أكثرها و هو الأصح أنها كانت فى رجب السنه الثانيه من الهجره الشهر السابع عشر منها و سيجىء بعض ما يتعلق بالمقام فى بحث على حده إن شاء الله.

و عن طرق أهل السنه و الجماعه!" فى شهاده هذه الأمة على الناس-و شهاده النبى عليهم- أن الأمم يوم القيامه يجحدون تبليغ الأنبياء-فيطالب الله الأنبياء بالبينه على أنهم قد بلغوا- و هو أعلم فيؤتى بأمه محمد فيشهدون-فتقول الأمم من أين عرفتم-فيقولون عرفنا ذلك ياخبار الله تعالى-فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد- و يسأل عن حال أمته فيزكيهم و يشهد بعدالتهم-و ذلك قوله تعالى- فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ .

أقول ما يشتمل عليه هذا الخبر و هو مؤيد بأخبار آخر نقلها السيوطى فى الدر المنثور، و غيره من تزكيه رسول الله لأمته و تعديله إياهم لعله يراد به تعديله لبعضهم دون جميعهم و إلا فهو مدفوع بالضروره الثابته من الكتاب و السنه و كيف

تصحح أو تصوب هذه الفجائع التي لا تكاد، توجد و لا أنموذجه منها في واحده من الأمم الماضيه؟ و كيف يزكى و يعدل فراعنه هذه الأمه و طواغيتها؟ فهل ذلك إلا طعن في الدين الحنيف و لعب بحقائق هذه المله البيضاء، على أن الحديث مشتمل على إمضاء الشهاده النظرية دون شهاده التحمل.

و في المناقب، في هذا المعنى عن الباقر(ع): و لا يكون شهداء على الناس إلا الأئمه و الرسل، و أما الأمه فغير جائز أن يستشهدها الله - و فيهم من لا تجوز شهادته على حزمه بقل.

و في تفسير العياشى، عن الصادق(ع): في قوله تعالى: لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ - وَ يَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً آيَه، فإن ظننت أن الله عنى بهذه الآيه - جميع أهل القبله من الموحدين - أفترى أن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر - يطلب الله شهادته يوم القيامه، و يقبلها منه بحضره جميع الأمم الماضيه؟ كلا! لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعنى الأمه التي وجبت لها دعوه إبراهيم - كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ - و هم الأمه الوسطى و هم خير أمه أخرجت للناس.

أقول: و قد مر بيان ذلك في ذيل الآيه بالاستفاده من الكتاب.

و في قرب الإسناد، عن الصادق(ع) عن أبيه عن النبي قال: مما أعطى الله أمتى - و فضلهم على سائر الأمم أعطاهم ثلاث خصال لم يعطها إلا نبيا - إلى أن قال - و كان إذا بعث نبيا جعله شهيدا على قومه، و إن الله تبارك و تعالى جعل أمتى شهيدا على الخلق، حيث يقول ليكون الرسول شهيدا عليكم - و تكونوا شهداء على الناس الحديث.

أقول: و الحديث لا ينافى ما مر، فإن المراد بالأمه الأمه المسلمه التي وجبت لها دعوه إبراهيم.

و في تفسير العياشى، عن أمير المؤمنين(ع): في حديث يصف فيه يوم القيامه، قال(ع) يجتمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلق، فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرحمن و قال صوابا، فيقام الرسول فيسأل فذلك قوله لمحمد - فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ - وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً، و هو الشهيد على الشهداء، و الشهداء هم الرسل

و فى التهذيب، عن أبى بصير عن أحدهما (ع) قال: قلت له أمره أن يصلى إلى بيت المقدس؟ قال نعم ألا ترى أن الله تبارك و تعالى يقول- وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا- إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ الْآيَةَ.

أقول: مقتضى الحديث كون قوله تعالى الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا وصفا للقبلة، والمراد بها بيت المقدس، وأنه القبلة التى كان رسول الله عليها، وهو الذى يؤيده سياق الآيات كما تقدم.

و من هنا يتأيد

ما فى بعض الأخبار عن العسكرى (ع): أن هوى أهل مكة كان فى الكعبة- فأراد الله أن يبين متبع محمد من مخالفه باتباع القبلة التى كرهها، و محمد يأمر بها، و لما كان هوى أهل المدينة فى بيت المقدس أمرهم بمخالفتها- و التوجه إلى الكعبة ليبين من يتبع محمدا فيما يكرهه- فهو مصدقه و موافقه الحديث، و به يتضح أيضا فساد ما قيل: إن قوله تعالى الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا مفعول ثان لجعلنا، و المعنى: وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ، هى الكعبة التى كنت عليها قبل بيت المقدس، و استدلت عليها بقوله تعالى إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ، و هو فاسد، ظهر فساد ما تقدم.

و فى تفسير العياشى، عن الزبيرى عن الصادق (ع) قال: قلت له ألا- تخبرنى عن الإيمان، أ قول هو و عمل أم قول بلا عمل؟ فقال الإيمان عمل كله و القول بعض ذلك العمل، مفروض من الله، مبين فى كتابه، واضح نوره ثابت حجته، يشهد له بها الكتاب و يدعو إليه، و لما أن صرف الله نبيه إلى الكعبة عن بيت المقدس- قال المسلمون:

للنبي أ رأيت صلاتنا التى كنا نصلى إلى بيت المقدس، ما جالنا فيها و ما حال من مضى من أمواتنا، و هم كانوا يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ- إِنَّ اللَّهَ بِالْأَسْرِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ، فسمى الصلاة إيمانا، فمن اتقى الله حافظا لجوارحه- موفيا كل جارحه بما فرض الله عليه- لقى الله مستكملا لإيمانه من أهل الجنة، و من خان فى شىء منها أو تعدى ما أمر الله فيها- لقى الله ناقص الإيمان:

أقول: و رواه الكلينى أيضا، و اشتماله على نزول قوله وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ الْآيَةَ، بعد تغيير القبلة لا ينافى ما تقدم من البيان.

و فى الفقيه: أن النبى صلى إلى بيت المقدس ثلاث عشرة سنة بمكة- و تسعة عشر شهرا بالمدينة، ثم غيرته اليهود فقالوا إنك تابع لقبلتنا، فاعتم لذلك غما شديدا،

فلما كان في بعض الليل خرج يقلب وجهه في آفاق السماء، فلما أصبح صلى الغداة، فلما صلى من الظهر ركعتين- جاء جبرئيل فقال له قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ- فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الْآيَةَ، ثم أخذ بيد النبي فحول وجهه إلى الكعبة، و حول من خلفه وجوههم- حتى قام الرجال مقام النساء و النساء مقام الرجال، فكان أول صلاته إلى بيت المقدس و آخرها إلى الكعبة- فبلغ الخبر مسجدا بالمدينة- و قد صلى أهله من العصر ركعتين فحولوا نحو القبلة، فكان أول صلاتهم إلى بيت المقدس و آخرها إلى الكعبة- فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين:

أقول: و روى القمي نحوا من ذلك، و أن النبي كان في مسجد بنى سالم.

و في تفسير العياشي، عن الباقر(ع): في قوله تعالى فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الْآيَةَ، قال استقبل القبلة، و لا تقلب وجهك عن القبلة فتفسد صلاتك، فإن الله يقول لنبىه في الفريضة فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ- وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ .

أقول: و الأخبار في نزول الآية في الفريضة و اختصاصها بها كثيرة مستفيضة.

و في تفسير القمي، عن الصادق(ع): في قوله تعالى الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، الآية- قال نزلت هذه الآية في اليهود و النصارى، يقول الله تبارك و تعالى:

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ

-يعنى يعرفون رسول الله كما يعرفون أبناءهم- لأن الله عز و جل- قد أنزل عليهم في التوراه و الإنجيل و الزبور- صفة محمد و صفة أصحابه و مهاجرته، و هو قوله تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ- رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سِجْدًا- يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا- سِيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ- ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ، و هذه صفة رسول الله في التوراه و صفة أصحابه، فلما بعثه الله عز و جل عرفه أهل الكتاب- كما قال جل جلاله: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ :

أقول: و روى نحوا منه في الكافي، عن علي(ع):

وَ فِي أَخْبَارِ كَثِيرَةٍ مِنْ طَرَفِ الشَّيْعَةِ: أَنْ قَوْلَهُ تَعَالَى، أَيَّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ

الآيه-فى أصحاب القائم،و فى بعضها أنه من التطبيق و الجرى.

و فى الحديث من طرق العامه": فى قوله تعالى: **وَ لِأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ**، عن على تمام النعمه الموت على الإسلام.

و فى الحديث، من طرقهم أيضا": تمام النعمه دخول الجنه

### (بحث علمى) [تشخيص القبله]

تشريع القبله فى الإسلام، و اعتبار الاستقبال فى الصلاه-و هى عباده عامه بين المسلمين-و كذا فى الذبائح، و غير ذلك مما يتلى به عموم الناس أحوج الناس إلى البحث عن جهه القبله و تعيينها و قد كان ذلك منهم فى أول الأمر بالظن و الحسبان و نوع من التخمين، ثم استنهض الحاجه العموميه الرياضيين من علمائهم أن يقربوه من التحقيق، فاستفادوا من الجداول الموضوعه فى الزيجات لبيان عرض البلاد و طولها، و استخراجوا انحراف مكه عن نقطه الجنوب فى البلد، أى انحراف الخط الموصول بين البلد و مكه عن الخط الموصول بين البلد و نقطه الجنوب (خط نصف النهار) بحساب الجيوب و المثلثات، ثم عينوا ذلك فى كل بلده من بلاد الإسلام، بالدائره الهنديه المعروفه المعينه لخط نصف النهار، ثم درجات الانحراف و خط القبله.

ثم استعملوا لتسريع العمل و سهولته الإله المغناطيسيه المعروفه بالحك، فإنها بعقربتها تعين جهه الشمال و الجنوب، فتنوب عن الدائره الهنديه فى تعيين نقطه الجنوب و بالعلم بدرجه انحراف البلد يمكن للمستعمل أن يشخص جهه القبله.

لكن هذا السعى منهم-شكر الله تعالى سعيهم-لم يخل من النقص و الاشتباه من الجهتين جميعاً. أما من جهه الأولى: فإن المتأخرين من الرياضيين عثروا على أن المتقدمين اشتبه عليهم الأمر فى تشخيص الطول، و اختل بذلك حساب الانحراف فتشخيص جهه الكعبه، و ذلك أن طريقهم إلى تشخيص عرض البلاد-و هو ضبط ارتفاع القطب الشمالى- كان أقرب إلى التحقيق، بخلاف الطريق إلى تشخيص الطول، و هو ضبط المسافه بين النقطتين المشتركتين فى حادثه سماويه مشتركه كالخسوف بمقدار سير الشمس حساً عندهم، و هو التقدير بالساعه، فقد كان هذا بالوسائل القديمه عسيراً

و على غير دقه لكن توفر الوسائل و قرب الروابط اليوم سهل الأمر كل التسهيل، فلم تزل الحاجه قائمه على ساق، حتى قام الشيخ الفاضل البارع الشهير؛ بالسردار الكابلي؛ -رحمه الله عليه- فى هذه الأواخر بهذا الشأن، فاستخرج الانحراف القبلى بالأصول الحديثه، و عمل فيه رسالته المعروفه؛ بتحفة الأجله فى معرفه القبله؛ و هى رساله ظريفه بين فيها طريق عمل استخراج القبله بالبيان الرياضى؛ و وضع فيها جداول لتعيين قبله البلاد.

و من أطف ما وفق له فى سعيه-شكر الله سعيه- ما أظهر به كرامه باهره للنبي ص فى محرابه المحفوظ فى مسجد النبي بالمدينه ٢٥- ٧٥- ٢٠ و ذلك: أن المدينه على ما حاسبه القدماء كانت ذات عرض ٢٥ درجه و طول ٧٥ درجه ٢٠ دقيقه، و كانت لا توافقه قبله محراب النبي ص فى مسجده، و لذلك كان العلماء لا يزالون باحثين فى أمر قبله المحراب و ربما ذكروا فى انحرافه و جوها لا تصدقها حقيقه الأمر لكنه-رحمه الله- أوضح أن المدينه على عرض ٢٤ درجه ٥٧ دقيقه و طول ٣٩ درجه ٥٩ دقيقه و انحراف ٤٥ درجه ٤٥ دقيقه تقريبا. و انطبق على ذلك قبله المحراب أحسن الانطباق و بدت بذلك كرامه باهره للنبي فى قبلته التى وجه وجهه إليها و هو فى الصلاه، و ذكر أن جبرئيل أخذ بيده و حول وجهه إلى الكعبه، صدق الله و رسوله.

ثم استخراج بعده المهندس الفاضل الزعيم عبد الرزاق البغائرى رحمه الله عليه قبله أكثر بقاع الأرض و نشر فيها رساله فى معرفه القبله، و هى جداول يذكر فيها ألف و خمسمائه بقعه من بقاع الأرض، و بذلك تمت النعمه فى تشخيص القبله.

و أما الجبهه الثانيه: و هى الجبهه المغناطيسيه، فإنهم وجدوا أن القطبين المغناطيسيين فى الكره الأرضيه، غير منطبقين على القطبين الجغرافيين منها، فإن القطب المغناطيسى الشمالى مثلا على أنه متغير بمرور الزمان، بينه و بين القطب الجغرافى الشمالى ما يقرب من ألف ميل، و على هذا فالحك لا- يشخص القطب الجنوبى الجغرافى بعينه، بل ربما بلغ التفاوت إلى ما لا يتسامح فيه، و قد أنهض هذا المهندس الرياضى الفاضل الزعيم حسين على رزم آرا فى هذه الأيام و هى سنه ١٣٣٢ هجرية شمسيه على حل هذه المعضله، و استخراج مقدار التفاوت بين القطبين الجغرافى و المغناطيسى بحسب النقاط المختلفه،

و تشخيص انحراف القبلة من القطب المغناطيسى فيما يقرب من ألف بقعه من بقاع الأرض، و اختراع حرك يتضمن التقريب القريب من التحقيق فى تشخيص القبلة، و ها هو اليوم دائر معمول-شكر الله سعيه-.

### [بحث اجتماعى] أيضا فى معنى القبلة و فوائدها.

المتأمل فى شئون الاجتماع الإنسانى، و الناظر فى الخواص و الآثار التى يتعقبها هذا الأمر المسمى بالاجتماع من جهه أنه اجتماع لا- يشك فى أن هذا الاجتماع إنما كونه ثم شعبته و بسطته إلى شعبه و أطرافه الطبيعه الإنسانيه، لما استشعرت بإلهام من الله سبحانه بجهات حاجتها فى البقاء و الاستكمال إلى أفعال اجتماعيه فتلتجى إلى الاجتماع و تلزمها لتوفق إلى أفعالها و حركاتها و سكناتها فى مهده تربيته الاجتماع و بمعونته. ثم استشعرت و ألهمت بعلوم (صور ذهنيه) و إدراكات توقعها. على الماده، و على حوائجها فيها و على أفعالها، و جهات أفعالها تكون هى الوصله و الرابطه بينها و بين أفعالها و حوائجها كاعتقاد الحسن و القبح، و ما يجب، و ما ينبغى، و سائر الأصول الاجتماعيه من الرئاسه و المرءوسيه و الملك و الاختصاص، و المعاملات المشتركه و المختصه، و سائر القواعد و النواميس العموميه و الآداب و الرسوم القوميه التى لا تخلو عن التحول و الاختلاف باختلاف الأقسام و المناطق و الأعصار، فجميع هذه المعانى و القواعد المستقره عليها من صنع الطبيعه الإنسانيه بإلهام من الله سبحانه، تلتفت بها طبيعه الإنسان، لتمثل بها ما تعتقدها و تريدها من المعانى فى الخارج، ثم تتحرك إليها بالعمل، و الفعل و الترك، و الاستكمال.

و التوجه العبادى إلى الله سبحانه، و هو المنزه عن شئون الماده، و المقدس عن تعلق الحس المادى إذا أريد أن يتجاوز حد القلب و الضمير، و تنزل على موطن الأفعال - و هى لا تدور إلا بين الماديات - لم يكن فى ذلك بد و مخلص من أن يكون على سبيل التمثيل بأن يلاحظ التوجهات القليه على اختلاف خصوصياتها، ثم تمثل فى الفعل بما يناسبها من هيئات الأفعال و أشكالها، كالسجده يراد بها التذلل، و الركوع يراد به

التعظيم، والطواف يراد به تفديده النفس، والقيام يراد به التكبير، والوضوء والغسل يراد بهما الطهاره للحضور و نحو ذلك. ولا شك أن التوجه إلى المعبود، واستقباله من العبد في عبوديته روح عبادته، التي لولاها لم يكن لها حياه و لا كينونه، و إلى تمثله تحتاج العباده في كمالها و ثباتها و استقرار تحققها.

و قد كان الوثنيون، و عبده الكواكب و سائر الأجسام من الإنسان و غيره يستقبلون معبوداتهم و آلهتهم، و يتوجهون إليهم بالأبدان في أمكنه متقاربه.

لكن دين الأنبياء و نخص بالذكر من بينها دين الإسلام الذي يصدقها جميعا وضع الكعبه قبله، و أمر باستقبالها في الصلاه، التي لا يعذر فيها مسلم، أينما كان من أقطار الأرض و آفاقها، و نهى عن استقبالها و استدبارها في حالات و ندب إلى ذلك في أخرى فاحتفظ على قلب الإنسان بالتوجه إلى بيت الله، و أن لا ينسى ربه في خلوته و جلوته، و قيامه و قعوده، و منامه و يقظته، و نسكه و عبادته حتى في أحس حالاته و أرداها فهذا بالنظر إلى الفرد.

و أما بالنظر إلى الاجتماع، فالأمر أعجب و الأثر أجلى و أوقع فقد جمع الناس على اختلاف أزمتههم و أمكنتهم على التوجه إلى نقطه واحده، يمثل بذلك وحدتهم الفكرية و ارتباط جامعتهم، و التيام قلوبهم، و هذا ألطف روح يمكن أن تنفذ في جميع شئون الأفراد في حيويتها الماديه و المعنويه، تعطى من الاجتماع أرقاه، و من الوحده أفاها و أقواها، خص الله تعالى بها عباده المسلمين، و حفظ به وحده دينهم، و شوكة جمعهم، حتى بعد أن تحزبوا أحزابا، و افترقوا مذاهب و طرائق قديدا، لا يجتمع منهم اثنان على رأى، نشكر الله تعالى على آلائه



فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)

[بيان] [معنى الذكر].

لما امتن الله تعالى على النبي و المسلمين، بإرسال النبي الكريم منهم إليهم نعمه لا تقدر بقدر و منحه على منحه- و هو ذكر منه لهم- إذ لم ينسهم في هدايتهم إلى مستقيم الصراط، و سوقهم إلى أقصى الكمال، و زياده على ذلك، و هو جعل القبلة، الذي فيه كمال دينهم، و توحيد عبادتهم، و تقويم فضيلتهم الدينيه و الاجتماعيه فرع على ذلك دعوتهم إلى ذكره و شكره، ليذكرهم بنعمته على ذكرهم إياه بعبوديته و طاعته، و يزيدهم على شكرهم لنعمته و عدم كفرانهم، و قد قال تعالى «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَ قُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا» الكهف-٢٤. و قال تعالى «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»: إبراهيم-٧، و الآيتان جميعا نازلتان قبل آيات القبلة من سوره البقره.

ثم إن الذكر ربما قابل الغفله كقوله تعالى «وَ لَا تَطْعَمَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا»: الكهف-٢٨. و هي انتفاء العلم بالعلم، مع وجود أصل العلم، فالذكر خلافه، و هو العلم بالعلم، و ربما قابل النسيان و هو زوال صورته العلم عن خزانه الذهن، فالذكر خلافه، و منه قوله تعالى «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ الْآيَةَ». و هو حينئذ كالنسيان معنى ذو آثار و خواص تتفرع عليه، و لذلك ربما أطلق الذكر كالنسيان في موارد تتحقق فيها آثارهما و إن لم تتحقق أنفسهما، فإنك إذا لم تنصر صديقك- و أنت تعلم حاجته إلى نصرك فقد نسيت، و الحال أنك تذكره، و كذلك الذكر.

و الظاهر أن إطلاق الذكر على الذكر اللفظي من هذا القبيل، فإن التكلم عن الشيء من آثار ذكره قلبا، قال تعالى «قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا»: الكهف-٨٣.

و نظائره كثيره، و لو كان الذكر اللفظي أيضا ذكرا حقيقه فهو من مراتب الذكر، لأنه مقصور عليه و منحصر فيه، و بالجملة: الذكر له مراتب كما قال تعالى «أَلَا بِحِذْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»: الرعد-٢٨، و قال «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ»: الأعراف-٢٠٥، و قال تعالى «فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ

ذِكْرًا: البقره-٢٠٠، فالشده إنما يتصف به المعنى دون اللفظ، وقال تعالى «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا»: الكهف-٢٤.

و ذيل هذه الآيه تدل على الأمر بوجاء ما هو أعلى منزله مما هو فيه، فيثول المعنى إلى أنك إذا تنزلت من مرتبه من ذكره إلى مرتبه هي دونها، وهو النسيان، فاذا ذكر ربك و ارج بذلك ما هو أقرب طريقا و أعلى منزله، فينتج أن الذكر القلبي ذو مراتب في نفسه، و بذلك يتبين صحه قول القائل: إن الذكر حضور المعنى عند النفس، فإن الحضور ذو مراتب.

و لو كان لقوله تعالى: فَادْكُرُونِي - و هو فعل متعلق بياء المتكلم حقيقه من دون تجوز أفاد ذلك، أن للإنسان سنخا آخر من العلم غير هذا العلم المعهود عندنا الذى هو حصول صوره المعلوم و مفهومه عند العالم، إذ كلما فرض من هذا القبيل فهو تحديد و توصيف للمعلوم من العالم، و قد تقدست ساحتها سبحانه عن توصيف الواصفين، قال تعالى «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ»: الصافات-١٦٠، و قال:

«وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»: طه-١١٠، و سيجيء بعض ما يتعلق بالمقام فى الكلام على الآيتين إن شاء الله.

### (بحث روائى)

تكاثرت الأخبار فى فضل الذكر من طرق العامه و الخاصه،

فقد روى: بطرق مختلفه: " أن ذكر الله حسن على كل حال.

و فى عده الداعى، قال: و روى: أن رسول الله قد خرج على أصحابه، فقال:

ارتعوا فى رياض الجنه، قالوا: يا رسول الله و ما رياض الجنه؟ قال: مجالس الذكر اغدوا و روحوا و اذكروا، و من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله - فلينظر كيف منزله الله عنده، فإن الله تعالى ينزل العبد - حيث أنزل العبد الله من نفسه، و اعلموا: أن خير أعمالكم عند مليككم - و أزكاها و أرفعها فى درجاتكم، و خير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله تعالى، فإنه تعالى أخبر عن نفسه - فقال: أنا جليس من ذكرنى، و قال تعالى:

فاذكرونى أذكركم بنعمتى، اذكرونى بالطاعه و العباده - أذكركم بالنعم و الإحسان و الراحة و الرضوان.

و فى المحاسن، و دعوات الراوندى، عن الصادق (ع) قال: إن الله تبارك و تعالى يقول: من شغل بذكرى عن مسألتي، أعطيه أفضل ما أعطى من سألتى.

و فى المعانى، عن الحسين البزاز قال: قال لى أبو عبد الله (ع) - ألا أحدثك بأشد ما فرض الله على خلقه؟ قلت: بلى - قال، إنصاف الناس من نفسك، و مواساتك لأخيك، و ذكر الله فى كل موطن، أما إنى لا أقول: سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر، و إن كان هذا من ذاك، و لكن ذكر الله فى كل موطن، إذا هجمت على طاعته أو معصيته.

أقول: و هذا المعنى مروى بطرق كثيرة عن النبى، و أهل بيته (ع)، و فى بعضها و هو قول الله: الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ الْآيَةَ.

و فى عده الداعى، عن النبى، قال: قال سبحانه: إذا علمت أن الغالب على عبدى الاشتغال بى، نقلت شهوته فى مسألتي و مناجاتي، فإذا كان عبدى كذلك - و أراد أن يسهو حلت بينه و بين أن يسهو، أولئك أوليائى حقا، أولئك الأبطال حقا، أولئك الذين إذا أردت أن أهلك أهل الأرض عقوبه - زويتها عنهم من أجل أولئك الأبطال.

و فى المحاسن، عن الصادق (ع) قال: قال الله تعالى: ابن آدم اذكرنى فى نفسك أذكرك فى نفسى، ابن آدم اذكرنى فى خلاء أذكرك فى خلاء، اذكرنى فى ملائكة أذكرك فى ملائكة، و قال: ما من عبد يذكر الله فى ملائكة من الناس - إلا ذكره الله فى ملائكة من الملائكة.

أقول: و قد روى هذا المعنى بطرق كثيرة فى كتب الفريقين.

و فى الدر المثور، أخرج الطبرانى و ابن مردويه و البيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله: من أعطى أربعا أعطى أربعا، و تفسير ذلك فى كتاب الله من أعطى الذكر ذكره الله، لأن الله يقول: فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ، و من أعطى الدعاء أعطى الإجابة، لأن الله يقول: أَدْعُونِي أَجِبْ لَكُمْ، و من أعطى الشكر أعطى الزيادة، لأن الله يقول: لئن شكرتم لأزيدنكم، و من أعطى الاستغفار أعطى المغفرة لأن الله يقول: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.

و فى الدر المنثور، أيضا أخرج سعيد بن منصور و ابن المنذر و البيهقى فى شعب الإيمان عن خالد بن أبى عمران، قال: قال رسول الله:، من أطاع الله فقد ذكر الله، و إن قلت صلاته و صيامه و تلاوته للقرآن، و من عصى الله فقد نسى الله، و إن كثرت صلاته و صيامه و تلاوته للقرآن.

أقول: فى الحديث إشاره إلى أن المعصيه لا تتحقق من العبد إلا بالغفله و النسيان فإن الإنسان لو ذكر ما حقيقه معصيته و ما لها من الأثر لم يقدم على معصيته، حتى أن من يعصى الله و لا- يبالي إذا ذكر عند ذلك بالله، و لا يعتنى بمقام ربه هو طاغ جاهل بمقام ربه و علو كبريائه و كيفيه إحاطته، و إلى ذلك تشير أيضا روايه أخرى،

رواها الدر المنثور، عن أبى هند الدارى، عن النبى ص: قال الله: اذكرونى بطاعتي أذكركم بمغفرتى- و من ذكرنى- و هو مطيع- فحق على أن أذكره بمغفرتى، و من ذكرنى- و هو عاص- فحق على أن أذكره بمقت الحديث، و ما اشتمل عليه هذا الحديث من الذكر عند المعصيه هو الذى تسميه الآيه و سائر الأخبار بالنسيان لعدم ترتب آثار الذكر عليه، و للكلام بقايا سيجىء شطر منها.

### [سوره البقره (٢): الآيات ١٥٣ الى ١٥٧]

#### إشاره

بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَكَتَلَبُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنُقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)

خمس آيات متحده السياق، متسقه الجمل، ملتئمه المعانى، يسوق أولها إلى آخرها و يرجع آخرها إلى أولها، وهذا يكشف عن كونها نازله دفعه غير متفرقه، و سياقها ينادى بأنها نزلت قبيل الأمر بالقتال و تشريع حكم الجهاد، ففيه ذكر من بلاء سيقبل على المؤمنين، و مصيبه ستصيبهم، و لا كل بلاء و مصيبه، بل البلاء العمومى الذى ليس بعادى الوقوع مستمر الحدوث، فإن نوع الإنسان كسائر الأنواع الموجوده فى هذه النشأ الطبيعیه لا يخلو فى أفراده من حوادث جزئيه يختل بها نظام الفرد فى حياته الشخصيه: من موت و مرض و خوف و جوع و غم و حرمان، سنه الله التى جرت فى عباده و خلقه، فالدار دار التراحم، و النشأ نشأ التبدل و التحول، و لن تجد لسنة الله تحويلا و لن تجد لسنة الله تبديلا.

و البلاء الفردى و إن كان شاقا على الشخص المبتلى بذلك، مكروها، لكن ليس مهولا مهيبا تلك المهابه التى تتراءى بها البلايا و المحن العامه، فإن الفرد يستمد فى قوه تعقله و عزمه و ثبات نفسه من قوى سائر الأفراد، و أما البلايا العامه الشامله فإنها تسلب الشعور العمومى و جملة الرأى و الحزم و التدبير من الهياه المجتمعه، و يختل به نظام الحياه منهم، فيتضاعف الخوف و تراكم الوحشه و يضطرب عندها العقل و الشعور و تبطل العزيمه و الثبات، فالبلاء العام و المحنه الشامله أشق و أمر، و هو الذى تلوح له الآيات.

و لا كل بلاء عام كالوباء و القحط بل بلاء عام قربتهم منها أنفسهم، فإنهم أخذوا دين التوحيد، و أجابوا دعوه الحق، و تخالفهم فيه الدنيا و خاصه قومهم، و ما لهؤلاء هم إلا إطفاء نور الله، و استيصال كلمه العدل، و إبطال دعوه الحق، و لا وسيله تحسم ماده النزاع و تقطع الخلاف غير القتال، فسائر الوسائل كإقامه الحججه و بث الفتنه، و إلقاء الوسوسه و الريبه و غيرها صارت بعد عقيمه غير منتجه، فالحججه مع النبى و الوسوسه و الفتنه و الدسيسه ما كانت تؤثر أثرا تطمئن إليه أعداء الدين فلم يكن عندهم وسيله إلا القتال و الاستعانه به على سد سبيل الحق، و إطفاء نور الدين اللامع المشرق.

هذا من جانب الكفر، و الأمر من جانب الدين أوضح، فلم يكن إلى نشر كلمه التوحيد،

و بث دين الحق، و حكم العدل، و قطع دابر الباطل و سيله إلا القتال، فإن التجارب الممتدة من لدن كان الإنسان نازلا في هذه الدار يعطى أن الحق إنما يؤثر إذا أميط الباطل، و لن يماط إلا بضرب من أعمال القدره و القوه.

و بالجمله ففي الآيات تلويح إلى إقبال هذه المحنه بذكر القتل في سبيل الله، و توصيفه بوصف لا يبقى فيه معه جهه مكروهه، و لا صفه سوء، و هو أنه ليس بموت بل حياه، و أى حياه! فالآيات تستنهض المؤمنين على القتال، و تخبرهم أن أمامهم بلاء و محنه لن تنالوا مدارج المعالى، و صلاه ربهم و رحمته، و الاهتداء بهدايته إلا بالصبر عليها، و تحمل مشاقها، و يعلمهم ما يستعينون به عليها، و هو الصبر و الصلاه، أما الصبر: فهو وحده الوقايه من الجزع و اختلال أمر التدبير، و أما الصلاه: فهي توجه إلى الرب، و انقطاع إلى من بيده الأمر، و أن القوه لله جميعا.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ الآية، قد تقدم جملة من الكلام في الصبر و الصلاه في تفسير قوله: «وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ»: البقره- ٤٥ و الصبر من أعظم الملكات و الأحوال التي يمدحها القرآن، و يكرر الأمر به حتى بلغ قريبا من سبعين موضعا من القرآن حتى قيل فيه: «إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»: لقمان- ١٧، و قيل: «وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُونَ حَظِّ عَظِيمٍ»: فصلت- ٣٥، و قيل: «إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»: الزمر- ١٠.

و الصلاه: من أعظم العبادات التي يحث عليها في القرآن حتى قيل فيها: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ»: العنكبوت- ٤٥، و ما أوصى الله في كتابه بوصايا إلا كانت الصلاه رأسها و أولها.

ثم وصف سبحانه الصبر بأن الله مع الصابرين المتصفين بالصبر، و إنما لم يصف الصلاه، كما في قوله تعالى: «وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُونَ حَظِّ عَظِيمٍ»: لقمان- ١٧، و مقارعه الأبطال، فالاهتمام بأمر الصبر أنسب بخلاف الآيه السابقه، فلذلك قيل: إن الله مع الصابرين، و هذه المعيه غير المعيه

التي يدل عليه قوله تعالى: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ»: الحديد-٤، فإنها معيه الإحاطه و القيمومه، بخلاف المعيه مع الصابرين، فإنها معيه إعانه فالصبر مفتاح الفرج.

قوله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَ لَكِن لَّا تَشْعُرُونَ» الآية، ربما يقال: إن الخطاب مع المؤمنين الذين آمنوا بالله و رسوله و اليوم الآخر و أذعنوا بالحياه الآخره، و لا- يتصور منهم القول ببطلان الإنسان بالموت، بعد ما أجابوا دعوه الحق و سمعوا شيئا كثيرا من الآيات الناطقه بالمعاد، مضافا إلى أن الآية إنما تثبت الحياه بعد الموت في جماعه مخصوصين، و هم الشهداء المقتولون في سبيل الله، في مقابل غيرهم من المؤمنين، و جميع الكفار، مع أن حكم الحياه بعد الموت عام شامل للجميع فالمراد بالحياه بقاء الاسم، و الذكر الجميل على مر الدهور، و بذلك فسره جمع من المفسرين.

و يردده أولا: أن كون هذه حياه إنما هو في الوهم فقط دون الخارج، فهي حياه تخليه ليس لها في الحقيقه إلا الاسم، و مثل هذا الموضوع الوهمي لا يليق بكلامه، و هو تعالى يدعو إلى، الحق و يقول: «فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ»: يونس-٣٢، و أما الذي سأله إبراهيم في قوله «وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ»: الشعراء-٨٤، فإنما يريد به بقاء دعوته الحقه، و لسانه الصادق بعده، لا حسن ثنائه و جميل ذكره بعده فحسب.

نعم هذا القول الباطل، و الوهم الكاذب إنما يليق بحال الماديين، و أصحاب الطبيعه، فإنهم اعتقدوا: ماديه النفوس و بطلانها بالموت و نفوا الحياه الآخره ثم أحسوا باحتياج الإنسان بالفطره إلى القول ببقاء النفوس و تأثرها بالسعاده و الشقاء، بعد موتها في معالي أمور، لا- تخلو في الارتقاء إليها من التفديه و التضحيه، لا- سيما في عظام العزائم التي يموت و يقتل فيها أقوام ليحيا و يعيش آخرون، و لو كان كل من مات فقد فات لم يكن داع للإنسان (و خاصه إذا اعتقد بالموت و الفوت) أن يبطل ذاته ليبقى ذات آخرين، و لا- باعث له أن يحرم على نفسه لذه الاستمتاع من جميع ما يقدر عليه بالجور ليطمئن آخرون بالعدل، فالعاقل لا يعطى شيئا إلا و يأخذ بدله و أما الإعطاء من غير بدل، و الترك من غير أخذ، كالموت في سبيل حياه الغير، و الحرمان في طريق

تمتع الغير بالفطره الإنسانيه تأباه، فلما استشعروا بذلك دعاهم جبر هذا النقص إلى وضع هذه الأوهام الكاذبه، التي ليس لها موطن إلا- عرصه الخيال و حظيره الوهم، قالوا إن الإنسان الحر من رق الأوهام و الخرافات يجب عليه أن يفدى نفسه وطنه، أو كل ما فيه شرفه، لينال الحياه الدائمه بحسن الذكر و جميل الثناء، و يجب عليه أن يحرم على نفسه بعض تمتعاته فى الاجتماع ليناله الآخرون، ليستقيم أمر الاجتماع و الحضاره، و يتم العدل الاجتماعى فينال بذلك حياه الشرف و العلاء.

و ليت شعرى إذا لم يكن إنسان، و بطل هذا التركيب المادى، و بطل بذلك جميع خواصه، و من جملتها الحياه و الشعور، فمن هو الذى ينال هذه الحياه و هذا الشرف؟ و من الذى يدركه و يلتذ به؟ فهل هذا إلا خرافه؟.

و ثانيا: أن ذيل الآيه- هو قوله تعالى: **وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**، -لا يناسب هذا المعنى، بل كان المناسب له أن يقال: بل أحياء ببقاء ذكرهم الجميل، و ثناء الناس عليهم بعدهم، لأنه المناسب لمقام التسليه و تطيب النفس.

و ثالثا: أن نظيره هذه الآيه- و هى تفسرها- وصف حياتهم بعد القتل بما ينافى هذا المعنى، قال تعالى: **«وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»**: آل عمران- ١٩٦، إلى آخر الآيات و معلوم أن هذه الحياه حياه خارجيه حقيقيه ليست بتقديره.

و رابعا: أن الجهل بهذه الحياه التى بعد الموت ليس بكل البعيد من بعض المسلمين فى أواسط عهد رسول الله ص فإن الذى هو نص غير قابل للتأويل إنما هو البعث للقيامه، و أما ما بين الموت إلى الحشر- و هى الحياه البرزخيه- فهى و إن كانت من جمله ما بينه القرآن من المعارف الحقه، لكنها ليست من ضروريات القرآن، و المسلمون غير مجمعين عليه بل ينكره بعضهم حتى اليوم ممن يعتقد كون النفس غير مجردة عن الماده و أن الإنسان يبطل وجوده بالموت و انحلال التركيب، ثم يبعثه الله إلى القضاء يوم القيامه، فيمكن أن يكون المراد بيان حياه الشهداء فى البرزخ لمكان جهل بعض المؤمنين بذلك، و إن علم به آخرون.



و بالجمله: المراد بالحياه فى الآيه الحياه الحقيقه دون التقديره، و قد عد الله سبحانه حياه الكافر بعد موته هلاكاً و بواراً فى مواضع من كلامه، كقوله تعالى:

«وَ أَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُيُوتِ» إبراهيم- ٢٨، إلى غير ذلك من الآيات، فالحياه حياه السعاده، و الإحياء بهذه الحياه المؤمنون خاصه كما قال: «وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»: العنكبوت- ٦٤، و إنما لم يعلموا، لأن حواسهم مقصوره على إدراك خواص الحياه فى الماده الدنيويه، و أما ما وراءها فإذا لم يدركوه لم يفرقوا بينه و بين الفناء فتوهموه فناء، و ما توهمه الوهم مشترك بين المؤمن و الكافر فى الدنيا، فلذلك قال: فى هذه الآيه، بَلْ أَحْيَاءٌ وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ أى: بحواسكم، كما قال فى الآيه الأخرى: لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، أى باليقين كما قال تعالى: «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ»: التكاثر- ٦.

فمعنى الآيه- و الله أعلم- وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ، و لا تعتقدوا فيهم الفناء و البطلان كما يفيد لفظ الموت عندكم، و مقابله مع الحياه، و كما يعين على هذا القول حواسكم فليسوا بأموات بمعنى البطلان، بل أحياء و لكن حواسكم لا تنال ذلك و لا- تشعر به، و إلقاء هذا القول على المؤمنين- مع أنهم جميعاً أو أكثرهم عالمون ببقاء حياه الإنسان بعد الموت، و عدم بطلان ذاته- إنما هو لإيقاظهم و تنبيههم بما هو معلوم عندهم، يرتفع بالالتفات إليه الحرج عن صدورهم، و الاضطراب و القلق عن قلوبهم إذا أصابتهم مصيبه القتل، فإنه لا يبقى مع ذلك من آثار القتل عند أولياء القتل إلا مفارقه فى أيام قلائل فى الدنيا و هو هين فى قبال مرضاه الله سبحانه و ما ناله القتل من الحياه الطيبه، و النعمه المقيمه، و رضوان من الله أكبر، و هذا نظير خطاب النبى بمثل قوله تعالى: الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ الآيه، مع أنه (ص) أول الموقنين بآيات ربه، و لكنه كلام كنى به عن وضوح المطلب، و ظهوره بحيث لا يقبل أى خطوط نفسانى لخلافه.

### (نشأ البرزخ)

فالآيه تدل دلالة واضحه على حياه الإنسان البرزخيه، كآليه النظيره لها و هى

قوله: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»: آل عمران-١٦٩، والآيات في ذلك كثيرة.

و من أعجب الأمر ما ذكره بعض الناس في الآية: أنها نزلت في شهداء بدر، فهي مخصوصه بهم فقط، لا تتعداهم إلى غيرهم هذا، و لقد أحسن بعض المحققين: من المفسرين في تفسير قوله: وَ اسْتَتَعَيْنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ الْآيَةَ، إذ سئل الله تعالى الصبر على تحمل أمثال هذه الأقاويل.

و ليت شعري ما ذا يقصده هؤلاء بقولهم هذا؟ و على أي صفة يتصورون حياه شهداء بدر بعد قتلهم مع قولهم: بانعدام الإنسان بعد الموت و القتل، و انحلال تركيبه و بطلانه؟ أ هو على سبيل الإعجاز: باختصاصهم من الله بكرامه لم يكرم بها النبي الأكرم و سائر الأنبياء و المرسلين و الأولياء المقربين، إذ خصهم الله ببقاء وجودهم بعد الانعدام، فليس ذلك بإعجاز بل إيجاد محال ضروري الاستحاله، و لا إعجاز في محال، و لو جاز عند العقل إبطال هذا الحكم على بدايتها لم يستقم حكم ضروري فما دونه؟ أم هو على نحو الاستثناء في حكم الحس بأن يكون الحس مخطئا في أمر هؤلاء الشهداء؟ فهم أحياء يرزقون بالأكل و الشرب و سائر التمتع- و هم غائبون عن الحس- و ما ناله الحس من أمرهم بالقتل و قطع الأعضاء و سقوط الحس و انحلال التركيب فقد أخطأ في ذلك من رأس، فلو جاز على الحس أمثال هذه الأغلاط فيصيب في شيء و يغلط في آخر من غير مخصص بطل الوثوق به على الإطلاق، و لو كان المخصص هو الإراده الإلهيه احتاج تعلقها إلى مخصص آخر، و الإشكال- و هو عدم الوثوق بالادراك على حاله، فكان من الجائز أن نجد ما ليس بواقع واقعا و الواقع ليس بواقع، و كيف يرضى عاقل أن يتفوه بمثل ذلك؟ و هل هو إلا سفسطه؟.

و قد سلك هؤلاء في قولهم هذا مسلك العامه من المحدثين، حيث يرون أن الأمور الغائبه عن حواسنا مما يدل عليه الظواهر الدينيه من الكتاب و السنه، كالملائكه و أرواح المؤمنين و سائر ما هو من هذا القبيل موجودات ماديه طبيعيه، و أجسام لطيفه تقبل الحلول و النفوذ في الأجسام الكثيفه، على صورته الإنسان و نحوه، يفعل جميع الأفعال الإنسانيه مثلا، و لها أمثال القوى التي لنا غير أنها ليست محكومها بأحكام

الطبيعه: من التغير و التبدل و التركيب و انحلاله، و الحياه و الموت الطبيعيتين، فإذا شاء الله تعالى ظهورها ظهرت لحواسنا، و إذا لم يشأ أو شاء أن لا تظهر لم تظهر، مشيه خالصه من غير مخصص في ناحيه الحواس، أو تلك الأشياء.

و هذا القول منهم مبنى على إنكار العليه و المعلوليه بين الأشياء، و لو صحت هذه الأمنيه الكاذبه بطلت جميع الحقائق العقلية، و الأحكام العلميه، فضلاً عن المعارف الدينيه و لم تصل النوبه إلى أجسامهم اللطيفه المكرمه التي لا تصل إليها يد التأثير و التأثر المادى الطبيعى، و هو ظاهر.

فقد تبين بما مر: أن الآيه داله على الحياه البرزخيه، و هى المسماه بعالم القبر، عالم متوسط بين الموت و القيامه، ينعم فيه الميت أو يعذب حتى تقوم القيامه.

و من الآيات الداله عليه - و هى نظيره لهذه الآيه الشريفه - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمِهِ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: آل عمران- ١٧١، و قد مر تقريب دلالة الآيه على المطلوب، و لو تدبر القائل باختصاص هذه الآيات بشهداء بدر فى متن الآيات لوجد أن سياقها يفيد اشتراك سائر المؤمنين معهم فى الحياه و التمتع بعد الموت.

و من الآيات قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: المؤمنون- ١٠٠، و الآيه ظاهره الدلاله على أن هناك حياه متوسطه بين حياتهم الدنيويه و حياتهم بعد البعث، و سيجىء تمام الكلام فى الآيه إن شاء الله تعالى.

و من الآيات قوله تعالى: ﴿وَ قَالَ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْ لَمْ نُؤْتِكُمُ الْمَالَ لَكُنَّا نَكُفَرُونَ أَوْ تَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا يَوْمَ يُرَوَّنُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (و من المعلوم أن المراد به أول ما يرونهم و هو يوم الموت كما تدل عليه آيات آخر) «لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَ يَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا. وَ قَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا. أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا. وَ يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاوَاتُ بِالْغَمَامِ

X(و هو يوم القيامة) X وَ نَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَ كَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا: الفرقان-٢٦، و دلالتها ظاهره. و سيأتي تفصيل القول فيها في محله إن شاء الله تعالى.

و من الآيات قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾: المؤمن-١١، فهنا إلى يوم البعث- و هو يوم قولهم هذا- إمامتان و إحيائان، و لن تستقيم المعنى إلا- بإثبات البرزخ، فيكون إمامته و إحياء في البرزخ و إحياء في يوم القيامة، و لو كان أحد الإحيائين في الدنيا و الآخر في الآخرة لم يكن هناك إلا إمامته واحده من غير ثانيه، و قد مر كلام يتعلق بالمقام في قوله تعالى:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أُمَّةً فَأَعْلِيَاكُمْ﴾: البقره-٢٨ فارجع.

و من الآيات قوله تعالى: ﴿وَ حَقَّ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾: المؤمن-٤٦، إذ من المعلوم أن يوم القيامة لا بكره فيه و لا عشي فهو يوم غير اليوم.

و الآيات التي تستفاد منها هذه الحقيقه القرآنيه، أو تومئ إليها كثيره، كقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَوَيْهَهُمُ الْيَوْمَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: النحل-٦٣، إلى غير ذلك.

### (تجرد النفس)

و يتبين بالتدبر في الآيه، و سائر الآيات التي ذكرناها حقيقه أخرى أوسع من ذلك، و هي تجرد النفس، بمعنى كونها أمرا وراء البدن و حكمها غير حكم البدن و سائر التركيبات الجسميه، لها نحو اتحاد بالبدن تدبرها بالشعور و الإراده و سائر الصفات الإدراكيه، و التدبر في الآيات السابقه الذكر يجلي هذا المعنى فإنها تفيد أن الإنسان بشخصه ليس بالبدن، لا يموت بموت البدن، و لا- يفنى بفنائه، و انحلال تركيبه و تبدد أجزائه، و أنه يبقى بعد فناء البدن في عيش هنئ دائم، و نعيم مقيم، أو في شقاء لازم، و عذاب أليم، و أن سعاده في هذه العيشه، و شقاءه فيها مرتبطه بسنخ ملكاته و أعماله، لا بالجهات الجسمانيه و الأحكام الاجتماعيه.

فهذه معان تعطىها هذه الآيات الشريفة، وواضح أنها أحكام تغاير الأحكام الجسمانية، و تتنافى الخواص المادية الدنيوية من جميع جهاتها، فالنفس الإنسانية غير البدن.

و مما يدل عليه من الآيات قوله تعالى: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ» الزمر-٤٢، و التوفى و الاستيفاء هو أخذ الحق بتمامه و كماله، و ما تشتمل عليه الآية: من الأخذ و الإمساك و الإرسال ظاهر في المغايرة بين النفس و البدن.

و من الآيات قوله تعالى: «وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» السجده-١١، ذكر سبحانه شبهه من شبهات الكفار المنكرين للمعاد، و هو أنا بعد الموت و انحلال تركيب أبداننا تتفرق أعضاؤنا، و تبدد أجزاءنا، و تتبدل صورنا فنضل في الأرض، و يفقدنا حواس المدركين، فكيف يمكن أن نقع ثانيا في خلق جديد؟ و هذا استبعاد محض، و قد لقن تعالى على رسوله: الجواب عنه، بقوله: قُلْ: يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ الْآيَةَ، و حاصل الجواب أن هناك ملكا موكلا بكم هو يتوفاكم و يأخذكم، و لا يدعمكم تضلوا و أنتم في قبضته و حفاظته، و ما تضل في الأرض إنما هو أبدانكم لا نفوسكم التي هي المدلول عليها بلفظكم؛ فإنه يتوفاكم.

و من الآيات قوله تعالى: «وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ» Xالآية X: السجده-٩، ذكره في خلق الإنسان ثم قال تعالى: «يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» الإسراء-٨٥، فأفاد أن الروح من سنخ أمره، ثم عرف الأمر في قوله تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ» يس-٨٣، فأفاد أن الروح من الملكوت، و أنها كلمه؛ كن؛ ثم عرف الأمر بتوصيفه بوصف آخر بقوله: «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصِيرِ» القمر-٥٠، و التعبير بقوله: كلمه بالبصر يعطى أن الأمر الذى هو كلمه؛ كن؛ موجود دفعى الوجود غير تدريجي، فهو يوجد من غير اشتراط وجوده و تقييده بزمان أو مكان، و من هنا يتبين أن الأمر - و منه الروح شىء غير جسمانى و لا مادى فإن، الموجودات المادية الجسمانية من

أحكامها العامه أنها تدريجيّه الوجود، مقيدّه بالزمان و المكان، فالروح التي للإنسان ليست بماديه جسمانيه، و إن كان لها تعلق بها.

و هناك آيات تكشف عن كيفيه هذا التعلق، فقد قال تعالى: «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ» طه-٥٥، و قال تعالى: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ»: الرحمن-١٤ و قال تعالى «وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ»: السجده-٨، ثم قال:

سبحانه و تعالى «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ»: المؤمنون-١٤، فأفاد أن الإنسان لم يكن إلا- جسما طبيعيا يتوارد عليه صور مختلفه متبدله، ثم أنشأ الله هذا الذي هو جسم جامد خامد خلقا آخر ذا شعور و إرادته، يفعل أفعالا: من الشعور و الإراده و الفكر و التصرف في الأكوان، و التدبير في أمور العالم بالنقل و التبديل و التحويل إلى غير ذلك مما لا يصدر عن الأجسام و الجسمانيات، فلا هي جسمانيه، و لا موضوعها الفاعل لها.

فالنفس بالنسبه إلى الجسم الذي ينتهي أمره إلى إنشائها- و هو البدن الذي تنشأ منه النفس- بمنزله الثمره من الشجره و الضوء من الدهن بوجه بعيد، و بهذا يتضح كيفيه تعلقها بالبدن ابتداء، ثم بالموت تنقطع العلقه، و تبطل المسككه، فهي في أول وجودها عين البدن، ثم تمتاز بالإنشاء منه، ثم تستقل عنه بالكليه فهذا ما تفيدّه الآيات الشريفه المذكوره بظهورها: و هناك آيات كثيره تفيد هذه الحقيقه بالإيماء و التلويح، يعثر عليها المتدبر البصير، و الله الهادي.

قوله تعالى: «وَلَيُبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ»، لما أمرهم الله بالاستعانه بالصبر و الصلاه، و نهاهم عن القول بموت من يقتل منهم في سبيل الله بل هم أحياء بين لهم السبب الذي من أجله خاطبهم بما خاطب، و هو أنهم سيبتلون بما لا- يتمهد لهم المعالي و لا- يصفو لهم الأمر في الحياه الشريفه، و الدين الحنيف إلا به، و هو الحرب و القتال، لا يدور رحى النصر و الظفر على مرادهم إلا أن يتحصنوا بهذين الحصنين و يتأيدوا بهاتين القوتين، و هما الصبر و الظفر، و يضيفوا إلى ذلك ثالثا و هو خصله ما حفظها قوم إلا ظفروا بأقصى مرادهم و حازوا الغايه

القصوى من كمالهم، و اشتد بأسهم و طابت نفسهم، و هو الإيمان بأن القتل منهم غير ميت و لا فقيد، و أن سعيهم بالمال و النفس غير ضائع و لا باطل، فإن قتلوا عدوهم فهم على الحياه، و قد أبادوا عدوهم و ما كان يريده من حكمه الجور و الباطل عليهم- و إن قتلهم عدوهم فهم على الحياه- و لم يتحكم الجور و الباطل عليهم، فلهم إحدى الحسينين على أى حال.

و عامه الشدائد التى يأتى بها هو الخوف و الجوع و نقص الأموال و الأنفس فذكرها الله تعالى، و أما الثمرات فالظاهر أنها الأولاد، فإن تأثير الحرب فى قله النسل بموت الرجال و الشبان أظهر من تأثيره فى نقص ثمرات الأشجار، و ربما قيل: إن المراد ثمرات النخيل، و هى التمر و المراد بالأموال غيرها و هى الدواب من الإبل و الغنم.

قوله تعالى: **وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**، أعاد ذكر الصابرين ليبشرهم أولاً، و يبين كيفية الصبر بتعليم ما هو الصبر الجميل ثانياً، و يظهر به حق الأمر الذى يقضى بوجوب الصبر- و هو ملكه تعالى للإنسان- ثالثاً، و يبين جزاءه العام- و هو الصلاه و الرحمه و الاهتداء- رابعاً فأمر تعالى نبيه أولاً بتبشيرهم، و لم يذكر متعلق البشاره لتفخيم أمره فإنها من الله سبحانه فلا تكون إلا خيراً و جميلاً، و قد ضمنها رب العزه، ثم بين أن الصابرين هم الذين يقولون: كذا و كذا عند إصابه المصيبه، و هى الواقعه التى تصيب الإنسان، و لا- يستعمل لفظ المصيبه إلا فى النازله المكروهه، و من المعلوم أن ليس المراد بالقول مجرد التلفظ بالجمله من غير حضور معناها بالبال، و لا- مجرد الإخطار من غير تحقق بحقيقه معناها، و هى أن الإنسان مملوك لله بحقيقه الملك، و أن مرجعه إلى الله سبحانه و به يتحقق أحسن الصبر الذى يقطع منابت الجزع و الأسف، و يغسل رين الغفله.

بيانه أن وجود الإنسان و جميع ما يتبع وجوده، من قواه و أفعاله قائم الذات بالله الذى هو فاطره و موجدته فهو قائم به مفتقر و مستند إليه فى جميع أحواله من حدوث و بقاء غير مستقل دونه، فلربه التصرف فيه كيف شاء و ليس للإنسان من

الأمر شيء إذ لا استقلال له بوجه أصلا فله الملك في وجوده وقواه وأفعاله حقيقه.

ثم إنه تعالى ملكه بالإذن نسبه ذاته، و من هناك يقال: للإنسان وجود، وكذا نسبه قواه وأفعاله و من هناك يقال: للإنسان قوى كالسمع والبصر، ويقال: للإنسان أفعال كالمشى والنطق، والأكل والشرب، ولو لا الإذن الإلهي لم يملك الإنسان ولا غيره من المخلوقات نسبه من هذه النسب الظاهره، لعدم استقلال في وجودها من دون الله أصلا.

وقد أخبر سبحانه: أن الأشياء سيعود إلى حالها قبل الإذن ولا يبقى ملك إلا لله وحده، قال تعالى: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ»: المؤمن-١٦، وفيه رجوع الإنسان بجميع ما له و معه إلى الله سبحانه.

فهناك ملك حقيقى هو الله سبحانه لا شريك له فيه، لا الإنسان ولا غيره، و ملك ظاهرى صورى كملك الإنسان نفسه و ولده و ماله و غير ذلك و هو الله سبحانه حقيقه، و للإنسان بتمليكه تعالى فى الظاهر مجازا، فإذا تذكر الإنسان حقيقه ملكه تعالى، و نسبه إلى نفسه فوجد نفسه ملكا طلقا لربه، و تذكر أيضا أن الملك الظاهرى فيما بين الإنسان و من جملة ملك نفسه لنفسه و ماله و ولده سيظل فيعود راجعا إلى ربه وجد أنه بالآخره لا يملك شيئا أصلا لا حقيقه و لا مجازا، و إذا كان كذلك لم يكن معنى للتأثر عن المصائب الموجبه للتأثر عند إصابتها، فإن التأثر إنما يكون من جهة فقد الإنسان شيئا مما يملكه، حتى يفرح بوجدانه، و يحزن بفقدانه، و أما إذا أذعن و اعتقد أنه لا يملك شيئا لم يتأثر و لم يحزن، و كيف يتأثر من يؤمن بأن الله له الملك وحده يتصرف فى ملكه كيف يشاء؟.

## (الأخلاق)

اعلم أن إصلاح أخلاق النفس و ملكاتها فى جانبى العلم و العمل، و اكتساب الأخلاق الفاضله، و إزاله الأخلاق الرذيله إنما هو بتكرار الأعمال الصالحه المناسبه لها و مزاولتها، و المداومه عليها، حتى تثبت فى النفس من الموارد الجزئيه علوم جزئيه، و تتراكم و تنتفش فى النفس انتقاشا متعذر الزوال أو متعسرها، مثلا إذا أراد الإنسان



إزاله صفه الجبن و اقتناء ملكه الشجاعه كان عليه أن يكرر الورد في الشدائد و المهاول التي تزلزل القلوب و تقلقل الأحشاء، و كلما ورد في مورد منها و شاهد أنه كان يمكنه الورد فيه و أدرك لذه الإقدام و شناعه الفرار و التحذر انتقشت نفسه بذلك انتقاشا بعد انتقاش حتى تثبت فيها ملكه الشجاعه، و حصول هذه الملكه العلميه و إن لم يكن في نفسه بالاختيار لكنه بالمقدمات الموصله إليه كما عرفت اختياري كسبي.

إذا عرفت ما ذكرناه علمت أن الطريق إلى تهذيب الأخلاق و اكتساب الفاضله منها أحد مسلكين:

المسلك الأول: تهذيبها بالغايات الصالحه الدينويه، و العلوم و الآراء المحموده عند الناس كما يقال: إن العفه و قناعه الإنسان بما عنده و الكف عما عند الناس توجب العزه و العظمه في أعين الناس و الجاه عند العامه، و إن الشره يوجب الخصاصه و الفقر، و إن الطمع يوجب ذله النفس المنيعه، و إن العلم يوجب إقبال العامه و العزه و الوجاهه و الأنس عند الخاصه، و إن العلم بصسر يتقى به الإنسان كل مكروه، و يدرك كل محبوب و إن الجهل عمى، و إن العلم يحفظك و أنت تحفظ المال، و إن الشجاعه ثبات يمنع النفس عن التلون و الحمد من الناس على أى تقدير سواء غلب الإنسان أو غلب عليه بخلاف الجبن و التهور، و إن العداله راحه النفس عن الهمم المؤذيه، و هى الحياه بعد الموت ببقاء الاسم و حسن الذكر و جميل الثناء و المحبه فى القلوب.

و هذا هو المسلك المعهود الذى رتب عليه علم الأخلاق، و المأثور من بحث الأقدمين من يونان و غيرهم فيه.

و لم يستعمل القرآن هذا المسلك الذى بناؤه على انتخاب الممدوح عند عامه الناس عن المذموم عندهم، و الأخذ بما يستحسنه الاجتماع و ترك ما يستقبحه، نعم ربما جرى عليه كلامه تعالى فيما يرجع بالحقيقه إلى ثواب أخروى أو عقاب أخروى كقوله تعالى:

«وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ» :البقره- ١٥٠.

دعا سبحانه إلى العزم و الثبات، و علله بقوله: لئلا- يكون، و كقوله تعالى: «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا» :الأنفال- ٤٦، دعا سبحانه إلى الصبر و علله بأن تركه و إيجاد النزاع يوجب الفشل و ذهاب الريح و جرأه العدو، و قوله تعالى «وَلَمَنْ

صَبْرٌ وَ عَفْرٌ إِنَّ ذَلِكُمْ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ: الشورى-٤٣، دعا إلى الصبر و العفو، و علله بالعزم و الإعظام.

المسلوك الثانى: الغايات الأخرويه، و قد كثر ذكرها فى كلامه تعالى كقوله سبحانه «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ»: التوبه-١١١، و قوله تعالى:

«إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»: الزمر-١٠، و قوله تعالى: «إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»: إبراهيم-٢٢، و قوله تعالى: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ»: البقره-٢٥٧، و أمثالها كثيره على اختلاف فنونها.

و يلحق بهذا القسم نوع آخر من الآيات كقوله تعالى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» فَإِنَّ الْآيَةَ دَعَتْ إِلَى تَرْكِ الْأَسَى وَ الْفَرَحِ بِأَنَّ الَّذِي أَصَابَكُمْ مَا كَانَ لِيُخْطِئَكُمْ وَ مَا أَخْطَأَكُمْ مَا كَانَ لِيُصِيبَكُمْ لِاسْتِنَادِ الْحَوَادِثِ إِلَى قَضَاءِ مَقْضَى وَ قَدَرٍ مُقَدَّرٍ، فَالْأَسَى وَ الْفَرَحُ لِعَوْلِ لَا يَنْبَغِي صُدُورُهُ مِنْ مُؤْمِنٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ أَرْزَمَ الْأُمُورَ كَمَا يَشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

«مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ» فهذا القسم من الآيات أيضا نظير القسم السابق الذى يتسبب فيه إلى إصلاح الأخلاق بالغايات الشريفة الأخرويه، و هى كمالات حقيقه غير ظنيه يتسبب فيه إلى إصلاح الأخلاق بالمبادئ السابقه الحقيقه من القدر و القضاء و التخلق بأخلاق الله و التذكر بأسماء الله الحسنى و صفاته العليا و نحو ذلك.

فإن قلت: التسبب بمثل القضاء و القدر يوجب بطلان أحكام هذه النشأه الاختياريه، و فى ذلك بطلان الأخلاق الفاضله، و اختلال نظام هذه النشأه الطبيعيه، فإنه لو جاز الاستناد فى إصلاح صفه الصبر و الثبات و ترك الفرح و الأسى كما استفيد من الآيه السابقه إلى كون الحوادث مكتوبه فى لوح محفوظ، و مقضيه بقضاء محتوم أمكن الاستناد إلى ذلك فى ترك طلب الرزق، و كسب كل كمال مطلوب، و الاتقاء عن كل رذيله خلقيه و غير ذلك، فيجوز حينئذ أن نقعد عن طلب الرزق، و الدفاع عن الحق، و نحو ذلك بأن الذى سيقع منه مقضى مكتوب، و كذا يجوز أن نترك السعى

فى كسب كل كمال، و ترك كل نقص بالاستناد التى حتم القضاء و حقيقه الكتاب، و فى ذلك بطلان كل كمال.

قلت: قد ذكرنا فى البحث عن القضاء، ما يتضح به الجواب عن هذا الإشكال، فقد ذكرنا ثم أن الأفعال الإنسانيه من أجزاء علل الحوادث، و من المعلوم أن المعاليل و المسببات يتوقف وجودها على وجود أسبابها و أجزاء أسبابها، فقول القائل: إن الشبع إما مقضى الوجود، و إما مقضى العدم، و على كل حال فلا تأثير للأكل غلط فاحش، فإن الشبع فرض تحققه فى الخارج لا يستقيم إلا بعد فرض تحقق الأكل الاختيارى الذى هو أحد أجزاء علله، فمن الخطأ أن يفرض الإنسان معلولا من المعاليل، ثم يحكم بإلغاء علله أو شىء من أجزاء علله.

فغير جائز أن يبطل الإنسان حكم الاختيار الذى عليه مدار حياته الدنيويه، و إليه تنتسب سعاداته و شقاؤه، و هو أحد أجزاء علل الحوادث التى تلحق وجوده من أفعاله أو الأحوال و الملكات الحاصله من أفعاله، غير أنه كما لا يجوز له إخراج إرادته و اختياره من زمره العلل، و إبطال حكمه فى التأثير، كذلك لا يجوز له أن يحكم بكون اختياره سببا وحيدا، و عله تامه إليه تستند الحوادث، من غير أن يشاركه شىء آخر من أجزاء العالم و العلل الموجوده فيه التى فى رأسها الإراده الإلهيه فإنه يتفرع عليه كثير من الصفات المذمومه كالعجب و الكبر و البخل، و الفرح و الأسى، و الغم و نحو ذلك.

يقول الجاهل: أنا الذى فعلت كذا و تركت كذا فيعجب بنفسه أو يستكبر على غيره أو يبخل بماله - و هو جاهل بأن بقيه الأسباب الخارجيه عن اختياره الناقص، و هى ألوف و ألوف لو لم يمهد له الأمر لم يسد اختياره شيئا، و لا أغنى عن شىء - يقول الجاهل: لو أنى فعلت كذا لما تضررت بكذا، أو لما فات عنى كذا، و هو جاهل بأن هذا الفوت أو الموت يستند عدمه - أعنى الربح أو العافيه، أو الحياه - إلى ألوف و ألوف من العلل يكفى فى انعدامها - أعنى فى تحقق الفوات أو الموت - انعدام واحد منها، و إن كان اختياره موجودا، على أن نفس اختيار الإنسان مستند إلى علل كثيره خارجه عن اختيار الإنسان فالاختيار لا يكون بالاختيار.

فإذا عرفت ما ذكرنا و هو حقيقه قرآنيه يعطيها التعليم الإلهي كما مر، ثم تدبرت في الآيات الشريفه التي في المورد وجدت أن القرآن يستند إلى القضاء المحتوم و الكتاب المحفوظ في إصلاح بعض الأخلاق دون بعض.

فما كان من الأفعال أو الأحوال و الملكات يوجب استنادها إلى القضاء و القدر إبطال حكم الاختيار فإن القرآن لا يستند إليه، بل يدفعه كل الدفع كقوله تعالى:

﴿وَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَ اللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: الأعراف- ٢٨.

و ما كان منها يوجب سلب استنادها إلى القضاء إثبات استقلال اختيار الإنسان في التأثير، و كونه سببا تاما غير محتاج في التأثير، و مستغنيا عن غيره، فإنه يثبت استناده إلى القضاء و يهدى الإنسان إلى مستقيم الصراط الذي لا يخطئ بسالكة، حتى ينتفى عنه رذائل الصفات التي تتبعه كإسناد الحوادث إلى القضاء كى لا يفرح الإنسان بما وجده جهلا، و لا يحزن بما فقدته جهلا كما في قوله تعالى: ﴿وَ اتَّوَهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾: النور- ٣٣، فإنه يدعو إلى الجود بإسناد المال إلى إيتاء الله تعالى، و كما في قوله تعالى: ﴿وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: البقره- ٣، فإنه يندب إلى الإنفاق بالاستناد إلى أنه من رزق الله تعالى، و كما في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَٰلِكَ الْحَدِيثِ أَسَفًا إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: الكهف- ٧، نهى رسوله ص عن الحزن و الغم استنادا إلى أن كفرهم ليس غلبه منهم على الله سبحانه بل ما على الأرض من شيء أمور مجعوله عليها للابتلاء و الامتحان إلى غير ذلك.

و هذا المسلك أعنى الطريقه الثانيه في إصلاح الأخلاق طريقه الأنبياء، و منه شيء كثير في القرآن، و فيما ينقل إلينا من الكتب السماويه.

و هاهنا مسلك ثالث مخصوص بالقرآن الكريم لا يوجد في شيء مما نقل إلينا من الكتب السماويه، و تعاليم الأنبياء الماضين سلام الله عليهم أجمعين، و لا- في المعارف المأثوره من الحكماء الإلهيين، و هو تربيته الإنسان و صفا و علما باستعمال علوم و معارف لا يبقى معها موضوع الرذائل، و بعبارة أخرى إزالة الأوصاف الرذيله بالرفع لا بالدفع.

و ذلك كما أن كل فعل يراد به غير الله سبحانه فالغايه المطلوبه منه إما عزه في المطلوب يطمع فيها، أو قوه يخاف منها و يحذر عنها، لكن الله سبحانه يقول: «إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا»: يونس-٦٥، و يقول: «أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا»: البقره-١٦٥، و التحقق بهذا العلم الحق لا- يبقى موضوعا لرياء، و لا- سماعه، و لا- خوف من غير الله و لا- رجاء لغيره، و لا- ركون إلى غيره، فهاتان القضيتان إذا صارتا معلومتين للإنسان تغسلان كل ذميمة و صفا أو فعلا عن الإنسان و تحليان نفسه بحليه ما يقابلها من الصفات الكريمة الإلهيه من التقوى بالله، و التعزز بالله و غيرهما من مناعه و كبرياء و استغناء و هيبه إلهيه ربانيه.

و أيضا قد تكرر في كلامه تعالى: أن الملك لله، و أن له ملك السماوات و الأرض و أن له ما في السماوات و الأرض و قد مر بيانه مرارا، و حقيقه هذا الملك كما هو ظاهر لا تبقى لشيء من الموجودات استقلالا دونه، و استغناء عنه بوجه من الوجوه فلا شيء إلا و هو سبحانه المالك لذاته و لكل ما لذاته، و إيمان الإنسان بهذا الملك و تحققه به يوجب سقوط جميع الأشياء ذاتا و صفا و فعلا عنده عن درجه الاستقلال، فهذا الإنسان لا يمكنه أن يريد غير وجهه تعالى، و لا أن يخضع لشيء، أو يخاف أو يرجو شيئا، أو يلتذ أو يبتهج بشيء، أو يركن إلى شيء أو يتوكل على شيء أو يسلم لشيء أو يفوض إلى شيء، غير وجهه تعالى، و بالجملة لا يريد و لا يطلب شيئا إلا وجهه الحق الباقي بعد فناء كل شيء، و لا يعرض إعراضا و لا يهرب إلا عن الباطل الذي هو غيره الذي لا يرى لوجوده وقعا و لا يعبا به قبال الحق الذي هو وجود باريه جل شأنه.

و كذلك قوله تعالى: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»: طه-٨، و قوله:

«ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ»: الأنعام-١٠٢، و قوله: «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ»، السجده-٧ و قوله: «وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ»: طه-١١١ و قوله: «كُلُّ لَه قَانِتُونَ»: البقره-١١٦، و قوله: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَا»: الإسراء-٢٣، و قوله: «أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»: فصلت-٥٣، و قوله:

«أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ»: فصلت-٥٤، و قوله: «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ»: النجم-٤٢.

و من هذا الباب الآيات التي نحن فيها و هي قوله تعالى: «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» إلى آخرها فإن هذه الآيات و أمثالها

مشملة على معارف خاصة إلهيه ذات نتائج خاصه حقيقه لا تشابه تربيتها نوع التريه التي يقصدها حكيم أخلاقي في فنه، و لا نوع التريه التي سنه الأنبياء في شرائعهم، فإن المسلك الأول كما عرفت مبني على العقائد العامه الاجتماعيه في الحسن و القبح و المسلك الثاني مبني على العقائد العامه الدينيه في التكاليف العبوديه و مجازاتها، و هذا المسلك الثالث مبني على التوحيد الخالص الكامل الذي يختص به الإسلام على مشرعه و آله أفضل الصلاه هذا.

فإن تعجب فعجب قول بعض المستشرقين من علماء الغرب في تاريخه الذي يبحث فيه عن تمدن الإسلام، و حاصله: أن الذي يجب للباحث أن يعتنى به هو البحث عن شئون المدنيه التي بسطتها الدعوه الدينيه الإسلاميه بين الناس من متبعيها، و المزايا و الخصائص التي خلفها و ورثها فيهم من تقدم الحضاره و تعالى المدنيه، و أما المعارف الدينيه التي يشتمل عليها الإسلام فهي مواد أخلاقيه يشترك فيها جميع النبوات، و يدعو إليها جميع الأنبياء هذا.

و أنت بالإحاطه بما قدمناه من البيان تعرف سقوط نظره، و خبط رأيه فإن النتيجة فرع لمقدمتها، و الآثار الخارجيه المترتبه على التريه إنما هي مواليد و نتائج لنوع العلوم و المعارف التي تلقاها المتعلم المتربي، و ليسا سواء قول يدعو إلى حق نازل و كمال متوسط و قول يدعو إلى محض الحق و أقصى الكمال، و هذا حال هذا المسلك الثالث، فأول المسالك يدعو إلى الحق الاجتماعى، و ثانيها يدعو إلى الحق الواقعى و الكمال الحقيقى الذي فيه سعادته الإنسان في حياته الآخره، و ثالثها يدعو إلى الحق الذي هو الله، و يبنى تربيته على أن الله سبحانه واحد لا شريك له، و ينتج العبوديه المحضه، و كم بين المسالك من فرق!.

و قد أهدى هذا المسلك إلى الاجتماع الإنسانى جما غفيرا من العباد الصالحين، و العلماء الربانيين، و الأولياء المقربين رجالا و نساء، و كفى بذلك شرفا للدين.

على أن هذا المسلك ربما يفترق عن المسلكين الآخرين بحسب النتائج، فإن بناءه على الحب العبودى، و إثارة جانب الرب على جانب العبد و من المعلوم أن الحب و الوله و التيم ربما يدل الإنسان المحب على أمور لا يستصوبه العقل الاجتماعى الذي هو ملاك

الأخلاق الاجتماعيه، أو الفهم العام العادي الذى هو أساس التكليف العامه الدينيه، فللعقل أحكام، و للحب أحكام، و سيجىء توضيح هذا المعنى فى بعض الأبحاث الآتیه إن شاء الله تعالى.

## [بيان]

قوله تعالى: **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** الآية.

التدبر فى الآيه يعطى أن الصلاه غير الرحمه بوجه، و يشهد به جمع الصلاه و أفراد الرحمه، و قد قال تعالى: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» :الأحزاب-٤٣، و الآيه تفيد كون قوله: **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**، فى موقع العله لقوله: **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ**، و المعنى أنه إنما يصلى عليكم، و كان من اللازم المترقب ذلك، لأن عاداته جرت على الرحمه بالمؤمنين، و أنتم مؤمنون فكان من شأنكم أن يصلى عليكم حتى يرحمكم، فنسبه الصلاه إلى الرحمه نسبه المقدمه إلى ذيهها و كالنسبه التى بين الالتفات و النظر، و التى بين الإلقاء فى النار و الإحراق مثلا، و هذا يناسب ما قيل فى معنى الصلاه: إنها الانعطاف و الميل، فالصلاه من الله سبحانه انعطاف إلى العبد بالرحمه و من الملائكه انعطاف إلى الإنسان بالتوسط فى إيصال الرحمه، و من المؤمنين رجوع و دعاء بالعبوديه و هذا لا ينافى كون الصلاه بنفسها رحمه و من مصاديقها، فإن الرحمه فى القرآن على ما يعطيه التدبر فى مواردھا هى العطيه المطلقه الإلهيه، و الموهبه العامه الربانيه، كما قال تعالى: **«وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ»** :الأعراف-١٥٦، و قال تعالى: **«وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ»** :الأنعام-١٣٣، فالإذهاب لغناه و الاستخلاف و الإنشاء لرحمته، و هما جميعا يستندان إلى رحمته كما يستندان إلى غناه فكل خلق و أمر رحمه، كما أن كل خلق و أمر عطيه تحتاج إلى غنى، قال تعالى: **«وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا: الإسراء-٢٠»**، و من عطيته الصلاه فهى أيضا من الرحمه غير أنها رحمه خاصه، و من هنا يمكن أن يوجه جمع الصلاه و أفراد الرحمه فى الآيه.

قوله تعالى: **وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**، كأنه بمنزله النتيجة لقوله: **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**، و لذلك جدد اهتداءهم جملة ثانيه مفصولة عن الأولى، و لم يقل: صلوات من ربهم و رحمه و هدايه، و لم يقل: و أولئك هم المهديون بل ذكر قبولهم للهدايه بالتعبير بلفظ الاهتداء الذى هو فرع مترتب على الهدايه، فقد تبين

أن الرحمه هدايتهم إليه تعالى، و الصلوات كالمقدمات لهذه الهدايه و اهتداءهم نتيجه هذه الهدايه، فكل من الصلاه و الرحمه و الاهتداء غير الآخر و إن كان الجميع رحمه بنظر آخر.

فمثل هؤلاء المؤمنين في ما يخبره الله من كرامته عليهم مثل صديقك تلقاه و هو يريد دارك، و يسأل عنها يريد النزول بك فتلقاه بالبشر و الكرامه، فتورده مستقيم الطريق و أنت معه تسيره، و لا تدعه يضل في مسيره حتى تورده نزله من دارك و تعاوده في الطريق بمأكله و مشربه، و ركوبه و سيره، و حفظه من كل مكروه يصيبه فجميع هذه الأمور إكرام واحد لأنك إنما تريد إكرامه، و كل تعاود تعاود و إكرام خاص، و الهدايه غير الإكرام، و غير التعاود، و هو مع ذلك إكرام فكل منها تعاود، و كل منها هدايه و كل منها إكرام خاص، و الجميع إكرام. فالإكرام الواحد العام بمنزله الرحمه، و التعاودات في كل حين بمنزله الصلوات، و النزول في الدار بمنزله الاهتداء.

و الإتيان بالجملة الاسميه في قوله: **وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّهَدُونَ**، و الابتداء باسم الإشاره الدال على البعيد، و ضمير الفصل ثانيا و تعريف الخبر بلام الموصول في قوله: **الْمُتَّهَدُونَ** كل ذلك لتعظيم أمرهم و تفخيمه - و الله أعلم -.

### (بحث روائي في البرزخ و حياه الروح بعد الموت)

في تفسير القمي، عن سويد بن غفله عن أمير المؤمنين (ع) قال: إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا، و أول يوم من الآخرة مثل له ماله و ولده و عمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: و الله إني كنت عليك لحريصا شحيحا، فما لي عندك؟ فيقول: خذ مني كفنك، ثم يلتفت إلى ولده فيقول: و الله إني كنت لكم لمحبا، و إني كنت عليكم لحاميا، فما ذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك و نواريك فيها، ثم يلتفت إلى عمله فيقول: و الله إني كنت فيك لزاهدا، و إنك كنت على لثقيلا، فما ذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك، و يوم حشرك، حتى أعرض أنا و أنت على ربك، فإن



كان لله وليا أتاه أطيب الناس ريحا- وأحسنهم منظرا، وأزينهم رياشا، فيقول: بشر بروح من الله وريحان ووجه نعيم، قد قدمت خير مقدم، فيقول: من أنت؟ فيقول:

أنا عمالك الصالح- أرتحل من الدنيا إلى الجنة، وإنه ليعرف غاسله، ويناشد حامله أن يعجله- فإذا دخل قبره أتاه ملكان، وهما فتانا القبر، يحبران أشعارهما، ويحبران الأرض بأنبأهما، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: من ربك، ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيقول: الله ربي، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، فيقولان: ثبتك الله فيما تحب وترضى، وهو قول الله: **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** الآية، فيفسحان له في قبره مد بصره، ويفتحان له بابا إلى الجنة- ويقولان: نم قرير العين نوم الشاب الناعم، وهو قوله: **أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا**.

وإذا كان لربه عدوا فإنه يأتيه أقبح خلق الله رياشا، وأنتنه ريحا، فيقول له أبشر بنزل من حميم، وتصليه جحيم، وإنه ليعرف غاسله، ويناشد حامله أن يحبسه، فإذا أدخل قبره أتياه ممتحنا القبر، فألقيا عنه أكفانه ثم قال- له، من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدري فيقولان له: ما دريت ولا هديت، فيضربانه بمرزبه ضربه- ما خلق الله دابه إلا وتذعر لها ما خلا الثقلان، ثم يفتحان له بابا إلى النار، ثم يقولان له: نم بشر حال، فيبوء من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج، حتى أن دماغه يخرج من بين ظفره و لحمه، ويسلط الله عليه حيات الأرض و عقاربها و هوامها تنهشه- حتى يبعثه الله من قبره، وإنه ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر.

و في منتخب البصائر، عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر (ع) قال: لا- يسأل في القبر إلا- من محض الإيمان محضا- أو محض الكفر محضا- فقلت له: فسائر الناس؟ فقال: يلهي عنهم.

و في أمالي الشيخ عن ابن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله (ع) فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين بعد موتهم؟ قلت: يقولون في حواصل طيور خضر، فقال: سبحان الله، المؤمن أكرم على الله من ذلك! إذا كان ذلك- أتاه رسول الله و على و فاطمه و الحسن و الحسين (ع)، و معهم ملائكة الله عز و جل المقربون، فإن

أنطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد، وللنبي بالنبوه و الولايه لأهل البيت، شهد على ذلك رسول الله ص-و على و فاطمه و الحسن و الحسين(ع)-و الملائكه المقربون معهم-و إن اعتقل لسانه خص الله نبيه بعلم ما فى قلبه من ذلك، فشهد به، و شهد على شهادته النبى:على و فاطمه و الحسن و الحسين-على جماعتهم من الله أفضل السلام-و من حضر معهم من الملائكه-فإذا قبضه الله إليه صير تلك الروح إلى الجنه، فى صورته كصورته، فياكلون و يشربون-فإذا قدم عليهم القادم-عرفهم بتلك الصوره التى كانت فى الدنيا.

و فى المحاسن، عن حماد بن عثمان عن أبى عبد الله(ع)قال: ذكر الأرواح، أرواح المؤمنين فقال:يلتقون، قلت:يلتقون؟قال:نعم يتساءلون و يتعارفون- حتى إذا رأته قلت:فلان.

و فى الكافى، عن أبى عبد الله(ع)قال: إن المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحب، و يستر عنه ما يكره،و إن الكافر ليزور أهله، فيرى ما يكره و يستر عنه ما يحب، قال:منهم من يزور كل جمعه،و منهم من يزور على قدر عمله.

و فى الكافى، عن الصادق(ع): أن الأرواح فى صفه الأجساد فى شجر من الجنه، تعارف و تساءل، فإذا قدمت الروح على الأرواح تقول:دعوها، فإنها قد أقبلت من هول عظيم-ثم يسألونها ما فعل فلان،و ما فعل فلان-فإن قالت لهم:تركته حيا ارتجوه،و إن قالت لهم:قد هلك، قالوا:قد هوى هوى.

أقول:و الروايات فى باب البرزخ كثيره،و إنما نقلنا ما فيه جوامع معنى البرزخ،و فى المعانى المنقوله روايات مستفيضه كثيره،و فيها دلالة على نشأه مجردة عن الماده.

### (بحث فلسفى) [تجرد النفس أيضا.]

هل النفس مجردة عن الماده؟(و نعى بالنفس ما يحكى عنه كل واحد منا بقوله، أنا؛و بتجردها عدم كونها أمرا ماديا ذا انقسام و زمان و مكان).

إننا لا نشك في أننا نجد من أنفسنا مشاهدته معنى نحكى عنه:بأنا، و لا نشك أن كل إنسان هو مثلنا في هذه المشاهدته التي لا نغفل عنه حيننا من أحيان حياتنا و شعورنا،و ليس هو شيئا من أعضائنا،و أجزاء بدننا التي نشعر بها بالحس أو بنحو من الاستدلال كأعضائنا الظاهره المحسوسه بالحواس الظاهره من البصر و اللمس و نحو ذلك،و أعضائنا الباطنه التي عرفناها بالحس و التجربة.فإننا ربما نغفل عن كل واحد منها و عن كل مجموع منها حتى عن مجموعها التام الذى نسميه بالبدن،و لا نغفل قط عن المشهود الذى نعبر عنه:بأنا،فهو غير البدن و غير أجزائه.

و أيضا لو كان هو البدن أو شيئا من أعضائه أو أجزائه:أو خاصه من الخواص الموجود فيها-و هى جميعا ماديه،و من حكم ماده التغير التدريجى و قبول الانقسام و التجزى-لكان ماديا متغيرا و قابلا للانقسام و ليس كذلك فإن كل أحد إذا رجع إلى هذه المشاهدته النفسانيه اللازمه لنفسه،و ذكر ما كان يجده من هذه المشاهدته منذ أول شعوره بنفسه و جده معنى مشهودا واحدا باقيا على حاله من غير أدنى تعدد و تغير،كما يجد بدنه،و أجزاء بدنه و الخواص الموجوده معها متغيره متبدله من كل جهه،فى مادتها و شكلها،و سائر أحوالها و صورها،و كذا و جده معنى بسيطا غير قابل للانقسام و التجزى،كما يجد البدن و أجزاءه و خواصه-و كل ماده و أمر مادى كذلك-فليست النفس هى البدن، و لا جزء من أجزائه،و لا خاصه من خواصه، سواء أدركناه بشىء من الحواس أو بنحو من الاستدلال،أو لم ندرك،فإنها جميعا ماديه كيفما فرضت،و من حكم ماده التغير،و قبول الانقسام،و المفروض أن ليس فى مشهودنا المسمى بالنفس شىء من هذه الأحكام فليست النفس بماديه بوجه.

و أيضا هذا الذى نشاهده نشاهده أمرا واحدا بسيطا ليس فيه كثره من الأجزاء و لا خليط من خارج بل هو واحد صرف فكل إنسان يشاهد ذلك من نفسه و يرى أنه هو و ليس بغيره فهذا المشهود أمر مستقل فى نفسه،لا ينطبق عليه حد ماده و لا يوجد فيه شىء من أحكامها اللازمه،فهو جوهر مجرد عن ماده،متعلق بالبدن نحو تعلق يوجب اتحادا ما له بالبدن و هو التعلق التدبيرى و هو المطلوب.

و قد أنكر تجرد النفس جميع الماديين،و جمع من الإلهيين من المتكلمين،و الظاهريين

من المحذنين، و استدلو على ذلك، و ردوا ما ذكر من البرهان بما لا يخلو عن تكلف من غير طائل.

قال الماديون: إن الأبحاث العلميه على تقدمها و بلوغها اليوم إلى غايه الدقه فى فحصها و تجسسها لم تجد خاصه من الخواص البدنيه إلا وجدت علتها الماديه، و لم تجد أثرا روحيا لا يقبل الانطباق على قوانين الماده حتى تحكم بسببها بوجود روح مجردة.

قالوا: و سلسله الأعصاب تؤدي الإدراكات إلى العضو المركزى و هو الجزء الدماغى على التوالى و فى نهايه السرعه، فففيه مجموعه متحده ذات وضع واحد لا يتميز أجزاءها و لا يدرك بطلان بعضها، و قيام الآخر مقامه، و هذا الواحد المتحصل هو نفسنا التى نشاهدها، و نحكى عنها بأنا، فالذى نرى أنه غير جميع أعضائنا صحيح إلا أنه لا يثبت أنه غير البدن و غير خواصه، بل هو مجموعه متحده من جهه التوالى و التوارد لا- نغفل عنه، فإن لازم الغفله عنه على ما تبين بطلان الأعصاب و وقوفها عن أفعالها و هو الموت، و الذى نرى أنه ثابت، صحيح لكنه لا من جهه ثباته و عدم تغيره فى نفسه بل الأمر مشتبه على المشاهده من جهه توالى الواردات الإدراكيه و سرعه ورودها، كالحوض الذى يرد عليه الماء من جانب و يخرج من جانب بما يساويه و هو مملوء دائما، فما فيه من الماء يجده الحس واحدا ثابتا، و هو بحسب الواقع لا واحد و لا ثابت، و كذا يجد عكس الإنسان أو الشجر أو غيرهما فيه واحدا ثابتا و ليس واحدا ثابتا بل هو كثير متغير تدريجا بالجريان التدريجى الذى لأجزاء الماء فيه، و على هذا النحو وجود الثبات و الوحده و الشخصيه التى نرى فى النفس.

قالوا: فالنفس التى يقام البرهان على تجردها من طريق المشاهده الباطنيه هى فى الحقيقه مجموعه من خواص طبيعیه، و هى الإدراكات العصبیه التى هى نتائج حاصله من التأثير و التأثير المتقابلين بين جزء الماده الخارجيه، و جزء المركب العصبى، و وحدتها وحده اجتماعيه لا وحده واقعيه حقيقه.

أقول: أما قولهم: إن الأبحاث العلميه المبتنيه على الحس و التجربه لم تظفر فى سيرها الدقيق بالروح، و لا- وجدت حكما من الأحكام غير قابل التعليل إلا بها فهو كلام

حق لا ريب فيه لكنه لا ينتج انتفاء النفس المجردة التي أقيم البرهان على وجودها، فإن العلوم الطبيعيه الباحثه عن أحكام الطبيعه و خواص المادة إنما تقدر على تحصيل خواص موضوعها الذي هو المادة، وإثبات ما هو من سنخها، وكذا الخواص و الأدوات الماديه التي نستعملها لتتميم التجارب المادى إنما لها أن تحكم فى الأمور الماديه، و أما ما وراء المادة و الطبيعه، فليس لها أن تحكم فيها نفيًا و لا إثباتًا، و غايه ما يشعر البحث المادى به هو عدم الوجدان، و عدم الوجدان غير عدم الوجود، و ليس من شأنه كما عرفت أن يجد ما بين المادة التي هي موضوعها، و لا بين أحكام المادة و خواصها التي هي نتائج بحثها أمرًا مجردًا خارجًا عن سنخ المادة و حكم الطبيعه.

و الذى جرأهم على هذا النفى زعمهم أن المثبتين لهذه النفس المجرده إنما أثبتوها لعثورهم إلى أحكام حيويه من وظائف الأعضاء و لم يقدرُوا على تحليلها العلمى، فأثبتوا النفس المجرده لتكون موضوعًا مبدأً لهذه الأفاعيل، فلما حصل العلم اليوم على عللها الطبيعه لم يبق وجه للقول بها، و نظير هذا الزعم ما زعموه فى باب إثبات الصانع.

و هو اشتباه فاسد فإن المثبتين لوجود هذه النفس لم يثبتوها لذلك و لم يسندوا بعض الأفاعيل البدنيه إلى البدن فيما علله ظاهره، و بعضها إلى النفس فيما علله مجهوله، بل أسندوا الجميع إلى العلل البدنيه بلا واسطه و إلى النفس بواسطتها، و إنما أسندوا إلى النفس ما لا يمكن إسناده إلى البدن البته و هو علم الإنسان بنفسه و مشاهدته ذاته كما مر.

و أما قولهم: إن الإنيه المشهوده للإنسان على صفه الوحده هي عده من الإدراكات العصبية الوارده على المركز على التوالى و فى نهايه السرعه- و لها وحده اجتماعيه- فكلام لا محصل له و لا ينطبق عليه الشهود النفسانى البته، و كأنهم ذهلوا عن شهودهم النفسانى فعدلوا عنه إلى ورود المشهودات الحسيه إلى الدماغ و اشتغلوا بالبحث عما يلزم ذلك من الآثار التالىه و ليت شعرى إذا فرض أن هناك أمورًا كثيره بحسب الواقع لا- وحده لها البته، و هذه الأمور الكثيره التي هي الإدراكات أمور ماديه ليس وراءها شىء آخر إلا نفسها، و أن الأمر المشهود الذى هو النفس الواحده هو عين هذه

الإدراكات الكثيره، فمن أين حصل هذا الواحد الذى لا نشاهد غيره؟ و من أين حصلت هذه الوحده المشهوده فيها عيانا؟ و الذى ذكروه من وحدتها الاجتماعيه كلام أشبه بالهزل منه بالجد فإن الواحد الاجتماعى هو كثير فى الواقع من غير وحده وإنما وحدتها فى الحس أو الخيال كالدار الواحده و الخط الواحد مثلا، لا فى نفسه، و المفروض فى محل كلامنا أن الإدراكات و الشعورات الكثيره فى نفسها هى شعور واحد عند نفسها، فلازم قولهم إن هذه الإدراكات فى نفسها كثيره لا ترجع إلى وحده أصلا، و هى بعينها شعور واحد نفسانى واقعا، و ليس هناك أمر آخر له هذه الإدراكات الكثيره فيدر كها على نعت الوحده كما يدرك الحاسه أو الخيال المحسوسات أو المتخيلات الكثيره المجتمعه على وصف الوحده الاجتماعيه، فإن المفروض أن مجموع الإدراكات الكثيره فى نفسها نفس الإدراك النفسانى الواحد فى نفسه، و لو قيل: إن المدرك هاهنا الجزء الدماغى يدرك الإدراكات الكثيره على نعت الوحده كان الإشكال بحاله، فإن المفروض أن إدراك الجزء الدماغى نفس هذه الإدراكات الكثيره المتعاقبه بعينها، لا أن للجزء الدماغى قوه إدراك تتعلق بهذه الإدراكات كتعلق القوى الحسيه بمعلوماتها الخارجيه و انتزاعها منها صورا حسيه، فافهم ذلك.

و الكلام فى كيفيه حصول الثبات و البساطه فى هذا المشهود الذى هو متغير متجز فى نفسه كالكلام فى حصول وحدته.

مع أن هذا الفرض أيضا- أعنى أن يكون الإدراكات الكثيره المتواليه المتعاقبه مشعوره بشعور دماغى على نعت الوحده- نفسه فرض غير صحيح، فما شأن الدماغ و القوه التى فيه، و الشعور الذى لها، و المعلوم الذى عندها، و هى جميعا أمور ماديه، و من شأن ماده و المادى الكثيره، و التغير، و قبول الانقسام، و ليس فى هذه الصوره العلميه شىء من هذه الأوصاف و النعوت، و ليس غير ماده و المادى هناك شىء؟.

و قولهم: إن الأمر يشته على الحس أو القوه المدركه، فيدرك الكثير المتجزى المتغير واحدا بسيطا ثابتا غلط واضح، فإن الغلط و الاشتباه من الأمور النسبيه التى تحصل بالمقايسه و النسبه، لا من الأمور النفسيه، مثال ذلك أنا نشاهد الأجرام العظيمه السماويه صغيره كالنقاط البيض، و نغلط فى مشاهدتنا هذه، على ما تبينه البراهين

العلميه، وكثير من مشاهدات حواسنا إلا أن هذه الأغلط إنما تحصل و توجد إذا قايسنا ما عند الحس مما فى الخارج من واقع هذه المشهودات، و أما ما عند الحس فى نفسه فهو أمر واقعى كنقطه بىضاء لا معنى لكونه غلطا البته.

و الأمر فىما نحن فىه من هذا القبيل فإن حواسنا و قوانا المدركه إذا وجدت الأمور الكثره المتغيره المتجزيه على صفه الوحده و الثبات و البساطه كانت القوى المدركه غالطه فى إدراكها مشتبهه فى معلومها بالقياس إلى المعلوم الذى فى الخارج و أما هذه الصوره العلميه الموجوده عند القوه فهى واحده ثابتة بسيطه فى نفسها البته، و لا يمكن أن يقال للأمر الذى هذا شأنه: أنه مادمى لفقده أو صاف الماده العامه.

فقد تحصل من جميع ما ذكرنا أن الحجه التى أوردها الماديون من طريق الحس و التجربه إنما ينتج عدم الوجدان، و قد وقعوا فى المغالطه بأخذ عدم الوجود (و هو مدعاهم) مكان عدم الوجدان، و ما صوروه لتقرير الشهود النفسانى المثبت لوجود أمر واحد بسيط ثابت تصوير فاسد لا يوافق، لا الأصول الماديه المسلمه بالحس و التجربه، و لا واقع الأمر الذى هو عليه فى نفسه.

و أما ما افترضه الباحثون فى علم النفس الجديد فى أمر النفس و هو أنه الحاله المتحده الحاصله من تفاعل الحالات الروحيه، من الإدراك و الإراده و الرضا و الحب و غيرها المنتجه لحاله متحده مؤلفه فلا كلام لنا فىه، فإن لكل باحث أن يفترض موضوعا و يضعه موضوعا لبحثه، و إنما الكلام فىه من حيث وجوده و عدمه فى الخارج و الواقع مع قطع النظر عن فرض الفارض و عدمه، و هو البحث الفلسفى كما هو ظاهر على الخبير بجهات البحث.

و قال قوم آخرون من نفاه تجرد النفس من المليون: إن الذى يتحصل من الأمور المربوطه بحياه الإنسان كالتشريح و الفيزيولوجى أن هذه الخواص الروحيه الحيويه تستند إلى جراثيم الحياه و السلولات التى هى الأصول فى حياه الإنسان و سائر الحيوان، و تتعلق بها، فالروح خاصه و أثر مخصوص فيها لكل واحد منها أرواح متعدده فالذى

يسميه الإنسان روحا لنفسه و يحكى عنه بأنا مجموعته متكونه من أرواح غير محصوره على نعت الاتحاد و الاجتماع، و من المعلوم أن هذه الكيفيات الحيويه و الخواص الروحيه تبطل بموت الجراثيم و السلالات و تفسد بفسادها فلا معنى للروح الواحده المجرده الباقية بعد فناء التركيب البدنى غايه الأمر أن الأصول الماديه المكتشفه بالبحث العلمى لما لم تف بكشف رموز الحياه كان لنا أن نقول: إن العلل الطبيعیه لا تفى بإيجاد الروح فهى معلوله لموجود آخر وراء الطبيعیه، و أما الاستدلال على تجرد النفس من جهه العقل محضاً فشىء لا يقبله و لا يصغى إليه العلوم اليوم لعدم اعتمادها على غير الحس و التجربه، هذا.

أقول: و أنت خبير بأن جميع ما أوردناه على حجه الماديين وارد على هذه الحجه المختلفه من غير فرق و نزيدها أنها مخدوشه أولاً: بأن عدم وفاء الأصول العلميه المكتشفه إلى اليوم بيان حقيقه الروح و الحياه لا ينتج عدم وفائها أبداً و لا عدم انتهاء هذه الخواص إلى العلل الماديه فى نفس الأمر على جهل منا، فهل هذا إلا مغالطه وضع فيها العلم بالعدم مكان عدم العلم؟.

و ثانياً: بأن استناد بعض حوادث العالم -و هى الحوادث الماديه- إلى الماده، و بعضها الآخر و هى الحوادث الحيويه إلى أمر وراء الماده -و هو الصانع- قول بأصلين فى الإيجاد، و لا يرتضيه المادى و لا الإلهى، و جميع أدله التوحيد يبطله.

و هنا إشكالات آخر أوردوها على تجرد النفس المذكوره فى الكتب الفلسفيه و الكلاميه غير أن جميعها ناشئه عن عدم التأمل و الإمعان فيما مر من البرهان، و عدم التثبت فى تعقل الغرض منه، و لذلك أضربنا عن إيرادها، و الكلام عليها، فمن أراد الوقوف عليها فعليه بالرجوع إلى مظانها، و الله الهادى.

### (بحث أخلاقى)

علم الأخلاق (و هو الفن الباحث عن الملكات الإنسانيه المتعلقه بقواه النباتيه و الحيوانيه و الإنسانيه، و تميز الفضائل منها من الرذائل ليستكمل الإنسان التحلى



و الانصاف بها سعادته العلميه، فيصدر عنه من الأفعال ما يجلب الحمد العام و الثناء الجميل من المجتمع الإنساني) يظفر ببحثه أن الأخلاق الإنسانيه تنتهي إلى قوى عامه ثلاثه فيه هي الباعثه للنفس على اتخاذ العلوم العمليه التي تستند و تنتهي إليها أفعال النوع و تهيئتها و تعيبتها عنده، و هي القوى الثلاث: الشهويه و الغضبيه و النطقيه الفكرية، فإن جميع الأعمال و الأفعال الصادره عن الإنسان إما من قبيل الأفعال المنسوبه إلى جلب المنفعه كالأكل و الشرب و اللبس و غيرها، و إما من الأفعال المنسوبه إلى دفع المضره كدفاع الإنسان عن نفسه و عرضه و ماله و نحو ذلك، و هذه الأفعال هي الصادره عن المبدأ الغضبي كما أن القسم السابق عليها صادر عن المبدأ الشهوي، و إما من الأعمال المنسوبه إلى التصور و التصديق الفكرى، كتأليف القياس و إقامة الحجج و غير ذلك، و هذه الأفعال صادره عن القوه النطقيه الفكرية، و لما كانت ذات الإنسان كالمؤلفه المركبه من هذه القوى الثلاث التي باتحادها و حصول الوحده التركيبية منها يصدر أفعال خاصه نوعيه، و يبلغ الإنسان سعادته التي من أجلها جعل هذا التركيب، فمن الواجب لهذا النوع أن لا يدع قوه من هذه القوى الثلاث تسلك مسلك الإفراط أو التفريط، و تميل عن حاق الوسط إلى طرفي الزيادة و النقصه، فإن في ذلك خروج جزء المركب عن المقدار المأخوذ منه في جعل أصل التركيب و في ذلك خروج المركب عن كونه ذاك المركب و لازمه بطلان غايه التركيب التي هي سعادته النوع.

و حد الاعتدال في القوه الشهويه- و هي استعمالها على ما ينبغي كما و كيفا- يسمى عفه، و الجانبان في الإفراط و التفريط الشره و الخمود، و حد الاعتدال في القوه الغضبيه هي الشجاعه، و الجانبان التهور و الجبن، و حد الاعتدال في القوه الفكرية تسمى حكمه، و الجانبان الجربزه و البلاده، و تحصل في النفس من اجتماع هذه الملكات ملكه رابعه هي كالمزاج من الممتزج، و هي التي تسمى عداله، و هي إعطاء كل ذي حق من القوى حقه، و وضعه في موضعه الذي ينبغي له، و الجانبان فيها الظلم و الانظلام.

فهذه أصول الأخلاق الفاضله أعنى: العفه و الشجاعه و الحكمه و العداله، و لكل منها فروع ناشئه منها راجعه بحسب التحليل إليها، نسبتها إلى الأصول المذكوره كنسبه النوع إلى الجنس، كالجود و السخاء، و القناعه و الشكر، و الصبر و الشهامه



و الجراء و الحياء، و الغيره و النصيحة، و الكرامه و التواضع، و غيرها، هي فروع الأخلاق الفاضله المضبوطه في كتب الأخلاق (و هاك شجره تبين أصولها و تفرع فروعها) و علم الأخلاق يبين حد كل واحد منها و يميزها من جانبيها في الإفراط و التفريط، ثم يبين أنها حسنه جميله ثم يشير إلى كيفية اتخاذها ملكه في النفس من طريقى العلم و العمل أعنى الإذعان بأنها حسنه جميله، و تكرار العمل بها حتى تصير هيئه راسخه في النفس.

مثاله أن يقال: إن الجبن إنما يحصل من تمكن الخوف من النفس، و الخوف إنما يكون من أمر ممكن الوقوع و عدم الوقوع، و المساوى الطرفين يقبح ترجيح أحد طرفيه على الآخر من غير مرجح و الإنسان العاقل لا ينبغي له ذلك فلا ينبغي للإنسان أن يخاف.

فإذا لقن الإنسان نفسه هذا القول ثم كرر الإقدام و الورود في المخاوف و المهاول زالت عنه رذيله الخوف، و هكذا الأمر في غيره من الرذائل و الفضائل.

فهذا ما يقتضيه المسلك الأول على ما تقدم في البيان و خلاصته إصلاح النفس و تعديل ملكاتها لغرض الصفه المحموده و الثناء الجميل.

و نظيره ما يقتضيه المسلك الثانى، و هو مسلك الأنبياء و أرباب الشرائع، و إنما التفاوت من حيث الغرض و الغايه، فإن غايه الاستكمال الخلقى في المسلك الأول الفضيله المحموده عند الناس و الثناء الجميل منهم، و غايته في المسلك الثانى السعاده الحقيقيه للإنسان و هو استكمال الإيمان بالله و آياته، و الخبر الأخرى و هى سعاده و كمال في الواقع لا عند الناس فقط، و مع ذلك فالمسلكان يشتركان في أن الغايه القصوى و الغرض فيها الفضيله الإنسانيه من حيث العمل.

و أما المسلك الثالث المتقدم بيانه فيفارق الأولين بأن الغرض فيه ابتغاء وجه الله لا اقتناء الفضيله الإنسانيه و لذلك ربما اختلف المقاصد التى فيه مع ما فى المسلكين الأولين فربما كان الاعتدال الخلقى فيه غير الاعتدال الذى فيهما و على هذا القياس، بيان ذلك أن العبد إذا أخذ إيمانه فى الاشتداد و الإزدياد انجذبت نفسه إلى التفكير فى ناحيه

ربه، واستحضار أسمائه الحسنی، و صفاته الجميله المنزهه عن النقص و الشين و لا تزال تزيد نفسه انجذابا، و تترقى مراقبه حتى صار يعبد الله كأنه يراه و أن ربه يراه، و يتجلى له في مجالى الجذب و المراقبه و الحب فيأخذ الحب في الاشتداد لأن الإنسان مفطور على حب الجميل، و قد قال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» :البقره-١٦٥، و صار يتبع الرسول في جميع حرركاته و سكناته لأن حب الشىء يوجب حب آثاره، و الرسول من آثاره و آياته كما أن العالم أيضا آثاره و آياته تعالى، و لا يزال يشتد هذا الحب ثم يشتد حتى ينقطع إليه من كل شىء، و لا يحب إلا ربه، و لا يخضع قلبه إلا لوجهه فإن هذا العبد لا يعثر بشىء، و لا يقف على شىء و عنده شىء من الجمال و الحسن إلا وجد أن ما عنده أنموذج يحكى ما عنده من كمال لا ينفد و جمال لا يتناهى و حسن لا يحد، فله الحسن و الجمال و الكمال و البهاء، و كل ما كان لغيره فهو له، لأن كل ما سواه آيه له ليس له إلا ذلك، و الآيه لا نفسه لها، و إنما هى حكاية تحكى صاحبها و هذا العبد قد استولى سلطان الحب على قلبه، و لا يزال يستولى، و لا ينظر إلى شىء إلا لأنه آيه من آيات ربه، و بالجملة فينقطع حبه عن كل شىء إلى ربه، فلا يحب شيئا إلا لله سبحانه و فى الله سبحانه.

و حينئذ يتبدل نحو إدراكه و عمله فلا يرى شيئا إلا و يرى الله سبحانه قبله و معه، و تسقط الأشياء عنده من حيز الاستقلال فما عنده من صور العلم و الإدراك غير ما عند الناس لأنهم إنما ينظرون إلى كل شىء من وراء حجاب الاستقلال بخلافه، هذا من جهه العلم، و كذلك الأمر من جهه العمل فإنه إذا كان لا يحب إلا الله فلا يريد شيئا إلا لله و ابتغاء وجهه الكريم، و لا يطلب و لا يقصد و لا يرجو و لا يخاف، و لا يختار، و لا يترك، و لا يبأس، و لا يستوحش، و لا يرضى، و لا يسخط إلا لله و فى الله فيختلف أغراضه مع ما للناس من الأغراض و تتبدل غايه أفعاله فإنه قد كان إلى هذا الحين يختار الفعل و يقصد الكمال لأنه فضيله إنسانيه، و يحذر الفعل أو الخلق لأنه رذيله إنسانيه.

و أما الآن فإنما يريد وجه ربه، و لا هم له فى فضيله و لا رذيله، و لا شغل له ببناء جميل، و ذكر محمود، و لا التفات له إلى دنيا أو آخره أو جنه أو نار، و إنما همه ربه، و زاده ذل عبوديته، و دليله حبه.

روت لى أحاديث الغرام صبابه

بإسنادها عن جيره العلم الفرد

و حدثنى مر النسيم عن الصبا

عن الدوح عن وادى الغضا عن ربي نجد

عن الدمع عن عيني القريح عن الجوى

عن الحزن عن قلبى الجريح عن الوجد

بأن غرامى و الهوى قد تحالفا

على تلفى حتى أوسد فى لحدى

و هذا البيان الذى أوردناه و إن آثرنا فيه الإجمال و الاختصار لكنك إن أجدت فيه التأمل وجدته كافيا فى المطلوب و تبين أن هذا المسلك الثالث يرتفع فيه موضوع الفضيله و الرذيله، و يتبدل فيه الغايه و الغرض أعنى الفضيله الإنسانيه إلى غرض واحد، و هو وجه الله، و ربما اختلف نظر هذا المسلك مع غيره فصار ما هو معدود فى غيره فضيله رذيله فيه و بالعكس.

بقى هنا شىء و هو أن هاهنا نظريه أخرى فى الأخلاق تغاير ما تقدم، و ربما عد مسلكا آخر، و هى أن الأخلاق تختلف أصولا و فروعا باختلاف الاجتماعات المدنيه لاختلاف الحسن و القبح من غير أن يرجع إلى أصل ثابت قائم على ساق، و قد ادعى أنها نتيجة النظرية المعروفة بنظريه التحول و التكامل فى ماده.

قالوا: إن الاجتماع الإنسانى مولود جميع الاحتياجات الوجوديه التى يريد الإنسان أن يرفعها بالاجتماع، و يتوسل بذلك، إلى بقاء وجود الاجتماع الذى يراه بقاء وجود شخصه، و حيث إن طبيعه محكومته لقانون التحول و التكامل كان الاجتماع أيضا متغيرا فى نفسه، و متوجها فى كل حين إلى ما هو أكمل و أرقى، و الحسن و القبح و هما موافقه العمل لغايه الاجتماع أعنى الكمال و عدم موافقه له -لا- معنى لبقائهما على حال واحد، و جمودهما على نهج فارد، فلا حسن مطلقا، و لا قبح مطلقا، بل هما دائما نسيان مختلفان باختلاف الاجتماعات بحسب الأمكنه و الأزمنه، و إذا كان الحسن و القبح نسيين متحولين و جب التغير فى الأخلاق، و التبديل فى الفضائل و الرذائل و من هنا يستنتج أن الأخلاق تابعه للمرام القومى الذى هو وسيله إلى نيل الكمال المدنى و الغايه الاجتماعيه، لتبعيه الحسن و القبح لذلك فما كان به التقدم و الوصول إلى الغايه و الغرض كان هو الفضيله و فيه الحسن، و ما كان يدعو إلى الوقوف و الارتجاع كان هو الرذيله، و على هذا فربما كان الكذب و الافتراء و الفحشاء و الشقاوه و القساوه و السرقة و الوقاحه حسنه و فضيله إذا وقعت فى طريق المرام الاجتماعى، و الصدق و العفه و الرحمه رذيله قبيحه إذا أوجب الحرمان عن المطلوب، هذه خلاصه هذه النظرية العجيبه التى ذهبت إليها الاشتراكيون من الماديين، و النظرية غير حديثه، على ما زعموا،

فقد كان الكليون من قدماء-اليونان-على ما ينقل على هذه المسلك، وكذا المزدكيون(وهم أتباع مزدك الذى ظهر بإيران على عهد كسرى و دعا إلى الاشتراك) كان عملهم على ذلك، ويعهد من بعض القبائل الوحشية بإفريقيه وغيرهم.

و كيف كان فهو مسلك فاسد و الحجه التى أقيمت على هذه النظرية فاسده من حيث البناء و المبنى معا.

توضيح ذلك:أنا نجد كل موجود من هذه الموجودات العينيه الخارجيه يصحب شخصيه تلازمه، و يلزمها أن لا يكون الموجود بسببه عين الموجود الآخر و يفارقه فى الوجود، كما أن وجود زيد يصحب شخصيه و نوع وحده لا يمكن معها أن يكون عين عمرو، فزيد شخص واحد، و عمرو شخص آخر، و هما شخصان اثنان، لا شخص واحد، فهذه حقيقه لا شك فيها(و هذا غير ما نقول: إن عالم ماده موجود ذو حقيقه واحده شخصيه فلا ينبغى أن يشته الأمر).

و ينتج ذلك: أن الوجود الخارجى عين الشخصيه، لكن المفاهيم الذهنيه يخالف الموجود الخارجى فى هذا الحكم فإن المعنى كيف ما كان يجوز العقل أن يصدق على أكثر من مصداق واحد كمفهوم الإنسان و مفهوم الإنسان الطويل، و مفهوم هذا الإنسان القائم أمامنا، و أما تقسيم المنطقيين المفهوم إلى الكلى و الجزئى، و كذا تقسيمهم الجزئى إلى الإضافى و الحقيقى فإنما هو تقسيم بالإضافه و النسبه، إما نسبه أحد المفهومين إلى الآخر و إما نسبه إلى الخارج، و هذا الوصف الذى فى المفاهيم- و هو جواز الانطباق على أكثر من واحد-ربما نسميه بالإطلاق كما نسمى مقابله بالشخصيه أو الوحد.

ثم الموجود الخارجى(و نعنى به الموجود المادى خاصه)لما كان واقعا تحت قانون التغير و الحركه العموميه كان لا محاله ذا امتداد منقسما إلى حدود و قطعات، كل قطعه منها تغاير القطعه الأخرى مما تقدم عليها أو تأخر عنها، و مع ذلك فهى مرتبطه بها بوجودها، إذ لو لا ذلك لم يصدق معنى التغير و التبدل لأن أحد شيئين إذا عدم من أصله، و الآخر وجد من أصله لم يكن ذلك تبدل هذا من ذاك، بل التبدل الذى يلزم كل حركه إنما يتحقق بوجود قدر مشترك فى الحالين جميعا.

و من هنا يظهر أن الحركه أمر واحد بشخصه يتكرر بحسب الإضافه إلى الحدود،

فيتعين بكل نسبه قطعه تغاير القطعه الأخرى، و أما نفس الحركة فسيلاان و جريان واحد شخصى، و نحن ربما سمينا هذا الوصف فى الحركة إطلاقاً فى مقابل النسب التى لها إلى كل حد حد، فنقول: الحركة المطلقة بمعنى قطع النظر عن إضافتها إلى الحدود.

و من هنا يظهر أن المطلق بالمعنى الثانى أمر واقعى موجود فى الخارج، بخلاف المطلق بالمعنى الأول فإن الإطلاق بهذا المعنى وصف ذهنى لموجود ذهنى، هذا.

ثم إنا لا نشك أن الإنسان موجود طبيعى ذو أفراد و أحكام و خواص و أن الذى توجده الخلقه هو الفرد من أفراد الإنسان دون مجموع الأفراد أعنى الاجتماع الإنسانى إلا أن الخلقه لما أحست بنقص وجوده، و احتياجه إلى استكمالات لا تتم له وحده، جهزه بأدوات و قوى ثلاثم سعيه للاستكمال فى ظرف الاجتماع و ضمن الأفراد المجتمعين، فطبيعه الإنسان الفرد مقصود للخلقه أولاً و بالذات و الاجتماع مقصود لها ثانياً و بالتبع.

و أما حقيقه أمر الإنسانى مع هذا الاجتماع الذى تقتضيه و تتحرك إليه الطبيعه الإنسانيه (إن صح إطلاق الاقتضاء و العليه و التحرك فى مورد الاجتماع حقيقه) فإن الفرد من الإنسان موجود شخصى واحد بالمعنى الذى تقدم من شخصيته و وحدته، و هو مع ذلك واقع فى الحركة، متبدل متحول إلى الكمال، و من هنا كان كل قطعه من قطعات وجوده المتبدل مغايره لغيرها من القطعات، و هو مع ذلك ذو طبيعه سياله مطلقه محفوظه فى مراحل التغيرات واحده شخصيه، و هذه الطبيعه الموجوده فى الفرد محفوظه بالتوالد و التناسل و اشتقاق الفرد من الفرد - و هى التى نعبر عنها بالطبيعه النوعيه - فإنها محفوظه بالأفراد و إن تبدلت و عرض لها الفساد و الكون، بمثل البيان الذى مر فى خصوص الطبيعه الفرديه، فالطبيعه الشخصيه موجوده متوجهه إلى الكمال الفردى، و الطبيعه النوعيه موجوده مطلقه متوجهه إلى الكمال.

و هذا الاستكمال النوعى لا - شك فى وجوده و تحققه فى نظام الطبيعه، و هو الذى نعتد عليه فى قولنا: إن النوع الإنسانى مثلاً متوجه إلى الكمال، و إن الإنسان اليوم أكمل وجوداً من الإنسان الأولى، و كذا ما تحكم به فرضيه تحول الأنواع، فلو لا أن هناك طبيعه نوعيه خارجيه محفوظه فى الأفراد أو الأنواع مثلاً لم يكن هذا الكلام إلا كلاماً شعرياً.

و الكلام فى الاجتماع الشخصى القائم بين أفراد قوم أو فى عصر أو فى محيط، و نوع الاجتماع القائم بنوع الإنسان المستمر باستمراره و المتحول بتحوله (لو صح أن الاجتماع كالإنسان المجتمع حال خارجى لطبيعته خارجيه!) نظير القول فى طبيعته الإنسان الشخصيه و النوعيه فى التقييد و الإطلاق.

فالاجتماع متحرك متبدل بحركه الإنسان و تبدله و له وحده من بادئ الحركه إلى أين توجه بوجود مطلق- و هذا الواحد المتغير بواسطه نسبته و إضافته إلى كل حد حد تصير قطعه قطعه، و كل قطعه شخص واحد من أشخاص الاجتماع، و أشخاص الاجتماع مستنده فى وجودها إلى أشخاص الإنسان، كما أن مطلق الاجتماع بالمعنى الذى تقدم مستند إلى مطلق الطبيعته الإنسانيه، فإن حكم الشخص شخص الحكم و فردة، و حكم المطلق مطلق الحكم (لا- كلى الحكم، فلسنا نعنى الإطلاق المفهومى فلا تغفل) و نحن لا نشك أن الفرد من الإنسان و هو واحد له حكم واحد باق ببقائه، إلا أنه متبدل بتبدلات جزئيه بتبع التبدلات الطارئه على موضوعه الذى هو الإنسان فمن أحكام الإنسان الطبيعى أنه يتغذى و يفعل بالإرادته و يحس و يتفكر- و هو موجود مع الإنسان و باق- ببقائه و إن تبدل طبق تبدله فى نفسه، و كذلك الكلام فى أحكام مطلق الإنسان الموجود بوجود أفراد.

و لما كان الاجتماع من أحكام الطبيعته الإنسانيه و خواصها فمطلق الاجتماع (نعنى به الاجتماع المستمر الذى أوجدته الطبيعته الإنسانيه المستمره من حين وجد الإنسان الفرد إلى يومنا هذا) من خواص النوع الإنسانى المطلق، موجود معه باق ببقائه، و أحكام الاجتماع التى أوجدها و اقتضاها هى مع الاجتماع موجوده بوجوده، باقيه ببقائه، و إن تبدلت بتبدلات جزئيه مع انحفاظ الأصل مثل نوعها، و حينئذ صح لنا أن نقول: إن هناك أحكاما اجتماعيه باقيه غير متغيره، كوجود مطلق الحسن و القبح، كما أن نفس الاجتماع المطلق كذلك، بمعنى أن الاجتماع لا ينقلب إلى غير الاجتماع كالانفراد و إن تبدل اجتماع خاص إلى آخر خاص، و الحسن المطلق و الخاص كالاجتماع المطلق و الخاص بعينه.

ثم إنا نرى أن الفرد من الإنسان يحتاج فى وجوده و بقاءه إلى كمالات و منافع يجب



له أن يجتلبها و يضمها إلى نفسه، و الدليل على هذا الوجوب احتياجه في جهات وجوده و تجهيز الخلقه له بما يقوى به على ذلك، كجهاز التغذى و جهاز التناسل مثلا، فعلى الإنسان أن يقدم عليه، و ليس له أن لا يقدم قطعا بالتفريط فإنه يناقض دليل الوجوب الذى ذكرناه، و ليس له أن يقدم فى باب من أبواب الحاجه بما يزيد على اللازم بالإفراط، مثل أن يأكل حتى يموت، أو يمرض، أو يتعطل عن سائر قواه الفعاله، بل عليه أن يتوسط فى جلب كل كمال أو منفعه، و هذا التوسط هى العفه، و طرفاه الشره و الخمود، و كذلك نرى الفرد فى وجوده و بقاءه متوسطا بين نواقص و أضرار و مضار لوجوده يجب عليه أن يدفعها، و الدليل عليه الاحتياج و التجهيز فى نفسه فيجب عليه المقاومه و الدفاع على ما ينبغى من التوسط، من غير إفراط يضاد سائر تجهيزاته أو تفريط يضاد الاحتياج و التجهيز المرئيين، و هذا التوسط هى الشجاعه، و طرفاها التهور و الجبن و نظير الكلام جار فى العلم و مقابليه أعنى الجريزه و البلاده، و فى العداله و مقابليه و هما الظلم و الانظام.

فهذه أربع ملكات و فضائل يستدعيه الطبيعه الفرديه المجهزه بأدواتها: العفه و الشجاعه، و الحكمة، و العداله - و هى كلها حسنه - لأن معنى الحسن الملاءمه لغايه الشئ و كماله و سعادته، و هى جميعا ملاءمه مناسبه لسعاده الفرد بالدليل الذى تقدم ذكره، و مقابلاتها رذائل قبيحه، و إذا كان الفرد من الإنسان بطبيعته و فى نفسه على هذا الوصف فهو فى ظرف الاجتماع أيضا على هذا الوصف، و كيف يمكن أن يبطل الاجتماع - و هو من أحكام هذه الطبيعه - سائر أحكامها الوجوديه؟ و هل هو إلا تناقض الطبيعه الواحده، و ليس حقيقه الاجتماع إلا تعاون الأفراد فى تسهيل الطريق إلى استكمال طبائعهم و بلوغها إلى غايه أمنيتها؟.

و إذا كان الفرد من الإنسان فى نفسه و فى ظرف الاجتماع على هذا الوصف، فنوع الإنسان فى اجتماعه النوعى أيضا كذلك، فنوع الإنسان فى اجتماعه يستكمل بالدفاع بقدر ما لا يفسد الاجتماع و باجتلاب المنافع بقدر ما لا يفسد الاجتماع، و بالعلم بقدر ما لا يفسد الاجتماع، و بالعداله الاجتماعيه - و هى إعطاء كل ذى حق حقه، و بلوغه حظه الذى يليق به دون الظلم و الانظام - و كل هذه الخصال الأربع فضائل بحكم

الاجتماع المطلق يقضى الاجتماع الإنساني بحسنها المطلق و يعد مقابلاتها رذائل و يقضى بقبحها.

فقد تبين بهذا البيان: أن في الاجتماع المستمر الإنساني حسنا و قبحا لا يخلو عنهما قط و أن أصول الأخلاق الأربعة فضائل حسنه دائما، و مقابلاتها رذائل قبيحه دائما، و الطبعه الإنسانيه الاجتماعيه تقضى بذلك، و إذا كان الأمر في الأصول على هذا النحو فالفروع المنتهيه بحسب التحليل إليها حكمها في القبول ذلك، و إن كان ربما يقع اختلاف ما في مصاديقها من جهه الانطباق على ما سنشير إليه.

إذا عرفت ما ذكرنا ظهر لك وجه سقوط ما نقلنا من قولهم من أمر الأخلاق و هاك بيانه.

أما قولهم: إن الحسن و القبح المطلقين غير موجودين، بل الموجود منهما النسبي من الحسن و القبح و هو متغير مختلف باختلاف المناطق و الأزمنه و الاجتماعات، فهو مغالطه ناشئه من الخلط بين الإطلاق المفهومى بمعنى الكليه و الإطلاق الوجودى بمعنى استمرار الوجود، فالحسن و القبح المطلقان الكليان غير موجودين في الخارج لوصف الكليه و الإطلاق، لكنهما ليسا هما الموجبين لما نقصده من النتيجة، و أما الحسن و القبح المطلقان المستمران بمعنى استمرارهما حكيمين للاجتماع ما دام الاجتماع مستمرا باستمرار الطبعه فهما كذلك، فإن غايه الاجتماع سعاده النوع، و لا يمكن موافقه جميع الأفعال الممكنه و المفروضه للاجتماع كيف ما، فرض فهناك أفعال موافقه و مخالفه دائما فهناك حسن و قبح دائما.

و على هذا فكيف يمكن أن يفرض اجتماع كيف ما فرض و لا- يعتقد أهله أن من الواجب أن يعطى كل ذى حق حقه أو أن جلب المنافع بقدر ما ينبغى واجب أو أن الدفاع عن مصالح الاجتماع بقدر ما ينبغى لازم أو أن العلم الذى يتميز به منافع الإنسان من غيرها فضيله حسنه؟ و هذه هى العداله و العفه، و الشجاعه، و الحكمه التى ذكرنا أن الاجتماع الإنساني كيف ما فرض لا يحكم إلا بحسنها و كونها فضائل إنسانيه، و كذا كيف يتيسر للاجتماع أن لا يحكم بوجوب الانقباض و الانفعال عن التظاهر بالقبيح

الشنيع، وهو الحياء من شعب العفه أو لا يحكم بوجوب السخط و تغير النفس في هتك المقدسات و هضم الحقوق، و هو الغيره من شعب الشجاعه، أو لا يحكم بوجوب الاقتصار على ما للإنسان من الحقوق الاجتماعيه، و هو القناعه أو لا يحكم بوجوب حفظ النفس في موقعها الاجتماعى من غير دحض الناس و تحقيرهم بالاستكبار و البغى بغير الحق، و هو التواضع؟ و هكذا الأمر في كل واحد واحد من فروع الفضائل.

و أما ما يزعمونه من اختلاف الأنظار في الاجتماعات المختلفه في خصوص الفضائل و صيروره الخلق الواحد فضيله عند قوم رذيله عند آخرين في أمثله جزئيه فليس من جهه اختلاف النظر في الحكم الاجتماعى بأن يعتقد قوم بوجوب اتباع الفضيله الحسنه و آخرون بعدم وجوبه بل من جهه الاختلاف في انطباق الحكم على المصداق و عدم انطباقه مثل أن الاجتماعات التى كانت تديرها الحكومات المستبده كانت ترى لعرش الملك الاختيار التام فى أن يفعل ما يشاء، و يحكم ما يريد، و ليس ذلك لسوء ظنهم بالعداله بل لاعتقادهم بأنه من حقوق السلطنه و الملك فلم يكن ذلك ظلما من مقام السلطنه بل إيفاء بحقوقه الحقه بزعمهم.

و مثل أن العلم كان يعير به الملوک فى بعض الاجتماعات، كما يحكى عن مله فرنسا فى القرون الوسطى، و لم يكن ذلك لتحقيرهم فضيله العلم، بل لزعمهم أن العلم بالسياسه و فنون إداره الحكومه يضاد المشاغل السلطانيه.

و مثل أن عفه النساء بمعنى حفظ البضع من غير الزوج، و كذا الحياء من النساء و كذا الغيره من رجالهن، و كذا عده من الفضائل كالقناعه و التواضع أخلاق لا يدعن بفضلها فى بعض الاجتماعات، لكن ذلك منهم لأن اجتماعهم الخاص لا يعدها مصاديق للعهه و الحياء و الغيره و القناعه و التواضع، لا لأن هذه الفضائل ليست فضائل عندهم.

و الدليل على ذلك وجود أصلها عندهم، فهم يمدحون عفه الحاكم فى حكمه و القاضى فى قضائه، و يمدحون الاستحياء من مخالفه القوانين، و يمدحون الغيره للدفاع عن الاستقلال و الحضاره و عن جميع مقدساتهم، و يمدحون القناعه بما عينه القانون من الحقوق لهم، و يمدحون التواضع لأئمتهم و هدايتهم فى الاجتماع.

و أما قولهم: بدوران الأخلاق في حسنها مدار موافقتها لغايه المرام الاجتماعى و استنتاجهم ذلك من دوران حسنها مدار موافقه غايه الاجتماع ففيه مغالطه واضحه فإن المراد بالاجتماع الهيئه الحاصله من عمل مجموع القوانين التى قررتها الطبيعه بين الأفراد المجتمعين و لا- محاله تكون موصله إلى سعادتهم لو لا الإخلال بانتظامها و جريها، و لا محاله لها أحكام: من الحسن و القبح و الفضيله و الرذيله، و المراد بالمرام مجموع الفرضيات التى وضعت لإيجاد اجتماع على هيئه جديده بتحميلها على الأفراد المجتمعين، أعنى أن الاجتماع و المرام الاجتماعى متغايران بالفعل و بالقوه، و التحقق و فرض التحقق، فكيف يصير حكم أحدهما عين حكم الآخر، و كيف يكون الحسن و القبح، و الفضيله و الرذيله التى عينها الاجتماع العام باقتضاء من الطبيعه الإنسانيه متبدله إلى ما حكم به المرام الذى ليس إلا فرضا من فرض؟.

و لو قيل: أن لا- حكم للاجتماع العام الطبيعى من نفسه بل الحكم للمرام، و خاصه إذا كانت فرضيه متلائمه لسعاده الأفراد عاد الكلام السابق فى الحسن و القبح، و الفضيله و الرذيله، و أنها تنتهى بالآخره إلى اقتضاء مستمر من الطبيعه.

على أن هاهنا محذورا آخر و هو أن الحسن و القبح و سائر الأحكام الاجتماعيه - و هى التى تعتمد عليها الحجج الاجتماعيه و تتألف منها الاستدلالات- لو كانت تابعه للمرام، و من الممكن بل الواقع تحقق مرامات مختلفه متناقضه متباينه أدى ذلك إلى ارتفاع الحجج المشتركه المقبوله عند عامه الاجتماعات، و لم يكن التقدم و النجاح حينئذ إلا للقدره و التحكم، و كيف يمكن أن يقال: إن الطبيعه الإنسانيه ساقط أفرادها إلى حياه اجتماعيه لا- تفاهم بين أجزائها و لا- حكم يجمعها إلا حكم مبطل لنفس الاجتماع؟ و هل هذا إلا تناقض شنيع فى حكم الطبيعه و اقتضاءها الوجودى؟.

### (بحث روائى آخر) فى متفرقات متعلقه بما تقدم

عن الباقر ع قال: أتى رجل رسول الله ص فقال: إني راغب نشيط فى الجهاد. قال: فجاهد فى سبيل الله - فإنك إن تقتل كنت حيا عند الله مرزوقا - و إن

مت فقد وقع أجرک علی الله الحدیث.

و قوله ص: و إن مت إلخ إشاره إلى قوله تعالى: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ»: النساء-١٠٠، وفيه دلالة على أن الخروج إلى الجهاد مهاجرة إلى الله ورسوله.

و في الكافي، عن الصادق (ع): في إسماعيل النبي الذي سماه الله سبحانه صادق الوعد، قال (ع) إنما سمي صادق الوعد-لأنه وعد رجلا- في مكان فانتظره في ذلك المكان سنه، فسماه الله عز و جل صادق الوعد، ثم إن الرجل أتاه بعد ذلك الوقت- فقال له إسماعيل: ما زلت منتظرا لك الحدیث.

أقول: وهذا أمر ربما يحكم العقل العادي بكونه منحرفا عن جاده الاعتدال مع أن الله سبحانه جعله منقبه له (ع) حتى عظم قدره و رفع ذكره بقوله: «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا»: مريم-٥٥، فليس ذلك إلا أن الميزان الذي وزن به هذا العمل غير الميزان الذي بيد العقل العادي، فللعقل العادي تربيته بتدبيره و لله سبحانه تربيته لأوليائه بتأييده، و كلمه الله هي العليا، و نظائر هذه القضية كثيرة مرويه منقوله عن النبي و الأئمة و الأولياء.

فإن قلت: كيف يمكن مخالفه الشرع مع العقل في ما للعقل إليه سبيل.

قلت: أما حكم العقل في ما له إليه سبيل ففي محله، لكنه يحتاج إلى موضوع يقع عليه حكمه، و قد عرفت في ما تقدم أن أمثال هذه العلوم في المسلك الثالث الذي ذكرناه لا تبقى للعقل موضوعا يحكم فيه و عليه، و هذا سبيل المعارف الإلهية و الظاهر أن إسماعيل النبي (ع) كان أطلق القول بوعدته بأن قال: أنتظرک هاهنا حتى تعود إلى ثم التزم على إطلاق قوله صونا لنفسه عن نقض العهد و الكذب في الوعد و حفظا لما ألقى الله في روعه و أجره على لسانه،

و قد روى نظيره عن النبي ص: أنه كان عند المسجد الحرام- فوعده بعض أصحابه بالرجوع إليه- و وعده النبي بانتظاره حتى يرجع فذهب في شأنه و لم يرجع، فانتظره النبي ثلاثة أيام في مكانه الذي وعده- حتى مر به الرجل بعد الثلاثة، و هو جالس ينتظر و الرجل قد نسي الوعد، الحدیث.

و فى الخصائص، للسيد الرضى، عن أمير المؤمنين (ع) قال: - وقد سمع رجلا يقول: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** - يا هذا إن قولنا: **إِنَّا لِلَّهِ** إقرار منا بالملك، و **إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** إقرار منا بالهلاك.

أقول: وقد اتضح معناه بما تقدم و رواه فى الكافى، مفصلا.

و فى الكافى، عن إسحاق بن عمار و عبد الله بن سنان، عن الصادق (ع) قال:

قال رسول الله ص: قال الله عز و جل: **إِنى جعلت الدنيا بين عبادى قرضا- فمن أقرضنى فيها قرضا- أعطيته بكل واحده عشرة إلى سبعمائه ضعف، و من لم يقرضنى قرضا و أخذت منه شيئا قسرا- أعطيته ثلاث خصال- لو أعطيت واحده منهن ملائكتى لرضوا بها عنى، ثم قال أبو عبد الله: قول الله: **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**، أولئك عليهم صلوات من ربهم، فهذه واحده من ثلاث خصال، و رحمه اثنتان، و أولئك هم المهتدون ثلاث، ثم قال أبو عبد الله (ع) هذا لمن أخذ الله منه شيئا قسرا.**

أقول: و الروايه مرويه لطرق أخرى متقاربه.

و فى المعانى، عن الصادق (ع): الصلاة من الله رحمه، و من الملائكه التركيه، و من الناس دعاء.

أقول: و فى معناه عدده روايات أخر، و بين هذه الروايه و ما تقدمها تناف ظاهرا حيث إن الروايه السابقه تعد الصلاة غير الرحمه، و يساعد عليه ظاهر قوله **عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ**، و هذه الروايه تعدها رحمه و يرتفع التنافى بالرجوع إلى ما تقدم من البيان.

## [سوره البقره (٢): آيه ١٥٨]

### اشاره

**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**  
(١٥٨)

الصفاء والمره موضعان بمكة يأتي الحجاج بينهما بعمل السعى، و هما جبلان مسافة بينهما سبعمائة و ستون ذراعاً و نصف ذراع على ما قيل، و أصل الصفا في اللغة الحجر الصلب الأملس، و أصل المره الحجر الصلب، و الشعائر جمع شعيره، و هي العلامة، و منه المشعر، و منه قولنا: أشعر، الهدى أى أعلمه، و الحج هو القصد بعد القصد، أى القصد المكرر، و هو فى اصطلاح الشرع العمل المعهود بين المسلمين، و الاعتماد الزياره و أصله العماره لأن الديار تعمر بالزياره، و هو فى اصطلاح الشرع زياره البيت بالطريق المعهود، و الجناح الميل عن الحق و العدل، و يراد به الإثم، فيقول نفى الجناح إلى التجويز، و التطوف من الطواف، و هو الدوران حول الشىء، و هو السير الذى ينتهى آخره إلى أوله، و منه يعلم أن ليس من اللازم كونه حول شىء، و إنما ذلك من مصاديقه الظاهره و على هذا المعنى أطلق التطوف فى الآيه، فإن المراد به السعى و هو قطع ما بين الصفا و المره من المسافه سبع مرات متواليه، و التطوع من الطوع بمعنى الطاعه، و قيل: إن التطوع يفارق الإطاعه فى أنه يستعمل فى المندوب خاصه، بخلاف الإطاعه و لعل ذلك- لو صح هذا القول- بعنايه أن العمل الواجب لكونه إلزامياً كأنه ليس بمأتمى به طوعاً، بخلاف المأتمى من المندوب فإنه على الطوع من غير شائبه، و هذا تطف عنائى و إلا فأصل الطوع يقابل الكره و لا ينافى الأمر الإلزامى.

قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انثِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾: فصلت- ١١، و أصل باب التفعّل الأخذ لنفسه، كقولنا: تميز أى أخذ يميز، و تعلم الشىء أى أخذ يعلمه، و تطوع خيراً أى أخذ يأتى بالخير بطوعه، فلا دليل من جهه اللغه على اختصاص التطوع بالامتثال الندبى إلا أن توجه العنايه العرفيه المذكوره.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿يَطُوفُ بِهِمَا﴾ يشير إلى كون المكانين معلمين بعلامه الله سبحانه، يدلان بذلك عليه، و يذكرانه تعالى و اختصاصهما بكونهما من الشعائر دون بقية الأشياء جميعاً يدل على أن المراد بالشعائر ليست الشعائر التكوينية بل هما شعيرتان بجعله تعالى إياهما معبدتين يعبد فيهما، فهما يذكران الله سبحانه، فكونهما شعيرتين يدل على أنه تعالى قد شرع فيهما عباده

متعلقه بهما، و تفریع قوله: «فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا» إنما هو للإيذان بأصل تشريع السعى بين الصفا و المروه، لا لإفاده الندب، و لو كان المراد إفاده الندب كان الأنسب بسياق الكلام أن يمدح التطوف، لا أن ينفي ذمه، فإن حاصل المعنى أنه لما كان الصفا و المروه معبدین و منسکین من معابد الله فلا يضرکم أن تعبدوه فيهما، و هذا لسان التشريع، و لو كان المراد إفاده الندب كان الأنسب أن يفاد أن الصفا و المروه لما كانا من شعائر الله فإن الله يحب السعى بينهما - و هو ظاهر - و التعبير بأمثال هذا القول الذي لا يفيد وحده الإلزام في مقام التشريع شائع في القرآن، و كقوله تعالى في الجهاد: «ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ» الص: ١١، و في الصوم «وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ»: البقره- ١٨٤، و في القصر «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ»: النساء- ١٠١.

قوله تعالى: «وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ»، إن كان معطوفا على مدخول فاء التفریع في قوله تعالى: «فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ»، كان كالتعليل لتشريع التطوف بمعنى آخر أعم من العله الخاصه التي تبين بقوله: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ»، و كان المراد بالتطوع مطلق الإطاعه لا الإطاعه المندوبه، و إن كان استينافا بالعطف إلى أول الآيه كان مسوقا لإفاده محبوبه التطوف في نفسه إن كان المراد بتطوع الخير هو التطوف أو مسوقا لإفاده محبوبه الحج و العمره إن كان هما المراد بتطوع الخير هذا.

و الشاكر و العليم اسمان من أسماء الله الحسنی، و الشكر هو مقابله من أحسن إليه إحسان المحسن بإظهاره لسانا أو عملا كمن ينعم إليه المنعم بالمال فيجازيه بالثناء الجميل الدال على نعمته أو باستعمال المال في ما يرتضيه، و يكشف عن إنعامه، و الله سبحانه و إن كان محسنا قديم الإحسان و منه كل الإحسان لا يد لأحد عنده حتى يستوجهه الشكر إلا أنه جل ثناؤه عد الأعمال الصالحه التي هي في الحقيقه إحسانه إلى عبادہ إحسانا من العبد إليه، فجازاه بالشكر و الإحسان و هو إحسان على إحسان قال تعالى:

«هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ»: الرحمن- ٦٠، و قال تعالى: «إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَ كَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا»: الدهر- ٢٢، فإطلاق الشاكر عليه تعالى على حقيقه معنى الكلمه من غير مجاز.

### (بحث روائی)

في تفسير العياشي، عن بعض أصحابنا عن الصادق (ع): سألته: عن السعى



بين الصفا و المروه فريضه هي أم سنه؟ قال: فريضه، قلت: أ ليس الله يقول:

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا

؟قال: كان ذلك في عمره القضاء، و ذلك أن رسول الله كان شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام-فتشاغل رجل من أصحابه حتى أعيدت الأصنام-قال: فأنزل الله، إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ-فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا، أى و الأصنام عليها:

أقول: و عن الكافي، ما يقرب منه.

و فى الكافي، أيضا عن الصادق(ع): فى حديث حج النبى(ع): بعد ما طاف بالبيت و صلى ركعته-قال: (ص) إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ-فابدأ بما بدأ الله عز و حل، و إن المسلمين كانوا يظنون-أن السعى بين الصفا و المروه شىء صنعته المشركون-فأنزل الله إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ-فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا .

أقول: و لا تنافى بين الروايتين فى شأن النزول، و هو ظاهر، و قوله(ع) فى الروايه فابدأ بما بدأ الله ملاك التشريع، و قد مضى فى حديث هاجر و سعيها سبع مرات بين الصفا و المروه أن السنه جرت بذلك.

و فى الدر المنثور، عن عامر الشعبي قال: " كان وثن بالصفا يدعى إساف، و وثن بالمروه يدعى نائله-فكان أهل الجاهليه إذا طافوا بالبيت-يسعون بينهما و يمسخون الوثنين- فلما قدم رسول الله(ع) قالوا: يا رسول الله-إن الصفا و المروه إنما كان يطاف بهما من أجل الوثنين، و ليس الطواف بهما من الشعائر،فأنزل الله: إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ الآيه فذكر الصفا من أجل الوثن الذى كان عليه، و أثبت المروه من جهه الصنم الذى كان عليه موثبا.

أقول: و قد روى الفريقان فى المعانى السابقه روايات كثيره.

و مقتضى جميع هذه الروايات أن الآيه نزلت فى تشريع السعى فى سنه حج فيها المسلمون، و سوره البقره أول سوره نزلت بالمدينه، و من هنا يستنتج أن الآيه غير متحده السياق مع ما قبلها من آيات القبله فإنها نزلت فى السنه الثانيه من الهجره

كما تقدم، ومع الآيات التي في مفتح السوره، فإنها نزلت في السنه الأولى من الهجره فلايات سياقات متعدده كثيره، لا سياق واحد.

## [سوره البقره (٢): الآيات ١٥٩ الى ١٦٢]

### اشاره

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَآمَنُوا وَهُمْ نُفُورٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢)

### (بيان)

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ، الظاهر والله أعلم- أن المراد بالهدى ما تضمنه الدين الإلهي من المعارف والأحكام الذي يهدى تابعيه إلى السعاده، وبالبيّنات الآيات والحجج التي هي بينات وأدله وشواهد على الحق الذي هو الهدى، فالبيّنات في كلامه تعالى وصف خاص بالآيات النازله، وعلى هذا يكون المراد بالكتمان وهو الإخفاء- أعم من كتمان أصل الآيه، وعدم إظهاره للناس، أو كتمان دلالة بالتأويل أو صرف الدلاله بالتوجيه، كما كانت اليهود تصنع ببشارات النبوه ذلك فما يجهله الناس لا يظهرونه لهم، وما يعلم به الناس يؤولونه بصرفه عنه (ص).

قوله تعالى: مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ، أفاد أن كتمانهم إنما هو بعد البيان والتبيين للناس، لا لهم فقط، وذلك أن التبيين لكل شخص شخص من أشخاص الناس أمر

لا- يحتمله النظام الموجود المعهود في هذا العالم، لا- في الوحي فقط، بل في كل إعلام عمومي و تبين مطلق، بل إنما يكون باتصال الخبر إلى بعض الناس من غير واسطه و إلى بعض آخرين بواسطتهم، بتبليغ الحاضر الغائب، و العالم الجاهل، فالعالم يعد من وسائط البلوغ و أدواته، كاللسان و الكلام: فإذا بين الخير للعالم المأخوذ عليه الميثاق بعلمه مع غيره من المشافهين فقد بين الناس، فكتمان العالم علمه هذا كتمان العلم عن الناس بعد البيان لهم و هو السبب الوحيد الذي عده الله سبحانه سببا لاختلاف الناس في الدين و تفرقهم في سبل الهدايه و الضلاله، و إلا فالدين فطري تقبله الفطره و تخضع له القوه المميزه بعد ما بين لها، قال تعالى «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» :الروم -٣٠، فالدين فطري على الخلقه لا- يدفعه الفطره أبدا لو ظهر لها ظهورا ما بالصفاء من القلب، كما في الأنبياء، أو بيان قولي، و لا محاله ينتهي هذا الثاني إلى ذلك الأول فافهم ذلك.

و لذلك جمع في الآيه بين كون الدين فطريا على الخلقه و بين عدم العلم به فقال:

فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، و قال: لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، و قال تعالى:

«وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اِخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ» :البقره-٢١٣، فأفاد أن الاختلاف فيما يشتمل عليه الكتاب إنما هو ناش عن بغى العلماء الحاملين له، فالاختلافات الدينيه و الانحراف عن جاده الصواب معلول بغى العلماء بالإخفاء و التأويل و التحريف، و ظلمهم، حتى أن الله عرف الظلم بذلك يوم القيامه كما قال: «فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عَوَجًا» :الأعراف-٤٤، و الآيات في هذا المعنى كثيره.

فقد تبين أن الآيه مبتنيه على الآيه أعنى، أن قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ الْآيَه، مبتنيه على قوله تعالى:

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اِخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ الْآيَه، و مشيره إلى جزاء هذا البغى بذيلها و هو قوله: أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ الْخ.

قوله تعالى: **أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**، بيان لجزاء بغى الكاتمين لما أنزله الله من الآيات والهدى، وهو اللعن من الله، واللعن من كل لاعن، وقد كرر اللعن لأن اللعن مختلف فإنه من الله التبعيد من الرحمة والسعادة ومن اللاعنين سؤاله من الله، وقد أطلق اللعن منه ومن اللاعنين وأطلق اللاعنين، وهو يدل على توجيه كل اللعن من كل لاعن إليهم والاعتبار يساعد عليه فإن الذى يقصده لاعن بلعنه هو البعد عن السعادة، ولا سعادته بحسب الحقيقة، إلا السعادة الحقيقية الدينية، وهذه السعادة لما كانت مبيته من جانب الله، مقبولة عند الفطره، فلا يحرم عنها محروم إلا- بالرد والجحود، وكل هذا الحرمان إنما هو لمن علم بها و جردها عن علم دون من لا يعلم بها ولم تبين له، وقد أخذ الميثاق على العلماء أن يثبوا علمهم وينشروا ما عندهم من الآيات والهدى، فإذا كتموه و كفوا عن بثه فقد جحدوه فأولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون، و يشهد لما ذكرنا الآيه الآتيه: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَا تَوَّأ وَ هُمْ كُفَّارٌ** - إلى قوله **أَجْمَعِينَ** الآيه فإن الظاهر أن قوله: **إِنَّ** للتعليل أو لتأكيد مضمون هذه الآيه، بتكرار ما هو فى مضمونها ومعناها و هو قوله: **الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَا تَوَّأ وَ هُمْ كُفَّارٌ**.

قوله تعالى: **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنَّا الْآيَةَ لِقَوْمِهِ السَّابِقَهُ**، والمراد بتقييد توبتهم بالتبين أن يتبين أمرهم و يتظاهروا بالتوبه، و لازم ذلك أن يبينوا ما كتموه للناس و أنهم كانوا كاتمين و إلا فلم يتوبوا بعد لأنهم كاتمون بعد بكتمان أنهم كانوا كاتمين.

قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَا تَوَّأ وَ هُمْ كُفَّارٌ**، كناية عن إصرارهم على كفرهم و عنادهم و تعنتهم فى قبول الحق فإن من لا يدين بدين الحق لا لعناد و استكبار بل لعدم تبينه له ليس بكافر بحسب الحقيقة، بل مستضعف، أمره إلى الله، و يشهد بذلك تقييد كفر الكافرين فى غالب الآيات و التكذيب و خاصه فى آيات هبوط آدم المشتمله على أول تشريع شرع لنوع الإنسان، قال تعالى: **«قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى»** X إلى قوله X- **«وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»**: البقره- ٣٩، فالمراد بالذين كفروا فى الآيه هم المكذبون المعاندون- و هم الكاتمون لما أنزل الله- و جازاهم الله تعالى بقوله: **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ**، و هذا حكم من الله سبحانه أن يلحق بهم كل لعن لعن به ملك من الملائكه أو أحد من الناس جميعا من غير استثناء، فهؤلاء سييلهم سييل الشيطان،

إذ قال الله سبحانه فيه: «وَإِنَّ عَلِيَّكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»: الحجر-٣٥، فجعل جميع اللعن عليه فهو لاء- وهم العلماء الكاتمون لعلمهم- شركاء الشيطان في اللعن العام المطلق و نظراؤه فيه، فما أشد لحن هذه الآية و أعظم أمرها أو سيجىء في الكلام على قوله تعالى: «لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ»: الأنفال-٣٧، ما يتعلق بهذا المقام إن شاء الله العزيز.

قوله تعالى: خَالِدِينَ فِيهَا، أى فى اللعنه و قوله: لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنْتَظَرُونَ، فى تبديل السياق بوضع العذاب موضع اللعنه دلالة على أن اللعنه تتبدل عليهم عذابا.

و اعلم أن فى هذه الآيات موارد من الالتفات، فقد التفت فى الآية الأولى من التكلم مع الغير إلى الغيبه فى قوله: أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ، لأن المقام مقام تشديد السخط، و السخط يشتد إذا عظم اسم من ينسب إليه أو وصفه- و لا أعظم من الله سبحانه- فنسب إليه اللعن ليلبغ فى الشده كل مبلغ، ثم التفت فى الآية الثانية من الغيبه إلى التكلم وحده بقوله: فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، للدلالة على كمال الرحمة و الرأفة، بإلقاء كل نعت و طرح كل صفة و تصدى الأمر بنفسه تعالى و تقدس، فليست الرأفة و الحنان المستفاده من هذه الجملة كالتى يستفاد من قولنا مثلا: فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أو يتوب ربهم عليهم، ثم التفت فى الآية الثالثة من التكلم وحده إلى الغيبه بقوله: أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ، و الوجه فيه نظير ما ذكرناه فى الالتفات الواقع فى الآية الأولى.

### (بحث روائى)

فى تفسير العياشى، عن بعض أصحابنا عن الصادق (ع) قال: قلت له: أخبرنى عن قول الله عز و جل: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْآيَةَ، قال: نحن نعى بها- و الله المستعان- إن الواحد منا إذا صارت إليه لم يكن له- أو لم يسعه إلا أن يبين للناس من يكون بعده.

و عن الباقر (ع)، فى الآية، قال: يعنى بذلك نحن، و الله المستعان.

و عن محمد بن مسلم قال(ع): هم أهل الكتاب.

أقول: كل ذلك من قبيل الجرى و الانطباع، و إلا فالآيه مطلقه.

و فى بعض الروايات عن على(ع): تفسيره بالعلماء إذا فسدوا.

و فى المجمع، عن النبى: فى الآيه، قال: من سئل عن علم يعلمه فكتمه-ألجم يوم القيامة بلجام من نار، و هو قوله: أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ .

أقول: و الخبران يؤيدان ما قدمناه.

و فى تفسير العياشى، عن الصادق(ع): فى قوله تعالى: وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ، قال: نحن هم، و قد قالوا: هوام الأرض.

أقول: هو إشاره إلى ما يفيدته قوله تعالى: «وَ يَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» :هود- ١٨، فإنهم الأشهاد المأذونون فى الكلام يوم القيامة، و القائلون صوابا، و قوله: و قالوا: هوام الأرض، هو منقول عن المفسرين كمجاهد و عكرمه و غيرهما، و ربما نسب فى بعض الروايات إلى النبى ص.

و فى تفسير العياشى، عن الصادق(ع):

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَى

، فى على.

أقول: و هو من قبيل الجرى و الانطباع

## [سوره البقره (٢): الآيات ١٦٣ الى ١٦٧]

### إشاره

وَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ الْفَلَكَ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْرَجَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) وَ مِنَ الْأَسْمَانِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوْا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَ قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنْ لَدُنَّا كَرَّةً فَنتَبَّراً مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْكَ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)

الآيات متحده متسقه ذات نظم واحد-و هي تذكر التوحيد-و تقيم عليه البرهان و تذكر الشرك و ما ينتهي إليه أمره.

قوله تعالى: **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**، قد مر معنى الإله في الكلام على البسملة من سورة الحمد في أول الكتاب، و أما الوحده فمفهومها من المفاهيم البديهيه التي لا نحتاج في تصورها إلى معرف يدلنا عليها، و الشيء ربما يتصف بالوحده من حيث وصف من أوصافه، كرجل واحد، و عالم واحد، و شاعر واحد، فيدل به على أن الصفه التي فيه لا تقبل الشركه و لا تعرضها الكثره، فإن الرجوليه التي في زيد مثلا-و هو رجل واحد-ليست منقسمه بينه و بين غيره، بخلاف ما في زيد و عمرو مثلا-و هما رجلان- فإنه منقسم بين اثنين كثير بهما، فزيد من جهه هذه الصفه-و هي الرجوليه-واحد لا يقبل الكثره، و إن كان من جهه هذه الصفه و غيرها من الصفات كعلمه، و قدرته، و حياته، و نحوها ليس بواحد بل كثير حقيقه، و الله سبحانه واحد، من جهه أن

الصفة التي لا يشاركه فيها غيره، كالألوهية فهو واحد في الألوهية، لا يشاركه فيها غيره تعالى، والعلم والقدرة والحياة، فله علم لا كالعلوم و قدره و حياه لا كقدره غيره و حياته، و واحد من جهة أن الصفات التي له لا تتكثر و لا تتعدد إلا مفهوما فقط، فعلمه و قدرته و حياته جميعها شيء واحد هو ذاته، ليس شيء منها غير الآخر بل هو تعالى يعلم بقدرته و يقدر بحياته و حتى بعلمه، لا كمثله غيره في تعدد الصفات عينا و مفهوما، و ربما يتصف الشيء بالوحده من جهة ذاته، و هو عدم التكثر و التجزى في الذات بذاته، فلا تتجزى إلى جزء و جزء، و إلى ذات و اسم و هكذا، و هذه الوحده هي المسماه بأحديه الذات، و يدل على هذا المعنى بلفظ أحد، الذي لا يقع في الكلام من غير تقييد بالإضافه إلا إذا وقع في حيز النفي أو النهي أو ما في معناهما كقولنا ما جاءني أحد، فيرتفع بذلك أصل الذات سواء كان واحدا أو كثيرا، لأن الوحده مأخوذه في أصل الذات لا في وصف من أوصافه بخلاف قولنا: ما جاءني واحد فإن هذا القول لا يكذب بمجىء اثنين أو أزيد لأن الوحده مأخوذه في صفة الجائي و هو الرجولي في رجل واحد مثلا فاحتفظ بهذا الإجمال حتى نشرحه تمام الشرح في قوله تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»: الإخلاص - ١، إن شاء الله تعالى.

و بالجمله فقوله: وَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ، تفيد بجملته اختصاص الألوهية بالله عز اسمه، و وحدته فيها وحده تليق بساحه قدسه تبارك و تعالى، و ذلك أن لفظ الواحد بحسب المتفاهم عند هؤلاء المخاطبين لا يدل على أزيد من مفهوم الوحده العامه التي تقبل الانطباق على أنواع مختلفه لا- يليق بالله سبحانه إلا- بعضها فهناك وحده عدديه و وحده نوعيه و وحده جنسيه و غير ذلك، فيذهب وهم كل من المخاطبين إلى ما يعتقدونه و يراه من المعنى، و لو كان قيل: و الله إله واحد، لم يكن فيه توحيد لأن أرباب الشرك يرون أنه تعالى إله واحد، كما أن كل واحد من آلهتهم إله واحد، و لو كان قيل: و إلهكم واحد لم يكن فيه نص على التوحيد، لإمكان أن يذهب الوهم إلى أنه واحد في النوع، و هو الألوهيه، نظير ما يقال في تعداد أنواع الحيوان: الفرس واحد، و البغل واحد، مع كون كل منهما متعددا في العدد، لكن لما قيل: و إلهكم إله واحد فأثبت معنى إله واحد- و هو في مقابل إلهين اثنين و آلهه كثيره- على قوله: إلهكم كان نصا في التوحيد بقصر أصل الألوهيه على واحد من الآلهه التي اعتقدوا بها.



قوله تعالى: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، جيء به لتأكيد نصوصيه الجملة السابقه فى التوحيد و نفى كل توهم أو تأويل يمكن أن يتعلق بها، و  
النفى فيه نفى الجنس، و المراد بالإله ما يصدق عليه الإله حقيقه و واقعا، و حينئذ فيصح أن يكون الخبر المحذوف هو موجود أو  
كائن، أو نحوهما، و التقدير لا- إله بالحقيقه و الحق بموجود، و حيث كان لفظه الجلاله مرفوعا لا- منصوبا فلفظ إلا- ليس  
للاستثناء، بل وصف بمعنى غير، و المعنى لا إله غير الله بموجود.

فقد تبين أن الجملة أعنى قوله: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مسوقه لنفى غير الله من الآلهه الموهومه المتخيله لا لنفى غير الله و إثبات وجود الله  
سبحانه، كما توهمه كثيرون، و يشهد بذلك أن المقام إنما يحتاج إلى النفى فقط، ليكون تثبيتا لوحده فى الألوهيه لا الإثبات و  
النفى معا، على أن القرآن الشريف يعد أصل وجوده تبارك و تعالى بديها لا يتوقف فى التصديق العقلى به، و إنما يعنى عنايته  
بإثبات الصفات، كالوحده، و الفاطريه، و العلم، و القدره، و غير ذلك.

و ربما يستشكل تقدير الخبر لفظ الموجود أو ما بمعناه أنه يثبت نفى وجود إله غير الله لا نفى إمكانه، فيجاب عنه بأنه لا معنى  
لفرض موجود ممكن مساوى الوجود و العدم ينتهى إليه وجود جميع الموجودات بالفعل و جميع شئونها، و ربما يجاب عنه  
بتقدير حق، و المعنى لا معبود حق إلا هو.

قوله تعالى: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، قد مر الكلام فى معناهما فى تفسير البسمله من سوره الفاتحه و بذكر الاسمين يتم معنى  
الربوبيه، فإليه تعالى ينتهى كل عطيه عامه، بمقتضى رحمانيته، و كل عطيه خاصه واقعه فى طريق الهدايه و السعاده الأخرويه  
بمقتضى رحيميته.

قوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَى آخِرِ آيَاتِهِ، السياق كما مر فى أول البيان يدل على أن الآيه مسوقه للدلاله و  
البرهنه على ما تضمنته الآيه السابقه أعنى قوله تعالى: وَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الآيه، فإن الآيه تنحل  
بحسب المعنى إلى أن لكل شىء من هذه الأشياء إلهها، و أن إله الجميع واحد و أن هذا الإله الواحد هو إلهكم، و أنه رحمن  
مفيض للرحمه العامه، و أنه رحيم يسوق إلى سعاده

الغايه و هى سعادته الآخريه فهذه-حقائق حقه و، فى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ فى الآيه آيات داله عليها عند قوم يعقلون.

و لو كان المراد إقامه الحجه على وجود إله الإنسان أو أن إله الإنسان واحد لما كان الجميع إلا آيه واحده داله على ذلك من طريق اتصال التدبير، و لكان حق الكلام فى الآيه السابقه أن يقال: و إلهكم واحد لا إله إلا هو، فالآيه مسوق للدلاله على الحجه على وجود الإله و على وحدته بمعنى أن إله غير الإنسان من النظام الكبير واحد و أن ذلك بعينه إله الإنسان.

و إجمال الدلاله أن هذه السماوات التى قد علتنا و أظلتنا على ما فيها من بدائع الخلقه، و الأرض التى قد أقلتنا و حملتنا مع عجيب أمرها و سائر ما فيها من غرائب التحولات و التقلبات كاختلاف الليل و النهار، و الفلك الجاربه، و الأمطار النازله، و الرياح المصرفه، و السحب المسخره أمور مفتقره فى نفسها إلى صانع موجد، فلكل منها إله موجد (و هذا هو الحجه الأولى).

ثم إن هذه الأجرام الجويه المختلفه بالصغر و الكبر و البعد و القرب (و قد وجد الواحد فى الصغر على ما بلغه الفحص العلمى ما يعادل:

٠.٣٣٪ من سانتيمتر مكعب و الواحد فى الكبر ما يعادل الملايين من حجم الأرض و هو كره يعادل قطرها ٩٠٠٠ ميلا- تقريبا، و اكتشف من المسافه بين جرمين علويين ما يقرب من ثلاثه ملايين سنه نوريه، و السنه النوريه من المسافه تعدل: ٣٦٥\* ٢٤\* ٦٠\* ٦٠\* ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر تقريبا)، فانظر إلى هذه الأرقام التى تدهش اللب و تبته الفكر و اقض ما أنت قاض فى غرابه الأمر و بداعته تفعل البعض منها فى البعض، و تفعل البعض منها عن البعض أينما كانت و كيفما كانت بالجاذبه العامه، و إفاضه النور و الحراره و تحيا بذلك سنه الحركه العامه و الزمان العمومى، و هذا نظام عام دائم تحت قانون ثابت، حتى أن النسبيه العموميه القاضيه بالتغير فى قوانين الحركه فى العالم الجسمانى لا تتجافى عن الاعتراف بأن التغير العمومى أيضا محكوم قانون آخر ثابت فى التغير و التحول، ثم إن هذه الحركه و التحول العمومى تتصور فى كل جزء من أجزاء العالم بصوره خاصه كما بين الشمس التى

لعالمنا مع منظومتها ثم تزيد ضيقا في الدائره كما في أرضنا مع ما يختص بها من الحوادث و الأجرام، كالقمر و الليل و النهار، و الرياح و السحب و الأمطار، ثم تضيق الدائره، كما في المكونات الأرضيه: من المعادن و النبات و الحيوان و سائر التراكيب، ثم في كل نوع من أنواعها، ثم تضيق الدائره حتى تصل النوبه إلى العناصر، ثم إلى الذرات، ثم إلى أجزاء الذرات حتى تصل إلى آخر ما انتهى الفحص العلمى الميسور للإنسان إلى هذا اليوم، و هى الإلكترون، و البروتون، و يوجد هناك نظير المنظومات الشمسيه جرم مركزى و أشياء يدور حولها دوران الكواكب على مداراتها التى حول شمسها و سبجها فى أفلاكها.

ففى أى موقف من هذه المواقف وقف الإنسان شاهد نظاما عجيبا ذا تحولات و تغيرات، يحفظ بها أصل عالمه، و تحيا بها سنه إلهيه لا تنفذ عجائبه، و لا تنتهى غرائبه، لا استثناء فى جريها و إن كان واحدا، و لا اتفاق فى طيها و إن كان نادرا شاردا، لا يدرك ساحلها و لا يقطع مراحلها، و كلما ركبت عدده منها أخذنا من الدقيق إلى الجليل و جدتها لا تزيد على عالم واحد، ذا نظام واحد و تدبير متصل حتى ينتهى الأمر إلى ما انتهى إليه توسع العلم إلى اليوم بالحس المسلح و الأرصاد الدقيقه، و كلما حللتها و جزيتها راجعا من الكل إلى الجزء حتى تنتهى إلى مثل المليكول و جدته لا تفقد من العالم الواحد شيئا ذا نظام واحد و تدبير متصل، على أن كل اثنين من هذه الموجودات متغاير الواحدين ذاتا و حكما شخصا.

فالعالم شىء واحد و التدبير متصل، و جميع الأجزاء مسخره تحت نظام واحد و إن كثرت و اختلفت أحكامها، و عنت الوجوه للحى القيوم، فإنه العالم الموجد له و المدبر لأمره واحد (و هذا هو البرهان الثانى).

ثم إن الإنسان الذى هو موجود أرضى يحيا فى الأرض و يعيش فى الأرض ثم يموت و يرجع إلى الأرض لا يفتقر فى شىء من وجوده و بقائه إلى أزيد من هذا النظام الكلى الذى لمجموع هذا العالم المتصل تدبيره، الواحد نظامه، فهذه الأجرام العلويه فى إنارتها و تسخينها، و هذه الأرض فى اختلاف ليلها و نهارها و رياحها و سحبها و أمطارها و منافعها التى تجرى من قطر إلى قطر من رزق و متاع هى التى يحتاج إليها الإنسان فى

حاجته الماديه و تدبير وجوده و بقائه-و الله من ورائهم محيط-فإلها الموجد لها المدبر لأمرها هو إله الإنسان الموجد له و المدبر لأمره(و هذا هو البرهان الثالث).

ثم إن هذا الإله هو الذى يعطى كلا ما يحتاج إليه فى سعاده الوجوديه و ما يحتاج إليه فى سعاده فى غايته و آخرته لو كان له سعاده أخرويه غائيه فإن الآخره عقبى هذه الدار،و كيف يمكن أن يدبر عاقبه الأمر غير الذى يدبر نفس الأمر؟ (و هذا هو البرهان على الاسمين الرحمن الرحيم).

و عند هذا تم تعليل الآيه الأولى بالثانيه و فى تصدير الآيه بلفظه،إن؛الداله على التعليل إشاره إلى ذلك-و الله العالم-.

فقوله تعالى: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**، إشاره إلى ذوات الأجرام العلويه و الأرض بما تشتمل عليه تراكيبها من بدائع الخلق و عجائب الصنع، من صور تقوم بها أسماؤها، و مواد تتألف منها ذواتها، و تحول بعضها إلى بعض، و نقص أو زياده تطرؤها، و تركيب أو تحلل يعرضها، كما قال: **«أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا»**: الرعد-٤١، و قال: **«أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا»**: الأنبياء-٣٠.

قوله تعالى: **وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**، و هو النقيصه و الزياده و الطول و القصر العارضان لهما من جهه اجتماع عاملين من العوامل الطبيعيه، و هى الحركه اليوميه التى للأرض على مركزها و هى ترسم الليل و النهار بمواجهه نصف الكره و أزيد بقليل دائما مع الشمس فتكتسب النور و تمص الحراره، و يسمى النهار، و استتار الشمس عن النصف الآخر و أنقص بقليل فيدخل تحت الظل المخروطى و تبقى مظلمة و تسمى الليل، و لا يزالان يدوران حول الأرض، و العامل الآخر ميل سطح الدائره الإستوائيه أو المعدل عن سطح المدار الأرضى فى الحركه الانتقاليه إلى الشمال و الجنوب، و هو الذى يوجب ميل الشمس من المعدل إلى الشمال أو الجنوب الراسم للفصول، و هذا يوجب استواء الليل و النهار فى منطقه خط الإستواء و فى القطبين، أما القطبان فلهما فى كل سنه شمسيه تامه يوم و ليله واحده كل منهما يعدل نصف السنه، و الليل فى قطب الشمال نهار فى قطب الجنوب و بالعكس، و أما النقطه الاستوائيه فلها فى كل سنه شمسيه ثلاثمائه و خمس و ستون ليلا و نهارا تقريبا و النهار و الليل فيها متساويان، و أما بقية المناطق

فيختلف النهار و الليل فيها عددا و فى الطول و القصر بحسب القرب من النقطه الاستوائيه و من القطبين، و هذا كله مشروح مبين فى العلوم المربوطه بها.

و هذا الاختلاف هو الموجب لاختلاف ورود الضوء و الحراره، و هو الموجب لاختلاف العوامل الموجبه لاختلاف حدوث التراكيب الأرضيه و التحولات فى كينونتها مما ينتفع باختلافها الإنسان انتفاعات مختلفه.

قوله تعالى: **وَ الْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ**، و الفلك هو السفينه يطلق على الواحد و الجمع، و الفلك و الفلكه كالتمر و التمره و المراد بما ينفع الناس المتاع و الرزق تنقلها من ساحل إلى ساحل و من قطر من أقطار الأرض إلى قطر آخر.

و فى عد الفلك فى طى الموجودات و الحوادث الطبيعیه التى لا دخل لاختيار الإنسان فيها كالسما و الأرض و اختلاف الليل و النهار دلالة على أنها أيضا تنتهى مثلها إلى صنع الله سبحانه فى طبيعیه فإن نسبه الفعل إلى الإنسان بحسب الدقه لا تزيد على نسبه الفعل إلى سبب من الأسباب الطبيعیه، و الاختيار الذى يتبجح به الإنسان لا يجعله سببا تاما مستقلا غير مفتقر إلى إرادة الله سبحانه و لا يجعله أقل احتياجا إليه تعالى بالنسبه إلى سائر الأسباب الطبيعیه، فلا فرق من حيث الاحتياج إلى إرادة الله سبحانه بين أن يفعل قوه طبيعیه فى ماده، فتوجد بالفعل و الانفعال و التحريك و التركيب و التحليل صوره من الصور كصوره الحجاره مثلا و بين أن يفعل الإنسان، بالتحريك و التقريب و التباعد فى ماده صوره من الصور كصوره السفينه مثلا فى أن الجميع تنتهى إلى صنع الله و إيجاده لا يستقل شىء مستغنيا عنه تعالى فى ذاته و فعله.

فالفلک أيضا مثل سائر الموجودات الطبيعیه تفتقر إلى الإله فى وجودها و تفتقر إلى الإله فى تدبير أمرها من غير فرق، و قد أشار تعالى إلى هذه الحقيقه بقوله: **«وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ»**: الصافات-٩٦، حيث حكاه من إبراهيم فيما قاله لقومه فى خصوص الأصنام التى اتخذوها آلهه فإن من المعلوم أن الصنم ليس إلا موجودا صناعيا كالفلک التى تجرى فى البحر، و قال تعالى: **«وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ»**: الرحمن-٢٤، فعدها ملكا لنفسه، و قال تعالى: **«وَسَيَخْرُ لَكُمْ الْفُلُوكَ لِيَتَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ»**: إبراهيم-٣٢، فعده تدبير أمرها راجعا إليه.

فما أغفل هؤلاء الذين يعدون الصناعات من الأشياء التى يعملها الإنسان مصنوعه مخلوقه للإنسان مقطوعه النسبه عن إله العالم عز اسمه مستندين إلى أنها مخلوقه لإرادته الإنسان و اختياره.

فطائفه منهم -و هم أصحاب ماده من المنكرين لوجود الصانع- زعموا أن حجه المليون فى إثبات الصانع: أنهم وجدوا فى الطبيعه حوادث و موجودات جهلوا عللها الماديه و لزمهم من جهه القول بعموم قانون العليه و المعلوليه فى الأشياء و الحوادث أن يحكموا بوجود عللها -و هى مجهوله لهم بعد- فأنتج ذلك القول بأن لهذه الحوادث المجهوله العله عله مجهوله الكنه هى وراء عالم الطبيعه؛ و هو الله سبحانه؛ فالقول بأن الصانع موجود فرضيه أوجب افتراضها ما وجده الإنسان الأولى من الحوادث الماديه المجهوله العلل كالحوادث الجويه و كثير من الحوادث الأرضيه المجهوله العلل، و ما وجده من الحوادث و الخواص الروحيه التى لم يكشف العلوم عن عللها الماديه حتى اليوم.

قالوا: و قد وفق العلوم فى تقدمها الحديث لحل المشكل فى الحوادث الماديه و كشفت عن عللها فأبطلت من هذه الفرضيه أحد ركنيها و هو احتياج الحوادث الماديه المجهوله العلل إلى علل ورائها، و بقى الركن الآخر و هو احتياج الحوادث الروحيه إلى عللها، و انتهاؤها إلى عله مجردة، و تقدم البحث فى الكيمياء الآلى جديدا يعدنا وعدا حسنا أن سيطلع الإنسان على علل الروح و يقدر على صنعه الجراثيم الحيويه و تركيب أى موجود روحى و إيجاد أى خاصه روحيه، و عند ذلك ينهدم أساس الفرضيه المذكوره و يخلق الإنسان فى الطبيعه أى موجود شاء من الروحيات كما يخلق اليوم أى شىء شاء من الطبيعيات، و قد كان قبل اليوم لا يرضى أن ينسب الخلق إلا إلى عله مفروضه فيما وراء الطبيعه، حملة على افتراضها الجهل بعلى الحوادث، هذا ما ذكره.

و هؤلاء المساكين لو أفاقوا قليلا من سكره الغفله و الغرور لرأوا أن الإلهيين من أول ما أذعنوا بوجود إله للعالم -و لن يوجد له أول- أثبتوا هذه العله الموجد لجميع العالم، و بين أجزاءه حوادث معلومه العلل -و فيها حوادث مجهوله العلل -

و المجموع من حيث المجموع مفتقر عندهم إلى عله خارجه،فما يثبت أولئك غير ما ينفيه هؤلاء.

فالمشبتون-و لم يقدر البحث و التاريخ على تعيين مبدأ لظهورهم فى تاريخ حياه النوع الإنسانى-أثبتوا لجميع العالم صانعا واحدا أو كثيرا(و إن كان القرآن يثبت تقدم دين التوحيد على الوثنيه،وقد بين ذلك الدكتور ماكس مولر الألمانى المستشرق صاحب التقدم فى حل الرموز السنسكريتيه)و هم حتى الإنسان الأولى منهم يشاهدون العلل فى بعض الحوادث الماديه،فإثباتهم،إلها صانعا لجميع العالم استنادا إلى قانون العليه العام ليس لأجل أن يستريحوا فى مورد الحوادث المجهوله العلل حتى ينتج ذلك القول باحتياج بعض العالم إلى الإله و استغناء البعض الآخر عنه،بل لإذعانهم بأن هذا العالم المؤلف من سلسله علل و معلولات طبيعيه بمجموعها و وحدانيتها لا- يستغنى عن الحاجه إلى عله فوق العلل تتكى عليها جميع التأثيرات و التأثيرات الجاربه بين أجزائه، فإثبات هذه العله العاليه لا- يبطل قانون العليه العام الجارى بين أجزاء العالم أنفسها، و لا وجود العلل الماديه فى موارد المعلولات الماديه تغنى عن استناد الجميع إلى عله عاليه خارجه من سلسلتها،و ليس معنى الخروج و قوف العله فى رأس السلسله، بل إحاطتها بها من كل جهه مفروضه.

و من عجيب المناقضه فى كلام هؤلاء أنهم قائلون فى الحوادث-و من جملتها الأفعال الإنسانيه-بالجبر المطلق فما من فعل و لا حادث غيره إلا- و هو معلول جبرى لعلل عندهم،و هم مع ذلك يزعمون أن الإنسان لو خلق إنسانا آخر كان غير منته إلى عله العالم لو فرض له عله.

و هذا المعنى الذى قلنا-على لطفه و دقته و إن لم يقدر على تقريره الفهم العامى الساذج لكنه موجود على الإجمال فى أذهانهم حيث قالوا باستناد جميع العالم بأجمعه إلى الإله الصانع-و فيه العلل و المعلولات فهذا-أولا.

ثم إن البراهين العقلية التى أقامها الإلهيون من الحكماء الباحثين أقاموها بعد إثبات عموم العليه و بنوا فيها على وجوب انتهاء العلل الممكنه إلى عله واجبه الوجود، و استمروا على هذا المسلك من البحث منذ ألوف من السنين من أقدم عهود الفلسفه إلى

يومنا هذا، و لم يرتابوا في استناد المعلولات التي معها عللها الطبيعيه الممكنه إلى عله واجبه، فليس استنادهم إلى العله الواجبه لأجل الجهل بالعله الطبيعيه، و في المعلولات المجهوله العلل كما يتوهمه هؤلاء، و هذا ثانياً.

ثم إن القرآن المثبت لتوحيد الإله إنما يثبتته مع تقرير جريان قانون العليه العام بين أجزاء العالم، و تسليم استناد كل حادث إلى عله خاصه به، و تصديق ما يحكم به العقل السليم في ذلك، فإنه يسند الأفعال الطبيعيه إلى موضوعاتها و فواعلها الطبيعيه و ينسب إلى الإنسان أفعاله الاختياريه في آيات كثيره لا حاجة إلى نقلها، ثم ينسب الجميع إلى الله سبحانه من غير استثناء، قال تعالى: «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» الزمر- ٦٢، و قال تعالى: «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» المؤمن- ٦٢، و قال تعالى: «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» الأعراف- ٥٤، و قال تعالى: «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» طه- ٥، فكل ما صدق عليه اسم شيء فهو مخلوق لله منسوب إليه على ما يليق بساحه قدسه و كماله، و قد جمع في آيات أخر بين الإثباتين جميعاً فنسب الفعل إلى فاعله و إلى الله سبحانه معاً كقوله تعالى: «وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ» الإصافات- ٩٦، فنسب أعمال الناس إليهم و نسب خلق أنفسهم و أعمالهم إليه تعالى، و قال تعالى: «وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» الأنفال- ١٧، فنسب الرمي إلى رسول الله و نفاه عنه و نسبه إلى الله تعالى إلى غير ذلك.

و من هذا الباب آيات أخر تجمع بين الإثباتين بطريق عام كقوله تعالى: «وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا» الفرقان- ٢، و قال تعالى: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ - X إلى أن قال X- وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ» القمر- ٥٣، و قال تعالى: «قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» الطلاق- ٣، و قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ» الحجر- ٢١، فإن تقدير كل شيء هو جعله محدوداً بحدود العلل الماديه و الشروط الزمانيه و المكانيه.

و بالجمله فكون إثبات وجود الإله الواحد في القرآن على أساس إثبات العليه و المعلوليه بين جميع أجزاء العالم، ثم استناد الجميع إلى الإله الفاطر الصانع للكل مما لا يعتريه شك و لا ريب لا كما يزعمه هؤلاء من إسناد البعض إلى الله و إسناد الآخر إلى عله الماديه المعلومه، و هذا ثالثاً.



نعم حملهم على هذا الزعم ما تلقوه: من جمع من أرباب النحل الباحثين عن هذه المسألة و أمثالها في فلسفه عاميه كانت تنشرها الكنيسه في القرون الوسطى.

أو يعتمد عليها الضعفاء من متكلمي الأديان الأخرى و كانت مؤلفه من مسائل محرفه ما هي بالمسائل، و احتجاجات و استدلالات واهيه فاقده لاستقامه النظر، فهؤلاء لما أرادوا بيان دعواهم الحق (الذى يقضى بصحته إجمالاً عقولهم) و نقله من الإجمال إلى التفصيل دفعهم ضعف التعقل و الفكر إلى غير الطريق فعمموا الدعوى، و توسعوا في الدليل، فحكّموا باستناد كل معلول مجهول العله إلى الله سبحانه من غير واسطه، و نفوا حاجه الأفعال الاختياريه إلى عله موجه، أو احتياج الإنسان في صدور فعله الاختيارى إلى الإله تعالى، و استقلاله في فعله، و قد مر البحث عن قولهم في الكلام على قوله تعالى: «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» البقره- ٢٦، و نورد هاهنا بعض ما فيه من الكلام.

و طائفه منهم -و هم بعض المحدثين و المتكلمين من ظاهري المسلمين و جمع من غيرهم- لم يقدروا أن يتعقلوا معنى صحيحاً لإسناد أفعال الإنسان الاختياريه إلى الله سبحانه على ما يليق بالمقام الربوبى فنفوا استناد مصنوعات الإنسان إليه سبحانه، و بالخصوص فيما وضعه للمعصيه خاصه كالخمر و آلات اللهو و القمار و غير ذلك، و قد قال تعالى: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْمِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ» المائده- ٩٠. و معلوم أن ما عده الله سبحانه عملاً للشيطان لا يجوز أن ينسب إليه.

و قد مر فيما تقدم ما يظهر به بطلان هذا التوهم نقلاً و عقلاً، فالأفعال الاختياريه كما أن لها انتساباً إلى الله سبحانه على ما يليق به تعالى كذلك نتائجها و هى الأمور الصناعيه التى يصنعها الإنسان لداعى رفع الحوائج الحيويه.

على أن الأنصاب الواقعه فى الآيه السابقه هى الأصنام و التماثيل المنصوبه المعبوده التى ذكر الله سبحانه أنها مخلوقه له فى قوله: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ» ، الآيه و من هاهنا يظهر أن فيها جهات مختلفه من النسب ينسب من بعضها إلى الله سبحانه و هى طبيعه وجودها مع قطع النظر عن وصف المعصيه المتعلق بها، فإن الصنم ليس بحسب الحقيقه إلا حجراً أو فلزا عليه شكل خاص و ليس فيه ما يوجب نفى انتسابه إلى موجد كل شىء، و أما أنه صنم معبود دون الله سبحانه فهذه هى الجبهه التى يجب

نفيها عنه تعالى و نسبتها إلى عمل غيره من شيطان أو إنسان، وكذا حكم غيره من حيث انتسابه إليه تعالى و إلى غيره.

فقد تبين من جميع ما مر أن الأمور الصناعيه منتسبه إلى الخلقه كاستناد الأمور الطبيعیه من غير فرق، نعم يدور الأمر في الانتساب إلى الخلقه مدار حظ الشيء من الوجود فافهم ذلك.

## [بيان]

### إشارة

قوله تعالى: **وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ**، فإن حقيقته عناصر مختلفه يحملها ماء البحار و غيره ثم يتكاثف بخارا متصاعدا حاملا للحراره حتى ينتهي إلى زمهرير الهواء فيتبدل ماء متقاطرا على صوره المطر أو يجمد ثانيا فيصير ثلجا أو بردا فينزل لثقله إلى الأرض فتشربه و تحيا به أو تخزنه فيخرج على صوره ينابيع في الأرض بها حياه كل شيء فالماء النازل من السماء حادث من الحوادث الوجوديه جار على نظام متقن غايه الإتقان من غير انتقاض و استثناء و يستند إليه انتشاء النبات و تكون الحيوان من كل نوع.

و هو من جهه تحدده بما يحفه من حوادث العالم طولا و عرضا تصير معها جميعا شيئا واحدا لا يستغنى عن موجد يوجد و عله تظهره فله إله واحد، و من جهه أنه مما يستند إليه وجود الإنسان حدوثا و بقاء يدل على كون إلهه هو إله الإنسان.

قوله تعالى: **وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ**، و هو توجيهها من جانب إلى جانب بعوامل طبيعیه مختلفه، و الأغلب فيها أن الأشعه النوريه الواقعه على الهواء من الشمس تتبدل حراره فيه فيعرضه اللطافه و الخفه لأن الحراره من عواملها فلا يقدر على حمل ما يعلوه أو يجاوره من الهواء البارد الثقيل فينحدر عليه فيدفعه بشده فيجرى الهواء اللطيف إلى خلاف سمت الدفع و هو الريح، و من منافعه تلقيح النبات و دفع الكثافات البخاريه، و العفونات المتصاعده، و سوق السحب الماطره و غيرها، ففيه حياه النبات و الحيوان و الإنسان.

و هو في وجوده يدل على الإله و في التيامه مع سائر الموجودات و اتحاده معها كما مر يدل على إله واحد للعالم، و في وقوعه طريقا إلى وجود الإنسان و بقاءه يدل على أن

إله الإنسان وغيره واحد.

قوله تعالى: وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، السحاب البخار المتكاثف الذى منه الأمطار و هو ضباب بالفتح ما لم ينفصل من الأرض فإذا انفصل و علا سمي سحابا و غيما و غماما و غير ذلك، و التسخير قهر الشيء و تذليله فى عمله، و السحاب مسخر مقهور فى سيره و إمطاره بالريح و البروده و غيرهما المسلطه عليه بإذن الله، و الكلام فى كون السحاب آيه نظير الكلام فى غيره مما عد معه.

و اعلم: أن اختلاف الليل و النهار و الماء النازل من السماء و الرياح المصرفه و السحاب المسخر جمل الحوادث العامه التى منها يتألف نظام التكوين فى الأرضيات من المركبات النباتيه و الحيوانيه و غيرهما فهذه الآيه كالتفصيل بوجه لإجمال قوله تعالى:

«وَبَارَكْ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَانَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ» :فصلت- ١٠.

قوله تعالى: لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، العقل - هو مصدر عقل يعقل إدراك الشيء و فهمه التام، و منه العقل اسم لما يميز به الإنسان بين الصلاح و الفساد و بين الحق و الباطل و الصدق و الكذب و هو نفس الإنسان المدرك و ليس بقوه من قواه التى هى كالفروع للنفس كالقوه الحافظه و الباصره و غيرهما.

قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ، الند كالمثل وزنا و معنى، و لم يقل من يتخذ الله أندادا كما عبر بذلك فى سائر الموارد كقوله تعالى: «فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا» :البقره- ٢٢، و قوله تعالى: «وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا» :إبراهيم- ٣٠، و غير ذلك لأن المقام مسبوق بالحصر فى قوله: وَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْآيَهُ، فكأن من اتخذ لله أندادا قد نقض الحصر من غير مجوز و اتخذ من يعلم أنه ليس بإله إلها اتباعا للهوى و تهوينا لحكم عقله و لذلك نكره تحقيرا لشأنه، فقال وَ مِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا .

### [معنى الحب و تعلقه بالله تعالى.]

قوله تعالى: يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ، و فى التعبير بلفظ يحبونهم دلالة على أن المراد بالأنداد ليس هو الأصنام فقط بل يشمل الملائكه، و أفرادا من الإنسان الذين اتخذوهم أربابا من دون الله تعالى بل يعم كل مطاع من دون الله من غير أن يأذن الله فى إطاعته كما يشهد به ما فى ذيل الآيات من قوله: «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» :البقره- ١٦٦، و كما قال تعالى: «وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا

أَرَبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» :آل عمران-٦٤، وقال تعالى: «اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُحَمَاءَهُمْ أَرَبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»: التوبة-٣١، وفي الآيه دليل على أن الحب يتعلق بالله تعالى حقيقه خلافا لمن قال: إن الحب-و هو وصف شهوانى-يتعلق بالأجسام و الجسمانيات، و لا يتعلق به سبحانه حقيقه و إن معنى ما ورد من الحب له الإطاعه بالایتمار بالأمر و الانتهاء عن النهى تجوزا كقوله تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»: آل عمران-٣١.

و الآيه حجه عليهم فإن قوله تعالى: «أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» يدل على أن حبه تعالى يقبل الاشتداد، و هو فى المؤمنين أشد منه فى المتخذين لله أندادا، و لو كان المراد بالحب هو الإطاعه مجازا كان المعنى و الذين آمنوا أطوع لله و لم يستقم معنى التفضيل لأن طاعه غيرهم ليست بطاعه عند الله سبحانه فالمراد بالحب معناه الحقيقى.

و يدل عليه أيضا قوله تعالى: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَآبْنَاؤُكُمْ -X إلى قوله X- أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»: التوبة-٢٥، فإنه ظاهر فى أن الحب المتعلق بالله و الحب المتعلق برسوله و الحب المتعلق بالآباء و الأبناء و الأموال و غيرها جميعا من سنخ واحد لمكان قوله أحب إليكم، و أفعال التفضيل يقتضى اشتراك المفضل و المفضل عليه فى أصل المعنى و اختلافهما من حيث الزيادة و النقصان.

ثم إن الآيه ذم المتخذين للأنداد بقوله: يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ثم مدح المؤمنين بأنهم أشد حبا لله سبحانه فدل التقابل بين الفريقين على أن ذمهم إنما هو لتوزيعهم المحبه الإلهيه بين الله و بين الأنداد الذين اتخذوهم أندادا. و هذا و إن كان بظاهره يمكن أن يستشعر منه أنهم لو وضعوا له سبحانه سهما أكثر لم يذموا على ذلك لكن ذيل الآيه ينفى ذلك فإن قوله: إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، و قوله: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، و قوله: كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ، يشهد بأن الذم لم يتوجه إلى الحب من حيث إنه حب بل من جهه لازمه الذى هو الاتباع و كان هذا الاتباع منهم لهم لزعمهم أن لهم قوه يتقوون بها لجلب محبوب أو دفع مكروه عن أنفسهم فتركوا بذلك اتباع الحق من أصله أو فى بعض الأمر، و ليس من اتبع الله فى بعض أمره دون بعض بمتبع له و حينئذ يندفع الاستشعار المذكور، و يظهر أن هذا الحب يجب أن لا يكون لله فيه سهيم و إلا فهو الشرك و اشتداد هذا الحب ملازم لانحصار التبعية من أمر الله، و لذلك مدح المؤمنين

بذلك فى قوله وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ .

و إذ كان هذا المدح و الذم متعلقا بالحب من جهة أثره الذى هو الاتباع فلو كان الحب للغير بتعقيب إطاعه الله تعالى فى أمره و نهيه لكون الغير يدعو إلى طاعته تعالى-ليس له شأن دون ذلك-لم يتوجه إليه ذم البتة كما قال تعالى: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَ أَبْنَاؤُكُمْ -X إلى قوله X- أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» :التوبة-٢٤، فقرر لرسوله حبا كما قرره لنفسه لأن حبه (ع) حب الله تعالى فإن أثره هو الاتباع عين اتباع الله تعالى فإن الله سبحانه هو الداعى إلى إطاعه رسوله و الأمر باتباعه، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا- لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» :النساء-٦٤، و قال تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» و كذلك اتباع كل من يهتدى إلى الله باتباعه كعالم يهتدى بعلمه أو آيه تعين بدلالته و قرآن يقرب بقراءته و نحو ذلك فإنها كلها محبوبة بحب الله و اتباعها طاعه تعد مقربه إليه.

فقد بان بهذا البيان أن من أحب شيئا من دون الله ابتغاء قوه فيه فاتبعه فى تسبيبه إلى حاجه ينالها منه أو اتبعه بإطاعته فى شىء لم يأمر الله به فقد اتخذ من دون الله أندادا و سيرهم الله أعمالهم حسرات عليهم، و أن المؤمنين هم الذين لا يحبون إلا الله و لا يبتغون قوه إلا من عند الله و لا يتبعون غير ما هو من أمر الله و نهيه فأولئك هم المخلصون لله دينا.

و بان أيضا أن حب من حبه من حب الله و اتباعه اتباع الله كالنبي و آله و العلماء بالله، و كتاب الله و سنه نبيه و كل ما يذكر الله بوجه إخلاص لله ليس من الشرك المذموم فى شىء، و التقرب بحبه و اتباعه تقرب إلى الله، و تعظيمه بما يعد تعظيما من تقوى الله، قال تعالى: «وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» :الحج-٣٢ و الشعائر هى العلامات الداله، و لم يقيد بشىء مثل الصفا و المروه و غير ذلك، فكل ما هو من شعائر الله و آياته و علاماته المذكوره له فتعظيمه من تقوى الله و يشمله جميع الآيات الآمره بالتقوى.

نعم لا يخفى لدى مسكه أن إعطاء الاستقلال لهذه الشعائر و الآيات فى قبال الله و اعتقاد أنها تملك لنفسها أو غيرها نفعا أو ضرا أو موتا أو حياه أو نشورا إخراج لها

عن كونها شعائر و آيات و إدخال لها في حظيره الألوهيه و شرك بالله العظيم، و العياذ بالله تعالى.

قوله تعالى: **وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**، ظاهر السياق أن قوله: **إِذْ مَفْعُولٌ** يرى، و أن قوله: **أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ** إلى آخر الآية، بيان للعذاب، و **لَوْ** للتمنى. و المعنى ليتهم يرون في الدنيا يوما يشاهدون فيه العذاب فيشاهدون أن القوه لله جميعا و قد أخطئوا في إعطاء شيء منه لأندادهم و أن الله شديد في عذابه، و إذاقته عاقبه هذا الخطأ فالمراد بالعذاب في الآية-على ما يبينه ما يتلوه-مشاهدتهم الخطأ في اتخاذهم أندادا يتوهم قوه فيه و مشاهده عاقبه هذا الخطأ و يؤيده الآيتان التاليتان: **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا فَلَمْ يَصِلْ مِنْ الْمُتَّبِعِينَ إِلَى تَابِعِيهِمْ نَفْعٌ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَهُ وَ رَأَوْا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ فَلَمْ يَبْقَ تَأْثِيرٌ لَشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ**، **وَ قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً**، و هو تمنى الرجوع إلى الدنيا **فَنَتَّبِرَآ مِنْهُمْ** أى من الأنداد المتبوعين في الدنيا **كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا فِي الْآخِرَةِ**، **كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَى الَّذِينَ ظَلَمُوا بِاتِّخَاذِ الْأَنْدَادِ أَعْمَالَهُمْ**، و هى حبههم و اتباعهم لهم في الدنيا حال كونها **حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**.

قوله تعالى: **وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**، فيه حجه على القائلين بانقطاع العذاب من طريق الظواهر.

### (بحث روائى)

فى الخصال، و التوحيد، و المعانى، عن شريح بن هانى قال: إن أعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين (ع)-فقال يا أمير المؤمنين أ تقول إن الله واحد؟ قال فحمل الناس عليه، فقالوا: يا أعرابى-أ ما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب؟ فقال أمير المؤمنين دعوه-فإن الذى يريد الأعرابى هو الذى نريده من القوم، ثم قال: (ع) يا أعرابى-إن القول: فى أن الله واحد على أربعة أقسام- فوجهان منها لا يجوزان على الله تعالى، و وجهان يثبتان فيه-فأما اللذان لا يجوزان عليه-فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد- فهذا لا-يجوز لأن ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الأعداد، أ ما ترى أنه كفر من قال إنه ثالث ثلاثة؟ و قول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس-فهذا ما لا يجوز لأنه تشبيه-و جل ربنا و تعالى عن ذلك، و أما الوجهان اللذان يثبتان فيه-

فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربنا، و قول القائل إنه عز و جل إحدى المعنى يعنى به: أنه لا ينقسم فى وجود و لا عقل و لا وهم كذلك ربنا.

أقول: و الوجهان اللذان أثبتهما (ع) كما ترى منطبق على ما ذكرناه فى بيان قوله تعالى وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ الْآيَةَ.

و قد تكرر فى الخطب المرويه عن على (ع) و الرضا (ع) و غيرهما من أئمة أهل البيت: قولهم: إنه واحد لا بالعدد الخطبه، و هو ما مر من معنى صرافه ذاته الآيه عن العدد،

و فى دعاء الصحيفه الكامله: لك وحدانيه العدد الدعاء، و يحمل على الملكيه أى أنت تملك وحدانيه العدد دون الانصاف فإن العقل و النقل ناهضان على أن وجوده سبحانه صرف لا يتثنى و لا يتكرر بذاته و حقيقته.

و فى الكافى، و الاختصاص، و تفسير العياشى، عن الباقر (ع): فى قوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً» -الآيه- فى حديث- قال: هم و الله يا جابر أئمة الظلمه و أشياعهم، و فى روايه العياشى: و الله يا جابر هم أئمة الظلم و أشياعهم.

أقول: و قد اتضح معناه بما مر من البيان و تعبيره (ع) بأئمة الظلم لمكان قوله تعالى: وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا، فعد التابعين المتخذين للأنداد ظلمه فيكون متبوعوهم أئمة الظلمه و أئمة الظلم.

و فى الكافى، عن الصادق (ع): فى قوله تعالى: كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسِيرَاتٍ عَلَيْهِمُ الْآيَةَ، قال: هو الرجل يدع ماله لا ينفقه فى طاعه الله بخلا- ثم يموت فيدعه لمن يعمل فى طاعه الله أو فى معصيه الله- فإن عمل به فى طاعه الله- رآه فى ميزان غيره فرآه حسر- و قد كان المال له- و إن كان عمل به فى معصيه الله- قواه بذلك المال حتى عمل به فى معصيه؟ الله.

أقول: و روى هذا المعنى العياشى و الصدوق و المفيد و الطبرسى عن الباقر و الصادق (ع) و هو ناظر إلى التوسعه فى معنى الأنداد و هو كذلك كما تقدم.

### [بحث فلسفى] معنى الحب و تعلقه بالله تعالى.

من المعانى الوجدانيه التى عندنا معنى نسميه بالحب كما فى موارد حب الغذاء

و حب النساء و حب المال و حب الجاه و حب العلم، هذه مصاديق خمسة لا نشك في وجودها فينا، و لا نشك أنا نستعمل لفظ الحب فيها بمعنى واحد على سبيل الاشتراك المعنوي دون اللفظي، و لا شك أن المصاديق مختلفه، فهل هو اختلاف نوعي أو غير ذلك.

إذا دققنا النظر في حب ما هو غذاء كالفاكهه مثلا وجدناه محبوبا عندنا لتعلقه بفعل القوه الغاذيه، و لو لا فعل هذه القوه و ما يحوزه الإنسان بها من الاستكمال البدني لم يكن محبوبا و لا تحقق حب، فالحب بحسب الحقيقه بين القوه الغاذيه و بين فعلها، و ما تجده عند الفعل من اللذه، و لسنا نعنى باللذه لذه الذائقه فإنها من خوادم الغاذيه و ليست نفسها، بل الرضى الخاص الذى تجده القوه بفعلها، ثم إذا اخترنا حال حب النساء وجدنا الحب فيها يتعلق بالحقيقه بالوقاع، و تعلقه بهن ثانيا و بالتبع، كما كان حب الغذاء متعلقا بنفس الغذاء ثانيا و بالتبع، و الوقاع أثر القوه المودعه فى الحيوان، كما كان التغذى كذلك أثرا لقوه فيه، و من هنا يعلم أن هذين الحبين يرجعان إلى مرجع واحد و هو تعلق و جودى بين هاتين القوتين و بين فعلهما أى كمالهما الفعلى.

و من المحتمل حينئذ أن يكون الحب هو التعلق الخاص بهذين الموردين و لا يوجد فى غير موردهما لكن الاختبار بالآثار يدفع ذلك، فإن لهذا التعلق المسمى حبا أثرا فى المتعلق (اسم فاعل) و هو حركه القوه و انجذابها نحو الفعل إذا فقدته و تخرجها عن تركه إذا وجدته، و هاتان الخاصتان أو الخاصه الواحده نجدها موجوده فى مورد جميع القوى الإدراكيه التى لنا و أفعالها و إن قوتنا الباصره و السامعه و الحافظه و المتخيله و غيرها من القوى و الحواس الظاهريه و الباطنيه جميعها -سواء كانت فاعله أو منفعله- على هذه الصفه فجميعها تحب فعلها و تنجذب إليها و ليس إلا- لكون أفعالها كمالا-ت لها يتم بها نقصها و حاجتها الطبيعیه، و عند ذلك يتضح الأمر فى حب المال و حب الجاه و حب العلم فإن الإنسان يستكمل نوع استكمال بالمال و الجاه و العلم.

و من هنا يستنتج أن الحب تعلق خاص و انجذاب مخصوص شعورى بين الإنسان و بين كماله، و قد أفاد التجارب الدقيقه بالآثار و الخواص أنه يوجد فى الحيوان غير الإنسان، و قد تبين أن ذلك لكون المحب فاعلا- أو منفعلا- عما يحبه من الفعل و الأثر و متعلقا بتبعه بكل ما يتعلق به كما مر فى حديث الأكل و الفاكهه، و غير الحيوان أيضا



كالحيوان إذا كان هناك استكمال أو إفاضه لكمال مع الشعور.

و من جهة أخرى لما كان الحب تعلقا وجوديا بين المحب و المحبوب كانت رابطة قائمه بينهما فلو كان المعلول الذى يتعلق به حب علته موجودا ذا شعور وجد حب علته فى نفسه لو كان له نفس و استقلال جوهري.

و يستنتج من جميع ما مر: أولا أن الحب تعلق وجودى و انجذاب خاص بين العله المكمله أو ما يشبهها و بين المعلول المستكمل أو ما يشبهه، و من هنا كنا نحب أفعالنا لاستكمالنا بها و نحب ما يتعلق به أفعالنا كغذاء نتغذى به، أو زوج نتمتع بها، أو مال نتصرف فيه، أو جاه نستفيد به، أو منعم ينعم علينا، أو معلم يعلمنا، أو هاد يهدينا أو ناصر ينصرنا، أو متعلم يتعلم منا، أو خادم يخدمنا، أو أى مطيع طيعنا و ينقاد لنا، و هذه أقسام من الحب بعضها طبيعى و بعضها خيالى و بعضها عقلى.

و ثانيا: أن الحب ذو مراتب مختلفه من الشده و الضعف فإنه رابطة وجوديه - الوجود مشكك فى مراتبه - و من المعلوم أن التعلق الوجودى بين العله التامه و معلولها ليس كالتعلق الكائن بين العلل الناقصه و معلولاتها، و أن الكمال الذى يتعلق بواسطته الحب مختلف من حيث كونه ضروريا أو غير ضرورى، و من حيث كونه ماديا كالتغذى أو غير مادى كالعلم، و به يظهر بطلان القول باختصاصه بالماديات حتى ذكر بعضهم: أن أصله حب الغذاء، و غيره ينحل إليه، و ذكر آخرون: أن الأصل فى باب حب الوقاع، و غيره راجع إليه.

و ثالثا: أن الله سبحانه أهل للحب بأى وجه فرضت فإنه تعالى فى نفسه موجود ذو كمال غير متناه و أى كمال فرض غيره فهو متناه، و المتناهى متعلق الوجود بغير المتناهى و هذا حب ذاتى مستحيل الارتفاع، و هو تعالى خالق لنا منعم علينا بنعم غير متناهيه العده و المده فنحبه كما نحب كل منعم لإنعامه.

و رابعا: أن الحب لما كانت رابطة وجوديه - و الروابط الوجوديه غير خارجه الوجود عن وجود موضوعها و من تنزلاته - أنتج ذلك أن كل شىء فهو يحب ذاته، و قد مر أنه يحب ما يتعلق بما يحبه فيجب آثار وجوده، و من هنا يظهر أن الله سبحانه يحب خلقه لحب ذاته، و يحب خلقه لقبولهم إنعامه عليهم، و يحب خلقه لقبولهم هدايته.

و خامسا: أن لزوم الشعور و العلم فى مورد الحب إنما هو بحسب المصداق و إلا- فالتعلق الوجودى الذى هو حقيقه الحب لا يتوقف عليه من حيث هو، و من هنا يظهر أن القوى و المبادئ الطبيعیه غير الشاعره لها حب بآثارها و أفعالها.

و سادسا: يستنتج مما مر أن الحب حقيقه ساريه فى الموجودات.

### (بحث فلسفى آخر) [دوام العذاب و انقطاعه].

مسأله انقطاع العذاب و الخلود مما اختلف فيه أنظار الباحثين من حيث النظر العقلى و من جهه الظواهر اللفظيه.

و الذى يمكن أن يقال: أما من جهه الظواهر، فالكتاب نص فى الخلود، قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ الآية و السنه من طرق أئمه أهل البيت مستفيضه فيه، و قد ورد من غير طريقهم أخبار فى الانقطاع و نفى الخلود، و هى مطروحه بمخالفه الكتاب.

و أما من جهه العقل فقد ذكرنا فيما تقدم من البحث فى ذيل قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾: البقره- ٤٨، أن الاستدلال على خصوصيات ما جاء به الشرع فى المعاد بالمقدمات الكليه العقليه غير مقدور لنا لأن العقل لا ينال الجزئيات، و السبيل فيه تصديق ما جاء به النبى الصادق من طريق الوحي للبرهان على صدقه.

و أما النعمه و العذاب العقليان الطارئان على النفس من جهه تجردها و تخلقها بأخلاق و ملكات فاضله أو رديه أو اكتسائها و تلبسها بأحوال حسنه جميله أو قبيحه فقد عرفت أن هذه الأحوال و الملكات تظهر للنفس بما لها من صوره القبح أو الحسن فتتعم بما هى حسنه منها إن كانت ذاتها سعيده و تعذب بما هى قبيحه مشوهه منها، سواء كانت ذاتها سعيده أو شقيه.

و أن ما كانت من هذه الصور صوراً غير راسخه للنفس و غير ملائمه لذاتها فإنها ستزول لأن القسر لا يكون دائماً و لا أكثرياً، و هذه النفس هى النفس السعيدة ذاتاً و عليها هيآت شقيه رديه ممكنه الزوال عنها كالنفس المؤمنه المجرمه، و هذا كله ظاهر.

و أما الهيآت الرديه التى رسخت فى النفس حتى صارت صورا أو كالصور الجديده تعطى للشئ نوعيه جديده كالإنسان البخيل الذى صار البخل صورته لإنسانيته كما صار النطق لحيوانيته الصائره به نوعا جديدا تحت الحيوان فالإنسان البخيل أيضا نوع جديد تحت الإنسان، فمن المعلوم أن هذا النوع نوع مجرد فى نفسه دائمى الوجود، و جميع ما كان يصدر عنه بالقسر حال عدم الرسوخ فيعذب به و يذوق وبال أمره فهى تصدر عن هذا النوع بإذن الله من غير قسر إلا أنها لما كانت صادرة عن نوعيته من غير قسر فهى دائمه من غير زوال بخلاف ما لو كانت حاصله بالقسر، و مثل هذا الإنسان المعذب بلوازم ملكاته من وجهه مثل من ابتلى بمرض المايخوليا أو الكابوس المستمر فإنه لا يزال يصدر عن قوه تخيله صور هائله أو مشوهه يعذب بها و هو نفسه هو الذى يوجد من غير قسر قاسر و لو لم تكن ملائمته لطبعه المريض ما أوجدها فهو و إن لم تكن متألما من حيث انتهاء الصدور إليه نفسه لكنه معذب بها من حيث إن العذاب ما يفر منه الإنسان إذا لم يبتل به بعد و يحب التخلص عنه إذا ابتلى به و هذا الحد يصدق على الأمور المشوهه و الصور غير الجميله التى تستقبل الإنسان الشقى فى دار آخرته، فقد بان أن العذاب خالد غير منقطع عن الإنسان الشقى الذى لذاته شقوه لازمه.

و قد استشكل هاهنا بإشكالات واضحه السقوط بينه الفساد: مثل أن الله سبحانه ذو رحمه واسعه غير متناهيه فكيف يسع رحمته أن يخلق من مصيره إلى عذاب خالد لا يقوم له شئ؟ و مثل أن العذاب إنما يكون عذابا إذا لم يلائم الطبع فيكون قسرا و لا معنى للقسر الدائم فكيف يصح وجود عذاب دائم؟.

و مثل أن العبد لم يذنب إلا ذنبا منقطع الآخر فكيف يجازى بعذاب دائم؟.

و مثل أن أهل الشقاء لا يقصر خدمتهم لنظام التكوين عن خدمات أهل السعاده.

و لولاهم لم تتحقق سعاده لسعيد فما هو الموجب لوقوعهم فى عذاب مخلد؟.

و مثل أن العذاب للمتخلف عن أوامر الله و نواهيه انتقام و لا- يكون الانتقام إلا- لجبر النقص الذى أورده العاصى الظالم على المنتقم المقتدر، و لا يجوز ذلك على الله تعالى فهو الغنى المطلق فكيف يجوز منه العذاب و خاصه العذاب المخلد؟.

فهذه و أمثالها وجوه من الإشكال أوردوها على خلود العذاب و عدم انقطاعه.

و أنت بالإحاطه بما بيناه من معنى خلود العذاب تعرف أنها ساقطه من رأس، فإن العذاب الخالد أثر و خاصه لصوره الشقاء الذى لزم الإنسان الشقى فتصور ذاته بها بعد تماميه الاستعداد الشديد الذى حصل فى ذاته القابله لها بواسطة الأحوال العارضه لها المنتهيه إلى اختياره، و اشتداد الاستعداد التام هو الذى يوجب فى جميع الحوادث إفاضه الصوره المناسبه لسنخ الاستعداد، فكما لا يجوز السؤال عن عله تحقق الأفعال الإنسانيه بعد ورود الصوره الإنسانيه على المادة لوجود العله التى هى الصوره الإنسانيه كذلك لا معنى للسؤال عن لميه ترتب آثار الشقاء اللازم، و منها العذاب المخلد بعد تحقق صوره الشقاء اللازم، المنتهيه إلى الاختيار فإنها آثارها و خواصها فبطلت السؤالات جميعا، فهذا هو الجواب الإجمالى عنها.

و أما تفصيلا: فالجواب عن الأول: أن الرحمه فيه تعالى ليس بمعنى رقه القلب و الإشفاق و التأثر الباطنى فإنها تستلزم ماده- تعالى عن ذلك- بل معناها العطييه و الإفاضه لما يناسب الاستعداد التام الحاصل فى القابل، فإن المستعد بالاستعداد التام الشديد يحب ما يستعد له و يطلبه و يسأله بلسان استعداده فيفاض عليه ما يطلبه و يسأله، و الرحمه رحمتان: رحمه عامه، و هى إعطاء ما يستعد له الشىء و يشتاقه فى صراط الوجود و الكينونه، و رحمه خاصه، و هى إعطاء ما يستعد الشىء فى صراط الهدايه إلى التوحيد و سعاده القرب و إعطاء صوره الشقاء اللازم الذى أثره العذاب الدائم للإنسان المستعد له باستعداده الشديد لا ينافى الرحمه العامه بل هو منها، و أما الرحمه الخاصه فلا معنى لشمولها لمن هو خارج عن صراطها، فقول القائل: إن العذاب الدائم ينافى الرحمه إن أراد به الرحمه العامه فليس كذلك بل هو من الرحمه العامه، و إن أراد به الرحمه الخاصه فليس كذلك لكونه ليس موردا لها، على أن الإشكال لو تم لجرى فى العذاب المنقطع أيضا حتى أنواع العذاب الدينوى، و هو ظاهر.

و الجواب عن الثانى: أنه ينبغى أن يحزر معنى عدم ملاءمه الطبع فإنه تاره بمعنى عدم السنخيه بين الموضوع و الأثر الموجود عنده و هو الفعل القسرى الذى يصدر

عن قسر القاسر و يقابله الأثر الملائم الذى يصدر عن طبع الشىء إذا اقترن به آفات ثم رسخت فيه فصارت صورته فى الشىء و عاد الشىء يطلبه بهذا الوجود و هو فى عين الحال لا يحبه كما مثلنا فيه من مثال المالىخولياى فهذه الآثار ملائمه لذاته من حيث صدورهما عن طبعه الشقى الخيىث، و الآثار الصادره عن الطباع ملائمه، و هى بعينها عذاب لصدق حد العذاب عليها لكون الشىء لا يرتضيها فهى غير مرضيه من حيث الذوق و الوجدان فى عين كونها مرضيه من حيث الصدور.

و الجواب عن الثالث: أن العذاب فى الحقيقه ترتب أثر غير مرضى على موضوعه الثابت حقيقه، و هو صورته الشقاء فهذا الأثر معلول الصوره الحاصله بعد تحقق علل معده، و هى المخالفات المحدوده، و ليس معلولا لتلك العلل المعده المحدوده حتى يلزم تأثير المتناهى أثرا غير متناه و هو محال، و نظيره أن عللا معده و مقربات معدوده محدوده أوجبت أن تتصور الماده بالصوره الإنسانيه فيصير إنسانا يصدر عنه آثار الإنسانيه المعلوله للصوره المذكوره، و لا معنى لأن يسأل و يقال: إن الآثار الإنسانيه الصادره عن الإنسان بعد الموت صدورا دائميا سرمديا لحصول معدات محدوده مقطوعه الأمر للماده فكيف صارت مجموع منقطع الآخر من العلل سببا لصدور الآثار المذكوره و بقائها مع الإنسان دائما لأن علتها الفاعله - و هى الصوره الإنسانيه - موجوده معها دائما على الفرض، فكما لا معنى لهذا السؤال لا معنى لذلك أيضا.

و الجواب عن الرابع: أن الخدمه و العبوديه أيضا مثل الرحمه على قسمين: عبوديه عامه، و هو الخضوع و الانفعال الوجودى عن مبدأ الوجود، و عبوديه خاصه و هو الخضوع و الانقياد فى صراط الهدايه إلى التوحيد، و لكل من القسمين جزاء يناسبه و أثر يترتب عليه و يخصه من الرحمه، فالعبوديه العامه فى نظام التكوين جزاؤه الرحمه العامه، و النعمه الدائمه و العذاب الدائم كلاهما من الرحمه العامه، و العبوديه الخاصه جزاؤه الرحمه الخاصه، و هى النعمه و الجنه و هو ظاهر، على أن هذا الإشكال لو تم لورد فى مورد العذاب المنقطع الأخرى بل الدينوى أيضا.

و الجواب عن الخامس: أن العذاب الدائم مستند إلى صورته الشقاء الذى فى الإنسان كما عرفت، و إلى الله سبحانه بالمعنى الذى يقال: فى كل موجود: أنه مستند إليه تعالى لا بمعنى الانتقام و تشفى الصدر المستحيل عليه تعالى، نعم الانتقام بمعنى

الجزء الشاق والأثر السيئ الذى يجزى به المولى عبده فى مقابل تعديه عن طور العبوديه، و خروجه عن ساحه الانقياد إلى عرصه التمرد و المخالفه مما يصدق فيه تعالى لكن لا يستلزم كون العذاب انتقاما بهذا المعنى إشكالا البته.

على أن هذا الإشكال أيضا لو تم لورد فى مورد العذاب الموقت المنقطع فى الآخره بل فى الدنيا أيضا.

### (بحث قرآنى وروائى متمم للبحث السابق)

اعلم أن هذا الطريق من الاستدلال على رد الشبهه المذكوره مما استعمل فى الكتاب و السنه أيضا، قال تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ جَلَّ عَجَلًا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْرِفُ فِيهَا مَا مَدَّ يَدُهُ مَدْحُورًا، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كَلَّا نَمِدُّ هُوَلاءِ وَهَؤَلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا»: إسرء - ٢٠، فالآيه كما ترى يجعل العذاب و الشكر كليهما من العطيه و الرحمه و تجعل تحقق كل منهما مرتبطه بإرادته العبد و سعيه و هذا بعينه الطريق الذى سلكناه فى أصل المسأله و دفع الإشكالات عنها و هناك آيات أخر فى هذا المعنى سنتكلم فيها فى مواردنا، إن شاء الله تعالى.

### [سوره البقره (٢): الآيات ١٦٨ الى ١٧١]

#### اشاره

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ لَمَّا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا ما أَنزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَسْبَحُ ما أَلفِينا عَلَيْهِ أَباؤنا أَوْ لَوْ كانَ آبائُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَ لا يَهْتَدُونَ (١٧٠) وَ مَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلا دُعاءً وَ نِداءً صَمٌّ بكم عَمى فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ (١٧١)

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا إِلَىٰ آخِرِ الْآيَاتِينَ﴾، الحلال مقابل الحرام الممنوع اقتحامه، والحل مقابل الحرمه، والحل مقابل حرم، والحل مقابل العقد، وهو فى جميع موارد استعماله يعطى معنى حربه الشئ فى فعله و أثره، و الطيب -مقابل الخبيث- ما يلائم النفس و الشئ، كالطيب من القول لملاءمته السمع، و الطيب من العطر يلائم الشامه، و الطيب من المكان يلائم حال المتمكن فيه.

و الخطوات بضميتين جمع خطوه، و هى ما بين القدمين للماشى، و قرئ خطوات بفتحيتين و هى جمع خطوه و هى المره، و خطوات الشيطان هى الأمور التى نسبتة إلى غرض الشيطان- و هو الإغواء بالشرك-نسبه خطوات الماشى إلى مقصده و غرضه، فهى الأمور التى هى مقدمات للشرك و البعد من الله سبحانه، و الأمر هو تحميل الأمر إرادته نفسه على المأمور ليأتى ما يريد، و الأمر من الشيطان و سوسسته و تحميله ما يريد من الإنسان عليه بإخطاره فى قلبه و تزيينه فى نظره و السوء ما ينافره الإنسان و يستقبحه بنظر الاجتماع فإذا جاوز حده و تعدى طوره كان فحشاء و لذلك سمي الزنا بالفحشاء و هو مصدر كالسراء و الضراء.

و قد عمم تعالى الخطاب لجميع الناس لأن الحكم الذى يقرعه سميعهم و بينه لهم مما يتلى به الكل، أما المشركون: فقد كان عندهم أمور مما حرموه على أنفسهم افتراء على الله كما روى أن ثقيفا و خزاعه و بنى عامر بن صعصعه و بنى مدلج كانوا قد حرموا على أنفسهم أشياء من الحرث و الأنعام و البحيره و السائبه و الوصيله، هذا فى العرب، و فى غيرهم أيضا يوجد أشياء كثيره من هذا القبيل، و أما المؤمنون: فربما كان يبقى بعد الإسلام بينهم أمور خرافيه طبق ناموس توارث الأخلاق و الآداب القوميه و السنن المنسوخه بنواسخ غير تدريجيّه كالأديان و القوانين و غيرها فإن كل طريقه جديده دينيه

أو دنيويه إذا نزلت بدار قوم فإنما تتوجه أول ما تتوجه إلى أصول الطريقه القديمه و أعراقها فتقطعه فإن دامت على حياتها و قوتها-و ذلك بحسن الترييه و حسن القبول- أماتت الفروع و قطعت الأذنان و إلا فاختلطت بقايا من القديمه بالحديثه و التامت بها و صارت كالمركب النباتي، ما هو بهذا و لا ذاك.

فأمر تعالى الناس أن يأكلوا مما فى الأرض، و الأكل هو البلع عن مضغ و ربما يكنى بالأكل عن مطلق التصرف فى الأموال لكون الأكل هو الأصل فى أفعال الإنسان و الركن فى حياته كما قال تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ﴾: النساء-٢٩، و الآيه لا تأبى الحمل على هذا المعنى الواسع لإطلاقها، و المعنى كلوا و تصرفوا و تمتعوا مما فى الأرض من النعم الإلهيه التى هياته لكم طبيعه الأرض بإذن الله و تسخيره أكلا حلالا طيبا، أى لا يمنعكم عن أكله أو التصرف فيه مانع من قبل طبائعكم و طبيعه الأرض، كالذى لا يقبل بطبعه الأكل، أو الطبع لا يقبل أكله، و لا تنفر طبائعكم عن أكله مما يقبل الطبع أكله لكن ينافره و يأبى عنه السليقه كالأكل الذى توصل إليه بوسيله غير جائزه.

فقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا﴾، يفيد الإباحه العامه من غير تقييد و اشتراط فيه إلا أن قوله ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾، إلخ يفيد: أن هاهنا أموراً تسمى خطوات الشيطان-متعلقه بهذا الأكل الحلال الطيب- إما كف عن الأكل اتباعاً للشيطان، و إما إقدام عليه اتباعاً للشيطان، ثم ذكر ضابط ما يتبع فيه الشيطان بأنه سوء و فحشاء، و قول ما لا يعلم على الله سبحانه و إذا كان الكف غير جائز إلا- برضى من الله تعالى فالفعل أيضا كذلك فليس الأكل مما فى الأرض حلالا طيبا إلا أن يأذن الله تعالى و يشرعه و قد شرعه بهذه الآيه و نظائرها و لا يمنع عنه بنهى أو ردع كما سيأتى من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ الْآيَةَ﴾ فرجع معنى الآيه-و الله أعلم- إلى نحو قولنا كلوا مما فى الأرض من نعم الله المخلوقه لكم فقد جعله الله لكم حلالا طيبا و لا- تتركوا بعضا منها كفا و امتناعا فيكون سوء و فحشاء و قولاً بغير علم أى تشريعا ليس لكم ذلك و هو اتباع خطوات الشيطان.

فالآيه تدل أولا: على عموم الحليه فى جميع التصرفات إلا ما أخرجه الدليل فإن الله سبحانه المنع فيما له الإذن فيه.



و ثانيا:على أن الامتناع مما أحله الله من غير دليل علمى تشريع محرم.

و ثالثا:على أن المراد من اتباع خطوات الشيطان التعبد لله بما لم يأذن فى التعبد بذلك فإنه لم ينه عن المشى و السلوك لكن عن المشى الذى يضع فيه الإنسان قدمه موضع قدم الشيطان فينطبق مشيته على مشيته فيكون متبعا لخطواته،و من هنا يعلم أن عموم التعليل،و هو قوله إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ «إلخ»و إن اقتضى المنع عن الاقتحام فى فعل بغير علم كما يقتضى المنع عن الامتناع بغير علم لكنه ليس بمراد فى الخطاب فإنه ليس من اتباع خطوات الشيطان و إن كان اتباعا للشيطان.

قوله تعالى: إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ،السوء و الفحشاء يكونان فى الفعل،و فى مقابله القول،و بذلك يظهر:أن ما يأمر به الشيطان ينحصر فى الفعل الذى هو سوء و فحشاء،و القول الذى هو قول بغير علم.

قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا،الإلقاء الوجدان أى وجدنا عليه آباءنا،و الآيه تشهد بما استفدناه من الآيه السابقه فى معنى خطوات الشيطان.

قوله تعالى: أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ،جواب عن قولهم، و بيانه أنه قول بغير علم و لا تبين،و ينافيه صريح العقل فإن قولهم: بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا،قول مطلق أى نتبع آباءنا على أى حال و على أى وصف كانوا،حتى لو لم يعلموا شيئا و لم يهتدوا و نقول ما فعلوه حق،و هذا هو القول بغير علم، و يؤدى إلى القول بما لا- يقول به عاقل لو تنبه له و لو كانوا اتبعوا آباءهم فيما علموه و اهتدوا فيه و هم يعلمون:أنهم علموا و اهتدوا فيه لم يكن من قبيل الاهتداء بغير علم.

و من هنا:يعلم أن قوله تعالى: لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ،ليس واردا مورد المبالغه نظرا إلى أن سلب مطلق العلم عن آباءهم مع كونهم يعلمون أشياء كثيره فى حياتهم لا يحتمل إلا المبالغه.

و ذلك أن الكلام مسوق سوق الفرض بإبداء تقدير لا- يقول بجواز الاتباع فيه قائل ليطلب به إطلاق قولهم نتبع ما ألفتنا عليه آباءنا و هو ظاهر.

قوله تعالى: وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً،

المثل هو الكلام السائر و المثل هو الوصف كقوله تعالى: «انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَفِيدُونَ سَبِيلًا»: الفرقان- ٩، و النعيق صوت الراعى لغنمه زجرا يقال: نعق الراعى بالغنم ينعق نعيقا إذا صاح بها زجرا، و النداء مصدر نادى ينادى مناداه، و هو أخص من الدعاء ففيه معنى الجهر بالصوت و نحوه بخلاف الدعاء، و المعنى- و الله أعلم- و مثلك فى دعاء الذين كفروا كمثل الذى ينعق من البهائم بما لا يسمع من نعيقه إلا دعاء و نداء ما، فينجزر بمجرد قرع الصوت سمعه من غير أن يعقل شيئا فهم صم لا يسمعون كلاما يفيدهم، و بكم لا يتكلمون بما يفيد معنى، و عمى لا يبصرون شيئا فهم لا يعقلون شيئا لأن الطرق المؤديه إلى التعقل مسدوده عليهم.

و من ذلك يظهر أن فى الكلام قلبا أو عنايه أخرى يعود إليه فإن المثل بالذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء و نداء مثل الذى يدعوهم إلى الهدى لا مثل الكافرين المدعويين إلى الهدى إلا أن الأوصاف الثلاثة التى استنتج و استخرج من المثل و ذكرت بعده، و هى قوله: صُمُّ بَكُمُّ عُمِّي فَهَمُّ لَمْ يَعْقُلُونَ، لما كانت أوصافا للذين كفروا لا لمن يدعوهم إلى الحق استوجب ذلك أن ينسب المثل إلى الذين كفروا لا إلى رسول الله تعالى فأتتج ما أشبه القلب.

### (بحث روائى)

فى التهذيب، عن عبد الرحمن، قال: سألت أبا عبد الله عن رجل حلف أن ينحر ولده- قال: ذلك من خطوات الشيطان.  
و عن منصور بن حازم أيضا قال: قال لى أبو عبد الله (ع): أ ما سمعت بطارق إن طارقا كان نخاسا بالمدينه- فأتى أبا جعفر فقال يا أبا جعفر- إني حلفت بالطلاق و العتاق و النذر؟ فقال له يا طارق إن هذا من خطوات الشيطان.  
و فى تفسير العياشى، عن أبى جعفر (ع) قال: كل يمين بغير الله فهو من خطوات الشيطان.

و فى الكافى، عن الصادق (ع) قال: إذا حلف الرجل على شىء- و الذى حلف

عليه إتيانه خير من تركه-فليات الذى هو خير و لا كفاره له،و إنما ذلك من خطوات الشيطان.

أقول:و الأحاديث كما ترى مبنيه على كون المراد من خطوات الشيطان الأعمال التى يتقرب بها و ليست بمقربه لعدم العبره بها شرعا كما ذكرناه فى البيان السابق نعم فى خصوص الطلاق و نحوه وجه آخر للبطلان و هو التعليق المنافى للإنشاء،و المسأله فقهيه،و المراد باليمين بغير الله هو اليمين الذى يترتب عليه أثر اليمين الشرعى أو القسم بما لم يقسم به الله و لم يثبت له كرامه شيئا.

و فى المجمع،عن الباقر: فى قوله تعالى: وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِالآيَةِ، قال:أى مثلهم فى دعائك إياهم إلى الإيمان-كمثل الناعق فى دعائه المنعوق به من البهائم التى لا تفهم و إنما تسمع الصوت.

### [بحث أخلاقى و اجتماعى] [التقليد و اتباع الخرافه.]

الآراء و العقائد التى يتخذها الإنسان إما نظريه لا تعلق لها بالعمل من غير واسطه كالمسائل المتعلقة بالرياضيات و الطبيعيات و ما وراء الطبيعه،و إما عمليه متعلقه بالعمل بلا-واسطه كالمسائل المتعلقة بما ينبغى فعله و ما لا ينبغى،و السبيل فى القسم الأول هو اتباع العلم و اليقين المنتهى إلى برهان أو حس،و فى القسم الثانى اتباع ما يوصل إلى الخير الذى فيه سعادته الإنسان أو النافع فيها،و اجتناب ما ينتهى إلى شقائه أو يضره فى سعادته،و أما الاعتقاد بما لا علم له بكونه حقا فى القسم الأول،و الاعتقاد بما لا يعلم كونه خيرا أو شرا فهو اعتقاد خرافى.

و الإنسان لما كانت آراؤه منتهيه إلى اقتضاء الفطره الباعثه عن علل الأشياء و الطبيعه الباعثه له إلى الاستكمال بما هو كماله حقيقه فإنه لا-تخضع نفسه إلى الرأى الخرافى المأخوذ على العمياء و جهلا إلا أن العواطف النفسانيه و الإحساسات الباطنيه التى تثيرها الخيال-و عمدتها الخوف و الرجاء-ربما أوجبت له القول بالخرافه من جهه أن الخيال يصور له صورا يستصحب خوفا أو رجاء فيحفظها إحساس الخوف أو الرجاء،و لا يدعها تغيب عن النفس الخائفه أو الراجيه،كما أن الإنسان إذا أحل

واديا-و هو وحده بلا- أنيس و الليل داج مظلم و البصر حاسر عن الإدراك-فلا مؤمن يؤمنه بتميز المخاطر من غيرها بضياء و نحوه فترى أن خياله يصور له كل شبح يترائى له غولا مهيبا يقصده بالإهلاك أو روحا من الأرواح،و ربما صور له حركة و ذهابا و إيابا و صعودا فى السماء و نزولا إلى الأرض،و أشكالا و تماثيل ثم لا يزال الخيال يكرر له هذا الشبه المجعول كلما ذكره و حاله من الخوف،ثم ربما نقله لغيره فأوجد فيه حالا نظير حاله و لا يزال ينتشر-و هو موضوع خرافى لا ينتهى إلى حقيقه-.

و ربما هيح الخيال حسن الدفاع من الإنسان أن يضع أعمالا لدفع شر هذا الموجود الموهوم و يحث غيره على العمل بها للأمن من شره فيذهب سنه خرافيه.

و لم يزل الإنسان منذ أقدم أعصار حياته مبتلى بأراء خرافيه حتى اليوم و ليس كما يظن من أنها من خصائص الشرقيين فهى موجوده بين الغربيين مثلهم لو لم يكونوا أحرص عليها منهم.

و لا- يزال الخواص من الإنسان-و هم العلماء-يحتالون فى إمحاء رسوم هذه الخرافات المتمكنه فى نفوس العامه من الناس بلطائف حيلهم التى توجب تنبه العامه و تيقظهم فى أمرها،و قد أعياء الداء الطيب فإن الإنسان لا يخلو من التقليد و الاتباع فى الآراء النظرية و المعلومات الحقيقيه من جانب،و من الإحساسات و العواطف النفسانيه من جانب آخر،و ناهيك فى ذلك أن العلاج لم ينجح إلى اليوم.

و أعجب من الجميع ما يراه فى ذلك أهل الحضاره و علماء الطبيعه اليوم!فقد ذكروا أن العلم اليوم يبنى أساسه على الحس و التجربة و يدفع ما دون ذلك،و المدنيه و الحضاره تبنى أساسه على استكمال الاجتماع فى كل كمال ميسور ما استيسر،و بنوا الترييه على ذلك.

مع أن ذلك-و هو عجيب-نفسه من اتباع الخرافه فإن علوم الطبيعه إنما تبحث عن خواص الطبيعه و تثبتها لموضوعاتها،و بعبارة أخرى هذه العلوم الماديه إنما تكشف دائما عن خبايا خواص الماده،و أما ما وراء ذلك فلا سبيل لها إلى نفيه و إبطاله فلاعتقاد بانتفاء ما لا تناله الحس و التجربة من غير دليل من أظهر الخرافات.

و كذلك بناء المدنيه على استكمال الاجتماع المذكور فإن هذا الاستكمال و النيل

بالسعادة الاجتماعيه ربما يستلزم حرمان بعض الأفراد من سعادته الحيويه الفرديه كتحمل القتل و التفديه فى الدفاع عن الوطن أو القانون أو المرام،و المحروميه من سعادته الشخص لأجل وقايه حريم الاجتماع فهذه الحرمانات لا يقدم فيها الإنسان إلا عن عقيدته الاستكمال،و أن يراها كمالات-و ليست كمالات لنفسه-بل عدم و حرمان لها،و إنما هى كمالات-لو كانت كمالات-للمجتمع من حيث هو مجتمع و إنما يريد الإنسان الاجتماع لأجل نفسه لا نفسه لأجل الاجتماع، و لذلك كله ما احتالت هذه الاجتماعات لأفرادها فلقدنهم أن الإنسان يكتسب بالتفديه ذكرا جميلا و اسما باقيا على الفخر دائما و هو الحياه الدائم،و هذه خرافه،و أى حياه بعد البطلان و الفناء غير أنا نسميه حياه،تسميه ليس وراءها شىء؟ و مثلها القول:إن الإنسان يجب له تحمل مر القانون و الصبر على الحرمان فى بعض ما يشتهيه نفسه ليتحفظ به الاجتماع فينال كماله فى الباقي فيعتقد أن كمال الاجتماع كماله،و هذه خرافه،فإن كمال الاجتماع إنما هو كماله فيما يتطابق الكمالان و أما غير ذلك فلا فأى موجب على فرد بالنسبه إلى كماله أو اجتماع قوم بالنسبه إلى اجتماع الدنيا إذا قدر على نيل ما يبتغيه من آماله و لو بالجور و فاق فى القوه و الاستطاعه من غير مقاوم يقاومه أن يعتقد أن كمال الاجتماع كماله و الذكر الجميل فخاره؟كما أن أقوىاء الأمم لا يزالون على الانتفاع من حياه الأمم الضعيفه،فلا- يجدون منهم موطئا إلا وطئوه،و لا منالا إلا نالوه،و لا نسمة إلا استرقوه و استعبدوه،و هل ذلك إلا علاجا لمزمن الداء بالإفناء؟.

و أما ما سلكه القرآن فى ذلك فهو أمره باتباع ما أنزل الله و النهى عن القول بغير علم،هذا فى النظر،و أما فى العمل فأمره بابتغاء ما عند الله فيه فإن كان مطابقا لما يشتهيه النفس كان فيه سعادته الدنيا و الآخره و إن كان فيه حرمانها،فعند الله عظيم الأجر،و ما عند الله خير و أبقى.

و الذى يقوله أصحاب الحس:أن اتباع الدين تقليد يمنع عنه العلم و أنه من خرافات العهد الثانى من العهود الأربعة الماره على نوع الإنسان(و هى عهد الأساطير و عهد المذهب و عهد الفلسفه و عهد العلم،و هو الذى عليه البشر اليوم من اتباع العلم و رفض الخرافات)فهو قول بغير علم و رأى خرافى.

أما إن اتباع الدين تقليد فيبطئه: أن الدين مجموع مركب من معارف المبدأ و المعاد، و من قوانين اجتماعيه من العبادات و المعاملات مأخوذه من طريق الوحي و النبوه الثابت صدقه بالبرهان و المجموعه من الأخبار التي أخبر بها الصادق صادق و اتباعها اتباع للعلم لأن المفروض العلم بصدق مخبرها بالبرهان، و قد مر في البحث التالي لقوله تعالى «وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً» :البقره- ٦٧، كلام في التقليد فارجع.

و من العجيب أن هذا القول قول من ليس بيده في أصول الحياه و سنن الاجتماع:

من مأكله و مشربه و ملبسه و منكحه و مسكنه و غير ذلك إلا التقليد على العمى و اتباع الهوى من غير تثبت و تبين، نعم اختلقوا للتقليد اسما آخر و هو اتباع السنه الذي ترتضيه الدنيا الراقيه فصار التقليد بذلك ممحو الاسم ثابت الرسم، مهجور اللفظ، مانوس المعنى، و كان (ألق دلوك في الدلاء) شعارا علميا و رقا مدنيا و عاد(و لا تتبع الهوى فيضلك) تقليدا دينيا و قولا خرافيا.

و أما تقسيمهم سير الحياه الإنسانيه إلى أربعة عهود فما بأيدينا من تاريخ الدين و الفلسفه يكذبه فإن طلوع دين إبراهيم إنما كان بعد عهد الفلسفه بالهند و مصر و كلدان و دين عيسى بعد فلسفه يونان و كذا دين محمد ص- و هو الإسلام- كان بعد فلسفه يونان و إسكندريه، و بالجملة غايه أوج الفلسفه كانت قبل بلوغ الدين أوجه.

و قد مر فيما مر أن دين التوحيد يتقدم في عهده على جميع الأديان الأخر.

و الذي يرتضيه القرآن من تقسيم تاريخ الإنسان هو تقسيمه إلى عهد السذاجه و وحده الأمم و عهد الحس و الماده، و سيجيء بيانه في الكلام على قوله تعالى: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ» :البقره- ٢١٣.

## [سوره البقره (٢): الآيات ١٧٢ الى ١٧٦]

### اشاره

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُلُوْا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ اشْكُرُوْا لِلّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ اِيَّاهُ تَعْبُدُوْنَ (١٧٢) اِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِيْزْرِ وَ مَا اُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللّٰهِ فَمَنْ اَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَلَا اِثْمَ عَلَيْهِ اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ (١٧٣) اِنَّ الَّذِيْنَ يَكْتُمُوْنَ مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ الْكِتٰبِ وَ يَشْتُرُوْنَ بِهِ ثَمٰنًا قَلِيْلًا اُولٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُوْنَ فِيْ بُطُوْنِهِمْ اِلَّا النَّارَ وَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَ لَا يَزَكِّيْهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰبٌ اَلِيْمٌ (١٧٤) اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوْا الضَّلٰلَةَ بِالْهُدٰى وَ الْعَذٰبَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا اَصْبَرْتُمْ عَلٰى النَّارِ (١٧٥) ذٰلِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ نَزَّلَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ وَ اِنَّ الَّذِيْنَ اِخْتَلَفُوْا فِي الْكِتٰبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيْدٍ (١٧٦)

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، خطاب خاص بالمؤمنين بعد الخطاب السابق للناس فهو من قبيل انتزاع الخطاب من الخطاب، كأنه انصراف عن خطاب جماعه ممن لا- يقبل النصح و لا يصغى إلى القول، و التفات إلى من يستجيب الداعي لإيمانه به، و التفاوت الموجود بين الخطابين ناش من تفاوت المخاطبين، فإن المؤمنين بالله لما كان يتوقع منهم القبول بدل قوله: ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا﴾ من قوله:

طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

، و كان ذلك وسيلة إلى أن يطلب منهم الشكر لله وحده لكونهم موحدين لا- يعبدون إلا الله سبحانه، و لذلك بعينه قيل: ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ و لم يقل: ما رزقتم أو ما فى الأرض و نحوه، لما فيه من الإيماء أو الدلالة على كونه تعالى معروفا لهم قريبا منهم حيننا رءوفا بهم، و الظاهر أن يكون قوله: ﴿مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، من قبيل إضافة الصفه إلى الموصوف لا من قبيل قيام الصفه مقام الموصوف فإن المعنى على الأول كلوا من رزقنا الذى كله طيب، و هو المناسب لمعنى التقرب و التحنن الذى يلوح من المقام، و المعنى على الثانى كلوا من طيب الرزق لا من خبيثه، و هو بعيد المناسبه عن المقام الذى هو مقام رفع الحظر، و النهى عن الامتناع عن بعض ما رزقهم الله سبحانه

تشريعا من عند أنفسهم و قولاً بغير علم.

قوله تعالى: وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، لم يقل و اشكروا لنا بل اشكروا لله ليكون أدل على الأمر بالتوحيد و لذلك أيضا قيل: إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ فدل على الحصر و القصر و لم يقل إن كنتم تعبدونه.

قوله تعالى: إِنََّّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهْلًا بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، الإهلال لغير الله هو الذبح لغيره كالأصنام.

قوله تعالى: فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا - عَمَادٍ، أى غير ظالم و لا متجاوز حده، و هما حالان عاملهما الاضطراب فيكون المعنى فمن اضطر إلى أكل شيء مما ذكر من المنهيات اضطرارا في حال عدم بغيه و عدم عدوه فلا ذنب له في الأكل، و أما لو اضطر في حال البغي و العدو كأن يكونا هما الموجبين للاضطراب فلا- يجوز له ذلك، و قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، دليل على أن التجوز تخفيف و رخصه منه تعالى للمؤمنين و إلا فمناطق النهي موجود في صورته الاضطراب أيضا.

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ، تعريض لأهل الكتاب إذ عندهم شيء كثير من المحللات الطيبة التي حرمها كبرائهم و رؤسائهم في العبادات و غيرها- و عندهم الكتاب الذي لا يقضى فيه بالتحريم- و لم يكتموا ما كتّموه إلا حفظا لما يدر عليهم من رزق الرئاسه و أبهه المقام و الجاه و المال.

و في الآيه من الدلاله على تجسم الأعمال و تحقق نتائجها ما لا يخفى فإنه تعالى ذكر أولا أن اختيارهم الثمن القليل على ما أنزل الله هو أكل النار في بطونهم ثم بدل اختيار الكتمان و أخذ الثمن على بيان ما أنزل الله في الآيه التاليه من اختيار الضلاله على الهدى ثم من اختيار العذاب على المغفره ثم ختمها بقوله: فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، و الذي كان منهم ظاهرا هو الإدامه للكتمان و البقاء عليها فافهم.

### (بحث روائى)

فى الكافى، عن الصادق (ع): فى قوله تعالى فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا - عَمَادٍ الْآيَه، قال:



الباغى باغى الصيد، و العادى السارق-ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطررا إليها، هي حرام عليهما ليس هي عليهما كما هي على المسلمين-و ليس لهما أن يقصرا فى الصلاة.

و فى تفسير العياشى، عن الصادق(ع)قال: الباغى الظالم، و العادى الغاصب.

و عن حماد عنه(ع)قال: الباغى الخارج على الإمام و العادى اللص.

و فى المجمع، عن أبى جعفر(ع)و أبى عبد الله(ع): غير باغ على إمام المسلمين و لا عاد بالمعصية طريق المحققين.

أقول: و الجميع من قبيل عد المصاديق، و هي تؤيد المعنى الذى استفدناه من ظاهر اللفظ.

و فى الكافى، و تفسير العياشى، عن الصادق(ع): فى قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ الآية، قال: ما أصبرهم على فعل ما يعلمون أنه يصيرهم إلى النار.

و فى المجمع، عن على بن إبراهيم عن الصادق(ع)قال: ما أجرأهم على النار.

و عن الصادق(ع): ما أعملهم بأعمال أهل النار.

أقول: و الروايات قريبه المعانى فى الأولى تفسير الصبر على النار بالصبر على سبب النار، و فى الثانية تفسير الصبر على النار بالجرأه عليها و هي لانزمه للصبر، و فى الثالثه تفسير الصبر على النار بالعمل بما يعمل به أهل النار و مرجعه إلى معنى الروايه الأولى.

**[سوره البقره (٢): آيه ١٧٧]**

**اشاره**

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)

ص: ٤٢٧

قيل: كثر الجدل والخصام بين الناس بعد تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة و طال المشاجره فنزلت الآية.

قوله تعالى: لَيْسَ الْعِبْرَ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ ، البر بالكسر التوسع من الخير و الإحسان، و البر بالفتح صفه مشبهه منه، و القبل بالكسر فالفتح الجهه و منه القبلة و هى النوع من الجهه، و ذوو القربى الأقباء، و اليتامى جمع يتيم و هو الذى لا والد له، و المساكين جمع مسكين و هو أسوأ حالا- من الفقير، و ابن السبيل المنقطع عن أهله، و الرقاب جمع رقبه و هى رقبه العبد، و البأساء مصدر كالبؤس و هو الشده و الفقر، و الضراء مصدر كالضر و هو أن يتضرر الإنسان بمرض أو جرح أو ذهاب مال أو موت ولد، و البأس شده الحرب.

قوله تعالى: وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، عدل عن تعريف البر بالكسر إلى تعريف البر بالفتح ليكون بيانا و تعريفا للرجال مع تضمنه لشرح وصفهم و إيماء إلى أنه لا أثر للمفهوم الخالى عن المصداق و لا فضل فيه، و هذا دأب القرآن فى جميع بياناته فإنه يبين المقامات و يشرح الأحوال بتعريف رجالها من غير أن يقنع ببيان المفهوم فحسب.

و بالجمله قوله وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، تعريف للأبرار و بيان لحقيقه حالهم، و قد عرفهم أولا فى جميع المراتب الثلاث من الاعتقاد و الأعمال و الأخلاق بقوله: (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ) و ثانيا بقوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) و ثالثا بقوله: (وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).

فأما ما عرفهم به أولا- فابتدأ فيه بقوله تعالى: مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّنَ ، و هذا جامع لجميع المعارف الحقه التى يريد الله سبحانه من عباده الإيمان بها، و المراد بهذا الإيمان التام الذى لا يتخلف عنه أثره، لا

فى القلب بعروض شك أو اضطراب أو اعتراض أو سخط فى شىء مما يصيبه مما لا- ترتضيه النفس، و لا- فى خلق و لا فى عمل، و الدليل على أن المراد به ذلك قوله فى ذيل الآيه (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) فقد أطلق الصدق و لم يقيده بشىء من أعمال القلب و الجوارح فهم مؤمنون حقا صادقون فى إيمانهم كما قال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»: النساء ٦٨ و حينئذ ينطبق حالهم على المرتبه الرابعه من مراتب الإيمان التى مر بيانها فى ذيل قوله تعالى إذ قال له رَبُّهُ أَسْلَمَ قَالَ أَسَلَمْتُ: البقره ١٣١.

ثم ذكر تعالى نبذا من أعمالهم بقوله: وَ آتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ، فذكر الصلاه- و هى حكم عبادى- و قد قال تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ»: العنكبوت-٤٥، و قال: «وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَذَكَّرَ»: طه-١٤، و ذكر الزكاه- و هى حكم مالى فيه صلاح المعاش- و ذكر قبلهما إيتاء المال و هو بث الخير و نشر الإحسان غير الواجب لرفع حوائج المحتاجين و إقامة صلبهم.

ثم ذكر سبحانه نبذا من جمل أخلاقهم بقوله: وَ الْمُؤْمِنُونَ بَعَثْنَا فِيهِمْ رَسُولًا لَّهُمْ لِيُذَكِّرَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ ، فالعهد هو الالتزام بشىء و العقد له- و قد أطلقه تعالى- و هو مع ذلك لا يشمل الإيمان و الالتزام بأحكامه كما توهمه بعضهم- لمكان قوله إذا عاهدوا، فإن الالتزام بالإيمان و لوازمه لا يقبل التقييد بوقت دون وقت - كما هو ظاهر- و لكنه يشتمل بإطلاقه كل وعد وعده الإنسان و كل قول قاله التزاما كقولنا: لأفعلن كذا و لأتركن، و كل عقد عقد به فى المعاملات و المعاشرات و نحوها، و الصبر هو الثبات على الشدائد حين تهاجم المصائب أو مقارعه الأقران، و هذان الخلقان و إن لم يستوفيا جميع الأخلاق الفاضله غير أنهما إذا تحققا تحقق ما دونهما، و الوفاء بالعهد و الصبر عند الشدائد خلقان يتعلق أحدهما بالسكون و الآخر بالحركه و هو الوفاء فالإتيان بهذين الوصفين من أوصافهم بمنزله أن يقال: إنهم إذا قالوا قولاً أقدموا عليه و لم يتجافوا عنه بالزوال.

و أما ما عرفهم به ثانيا بقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا، فهو وصف جامع لجمل فضائل العلم و العمل فإن الصدق خلق يصاحب جميع الأخلاق من العفه و الشجاعه

و الحكمة و العدالة و فروعها فإن الإنسان ليس له إلا الاعتقاد و القول و العمل، و إذا صدق تطابقت الثلاثة فلا يفعل إلا ما يقول و لا يقول إلا ما يعتقد، و الإنسان مفطور على قبول الحق و الخضوع له باطنا و إن أظهر خلافه ظاهرا فإذا أذعن بالحق و صدق فيه قال ما يعتقد و فعل ما يقوله و عند ذلك تم له الإيمان الخالص و الخلق الفاضل و العمل الصالح، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾: التوبة-١٢٠، و الحصر في قوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، يؤكد التعريف و بيان الحد، و المعنى- و الله أعلم- إذا أردت الذين صدقوا فأولئك هم الأبرار.

و أما ما عرفهم به ثالثا بقوله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، الحصر لبيان الكمال فإن البر و الصدق لو لم يتما لم يتم التقوى.

و الذى بينه تعالى فى هذه الآيه من الأوصاف الأبرار هى التى ذكرها فى غيرها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا- عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُوفُونَ بِالْذِّكْرِ وَ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا- وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا- إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ-﴾ إلى أن قال X- وَ جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيرًا:» الدهر-١٢، فقد ذكر فيها الإيمان بالله و اليوم الآخر و الإنفاق لوجه الله و الوفاء بالعهد و الصبر، و قال تعالى أيضا: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ وَ مَا أَذْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ. إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ-﴾ إلى أن قال X- يُسَبِّحُونَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ-﴾ إلى أن قال X- عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ:» المطففين-٢٨، بالتطبيق بين هذه الآيات و الآيات السابقة عليها يظهر حقيقه و صفهم و مآل أمرهم إذا تدبرت فيها، و قد وصفتهم الآيات بأنهم عباد الله و أنهم المقربون، و قد وصف الله سبحانه عباده فيما وصف بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾: الحجر-٤٢، و وصف المقربين بقوله: «وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ»: الواقعة-١٢، فهؤلاء هم السابقون فى الدنيا إلى ربهم السابقون فى الآخرة إلى نعيمه، و لو أدمت البحث عن حالهم فيما تعطيه الآيات لوجدت عجبا.

و قد بان مما مر أن الأبرار أهل المرتبه العالیه من الإيمان، و هى المرتبه الرابعه على ما مر بيانه سابقا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ﴾: الأنعام-٨٢.

قوله تعالى: وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ، منصوب على المدح إعظاماً لأمر الصبر، وقد قيل إن الكلام إذا طال بذكر الوصف بعد الوصف فمذهبهم أن يعترضوا بين الأوصاف بالمدح والذم، واختلاف الإعراب بالرفع والنصب.

### (بحث روائى) [معنى الأبرار.]

عن النبى ص: من عمل بهذه الآيه فقد استكمل الإيمان.

أقول: ووجهه واضح بما بيناه، وقد نقل عن الزجاج و الفراء أنهما قالوا: إن الآيه مخصوصه بالأنبياء المعصومين لأن هذه الأشياء لا يأتيتها بكليتها على حق الواجب فيها إلا- الأنبياء انتهى، وهو ناش من عدم التدبر فيما تفيده الآيات و الخلط بين المقامات المعنويه، وقد أنزلت آيات سوره الدهر فى أهل بيت رسول الله ص و سماهم الله فيها أبرارا و ليسوا بأنبياء.

نعم خطرهم عظيم، وقد وصف الله حال أولى الألباب الذين يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السماوات و الأرض، ثم ذكر مسألتهم أن يلحقهم الله بالأبرار، قال: «و تَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ»: آل عمران- ١٩٣.

و فى الدر المشهور، أخرج الحكيم الترمذى عن أبى عامر الأشعري قال: قلت:

يا رسول الله ما تمام البر، قال أن تعمل فى السر ما تعمل فى العلانيه.

و فى المجمع، عن أبى جعفر و أبى عبد الله (ع): ذوى القربى قرابه النبى.

أقول: و كأنه من قبيل عد المصداق بالنظر إلى آيه القربى.

و فى الكافى، عن الصادق (ع): الفقير الذى لا يسأل الناس -و المسكين أجهد منه و البائس أجدهم.

و فى المجمع، عن أبى جعفر (ع): ابن السبيل، المنقطع به.

و فى التهذيب، عن الصادق (ع): سئل عن مكاتب عجز عن مكاتبته و قد أدى بعضها، قال: (ع) يؤدى عنه من مال الصدقه- فإن الله عز و جل يقول: وَ فِي الرِّقَابِ .

و فى تفسير القمى: فى قوله: وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ -قال: (ع) فى الجوع و العطش و الخوف، و فى قوله وَ حِينَ الْبَأْسِ قال: قال (ع)، عند القتال

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ  
بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَ لَكُمْ فِي  
لِقِصَاصِ حَيَاةٍ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)

(بيان)

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ، في توجيه الخطاب إلى المؤمنين خاصة إشارة إلى  
كون الحكم خاصا بالمسلمين، و أما غيرهم من أهل الذمه و غيرهم فالآية ساكتة عن ذلك.

و نسبة هذه الآية إلى قوله تعالى: «أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ»: المائدة-٤٨، نسبة التفسير، فلا وجه لما ربما يقال، إن هذه الآية ناسخة لتلك  
الآية فلا يقتل حر بعبد و لا رجل بمرأه.

و بالجمله القصاص مصدر؛ قاص يقاص؛ من قص أثره إذا تبعه و منه القصاص لمن يحدث بالآثار و الحكايات كأنه يتبع آثار  
الماضين فتسميه القصاص بالقصاص لما فيه من متابعه الجاني في جنايته فيوقع عليه مثل ما أوقعه على غيره.

قوله تعالى: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ، المراد بالموصول القاتل، و العفو للقاتل إنما يكون في حق القصاص فالمراد بالشىء هو  
الحق، و في تنكيره تعميم للحكم أى أى حق كان سواء كان تمام الحق أو بعضه كما إذا تعدد أولياء الدم فعفا بعضهم حقه  
للقاتل فلا قصاص حينئذ بل الديه، و فى التعبير عن ولى الدم بالأخ إثاره لحس المحبه و الرأفة و تلويح إلى أن العفو أحب.

قوله تعالى: فَالْبِاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَ آدَاءٌ إِلَيْهِ بِالْإِحْسَانِ، مبتدأ خبره محذوف أى فعلية أن يتبع القاتل فى مطالبه الدية بمصاحبه المعروف، من الاتباع و على القاتل أن يؤدى الدية إلى أخيه ولى الدم بالإحسان من غير مباطله فيها إيذاؤه.

قوله تعالى: ذَلِكُمْ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ، أى الحكم بانتقال القصاص إلى الدية تخفيف من ربكم فلا يتغير فليس لولى الدم أن يقتص بعد العفو فيكون اعتداء فمن اعتدى فاقتص بعد العفو فله عذاب أليم.

قوله تعالى: وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، إشاره إلى حكمه التشريع، و دفع ما ربما يتوهم من تشريع العفو و الدية و بيان المزيه و المصلحه التى فى العفو و هو نشر الرحمه و إثثار الرأفه أن العفو أقرب إلى مصلحه الناس، و حاصله أن العفو و لو كان فيه ما فيه من التخفيف و الرحمه، لكن المصلحه العامه قائمه بالقصاص فإن الحياه لا يضمنها إلا القصاص دون العفو و الدية و لا كل شىء مما عداهما، يحكم بذلك الإنسان إذا كان ذا لب و قوله لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، أى القتل و هو بمنزله التعليل لتشريع القصاص.

و قد ذكروا: أن الجملة، أعنى قوله تعالى: وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ الآية على اختصارها و إيجازها و قله حروفها و سلاسه لفظها و صفاء تركيبها من أبلغ آيات القرآن فى بيانها، و أسماها فى بلاغتها فهى جامع بين قوه الاستدلال و جمال المعنى و لطفه، و رقه الدلاله و ظهور المدلول، و قد كان للبلغاء قبلها كلمات فى القتل و القصاص تعجبهم بلاغتها و جزاله أسلوبها و نظمها كقولهم: قتل البعض إحياء للجميع و قولهم: أكثروا القتل ليقل القتل، و أعجب من الجميع عندهم قولهم: القتل أنفى للقتل غير أن الآية أنست الجميع و نفت الكل: وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ فَإِنَّ الْآيَةَ أَقْلُ حُرُوفًا وَ أَسْهَلُ فِي التَّلْفِظِ، و فيها تعريف القصاص و تنكير الحياه ليدل على أن النتيجة أوسع من القصاص و أعظم و هى مشتمله على بيان النتيجة و على بيان حقيقه المصلحه و هى الحياه، و هى متضمن حقيقه المعنى المفيد للغاية فإن القصاص هو المؤدى إلى الحياه دون القتل فإن من القتل ما يقع عدوانا ليس يؤدى إلى الحياه، و هى مشتمله على أشياء آخر غير القتل

يؤدي إلى الحياه و هي أقسام القصاص في غير القتل، و هي مشتمله على معنى زائد آخر، و هو معنى المتابعه التي تدل عليها كلمه القصاص بخلاف قولهم القتل أنفى للقتل، و هي مع ذلك متضمنه للحث و الترغيب فإنها تدل على حياه مذخوره للناس مغفول عنها يملكونها فعلهم أن يأخذوا بها نظير ما تقول: لك في مكان كذا أو عند فلان مالا و ثروه، و هي ذلك تشير إلى أن القائل لا يريد بقوله هذا إلا حفظ منافعهم و رعايه مصلحتهم من غير عائد يعود إليه حيث قال: وَ لَكُمْ .

فهذه وجوه من لطائف ما تشتمل عليه هذه الآيه، و ربما ذكر بعضهم وجوها أخرى يعثر عليه المراجع غير أن الآيه كلما زدت فيه تدبرا زادتك في تجلياتها بجمالها و غلبتك بهور نورها- و كلمه الله هي العليا.

### (بحث روائي)

في تفسير العياشي، عن الصادق (ع): في قوله تعالى الْخُرُّ بِالْحُرِّ، قال: لا يقتل الحر بالعبد و لكن يضرب ضربا شديدا و يغرم ديه العبد- و إن قتل رجل امرأه فأراد أولياء المقتول أن يقتلوه- أدوا نصف ديته إلى أولياء الرجل.

و في الكافي، عن الحلبي عن الصادق (ع): قال سألته عن قول الله عز و جل - فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، قال: يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا، و سألته عن قوله عز و جل: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَذَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ، قال:

ينبغي للذي له الحق- أن لا يعسر أخاه إذا كان قد صالحه على ديه- و ينبغي للذي عليه الحق- أن لا يمطل أداءه إذا قدر على ما يعطيه و يؤدي إليه بإحسان، و سألته عن قول الله عز و جل: فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدِ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قال هو الرجل يقبل الديه أو يعفو أو يصالح- ثم يعتدي فيقتل كما قال الله عز و جل.

أقول: و الروايات في هذه المعاني كثيره.

### (بحث علمي) [القصاص و ما أشكل عليه و الجواب عنه.]

كانت العرب أو ان نزول آيه القصاص و قبله تعتقد القصاص بالقتل لكنها ما كانت تحده بحد و إنما يتبع ذلك قوه القبائل و ضعفها فربما قتل الرجل بالرجل و المرأه



بالمراه فسلك فى القتل مسلك التساوى و ربما قتل العشره بالواحد و الحر بالعبد و الرئيس بالمرءوس و ربما أبادت قبيله قبيله أخرى لواحد قتل منها.

و كانت اليهود تعتقد القصاص كما ورد فى الفصل الحادى و العشرين و الثانى و العشرين من الخروج و الخامس و الثلاثين من العدد، و قد حكاه القرآن حيث قال تعالى:

«وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا» النساء-٤٥.

و كانت النصرى على ما يحكى لا ترى فى مورد القتل إلا العفو و الديه، و سائر الشعوب و الأمم على اختلاف طبقاتهم ما كانت تخلو عن القصاص فى القتل فى الجملة و إن لم يضبطه ضابط تام حتى القرون الأخيره.

و الإسلام سلك فى ذلك مسلكا وسطا بين الإلغاء و الإثبات فأثبت القصاص و ألغى تعيينه بل أجاز العفو و الديه ثم عدل القصاص بالمعادله بين القاتل و المقتول، فالحر بالحر و العبد بالعبد و الأنثى بالأنثى.

و قد اعترض على القصاص مطلقا و على القصاص بالقتل خاصه بأن القوانين المدنيه التى وضعتها الملل الراقيه لا ترى جوازها و إجرائها بين البشر اليوم.

قالوا: إن القتل بالقتل مما يستهجنه الإنسان و ينفر عنه طبعه و يمنع عنه وجدانه إذا عرض عليه رحمه و خدمه للإنسانيه، و قالوا: إذا كان القتل الأول فقدا لفرد فالقتل الثانى فقد على فقد، و قالوا: إن القتل بالقصاص من القسوه و حب الانتقام، و هذه صفه يجب أن تزاح عن الناس بالتربيه العامه و يؤخذ فى القاتل أيضا بعقوبه التربيه، و ذلك إنما يكون بما دون القتل من السجن و الأعمال الشاقه، و قالوا: إن المجرم إنما يكون مجرما إذا كان مريض العقل فالواجب أن يوضع القاتل المجرم فى المستشفيات العقليه و يعالج فيها، و قالوا: إن القوانين المدنيه تتبع الاجتماع الموجود، و لما كان الاجتماع غير ثابت على حال واحد كانت القوانين كذلك فلا وجه لثبوت القصاص بين الاجتماع للأبد حتى الاجتماعات الراقيه اليوم، و من اللازم أن يستفيد الاجتماع من وجود أفرادها ما استيسر، و من الممكن أن يعاقب المجرم بما دون القتل مما يعادل القتل من حيث الثمره و النتيجة كحبس الأبد أو حبس مده سنين و فيه الجمع

بين الحقين حق المجتمع و حق أولياء الدم،فهذه الوجوه عمدته ما ذكره المنكرون لتشريع القصاص بالقتل.

و قد أجاب القرآن عن جميع هذه الوجوه بكلمه واحده،و هى قوله تعالى:

مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا: المائده-٣٢.

بيان ذلك: أن القوانين الجاربه بين أفراد الإنسان و إن كانت وضعيه اعتباريه يراعى فيها مصالح الاجتماع الإنسانى غير أن العله العامله فيها من أصلها هى الطبيعه الخارجيه الإنسانيه الداعيه إلى تكميل نقصها و رفع حوائجها التكوينيّه،و هذه الواقعيه الخارجيه ليست هى العدد العارض على الإنسان و لا- الهياه الواحده الاجتماعيه فإنها نفسها من صنع الوجود الكونى الإنسانى بل هى الإنسان و طبيعته و ليس بين الواحد من الإنسان و الألوفا المجتمعه منه فرق فى أن الجميع إنسان و وزن الواحد و الجميع واحد من حيث الوجود.

و هذه الطبيعه الوجوديه تجهزت فى نفسها بقوى و أدوات تدفع بها عن نفسها العدم لكونها مفطوره على حب الوجود،و تطرد كل ما يسلب عنه الحياه بأى وسيله أمكنت و إلى أى غايه بلغت حتى القتل و الإعدام،و لذا لا تجد إنسانا لا تقضى فطرته بتجويز قتل من يريد قتله و لا- ينتهى عنه إلا- به،و هذه الأمم الراقيه أنفسهم لا- يتوقفون عن الحرب دفاعا عن استقلالهم و حرّيتهم و قوميتهم،فكيف بمن أراد قتل نفوسهم عن آخرها،و يدفعون عن بطلان القانون بالغا ما بلغ حتى بالقتل و يتوسلون إلى حفظ منافعهم بالحرب إذا لم يعالج الداء بغيرها،تلك الحرب التى فيها فناء الدنيا و هلاك الحرث و النسل و لا يزال ملل يتقدمون بالتسليحات و آخرون يتجهزون بما يجاوبهم،و ليس ذلك كله إلا- رعايه لحال الاجتماع و حفظا لحياته و ليس الاجتماع إلا صنيعه من صنائع الطبيعه فما بال الطبيعه يجوز القتل الذريع و الإفناء و الإباده لحفظ صنيعه من صنائعها،و هى الاجتماع المدنى و لا تجوزها لحفظ حياه نفسها؟و ما بالها تجوز قتل من يهّم بالقتل و لم يفعل و لا تجوزه فيمن هم و فعل؟و ما بال الطبيعه تقضى بالانعكاس فى الوقائع التاريخيه،فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره،و من يعمل مثقال

ذره شرايره و لكل عمل عكس عمل فى قانونها لكنها تعد القتل فى مورد القتل ظلما و تنقض حكم نفسها.

على أن الإسلام لا يرى فى الدنيا قيمه للإنسان يقوم بها و لا وزنا يوزن به إلا إذا كان على دين التوحيد فوزن الاجتماع الإنسانى و وزن الموحد الواحد عنده سيان، فمن الواجب أن يكون حكمهما عنده واحدا، فمن قتل مؤمنا كان كمن قتل الناس جميعا من نظر إزرائه و هتكه لشرف الحقيقه كما أن من قتل نفسا كان كمن قتل الناس جميعا من نظر الطبيعه الوجوديه، و أما الممل المتمدنه فلا يبالون بالدين و لو كانت شرافه الدين عندهم تعادل فى قيمتها أو وزنها-فضلا عن التفوق-الاجتماع المدنى فى الفضل لحكموا فيه بما حكموا فى ذلك.

على أن الإسلام يشرع للدنيا لا لقوم خاص و أمه معينه، و الممل الراقيه إنما حكمت بما حكمت بعد ما أذعنت بتمام التريبيه فى أفرادها و حسن صنيع حكوماتها و دلالة الإحصاء فى مورد الجنائيات و الفجائع على أن التريبيه الموجوده مؤثره و أن الأمه فى أثر تربيتهم متنفره عن القتل و الفجيعه فلا تتفق بينهم إلا فى الشذوذ و إذا اتفقت فهى ترضى المجازاه بما دون القتل، و الإسلام لا يأبى عن تجويز هذه التريبيه و أثرها الذى هو العفو مع قيام أصل القصاص على ساق.

و يلوح إليه قوله تعالى: فى آيه القصاص فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ، فاللسان لسان التريبيه و إذا بلغ قوم إلى حيث أذعنوا بأن الفخر العمومى فى العفو لم ينحرفوا عنه إلى مسلك الانتقام.

و أما غير هؤلاء الأمم فالأمر فيها على خلاف ذلك و الدليل عليه ما نشاهده من حال الناس و أرباب الفجيعه و الفساد فلا يخوفهم حبس و لا عمل شاق و لا بصددهم و عظ و نصيح، و ما لهم من همه و لا ثبات على حق إنسانى، و الحياه المعده لهم فى السجون أرفق و أعلى و أسنى مما لهم فى أنفسهم من المعيشه الرديه الشقيه فلا يوحشهم لوم و لا ذم، و لا يدهشهم سجن و لا ضرب، و ما نشاهده أيضا من ازدياد عدد الفجائع فى الإحصاءات يوما فيوما فالحكم العام الشامل للفريقين -الأغلب منهما الثانى- لا- يكون إلا- القصاص و جواز العفو فلو رقت الأمه و رببت تربيته ناجحه أخذت بالعفو (و الإسلام لا- يألو جهده فى التريبيه) و لو لم يسلك إلا الانحطاط أو كفرت بأنعم ربها

و فسقت، أخذ فيهم بالقصاص و يجوز معه العفو.

و أما ما ذكروه من حديث رحمه و الرأفة بالإنسانيه فما كل رأفه بمحموده و لا كل رحمه فضيله، فاستعمال رحمه فى مورد الجانى القسى و العاصى المتخلف المتمرد و المتعدى على النفس و العرض جفاء على صالح الأفراد، و فى استعمالها المطلق اختلال النظام و هلاك الإنسانيه و إبطال الفضيله.

و أما ما ذكروه أنه من القسوه و حب الانتقام فالقول فيه كسابقه، فالانتقام للمظلوم من ظالمه استظهارا للعدل و الحق ليس بمذموم قبيح، و لا حب العدل من رذائل الصفات، على أن تشريع القصاص بالقتل غير ممحض فى الانتقام بل فيه ملاك التريه العامه و سد باب الفساد.

و أما ما ذكروه من كون جنايه القتل من الأمراض العقليه التى يجب أن يعالج فى المستشفيات فهو من الأعذار (و نعم العذر) الموجه لشيوع القتل و الفحشاء و نماء الجنايه فى الجامعه الإنسانيه، و أى إنسان منا يحب القتل و الفساد علم أن ذلك فيه مرض عقلى و عذر مسموع يجب على الحكومه أن يعالجه بعنايه و رأفه و أن القوه الحاكمه و التنفيذيه تعتقد فيه ذلك لم يقدم معه كل يوم على قتل.

و أما ما ذكروه من لزوم الاستفاده من وجود المجرمين بمثل الأعمال الإجباريه و نحوها مع حبسهم و منعهم عن الورد فى الاجتماع فلو كان حقا متكنا على حقيقه فما بالهم لا يقضون بمثله فى موارد الإعدام القانونى التى توجد فى جميع القوانين الدائره اليوم بين الأمم؟ و ليس ذلك إلا للأهميه التى يرونها للإعدام فى موارد، و قد مر أن الفرد و المجتمع فى نظر الطبيعه من حيث الأهميه متساويان.

## [سوره البقره (٢): الآيات ١٨٠ الى ١٨٢]

### اشاره

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢)

قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ، لسان الآيه لسان الوجوب فإن الكتابه يستعمل فى القرآن فى مورد القطع و اللزوم و يؤيده ما فى آخر الآيه من قوله حقًا، فإن الحق أيضا كالكتابه يقتضى معنى اللزوم لكن تقييد الحق بقوله على المتقين، مما يوهن الدلاله على الوجوب و العزيمه فإن الأنسب بالوجوب أن يقال:حقا على المؤمنين، و كيف كان فقد قيل إن الآيه منسوخه بآيه الإرث، و لو كان كذلك فالمنسوخ هو الفرض دون الندب و أصل المحبوبيه و لعل تقييد الحق بالمتقين فى الآيه لإفاده هذا الغرض.

و المراد بالخير المال، و كأنه المال المعتد به، دون اليسير الذى لا يعبأ به و المراد بالمعروف هو المعروف المتداول من الصنيعه و الإحسان.

قوله تعالى: فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ، ضمير إثمه راجع إلى التبديل، و الباقي من الضمائر إلى الوصيه بالمعروف، و هى مصدر يجوز فيه الوجهان و إنما قال عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ، و لم يقل عليهم ليكون فيه دلالة على سبب الإثم و هو تبديل الوصيه بالمعروف و ليستقيم تفریع الآيه التالیه علیه.

قوله تعالى: فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، الجنف هو الميل و الانحراف، و قيل: هو ميل القدمين إلى الخارج كما أن الحنف بالحاء المهمله انحرافهما إلى الداخل، و المراد على أى حال الميل إلى الإثم بقربينه الإثم و الآيه تفریع على الآيه السابقه عليها، و المعنى (و الله أعلم) فإنما إثم التبديل على الذين يبدلون الوصيه بالمعروف، و يتفرع عليه: أن من خاف من وصيه الموصى أن يكون وصيته بالإثم أو مائلا- إليه فأصلح بينهم برده إلى ما لا إثم فيه فلا إثم عليه لأنه لم يبدل وصيته بالمعروف بل إنما بدل ما فيه إثم أو جنف.

و فى الكافى، و التهذيب، و تفسير العياشى، - و اللفظ للأخير- عن محمد بن مسلم عن الصادق (ع): سألته عن الوصيه تجوز للوارث؟ قال نعم- ثم تلا هذه الآيه إِنَّ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ .

و فى تفسير العياشى، عن الصادق عن أبيه عن على (ع) قال: من لم يوص عند موته لذوى قرابته ممن لا يرث- فقد ختم عمله بمعصيه.

و فى تفسير العياشى، أيضا عن الصادق (ع): فى الآيه قال: حق جعله الله فى أموال الناس لصاحب هذا الأمر، قال قلت: لذلك حد محدود، قال: نعم، قلت:

كم؟ قال: أدناه السدس و أكثره الثلث.

أقول: و روى هذا المعنى الصدوق أيضا فى الفقيه، عنه (ع) و هو استفاده لطيفه من الآيه بضم قوله تعالى: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَ أَرْوَاحُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا»: الأحزاب- ٦، فإن الآيه هى النسخة لحكم التوارث بالأخوه الذى كان فى صدر الإسلام فقد نفت التوارث بالأخوه و أثبتته للقرابه ثم استثنى ما فعل من معروف فى حق الأولياء، و قد عدت النبى و ليا و الطاهرين من ذريته أولياء لهم، و هذا المعروف المستثنى مورد قوله تعالى: إِنَّ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ الْآيَةَ- و هم قربى- فافهم.

و فى تفسير العياشى، عن أحدهما (ع): فى قوله تعالى كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ الْآيَةَ، قال (ع)- هى منسوخة نسختها آيه الفرائض التى هى الموارث.

أقول: مقتضى الجمع بين الروايات السابقه و بين هذه الروايه أن المنسوخ من الآيه.

هو الوجوب فقط فىبقى الاستحباب على حاله.

و فى المجمع، عن أبى جعفر (ع): فى قوله فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا الْآيَةَ، قال الجنف أن يكون على جهه الخطأ- من حيث لا يدرى أنه يجوز.

و فى تفسير القمى، قال الصادق (ع): إذا الرجل أوصى بوصيته- فلا يجوز للوصى

أن يغير وصيه يوصيها-بل يمضيها على ما أوصى-إلا أن يوصى بغير ما أمر الله فيعصى في الوصيه و يظلم، فالموصى إليه جائز له أن يرده إلى الحق-مثل رجل يكون له ورثه- فيجعل المال كله لبعض ورثته و يحرم بعضا-فالموصى جائز له أن يرده إلى الحق-و هو قوله جَنَفًا أَوْ إِثْمًا، و الجنف الميل إلى بعض ورثته دون بعض، و الإثم أن يأمر بعماره بيوت النيران و اتخاذ المسكر-فيحل للموصى أن لا يعمل بشيء من ذلك.

أقول: و بما في الروايه من معنى الجنف يظهر معنى قوله تعالى فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فالمراد الإصلاح بين الورثه لوقوع النزاع بينهم من جهه جنف الموصى.

و في الكافي، عن محمد بن سوجه قال: سألت أبا جعفر(ع) عن قول الله عز و جل:

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ

، قال نسختها التي بعدها قوله: فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، قال: يعنى الموصى إليه-إن خاف جنفا من الموصى فى ولده فيما أوصى به إليه-فيما لا يرضى الله به من خلاف الحق-فلا إثم عليه أى على الموصى إليه-أن يبدله إلى الحق و إلى ما يرضى الله به من سبيل الحق.

أقول: هذا من تفسير الآيه بالآيه فإطلاق النسخ عليه ليس على الاصطلاح و قد مر أن النسخ فى كلامهم ربما يطلق على غير ما اصطلاح عليه الأصوليون.

















بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة



نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
الغمامة  
اصبحان  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

